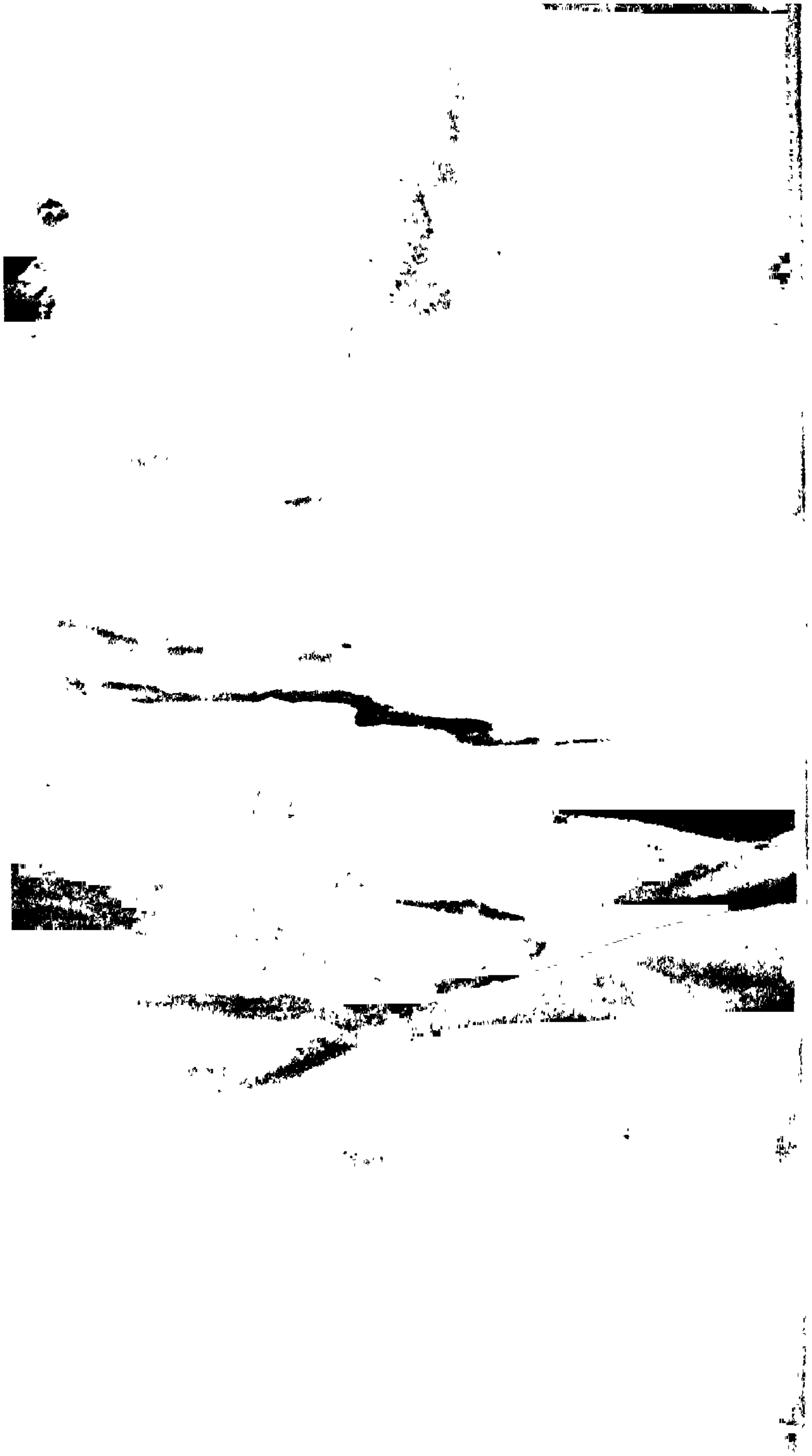
دوريـة تاريخيـة محكمـة



... ـ السنة الثامنة

جمادى ... ١٩٩٠ م



بسم الله الرحمن الرحيم

2 - AL WATHEEKAH

٢ . الوثيقة

الوثيقة

دورية نصف سنوية

تصدر عن

مركز الوثائق التاريخية

بدولة البحرين

رئيس التحرير

الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

العدد السادس عشر ـ السنة الثامنة

جمادى الثانية ١٤١٠ هـ ـ يناير ١٩٩٠م

العنوان : مركز الوثائق التاريخية ص . ب ٢٨٨٨٢

تليفون ٦٦٤٨٥٤

جميع المكاتبات ترسل باسم رئيس التحرير .

الفهرس

صورة الغلاف :

صيد سمك القرش

للفنان البحريني عبدالله المحرقي

جميع الابحاث المنشورة في هذا العدد تمثل وجهة نظر كاتبها

(الوثيقة)

كلمة العدد

بقلم : الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

ظهر في الآونة الأخيرة إقبال ملحوظ من الكثيرين على الكتابة في تاريخ المنطقة . وهو اتجاه محمود تمنيناه طويلا ودعونا اليه كثيرا . هذه الكتابات إما تاخذ شكل رسائل جامعية أو ابحاث في الدوريات أو الصحف أو المجلات ولكن اذا كان هذا الاقبال اتجاهاً مطلوباً فإن ترشيده وتوجيه خطاه أصبح مطلوبا بصورة اكبر . ذلك لما لوحظ على معظم هذه الكتابات -وليس كلها- من اتجاه الى النقل لا النقد والى التسجيل لا التحليل . خاصة والكثير من المصادر التي يعتمد عليها هؤلاء الباحثون للمؤرخين عليها كثير من التحفظات والاعتراضات لقد لوحظ حتى في بعض الرسائل الجامعية أن الباحث يطرح موضوعا ما ثم يبدأ في كل فصل من فصول بحثه في حشد نصوص لما قال كتاب بعينهم لا يتغيرون إلا فيما ندر وفي مقدمتهم لوريمر ثم تقارير أو كتابات المعتمدين وغير البريطانيين وغير البريطانيين في المنطقة خلال فترة البحث ثم يبني أحكامه ونتائجه على أساس هذه النصوص . وذلك قد يكون مقبولا فيما لو كانت هذه الكتابات مبرأة من النقص أو الهوى ولكن الكثيرين الآن يطالبون بطرح هذه المصادر نفسها للتحليل وتصحيح ما جاء بها من أخطاء وهو كثير . لقد ضربنا من قبل بعض الأمثلة لما وقع فيه الكتاب الأجانب من أخطاء نتيجة لاختلاف البيئة والطباع والظروف والتقاليد وقلنا إن بعض الكتاب الأجانب كانوا يحكمون على شخص ما بأنه زئر نساء ذلك لأنهم وجدوه متزوجا من أربع وهم لايدركون بالطبع أن الزواج من أربع مباح في الشريعة الاسلامية وأن الزواج في المنطقة يتم لأسباب أخرى آخرها الجنس . فالزواج يتم من أجل دعم تحالف سياسي مع قبيلة أخرى أو لتكريم سيدة مات زوجها وليس هناك من هو كفء لها وغيرها من الاسباب . وهم قد

يصفون شخصا ما بأنه شديد الاسراف لأنه ذبح لهم عدداً من الخراف وأنه بهذا التصرف انما يؤكد خضوعة للدولة التي يمثلها هذا الضيف ويفوتهم في ذلك أن الكرم عاده راسخة القدم في المنطقة وأن العربي يذبح آخر وأعز ماللديه لاكرام ضيف قد لا يعرفه أو لا يعرف ما جاء من أجله ويفوتهم أيضا أن المبالغة في اكرام الضيف ليست تعبيرا عن قيمة الضيف بقدر ماهي تعبير عن قيمة المضيف ذلك لأن الأمر يحدث على العكس من ذلك في أوربا وغيرها من الأمثلة وهم يرسمون هذه الشخصية اعتماداً على استنتاجات خاطئة جاءت نتيجة فهم خاطىء لتقاليد المنطقة وظروفها فالحرب في المنطقة قد تحدث نتيجة صلة رحم أو دفاعاً عن الكبرياء أو التزاما بكلمة شرف وهي كلها اسباب لا يستطيع العقل الاوروبي ان يستوعبها وإنما كان يلتمس لها اسباباً من فهمهم هم للأمور . هذه الاحكام أو النتائج يأخذها الباحث اليوم ويبني عليها هو الاخر احكامه ونتائجه ويجر الخطأ الى خطأ أفدح .

اننا لا نصادر على احد وانما ننبه فقط الى ان كتابة التاريخ أمر صعب وهي في منطقة تندر فيها المصادر المحلية أكثر صعوبة وننبه أيضاً الى ان التاريخ لم يكن في يوم من الايام من عمل الهواة وانما كان له دائماً متخصصوه الذين يحيطون بكل أصوله وقواعده وهو اليوم يجب الا يكون تسلية الهواة . حقيقة ان مكتباتنا تشكو كثيراً من نقص الكتابات التاريخية بأقلام الباحثين المحليين ولكننا لا نريد لهذه المكتبات ان تمتلىء بغثاء يضر اكثر مما ينفع ويسيء الى الحقيقة التي هي ضالة الجميع . ثم اننا لا نريد لبعض الجهود الصادقة التي يبذلها بعض الباحثين ان تضيع وسط ركام من السطحية نحن في غنى عنه ولسنا في حاجة اليه . اننا نريد لهذا السباق ولهذا الاقبال ان يسير على الطريق الصحيح والا كنا كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقي . أو كنا كمن يقفز في الهواء يرهق ساقيه دون ان يقطع خطوة واحدة الى الامام . ان على المنافذ التي يتسرب منها هذا الانتاج الى السوق ان تكون اكثر حذراً وان تدقق بصورة اكبر فيما يكتب وفيما يجاز . فإن التاريخ لا يرحم وانتاج اليوم سوف يمثل أمام محكمة التاريخ في مستقبل الايام وسوف يتم تحليله وتقويمه والحكم عليه .

والله ولي التوفيق :

عبدالله بن خالد آل خليفة



وثائق القلعة

محمد علي في الجزيرة العربية وعلاقاته بالخليج العربي

١٨٠٧ - ١٨٤٢

في عام ١٩٧٢ ، ولمدة ثلاث سنوات ، استطاع مركز الوثائق والدراسات في أبوظبي الحصول على نسخة كاملة لمجموعة وثائق حملة محمد علي ونشاطه في الجزيرة العربية بين عام ١٨١١ وعام ١٨٤٠ من دار الوثائق القومية بالقاهرة وتعرف هذه المجموعة من الوثائق باسم وثائق القلعة لانها كانت محفوظة في قلعة محمد علي بالقاهرة . ومنذ عام ١٩٧٧ قام قسم الوثائق العثمانية بفهرسة وتلخيص هذه الوثائق على كارتات .

ومن حسن الحظ أن أغلب هذه الوثائق العثمانية مترجم الى اللغة العربية . كما أنها تحوى الكثير من الرسائل العربية بين محمد على وحكام امارات الخليج وسلطنة عمان . وقد استفاد من هذه الوثائق بالمركز العديد من طلاب الماجستير والدكتوراة وخاصة طلاب وطالبات وأساتذة المملكة العربية السعودية . كما قدم المركز لكثير من مؤسسات ومراكز



بقلم : الدكتور
محمد مرسي
عبدالله
«ابوظبي»

الخليج العربي الكثير من نسخ هذه الوثائق .

ان هذه الدراسة التي أقدمها عن محتويات هذه الوثائق والموضوعات العامة التي شملتها تعتمد على مقدمة كتالوج هذه الوثائق الذي أعده قسم الوثائق العثمانية في المركز . ومع أن نشاط محمد على العسكري قد بدأ في الحجاز بحملة ابنه طوسون عام ١٨١١ ، الا أن أقدم وثيقة في هذه المجموعة تبدأ عام ١٨٠٧ .

في منتصف القرن الثامن عشر

الميلادي (منتصف القرن الثاني عشر الهجري) قام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بحركة اصلاحية غيرت معالم الحياة السياسية والدينية في الجزيرة العربية . وقد أطلق خصومه اسمه عليها فلقبت عند أعدائها بإسم الحركة الوهابية . ونحن نعلم أن عقيدة الحركة الاصلاحية تنتسب الى طريق أهل السلف ، الذين عرفوا بأهل السنة والجماعة . وهم يتبعون في الأحكام مذهب الامام أحمد بن حنبل . وقد ركز الشيخ محمد بن عبدالوهاب في حركته الاصلاحية على التوحيد .

وتبدأ وثائق القلعة كما ذكرنا عام ١٨٠٧ بعد دخول السلفيين الى مكة والمدينة . وهرب الشريف غالب من الحجاز ، واثارته رجال الدولة العثمانية ضد السعوديين . كما أن منع المحمل السنوي والكسوة التي كان يرسلها محمد على كتقليد قديم الى أرض الحجاز في موسم الحج قد أثار علماء الحجاز وعلماء مصر . وأصبح هناك جو عدائى ضد رجال الحركة السلفية . وهذا ما سنلمسه في أثناء قراءتنا لهذه الوثائق .

وقد أطلق رجال الدولة العثمانية وحكومة محمد علي في مصر على تعاليم الشيخ محمد بن عبدالوهاب الوهابية غمزا لها كبدعة جديدة خارجة عن تعاليم الدين الاسلامي . ولكن علماء معاصرين له في العراق والشام واليمن رأوا في هذا الوقت المبكر في تعاليم الشيخ محمد بن عبدالوهاب إحياء للكتاب والسنة . ويستنكر رجال الحركة السلفية هذه التسمية . ويسمون أنفسهم المسلمين وأهل الاسلام وأهل الدين الحق . وأطلقوا على من اعتنق مبادئهم «الداخلون في الاسلام» ولقد وصف حسين بن غنام قتال جماعته لاعدائهم بالغزوات وسمى كتابة «روضة الأفكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام» .

ولقد واجه السلفيون غربى الدرعية عاصمتهم امارة الاشراف في الحجاز . وكان الحجاز تابعا اسميا للدولة العثمانية ، بينما قام بادارته الحقيقية الاشراف الذين كانوا يعتبرون أنفسهم سادة المناطق الداخلية بالجزيرة . وقد عاصر اشتباك الدولة السعودية الأولى مع الاشراف الشريف غالب بن مساعد الذى امتد حكمه من عام ١٧٨٨ وحتى عام ١٨١٣ . وكان للأمير غالب بن مساعد بسبب مكانته الدينية دور خطير في مقاومة السعوديين ، اذ كان دائم الاتصال بالباب العالي ومحمد على في مصر يثيرهما ضد الحركة السلفية .

مجموعة وثائق بدايات الحملة :

تبدأ هذه الوثائق برسالة من

«(محمد علي) الى أعتاب ولي النعم، مؤرخة سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧) حول عدم تمكنه من ارسال الصرة (عائدات الأوقاف)، والكسوة والوظائف (المرتبات) المعدة من طرفه الى الحرمين الشريفين، بعد اصدار علماء مصر وأشرافها فتوى بذلك، لوقوعها في أيدي رؤساء مكة في السنة الماضية، واحراق الخارجي (هكذا كان يسمى محمد علي رجال الحركة الاصلاحية السلفية في الجزيرة وقتذاك) محمل السعادة، ونفي مستخدمي الدولة العلية، وقضاة الاسلام، وشيخ الحرم النبوي وسائر المقيمين في تلك الجهات الى مصر».

فعندما وصل محمد علي الى منصب ولاية مصر، كان نفوذ الدولة السعودية الأولى قد امتد ليشمل الحجاز، وأصبح الحرمان الشريفان في حوزة آل سعود، مما أزعج السلطان العثماني، خاصة بعد فشل واليي كل من بغداد ودمشق في القضاء على الحركة السلفية، فأرسل الباب العالي سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧) أمرا الى محمد علي، والي مصر، بارسال حملة الى الحجاز لاسترداد الحرمين الشريفين من أيدي رجال الحركة الاصلاحية السلفية الذين سماهم وقتذاك ظلما (الخوارج الوهابيين).

وفي مجموعة هذه الوثائق نرى كيف اتبع الباشا أسلوب التريث والمماطلة قبل بدئه تنفيذ الأمر رغم وعوده المتكررة لأسباب عديدة منها: سوء الأحوال الاقتصادية في مصر، وتهديد الأمراء المماليك لولايته، وألح في طلب عزل سليمان باشا عن ايالة الشام واسناد حكمها اليه، فأكد الباب العالي له أن الاستجابة لمطالبه رهينة بتنفيذ هذه المهمة.

أخبار أحمد طوسون باشا:

في مجموعة هذه الوثائق نجد أخبار تعيين محمد علي نجله أحمد طوسون باشا قائدا عاما لحملة الحجاز، وأرسل أول حملة بحرية الى الحجاز في ١٩ رجب ١٢٢٦ (١٩ اغسطس/آب ١٨١١م)، تبعتها حملة برية بقيادة طوسون في غرة شهر رمضان سنة ١٢٢٦ (١٩ سبتمبر/أيلول ١٨١١)، وفشلت قواته في احتلال المدينة المنورة، وانهزمت أمام قوات عبدالله بن سعود عند مضيق الجديدة والصفره. وبعد ارسال الامدادات من مصر اليه، واخضاع قبيلة حرب. تقدمت قوات طوسون نحو المدينة المنورة، واقتحمت قلعتها في شهر ذي القعدة سنة ١٢٢٧ (نوفمبر / تشرين الثاني ١٨١٢)، وتوجهت قواته البرية والبحرية الى جدة ودخلت مكة

المكرمة في ٢٠ محرم ١٢٢٨ ١٢٢٨ (٢٣ يناير / كانون الثاني ١٨١٣)، وسقطت الطائف وسيق عثمان المضايفي، حمو الشريف غالب بن مساعد، أمير مكة، مكبلا بالأصفاد الى مصر، وأرسل أهل الحجاز وعلماؤها، الى محمد علي، يبلغونه انباء انتصار نجله.

وهنا نقرأ في هذه المجموعة كيف تلقى محمد علي، أوامر مشددة من الباب العالي لقيادة العمليات الحربية بنفسه، للقضاء على الدرعية، فغادر مصر بصحبة عشرين الف (٢٠,٠٠٠) جندي من الأتراك والمغاربة الى الحجاز في ١٥ شوال سنة ١٢٢٨ (١١ أكتوبر / تشرين الأول ١٨١٣)، فاستقبله الشريف غالب، أمير مكة المكرمة وصحبه الى مكة حيث قام محمد علي بنفيه الى سالونيك رغم تقديمه يد العون لقوات طوسون، وتمكن سنة ١٢٣٠ (١٨١٤)، عقب وفاة الامام سعود بن عبدالعزيز، من احتلال تربة، وأخضع قبائل زهران، وأعدم أميرها بخروش، واحتل ميناء القنفذة، وأخذ طامي بن شعيب، أمير عسير، أسيرا، ثم عاد الى مكة المكرمة ومنها الى مصر في ١٥ رجب سنة ١٢٣٠ (٢٣ يونيه / ـ حزيران ١٨١٥). ونقرأ في هذه الوثائق أيضا انباء مقاومة الامام عبدالله بن سعود لحملة طوسون بعد أن بلغته أخبارها من أهالي قرى القصيم في نجد، فأسرع اليه واحتدم القتال بين الطرفين، فلجأ طوسون الى عقد صلح مع الامام المذكور، والذى رغب فيه حقنا للدماء، وأرسل وفدا الى محمد علي لعرض رسائل الصلح، وعاد طوسون الى مصر.

وقائع ابراهيم باشا وسقوط الدرعية:

هنا نقرأ كيف عبأ محمد علي حملة بحرية بقيادة (نجله) ابراهيم باشا في ١١ رمضان سنة ١٢٣١ (٥ أغسطس / آب ١٨١٦) لفتح الدرعية، تلبية لطلب الشريف يحيى بن سرور أمير مكة، لقيام الامام عبدالله بن سعود بتحريض القبائل العربية في أطراف المدينة المنورة. فوصلت الحملة اليها، واتخذ ابراهيم باشا من الحناكية في ٧ محرم سنة ١٢٣٢ (٢٧ نوفمبر / تشرين الثاني ١٨١٦) معسكرا له. وسار الى الرس بعد نحو ستة أشهر قضاها في استمالة العربان، فحاصر قلعتها في ٢٥ شعبان ١٢٣٢ (١٠ يولية / تموز ١٨١٧) نحو ثلاثة أشهر ثم فتحها. وسقطت قريتا عنيزة وبريدة، واستسلم أهل شقرا في ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣ (٢٢ يناير / كانون

الثاني ١٨١٨) بعد معركة ضارية واستولى على قلعة ضرما حربا ، وأرسل آذان ألف وخمسمائة (١٥٠٠) قتيل سلفى الى مصر ، وقصد الدرعية في غرة جمادى الأولى سنة ١٢٣٣ (١٩ مارس / آذار ١٨١٨) وفي حوزته أكثر من ستين ألف (٦٠,٠٠٠) قنبلة ، فاشتبكت عساكر الفرسان والمشاة مع قوات الامام عبدالله بن سعود ، وحاصرت العساكر قلعة الدرعية ، وفي ٥ ذي القعدة سنة ١٢٣٠ (٦ سبتمبر / أيلول ١٨١٨) هاجمت القلعة وفتحتها بعد مقتل فيصل وتركي أخوي الامام عبدالله ، وألف وأربعمائة (١٤٠٠) وهابي ، وأرسل عبدالله بن سعود الى مصر في شهر محرم سنة ١٢٣٤ (أكتوبر / تشرين الأول ١٨١٨) ، حيث أعدم في استانبول ، وقام ابراهيم باشا بهدم القلاع والقصور في الدرعية .

وفي هذه المجموعة من الوثائق أخبار رحلة كابتن سادلير الى ابراهيم باشا في المدينة المنورة ، تهنئه على انتصاراته ، وتطلب مساعدتها لمحاربة القواسم في سواحل عمان ، غير أن الباشا عاد الى مصر في ١٩ صفر سنة ١٢٣٥ / (٧ ديسمبر / كانون الأول ١٨١٩) .

أخبار الامام تركي بن عبدالله وابنه فيصل :

تحكى مجموعة هذه الوثائق أخبار استرجاع النفوذ السعودي بعودة تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود الى نجد في أوائل سنة ١٢٤٠ (أواخر ١٨٢٤) ، بعد تمكنه من قتل محمد بن مشاري بن معمر وأبيه ، لتسليم مشاري بن سعود الى القائد التركي خليل آغا ، ولفشل قوات محمد علي في القضاء على نفوذه الذي امتد الى شرقي شبه الجزيرة العربية . وجرت اتصالات بينه وبين كل من والي بغداد ، وزعيم الثورة العسيرية ، سعيد بن مسلط ، الذي شغل محمد علي بأمرها وبحروبه في جزر البحر المتوسط ، وشبه جزيرة الموره ، وتطلعه الى بلاد الشام ، فآثر اتباع أسلوب المهادنة نحوه .

وابان تسلم الامام فيصل بن تركي سدة الحكم في نجد سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) ، تحكى لنا هذه الوثائق كيف عاود محمد علي التفكير في توسيع رقعة نفوذة لتشمل شبه الجزيرة العربية بأكملها ، عقب نجاحه في الاستيلاء على بلاد الشام ، واتخذ من وجوب تنصيب خالد بن سعود ، الذى تربى في مصر ، حاكما على نجد ، ذريعة لمد نفوذه الى ذلك الاقليم ،

وفشلت محاولات اقامة صلح بين فيصل وخالد ، ورغم وقوف الدولة العثمانية الى جانب فيصل بواسطة والي بغداد ، الا أنه اتبع اسلوب المهادنة ، وتمكن القائد خـورشيد باشا ، بعد انزال فيصل الهزيمة بحملة اسماعيل بك ، من محاصرته في الدلم ، فاستسلم الامام فيصل حقنا للدماء ، وسافر مع بعض أفراد أسرته الى مصر في ٢ شوال سنة ١٢٥٤ (١٩ ديسمبر / كانون الاول ١٨٣٨) .

أخبار اليمن في وثائق القلعة :

وعلى صعيد آخر ، عاود محمد علي نشاطه في اليمن في الثلاثينات من القرن التاسع عشر ، لفشله في احباط الثورة العسيرية ، وتمكن الانجليز من السيطرة على ميناء مخا «مفتاح اليمن» ، واثارة تركجه بيلمز ، زعيم ثورة الجند غير النظاميين ، لشيوخ اليمن ، فتمكنت قواته من الاستيلاء على بعض الأماكن في اليمن منذ سنة ١٢٥٠ (١٨٣٥) ، غير أن بريطانيا وقفت في وجه امتداد نفوذه الى اليمن ، واستطاعت في غرة ذي القعدة سنة ١٢٥٤ (١٦ يناير ١٨٣٩) من احتلال عدن ، وأرسل هنز ، المعتمد السياسي البريطاني الى امام صنعاء لتحويل تجارة البن اليمني من مخا الى هذا الميناء ، وبموجب معاهدة لندن (التي سيرد ذكرها) سحب محمد علي قواته من اليمن .

نشاط خورشيد باشا في منطقة الخليج :

امتد نشاط خورشيد باشا الى شرقي شبه الجزيرة العربية ، وشمال الخليج العربي ، واتخذ من الاحساء والقطيف سنة ١٢٥٤ (١٨٣٨) مركزا لمزاولة نشاطه بواسطة وكيلـه في البحرين والساحل العماني ومسقط ، وفي الكويت والعراق . وقد شملت مجموعة وثائق نشاط خورشيد باشا في الخليج معلومات هامة عن :

الاحساء والقطيف :

خشي أهالي الاحساء (بنو خالد) عودة النفوذ السعودي ، بعد رحيل ابراهيم باشا من نجد الى المدينة المنورة ، واخضاعهم لحكمه ، فعملوا عل مقاومتـه بمسانـدة السلطان العثماني لهم ، الذي أصدر أوامره الى محمد علي باشا باتخاذ الاجراءات الحربية السريعة للقضاء على عودة نفوذ آل سعود الى نجد ، فبعث الى ابراهيم باشا في المدينة المنورة طالبا منه اتخاذ «التداركات الكلية» ، غير أنه فشل في مهمته ، وتمكن الامام تركي بن عبدالله من توطيد نفوذه في نجد والاحساء . وعقب نجاح القائد

العام لنجد ، خورشد باشا ، في مهمة القضاء على حكم الامام فيصل بن تركي سنة ١٢٥٤ (١٨٣٨) ، بسط نفوذه على الاحساء والقطيف ، واتخذ من الاحساء مركزا لتحرك قواته نحو شرق الجزيرة العربية وشمال الخليج العربي ، بواسطة وكيله في المنطقة محمد رفعت ، الذى أدرك أهمية السيطرة عليها بعد قيامه بدراسة أحوالها وموانئها ، فسارعت بريطانيا الى الاستيلاء على جزيرة خارج سنة ١٢٥٤ (١٨٣٨) .

البحرين :

تعود أهمية البحرين الى الناحيتين الاستراتيجية والاقتصادية ، باعتبارها ميناء للحسا والقطيف ، ومركزا لشراء الغلال ، كما أوضح ذلك محمد رفعت في تقاريره الى خورشيد باشا ، فلجأ الى اجراء مفاوضات مع الشيخ عبدالله بن أحمد آل خليفة ، أمير البحرين ، أسفرت عن عقد «معاهدة اتفاق» بين الجانبين سنة ١٢٥٥ (١٨٣٩) ، على أن تدفع البحرين زكاة قدرها ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) ريال الى خورشيد باشا كسابق عهدها زمن آل سعود ، وأرسل هينل ، المقيم البريطاني في بوشهر أثناء وجوده في قطر ، عدة رسائل الى أمير البحرين حول مخالفة الاتفاق لارتباطاته مع الانجليز ، وحرر رسائل مماثلة الى خورشيد باشا حذره فيها من التدخل في أمور البحرين ، ولم تلق رسائله أذنا صاغية ، وجرت محادثات بين شيخ البحرين ومحمد رفعت في ٢٣ صفر ١٢٥٥ (٨ مايو / أيار ١٨٣٩) في قلعة شيخ البحرين في خورحسان احد بلدان ساحل قطر ، أسفرت عن توثيق ذلك الاتفاق ، ودارت اتصالات بين كل من خورشيد باشا ، والمقيم البريطاني ، حول معارضة بريطانيا لامتداد نفوذه الى البحرين أو التعرض للساحل العماني الذي أنذر شيوخه ، مما أثار خوف أهل البحرين .

البريمي والساحل المتصالح :

شهدت منطقة الساحل المتصالح في أعقاب سقوط الدرعية ، عملا حربيا قامت به بريطانيا ضد القواسم ، ونجح قائد حملتها الجنرال كير ، في احتلال رأس الخيمة سنة ١٢٣٥ (١٨١٩) وبعد تمكن خورشيد باشا من بسط نفوذه على الاحساء والقطيف ، وعقد وكيله الاتفاق مع أمير البحرين ، الشيخ عبدالله بن أحمد آل خليفة ، تطلع الى بسط نفوذه على منطقة البريمي وامارات الساحل العماني ، وأرسل سعد بن مطلق المطيري الى شيوخ الامارات حاملا

اليهم رسائل خورشيد باشا حول تنصيبه أميرا في البريمي من قبل خالد بن سعود ، بدلا من حمد بن يحيى ، والتقى عند رأس الخيمة بحمد ، وأخبره باخراجه من قبل قبيلة نعيم من قصر البريمي ، فاتجه سعد الى الشارقة سنة ١٢٥٥ (١٨٣٩) ، فاستقبله الشيخ سلطان بن صقر ، حاكم رأس الخيمة ، ووضع تحت امرته بيتا حصينا وقلعة ليقيم فيها ، وأرسل الى خورشيد طالبا منه تزويده بقوة من فداوية الفرسان والمشاة وحينما وصلت الشيخ سلطان بن صقر الامدادات ، وبضغط من المقيم البريطاني وجه الشيخ رسالة الى سعد ضمنها الاشارة الى وجوب مغادرته بناء على طلب هينل ، لاخلال ذلك بشروط معاهدة الصلح المبرمة بين مشايخ عمان وسركار (الحاكم العام) الانجليزي ، فانسحب سعد الى الاحساء سنة ١٢٥٥ (١٨٣٩) .

مسقط :

سادت العلاقة الودية بين كل من محمد علي باشا ، وسعيد بن سلطان امام مسقط ، الذي تعاون مع الانجليز في القضاء على تمرد قبيلة بني بوعلي في أرض - جعلان سنة ١٢٣٦ (١٨٢١) ، وأكد الامام في رسائله الثلاث المرسلة للباشا والى مصر ، سنة ١٢٥٥ (١٨٣٩) محافظته على العلاقة القائمة بينهما ، وقد عمد المقيم البريطاني هينل ، الى تحرير رسائل تحذير الى خورشيد باشا من التدخل في أمور عمان ، أو أرسال سعد بن مطلق المطيري الى منطقة البريمي ، وطلب من شيخ رأس الخيمة ، الشيخ سلطان بن صقر ، اعادة سعد الى القطيف بحرا .

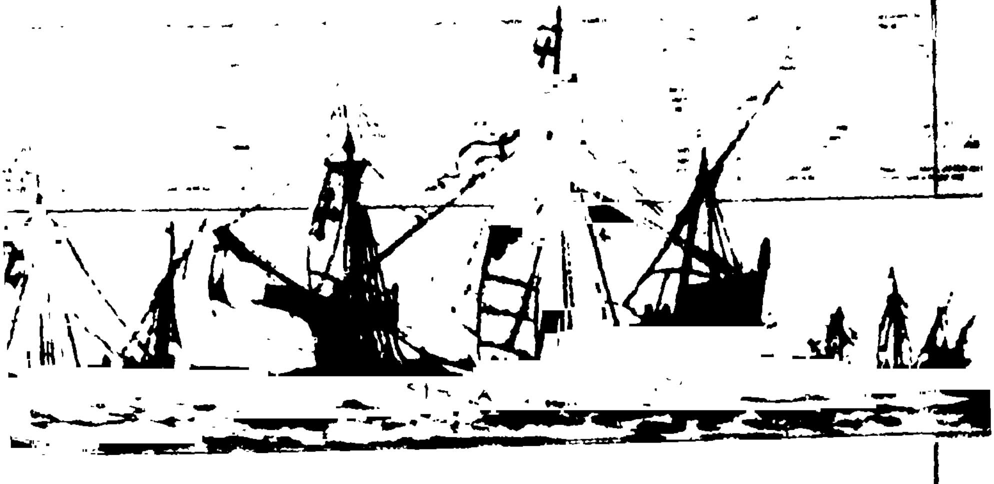
الكويت والبصرة :

قام محمد علي بمحاولة للسيطرة على منطقة شمال الخليج العربي ، الكويت والبصرة ، لأهميتها الاقتصادية ، واعتبارها مركز تموين لمنطقة نجد ، اضافة الى أهمية موقعها التجاري ، وعندما بدأت تسوء العلاقات بين محمد علي باشا وبين الدولة العثمانية ، فكر في غزو شمال الخليج العربي بل والعراق ، لابعاد النفوذ العثماني عن تلك المنطقة ، وأرسل عيونه منذ سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢) لتتبع أخبار البصرة وبغداد ، اللتين أصبحتا تمثلان مركزا مضادا لتحركاته في شبه الجزيرة العربية ، فمنذ وصول قوات خورشيد باشا الى منطقة الاحساء سنة ١٢٥٤ / (١٨٣٨) ، أرسل الى الكويت محمد أفندي ، وكيلا مصريا ، لشراء الغلال اللازم لقوات نجد ،

ولتزويده بالأنباء ، وصار نقل الغلال الى ميناء القطيف ، وطلب خورشيد باشا اصدار الأوامر اليه لتنفيذ خطته التوسعية بعد التحاق بعض القوات التركية ، الفارة من البصرة الى الكويت ، بقوات خورشيد باشا في نجد ، بصحبة الملازم محمد أفندي ، بعد ما قدم الشيخ جابر بن آل صباح ، أمير الكويت ، يد العون اليها ، ورغبة أهل العراق في مساعدة قوات خورشيد فور وصولها اليهم . للخلاص مما يعانون من الظلم والاستبداد ، كما جاء في تقرير الشيخ حمود بن جسار ، أحد علماء نجد ، المقيم في بغداد ، فتصدت له الدول الكبرى وأرغمته طبقا لمعاهدة لندن في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢٥٦ (١٨٤٠) على سحب قواته من جميع مناطق شبة الجزيرة العربية ، فأمر محمد علي خورشيد باشا باغلاق باب مصروفات هذا المشروع ، وسحب قواته والعودة بها الى مصر بعد تسليم زمام الأمور الى أمير نجد ، خالد بن سعود .

البرتغاليون في شرق أفريقيا وطردهم منه

الدكتور
شوقي عطا الله



افتتح البرتغال صفحة الاستعمار الاوروبى فى العصر الحديث بنزولهم فى ساحل بلاد المغرب (مراكش) واحتلالهم قلعة سبتة (Ceuta) فى أغسطس سنة ١٤١٥، ومن هذا التاريخ الى اليوم لم تعد سبتة الى حظيرة الوطن الأم، ولذا يقول الضابط البرتغالي فاسكو دى كارافللو «ان هذا الحدث الخطير والعظيم اجدر بأن يعتبر بداية للعصور الحديثة من ان يتخذ سقوط القسطنطينية فى يد المسلمين فى عام ١٤٥٣ بداية لها»(١)

ولم تكتف البرتغال بالاستيلاء على سبتة فبعد أن ثبتوا اقدامهم فيها وحصنوها اتجهت انظارهم الى طنجة، وتعددت محاولاتهم للاستيلاء عليها، وقد نجحوا بعد ذلك فى الاستيلاء على العديد من الثغور المغربية مثل العرائش، والقصر الصغير، واصيلا وأسفى وأزمور بل اعدوا حملة للزحف على مراكش على أن الوجود البرتغالى فى المغرب صُفى فى منتصف القرن الخامس عشر(٢)

اولا - البرتغال يتابعون فتوحهم فى أفريقيا :

تابع البرتغال فتوحهم الاستعمارية فى القارة الافريقية متتبعين الشاطىء الغربى للقارة.

ومن أهم الدوافع التى دفعت البرتغال وهى مملكة أوروبية صغيرة حديثة التكوين كانت خاضعة للنفوذ العربى فى الاندلس ولم تستكمل استقلالها إلا فى القرن الثالث عشر - هو نجاح (البرتغال) فى طرد العرب فاندفعوا مع موجة الحماس الديني فى تتبعهم للعرب الفارين الى ثغور شمال افريقيا، كما ان قرب البرتغال نسبياً من جزر وسواحل افريقيا الشمالية والغربية شجعهم على الاتجاه لهذه السواحل قبل غيرهم من الأوروبيين .

وقد لعب الأمير هنرى الملاح الذى حكم البرتغال فيما بين ١٣٩٤ - ١٤٦٠ دوراً خاصاً فى الحملات البحرية البرتغالية لشاطىء افريقيا الشمالية والغربية .

وواصل البرتغال نشاطهم الكشفى والاستعمارى فاحتلوا جزر كناريا (Canary Is.) ، ماديرا (Madera) ، وازورس (Azores) ، ووصلوا للرأس الأبيض ثم مصب السنغال وتتبعوا الساحل الغربي للقارة صوب الجنوب فنجح الكابتن ديجوكام Diego Cam فى عام ١٤٨٤ فى الوصول الى مصب نهر الكنغو، وأعقب ذلك رحلات بارتلوميو دياز Bartholomeu Diaz فى عام ١٤٨٦ التى نجحت فى الوصول الى الطرف الجنوبى من القارة وأطلق عليه فى المبدأ رأس العواصف(٣) .

واهتم البرتغال بانشاء القواعد

والحصون قرب المناطق الهامة على الساحل الغربي للقارة وفى الجزر القريبة فاقاموا حصن ارجيوم (Argium) مقابل الراس الأبيض وسانتياجو (Santiugo) قرب الرأس الأخضر، وسان جورج دامينا (San Jorge Demina) مقابل المنطقة التى عرفت بساحل الذهب وساوتومى (Sao Tome) فى الجزيرة الهامة التي عرفت بهذا الاسم والتى اصبحت نقطة ارتكاز هامة لهم فى الطريق لأقصى جنوب القارة وكذلك الطريق المؤدى للبرازيل .

ثانيا ـ وصول البرتغال الى شرق أفريقيا والنتائج التى ترتبت على ذلك :

فى سنة ١٤٨٧ وصل لمصر رحالة برتغالى كان يعمل لحساب ملك البرتغال هوبيدرو دى كوفيلهام Pedro de Covilham ثم سافر هذا الرحالة عن طريق البحر الاحمر لعدن والهند، وفى اثناء عودته زار اغلب المناطق العربية فى الساحل الشرقي لافريقيا فقد وصل جنوبا حتى سفالة Sofala ثم واصل رحلته شمالا حتى عاد الى القاهرة وكانت رحلة هذا البرتغالى بالغة الاهمية فقد فتحت العيون الى اهمية المناطق العربية بشرق القارة كما ان معلوماته كانت اساسا للرحلات التى قام بها فيما بعد فاسكو داجاما Vasco Da Gama(*).

ففى عام ١٤٩٧ قام فاسكو دا جاما برحلته الاولى فى اربع سفن فوصل الى نهاية القارة الافريقية وعبر رأس الرجاء الصالح الى ساحل افريقيا الشرقى وزار الامارات العربية هناك وتابع رحلته الى كاليكوت Calicut على الساحل الغربي للهند وفى عودته زار داجاما مرة اخرى الموانىء الهامة لشرق افريقيا وعاد الى لشبونة فى سبتمبر ١٩٤٩ فكـأن رحلته استغـرقت ثلاث سنوات .

وفى عام ١٥٠٢ قام داجاما برحلة ثانية للهند وفى طريقه نزل فى كلوه Kilwa وأجبر سلطانها تحت التهديد بإحراق المدينة ـ على الاعتراف بسيادة البرتغال ودفع جزية سنوية رمزاً لهذه التبعية

وقد أصدر ملك البرتغال فى عام ١٥٠٤ قانونا يحرم حمل الخرائط التى توضح طريق الملاحة الجديد المؤدى للهند، فجمعت الدولة الخرائط البحرية المتداولة وأعدمتها كما ان الاسطول البرتغالى كلف بتعقب أية سفينة تحاول شق طريقها بالقوة عبر هذا الطريق المحظور

وفى عـام ١٥٠٥ اتخذت البـرتغال الاستعدادات لتثبيت اقدامها فى المناطق الاستراتيجية والتجارية الهامة بالساحل الشرقي للقارة والقضاء على نفوذ العرب التجاري والسياسي هناك ولتحقيق هذا الهدف غادر لشبونة اسطول كبير من ثلاث وعشرين سفينة تحت قيادة فرانسيسكو دى الميدا (Francisco de Almeida) .

واستولى الاسطول البرتغالى على سفالة وحاصروا كلوه واستولوا عليها عنوة وعاثوا فى المدينة نهباً وسلباً وأقاموا حصنا فى مينائها به حامية لهم وانتقموا إنتقاماً وحشياً من أهل المدينة لمقاومتهم الباسلة للغزاة

ثم تقدموا صوب ممبسا (Mombasa) وكانت فى ذلك الوقت مدينة عظيمة قدر

سكانها فى ذلك الوقت بعشرة آلاف نسمة وقد قاوم سكانها من العرب والسواحيلية القوة الغازية مقاومة عنيفة ودافعوا عن كل شبر من أرض بلادهم حتى انتقل القتال للشوارع الضيقة لكن انتصرت اخيرا اسلحة الغزاة المتقدمة على بطولة المدافعين عن حقهم فى الحياة الحرة، واشعل العدو فى دور المدينة وحقولها النار انتقاماً من بطولة أهلها وساعدت شدة الرياح فى ذلك الوقت على سرعة انتشار اللهب فأتت على كل شيء(٥).

وقد كتب حاكم المدينة المنكوبة الى زميله حاكم مالندى Mlindi يصف كيف وجدوا المدينة بعد عودتهم اليها بعد أن نهبها الغزاة البرتغاليون وتركوها للنيران فقال «إنهم لم يتركوا فيها أى كائن حى لا رجلاً ولا امرأة ولا صغيراً ولا كبيراً حتى الاطفال كل الذين فشلوا فى الهرب قتلوا أو احرقوا» (٦)

وبسقوط وتخريب كلوه، وممباسا سقط عمودان من أهم الاعمدة التى كانت ترتكز عليها السيادة العربية فى شرق افريقيا، وفى عام ١٥٠٦ عاود البرتغاليون الكرة فأرسلوا اسطولا كبيرا من اربعين سفينة لشرق افريقيا تحت قيادة البوكرك (Albuquerque) استولى على لامو براوه، وعلى جزيرة سوقطره وفى عام ١٥٠٧ سقطت موزمبيق (Mozambique) فى يد القائد البرتغالي دوارت داميللو (Duarte de Mello) واهتم البرتغاليون بتحصينها وبنوا فيها معسكراً ومستشفى وكنيسة، ومنذ ذلك الوقت اتخذوها مركزاً رئيسياً لاشرافهم على مختلف أوجه النشاط فى شرق القارة وفى سنة ١٥٠٩ عين البرتغال حاكماً عاماً لمستعمراتهم فى شرق افريقيا فاتخذ موزمبيق مقراً رئيسياً له .

وهكذا فى أقل من عشر سنوات حقق البرتغاليون حلمهم فى شرق افريقيا وسقطت فى ايديهم معظم المدن العربية الهامة على هذا الساحل .

ولم يكتف البرتغال بذلك بل اتجهوا لساحل الجزيرة العربية والخليج ليكملوا سيطرتهم على طرق التجارة والملاحة فى هذه الجهات فهاجموا مسقط وهرمز وعدن وفرضوا سيطرتهم الكاملة على التجارة والملاحة فى المحيط الهندى والطرق المؤدية اليه

وهكذا ترتبت على كشف طريق رأس الرجاء الصالح نتائج هامة نجملها فيما يلى

١ ـ نتائج سياسية :

أفتتح الطريق امام البرتغال لشرق القارة الافريقية بل وبلاد الشرق التى كانوا يطمعون فى غلاتها وثرواتها، وكانت الامارات العربية بساحل افريقيا الشرقى اكثر المناطق التى تأثرت بذلك

فقد أصبحت للبرتغال السيادة فى الطريق البحري المؤدى للشرق وقد حاولت الدولة المملوكية التى كان لها النفوذ فى مصر والحجاز والشام وكانت تسيطر على تجارة الشرق التى تمر فى طريقها لأوروبا بموانئها فى مصر او الشام حاولت ان تتصدى لهذا الخطر البرتغالى وتحالف البنادقة مع المماليك للتصدى لهذه القوة المنافسة الجديدة. لكن انتصار الاسطول البرتغالى فى موقعة ديو Diu البحرية فى عام ١٥٠٩ حسم

الموقف لصالح البرتغال

وأدى هذا الى أن اصبحت البرتغال رغم انها دولة اوروبية صغيرة ناشئة قوة سياسية يعتد بها

وقد كان من أهداف البرتغال المعلنة الوصول الى الحبشة المملكة المسيحية التى كثر الحديث عنها فى اوروبا منذ قرون ولم يكن هناك خبر اكيد عن مكانها والطريق اليها ونجحت البرتغال فى تحقيق هذا الهدف وبدات رسلهم وبعثاتهم تفد للحبشة وكان غرض البرتغال من اتصالهم باثيوبيا تطويق البلاد العربية بقوات مسيحية والقضاء على النشاط التجارى للعرب فى المحيط الهندى والبحار المحيطة به وكانت هذه التجارة بارباحها والمكوس التى تجبى فى الموانىء على تجارة الشرق المارة لاوروبا هى مصدر ثروة وقوة البلاد العربية، وانتهى الامر بضعف دولة المماليك وسقوطها وحل العثمانيون محلهم باعتبارهم القوة الاسلامية الكبرى ودخلوا فى هذا الصراع مع البرتغال والاحباش(٧)

وقد طال الصراع بين العثمانيين والقوى الاسلامية الاخرى من جهة وبين البرتغال والاحباش من جهة اخرى ـ ولا نريد ان نخوض فى تفاصيل هذا الصراع لكن نشير لبعض المعالم في هذا المجال

فمن صور الصراع البرتغالى العثمانى :

حدث فى فترة حكم السلطان سليمان القانونى (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦) أن ارسل عدة حملات بحرية لمقاتلة البرتغاليين فى البحار الشرقية واعادة السيادة للعرب فى هذه البحار وكانت هذه الحملات تُعد فى ميناء السويس المصرى وسعى الاتراك فى هذا المجال ايضاً للسيطرة على المنافذ العربية الواقعة على الخليج العربى وفى الطريق الحيوى الجديد للشرق .

واستمر النضال بين البرتغاليين والعثمانيين مدة طويلة دون طائل ـ فأرسل مراد الثالث القائد البحرى ميراك بك فى عام ١٥٨٨ بقوة لتخليص البلاد العربية بالساحل الافريقي الشرقي من سيطرة البرتغال ولمعاونة القوى الوطنية فى هذه البلاد فى مقاومتها للغزاة .

وقوبل القائد العثماني بالترحاب من سكان الامارات العربية السابقة فى مدغشقر وبراوة وقسمايو وغيرها من الموانىء العربية فقد نظروا اليه نظرتهم للمخلص من نير الاجنبى وفضلوا الخضوع للعثمانيين على الوقوع تحت نير البرتغال ـ لكن العثمانيين لم يستطيعوا ان يحتفظوا فى هذه البلاد بقوات تثبت سلطانهم وتحمى السكان من اغارات البرتغاليين المتكررة، فاستطاع البرتغاليون ان يستعيدوا سلطانهم وانتقموا من السكان الذين اظهروا ولاءهم للعثمانيين .

واستمر النضال بين البرتغال والعثمانيين واتخذ صورا متعددة منها ان الدولة العثمانية كانت تؤيد وتعاون الممالك الاسلامية المحيطة بهضبة اثيوبيا والتى سميت ممالك الطراز الاسلامى ـ بينما كانت البرتغال تؤيد مملكة اثيوبيا وتعينها على مهاجمة الممالك الاسلامية المحيطة بها ـ وظل هذا النضال حتى القرن السابع عشر اذ فترت الحمية فى الدولتين وضعفت قوتهما ولم يبق تحت السيادة العثمانية إلا بعض

الثغور كمصوع وكذلك اضطر البرتغاليون للتنازل عن مكانهم فى البحار الشرقية لمنافسيهم الهولنديين ثم الانجليز الذين احتلوا مكان هؤلاء وأولئك فى السيطرة على المحيط الهندى وطريق الرأس منذ ان تأسست شركة الهند الشرقية البريطانية سنة ١٦٠٠ وأخذت توجه نشاط الانجليز فى البحر الاحمر والخليج العربى[٨] .

٢ ـ نتائج اقتصادية :

كان الدافع الاقتصادى فى مقدمة الدوافع التى دفعت البرتغال فى جهودها لمتابعة الكشوف والاستعمار فى غرب القارة بهدف الوصول الى مصادر تجارة الشرق والتى كان يتحكم فيها العرب والطرق التى تسلكها الى اوروبا والتى كانت تتحكم فيها دولة المماليك .

وبعد أن حقق البرتغال حلمهم بوضع أيديهم على طريق التجارة بين الشرق والغرب احتكرت البرتغال تجارة الشرق والتجارة فى السلع الافريقية وفى مقدمتها الرقيق والذهب والفضة وأصبحت لشبونة مركزاً للسلع الافريقية ومنتجات الشرق وتحول الطريق التجارى الذى تسلكه هذه السلع الى طريق رأس الرجاء الصالح بدلاً من طريق الخليج العربي والبحر الاحمر الذى أصبح كبحيرة راكدة وتحولت الانظار عن هذا الطريق وعن أقطار أسيا الغربية وظل الامر كذلك حتى التطورات الاخيرة التى صاحبت الثورة الاقتصادية فى اوروبا فى نهاية القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر التى دعت للعودة بسرعة للطريق القديم المهجور فبدأت الحياة تدب فيه من جديد وأخذت انظار الدول الاوروبية القوية المتنافسة فى ذلك الوقت تتجه نحو هذا الطريق القديم وتدرك الاهمية المنتظرة له ومن ثم أصبحت السيطرة على منافذ هذا الطريق وموانئه مجال صراع استمر طوال القرن التاسع عشر وأوائل العشرين[٩] .

وقد اتخذ البرتغاليون من موزمبيق مقراً لهم ومركزا لسيادتهم فاهتموا بتحصينها واعدادها كقاعدة تجارية تخدم اسطولهم التجارى الذى كان يعمل بين لشبونة التى اصبحت سوقا تجارية هامة للسلع الافريقية والشرقية وبين الهند ويقال انه كان فى لشبونة سوق كبير للرقيق الافريقى يمد العالم الجديد كله بحاجته منهم وقد قدر عدد العبيد الذين بيعوا فى سوق لشبونة سنة ١٥٣٩ بـ ١٠,٠٠٠ عبد وبالطبع لم يكن كل هؤلاء من شرق القارة فقد لعبت انجولا فى جنوب غرب القارة دورا هاما فى ذلك وان كانت حصيلتها من الرقيق فى الغالب تصدر الى جزيرة ساوتومى ومنها الى البرازيل مستعمرة البرتغال فى جنوب امريكا[١] .

والحقيقة ان الآثار الاقتصادية لوصول البرتغال لشرق القارة وحلولهم محل العرب فى هذا المجال ومحاولاتهم القضاء على النشاط العربي الاقتصادى فى شرق القارة كانت عميقة

ومما يذكر فى هذا المجال محاولات البرتغال للسيطرة على امبراطورية المونوموتابا التى ذاعت شهرتها بسبب مناجم الذهب فيها والتى كان العرب يحتكرون الاتجار فيه ولتحقيق هذا الهدف ارسلت البرتغال عدة بعثات لعل اشهرها بعثة انطونيو فرناندز التى كلفت بزيارة

امبراطورية المونوموتابا ومحاولة الاتفاق مع الامبراطور على ان يحل البرتغال محل العرب فى تجارة الذهب وان يسمح الامبراطور بوجود مندوب للبرتغال فى بلاطه لهذا الغرض وتوالت بعثات البرتغال لتحقيق هذا الهدف الكبير لكن يبدو ان البرتغال لم ينجحوا كثيراً فى تحقيق اطماعهم فقد صدموا بالواقع اذ أدركوا ان الشائعات عن ثروة المناجم فى هذه البلاد والتى ربطت بينها وبين ثروة ملكة سبأ مبالغ فيها الى حد كبير وان ما يمكنهم الحصول عليه من الذهب لا يغطى تكاليف إنفاذ جيش ضخم لاحتلال المنطقة فاكتفى البرتغال بعقد اتفاقات تجارية مع بعض الحكام ليتعهدوا بحماية التجار البرتغال ومن يرغب منهم فى العمل فى مناجم الذهب واكتفى البرتغال بالاحتفاظ ببعض النقط الآمنة الحصينة لخدمة عملية التبادل التجاري.

وادى هذا لتركيز البرتغال اكثر على تجارة الرقيق بالاضافة الى الغلات الافريقية الاخرى - ويعلل بعض الكتاب ضآلة الكثافة السكانية فى مدن وموانىء الساحل الشرقي للقارة - رغم ان هذه المناطق اكثر ملاءمة للسكنى من المناطق الاستوائية وغيرها من المناطق الداخلية بافريقيا بضخامة اعداد العبيد التى اقتنصت وبيعت فى اسواق اسيا واوروبا والتى رحلت للامريكتين وان كان بعض الكتاب الاوروبيين من امثال كوبلاند يحملون العرب تبعة ازدهار تجارة الرقيق المجلوب من شرق افريقيا الا أن وجه المغالطة فى ذلك واضح فالرق كان معروفا فى افريقيا منذ زمن بعيد لكنه لم يكن يمثل ظاهرة لها خطورتها وجسامتها الا بعد ان ادخل البرتغال وغيرهم من الاوروبيين الاسلحة النارية للقارة وسلحوا بها اتباعهم من الجلابة ليجلبوا لهم الاعداد المتزايدة من الرقيق التى اصبحوا بحاجة ملحة لها للعمل فى مستعمراتهم فى العالم الجديد ويذكر كوبلاند نفسه ان التعدادات اثبتت ان تجار الرقيق الاوروبيين تقع عليهم تبعة ما لا يقل عن مليون عبد سحبوا من قارة افريقيا بالاضافة الى ان مثل هذا العدد على الاقل قد قتل فى اثناء عملية القنص والترحيل.(١٢)

وقد حمل البرتغاليون هذه التجارة معهم الى البرازيل وتعلم منهم البرازيليون اسس هذه التجارة الرابحة - وظلت البرازيل حتى بعد ان انفصلت عن التاج البرتغالى تبذل جهودا لا تقل عن جهود السادة البرتغاليين فى إحياء تجارة الرقيق وإن كان نشاطهم تركز اكثر فى غرب القارة

ويذكر كوبلاند نفسه إن البرتغاليين وإن كانوا ياتون بعد العرب فى الاتجار بالرقيق فى شرق افريقيا الا انهم أول من فتح باب استيراد الرقيق من غرب افريقيا وشحنهم لاستخدامهم فى امريكا(١٣).

هذا ونشير فى مجال النتائج الاقتصادية لوصول البرتغال لشرق القارة الى انهم عمدوا لانتزاع مساحات واسعة من الاراضى الزراعية على ضفاف الزمبيزى بنوع خاص من اصحابها لاستغلالها لصالحهم وكانت وسيلتهم فى ذلك اما استخدام القوة والتهديد او محاولة شراء الارض من زعماء القبائل وأدى هذا لنشأة طبقة من الاقطاعيين البرتغاليين وانغمس بعض رجال الدين واعضاء البعثات التبشيرية فى هذا

الميدان فبدلا من القيام بمهمتهم الدينية والانسانية بين القبائل الافريقية استهوتهم حياة البذخ التى يعيشها رجال الاقطاعات فعمدوا الى تملك الاقطاعات الكبيرة من الارض وساروا فيها سيرة أمراء الاقطاع من حيث استغلالها واسترقاق اهلها والاعتماد على الجيوش المرتزقة لمساعدتهم على تثبيت نفوذهم وتوسيع اقطاعياتهم.[١٤]

هذه صورة مبسطة للنتائج الاقتصادية التى ترتبت على وصول البرتغاليين لشرق افريقيا.

٣. من الناحية الدينية :

كان الدافع الدينى من الدوافع الهامة وراء محاولات البرتغال الكشفية ورحلاتهم البحرية التى وصلت بهم الى شرق افريقيا بعد الدوران حول رأس الرجاء الصالح وكان من اهدافهم الوصول الى ملك الحبشة المسيحى والتعاون معا على تطويق العالم الاسلامي وقطع مصادر الثروة التى تعتمد عليها الدول الاسلامية .

وقد حقق البرتغال هذا الحلم فوصلوا الى اثيوبيا وحاولوا نشر المذهب الكاثوليكى فيها وفصم عرى الرابطة بين الكنيستين الاثيوبية والمصرية وان لم يفلحوا فى هذا لكنهم اكتفوا بالعمل معا ضد المسلمين، ورأينا كيف امتد هذا الصراع بين البرتغال والمسلمين مدة طويلة واتخذ صوراً متعددة .

وقد اقتفت البعثات التبشيرية البرتغالية خطى الرحالة والتجار وجيوش الاستعمار، وأصبح طبيعيا ان نجد فى كل قلعة انشئت فى سفالة وموزمبيق وغيرها من الموانىء الافريقية واحداً أو اكثر من الجزويت، ومن اشهر هؤلاء جونسالودى سيلفيرا (Gonca-lo Da Silveira) الذى وفد من لشبونة لشرق افريقيا وتوغل حتى مقر المونوموتابا ونجح فى اقناع الامبراطور الافريقى ورجال حاشيته باعتناق المسيحية - لكن خشى بعض تجار الرقيق بنوع خاص من نتيجة هذا العمل فكادوا له عند الامبراطور واتهموه بالجاسوسية فنكل به الامبراطور وقتله وانتقمت البرتغال بارسال حملة بقيادة فرانسيسكو باريتو (Francisco Barreto) فى عام ١٥٦٩ للانتقام من قتل المبشر البرتغالى لكن لم تحقق هذه الحملة اهدافها .

وقد تنافست بعد ذلك بعض فرق الرهبان على العمل فى هذا الميدان الجديد بشرق افريقيا، واشتهر من هذه الفرق فريق الدومينكان فقد امتد نشاطهم على طول نهر الزمبيزى وانشأوا مدرسة للاهوت فى الهند بعثوا إليها عدداً من الشبان الافريقيين لاعدادهم للعمل فى الحقل التبشيرى فى افريقيا بعد عودتهم اليها[١٥] .

على ان انحراف رجال الدين البرتغال عن اهدافهم واتجاههم الى السعى لتملك الاقطاعيات والمتاجرة فى الرقيق وغير ذلك من المخازى بالاضافة الى الصراع الرهيب الذى نشب بين طوائف المبشرين - ادى الى قصر نشاط هذه البعثات على نقط بسيطة ساحلية وعلى بعض الاعمال البسيطة فى المستشفيات أو فى مجال التعليم، ثم تطور الامر فتوقف عملها كلية بعد ذلك بعد ان نضبت اموالها وفتر الحماس الدينى الذى كان هو الدافع فى المبدأ وراء هذه المغامرات الشاقة .

٤ـ من الناحية الثقافية :

ادى كشف البرتغال لطريق رأس الرجاء الصالح وتحول التجارة عن مصر والشرق الاسلامي الى عزل هذه البلاد عن العالم وعن اوروبا التى كانت قد اخذت تنهض وتتقدم منذ عهد النهضة الأوروبية مما أدى الى الركود الذى شمل المشرق الاسلامى بالذات من مستهل العصور الحديثة حتى القرن التاسع عشر الميلادى

على انه فيما يتعلق بالاخذ بأيدي الافريقيين فى مجال التعليم والثقافة ـ وهى من الاهداف التى تذرع بها المستعمرون وبرروا بها عملياتهم الاستعمارية فقد تركت السلطات البرتغالية للارساليات الدينية مهمة القيام بهذا العمل والحقيقة ان جهود هذه الارساليات وامكانياتها كانت محدودة للغاية فلم تحقق الا نجاحا بسيطاً

وحتى بداية القرن التاسع عشر كانت المدارس القليلة الموجودة فى موزمبيق وغيرها من الساحل الافريقى الشرقى تخضع خضوعاً تاماً لاشراف الارساليات الدينية فهى التى تديرها وتنفق عليها وتتولى شئونها .

والاحصائيات التى وصلتنا تدل على ضآلة عدد المنتظمين فى المدارس من الافارقة

واذا وضعنا فى الاعتبار انتشار الشعور العدائى بين الافريقيين ضد البعثات التبشيرية، وعدم الثقة فى نواياها بالاضافة الى النظرة للافريقى على انه يجب الا يحصل إلا على قدر ضئيل من الثقافة يؤهله ليكون عاملاً يمكنه أن يمارس العمل الذى يكلفه به الأوروبى، وان ينفذ الأوامر الصادرة اليه ـ يمكن ان ندرك النتائج التى يمكن ان تسفر عنها مثل هذه الجهود فى ميدان التعليم .

وقد رد فريردا اندريد (Fraire de Andrade) الحاكم العام لموزمبيق فى عام ١٩٠٦ على السؤال الذى كان يجول دائماً بأذهان القائمين على التعليم فى المستعمرات البرتغالية عن نوع التعليم الذى يمكن أن يقدم للافريقى بأن «تعليم الافريقى يجب ان ينحصر فى إعداده ليكون عاملاً يسهم فى تقدم إقتصاد البلد فحسب ويجب الا نشجعه حتى يصل به الغرور لدرجة أن يحاول تمثيل دور الضفدعة التى ظنت أنه يمكنها أن تنتفخ فتصبح كالثور فانتهى الأمر بأنها انفجرت وبالطبع لم يلحق بالثور فى هذه القصة أى ضرر لكن فى حالة الافريقى لا بد ان يلحق الضرر بالآخرين»[١٦]

والحقيقة أن الأوضاع التى تركت البرتغال مستعمراتها فيها بعد أن انتهى الوجود البرتغالى تعطى صورة سوداء حالكة عن ظروف التعليم فى هذه المستعمرات وأوضاع الافارقة فى ظل الاستعمار البرتغالى .

وأشير الى ان البرتغال كانت دائماً تخشى أن تنتقل تيارات التحرير التى أخذت تهب على القارة الافريقية الى مستعمراتها ولذلك فرضت ستاراً حديدياً على المستعمرات وسكانها .

وحاولت عزل هذه المستعمرات عن مختلف التيارات الخارجية لكن كما سنعلم أن هذا لم يكن ممكناً إلا لفترة محدودة .

ثالثاً ـ نظام البرتغال الادارى فى مستعمراتهم بشرق القارة ووضع الموظفين فى ظله :

رسم البرتغال سياستهم الاستعمارية لتحقق أهدافاً محددة هى استغلال المستعمرات الى أبعد حد من الناحيتين المادية والبشرية، ومقاومة اية حركة تمرد، خصوصاً حين بدأت القومية الافريقية تظهر واخذت حركات التحرر ومقاومة الاستعمار تهدد النفوذ البرتغالى .

وظلت سياسة البرتغال فى مستعمراتها سائرة على نفس النهج الاستغلالى المحض تقريباً دون تغيير حتى منتصف القرن التاسع عشر، وكانت مساوئ ومظالم النظام الاستعمارى قد وصلت الى درجة ضج منها الرأى العام العالمى الذى استنكر هذا النظام والذى وصفه بأنه صورة جديدة من الرق[١٧] (A Modified form of Slavery) .

وكانت هناك وزارة للمستعمرات، ويعاون وزير المستعمرات مجلس استشارى كانت السلطة فى المستعمرة فى يد الحاكم العام وهو المسئول عن كافة الشئون لكن بمضى الوقت تكونت فى المستعمرة طبقة من الاقطاعيين، وكان عدد البرتغاليين الذين قبلوا الهجرة الى المستعمرات الافريقية قليلاً فلجأت الحكومة البرتغالية لارسال المجرمين والخارجين على القانون، ولذا كانت الغالبية العظمى من البيض فى المستعمرات البرتغالية حثالة المجتمع، وكانت جهود المستعمرين البرتغال منصرفة الى تجارة الرقيق واستنزاف كافة خيرات المستعمرة وكما ذكرنا فإن الجمعيات التبشيرية التى بدأت نشاطها فى اعقاب الاستعمار البرتغالي شاركت فى هذا النشاط الهدام. وقد برر البعض هذه الجريمة بأن الرقيق الافريقيين كانوا أكثر إستعداداً لتقبل تعاليم المسيحية حين يبتعدون عن موطنهم الأصلى حيث تنتشر معتقداتهم فى السحر وغيره، ولذا أصبحت الحصون البرتغالية فى شرق القارة عبارة عن مجرد مراكز للتبادل التجارى وكان الرقيق أهم سلعة فيها[١٨] .

وقد ظلت موزمبيق زمناً طويلاً المركز الرئيسى لتصدير الذهب والعاج بالاضافة الى الرقيق والغلات الافريقية الاخرى، وكان حاكمها تابعاً لنائب الملك فى الهند وعليه ان يرفع اليه تقارير دورية لرفعها هو بدوره الى لشبونة[١٩] .

وقد منحت البرتغال فى مستعمراتها الامتيازات للشركات الاستغلالية الاجنبية لمزاولة نشاطها فى هذه المستعمرات .

ولقد كانت نظرة البرتغال للافريقى قائمة على انه كائن حى أقل من الأوروبى وأن عليه أن يعمل وأن يجبر على العمل لتحقيق الرفاهية للأوروبى فالمستعمرات كان ينظر اليها دائما كأقاليم منتجة لصالح الرجل الابيض ـ وكافة القوانين والنظم التى وضعت كلها تشير الى هذا الاتجاه ـ ولذا كانت المستعمرات البرتغالية أسواقا لتجارة الرقيق وغيره من السلع الافريقية وحتى بعد ان صدرت القوانين بالغاء الرق اصبح الرق الجديد يمارس فى صورة العمل الاجبارى ولم يقبل البرتغاليون فى اى يوم من تاريخهم الاستعمارى الطويل فى افريقيا والذى يقرب من خمسة قرون ـ ان ينظروا الى الافريقيين

نظرة الند للند وأن يعاملوهم على قدم المساواة

ولذا كان القانون الذى وضعته البرتغال لحكم مستعمراتها يقسم السكان دائماً الى ثلاث فئات

أ ـ فئة الاوروبيين

ب ـ فئة الوطنيين الذين اندمجوا فى الحياة البرتغالية وهم ثمرة التزاوج بين الاوروبيين والافريقيين

جـ ـ فئة الوطنيين الدين لم يندمجوا فى الحياة البرتغالية

يضاف الى هذا فى المستعمرات البرتغالية فى شرق افريقيا عدد من الآسيويين من الهنود وغيرهم هاجروا الى تلك المستعمرات ولم تكن النظرة اليهم تختلف كثيراً عن النظرة للوطنيين الافارقة

وبالطبع كانت الخدمات كلها سواء التعليمية او الطبية او غيرها مركزة فى مراكز تجمع الاوروبيين

وفى موزمبيق مثلاً رغم ان غالبية الافارقة كانوا يعملون بالزراعة فان السلطات البرتغالية وجهت الانتاج للمحاصيل النقدية كقصب السكر والسيسال والقطن والشاى كما أدخلت زراعة الحمضيات والموز، وتركزت مشروعات الرى الهامة المتعلقة بنهر لمبوبو على المناطق التى يحتلها الاوروبيون، اما مزارع الوطنيين فيزرع بها الذرة والدخن والكبره ـ كما وجه الاهتمام ايضا لاستغلال مناجم الفحم

وفيما يتعلق بطرق المواصلات مدت الخطوط الحديدية بقصد خدمة الاهداف الاقتصادية للمستعمر لنقل الصادرات واعدت الموانىء لنفس الهدف

ويكفى لاعطاء صورة صادقة بعض الشىء عن وضع الوطنيين الافارقة فى المستعمرات البرتغالية ان نشير الى التقرير الذى وضعه بتكليف من الحكومة البرتغالية الكابتن هنريك جلفاو (Galvao Henrique) وقد رفع تقريره الى الجمعية الوطنية فى عام ١٩٤٧ لكن الصراحة المؤلمة التى كتب بها التقرير أدت الى توجيه الاتهامات له فسجن وبقى فى السجن حتى عام ١٩٥٩ حين استطاع الفرار، وفى ١٢ يناير ١٩٦١ استولى على السفينة سانتا ماريا (Santa Maria) بقصد التوجه الى افريقيا وتحرير المستعمرات البرتغالية من الدكتاتورية وبالطبع لم يحقق جلفاو خطته وانتهى به المطاف الى اللجوء الى ميناء رسيف Recife البرازيلى لكن هذا العمل لا شك فى أنه لفت الانظار الى الاوضاع السيئة فى المستعمرات البرتغالية(٢) .

وفى تقريره أشار جلفاو الى الحالة السيئة التى يعانى منها الوطنيون فى المستعمرات البرتغالية لدرجة ان السكان القادرين على العمل فى موزمبيق وغيرها يهربون ويهجرون الارض الى جنوب افريقيا وروديسيا وغيرهما وقد قدر عدد الذين هاجروا فى خلال السنوات العشر الأخيرة من موزمبيق وانجولا وغينيا بمليون نسمة وذكر أن المعدل السنوى للهجرة آخذ فى الازدياد وذكر التقرير أن الأمر لا يقتصر على انخفاض مستوى المعيشة فى المستعمرات البرتغالية بل إن هذه المستعمرات تعانى من نقص فى الخدمات الطبية مما ترتب عليه هبوط معدل المواليد وارتفاع نسبة الوفيات التى قدرت بـ

٦٠٪ من الاطفال، و ٤٠٪ من متوسطى العمر.

ويشير التقرير الى عمليات القمع التى انتهجتها البرتغال ضد الوطنيين حتى انه ذكر انها قامت فى صورة عمليات ابادة حقيقية وذكر ان الارقام الواردة فى الاحصاءات الرسمية لا يمكن ان تصور مدى الألم الذى يحس به المرء حين يشاهد اوضاع الوطنيين بنفسه، فالذين يكتبون التقارير الرسمية يخشون ان يضمنوا تقاريرهم الحقائق التى يهمسون ببعضها فيما بينهم، وأشار التقرير الى ان عدد الاطباء قليل وهم يتركزون فى اهم المراكز المدنية حيث يتجمع البعض تاركين المناطق الداخلية خالية من أية رعاية طبية وتفتقر المستشفيات للتنظيمات الصحية الاولية وهى لا وجود لها فى الاماكن التى يكثر فيها الوطنيون والتى تشتد فيها الحاجة اليها والعناية بالامهات قبل الوضع وبعده ورعاية الاطفال ومقاومة الامراض المتوطنة كالملاريا ومرض النوم مجرد شكليات .

والزوار الذين ترسلهم الحكومة المركزية لكتابة تقارير عن الحالة لا تترك لهم الفرصة فى الواقع الا لمشاهدة المظاهر الراقية التى تستحدث بمناسبة زيارتهم ويشبه التقرير الحالة فى موزمبيق بأنها كأنما تعانى من الآثار المدمرة لحريق مروع، وتحدث التقرير عن نظام الالزام فى العمل فذكر انه لا يختلف فى الحقيقة عن نظام الرق والسخرة وان اكثر من ٣٣٪ من الذين هم فى سن العمل عاجزون لاسباب صحية عن مزاولة العمل لكن لا يعفى فى الحقيقة من السخرة سوى الموت، وتحدث عن هذا النوع من الرق فذكر انه اسوأ من الرق المجرد لأنه ـ كما ذكر ـ اليوم لا يشترى الوطنى انما يجرى استئجاره من الحكومة، وان كان يشغل مركز الرجل الحر ـ يكاد سيده لا يهتم به ان مرض فهو يواصل العمل طالما هو حى، وحين يعجز عن العمل او يموت يستطيع سيده دائما ان يطلب ابداله بعمال آخرين .

وأورد جلفاو فى تقريره صورة لنقل العمال الذين تتكفل ادارة شئون الوطنيين بجمعهم لاصحاب الاعمال وشحنهم فى ظروف شبيهة بما يحدث عند تصدير الحيوانات.

وتحدث التقرير ايضا عن الظروف السيئة التى يعمل فيها العمال الوطنيون وعدم توفر المساكن الصحية اللائقة بآدميتهم، وعدم دفع الاجور المناسبة لهم، والعقوبات البدنية التى يتعرضون لها والنظر للوطنى على انه مجرد حيوان يحمل الاثقال حتى ان الكثير من الاعمال الشاقة تعهد اليه بدلا من استخدام الآلات، وذكر انه يشعر بعجزه عن ذكر الحقيقة كاملة لكنه يجمل الوضع بأنه اشبه بعملية ابادة بالجملة للسكان الافريقيين.

والعجيب ان حكومة البرتغال بدلًا من ان تتخذ خطوات لعلاج الوضع نجدها تحيط التقرير بسياج من الكتمان وتصب نقمتها على كاتبه فتزج به فى السجن[٢١]

لقد أوردنا بعضا مما جاء فى هذا التقرير لأنه يعطى صورة دقيقة لوضع الوطنيين ولأنه مكتوب بقلم مسئول برتغالي سجل ما شاهده فى زيارة له قام بها في منتصف القرن العشرين (١٩٤٧) بعد العديد من الاصلاحات التى ادعت حكومة البرتغال انها قامت بها لاصلاح اوضاع الوطنيين فى

موزمبيق وغيرها من مستعمراتها

رابعا ـ الحركة الوطنية في المستعمرات البرتغالية في شرق أفريقيا :

واجه البرتغال منذ وطئت اقدامهم شرق افريقيا مقاومة عنيفة من الوطنيين الافارقة ومن العرب سواء المستوطنين أو الحكومات العربية الاخرى التى سارعت لمساندة حركة المقاومة الوطنية للوجود البرتغالى فى الساحل الشرقي للقارة والمياه التى تطل عليها هذه السواحل

وقد رأينا من قبل صوراً لهذا الصراع مع دولة المماليك ثم الدولة العثمانية كما رأينا أن هذا الصراع إتخذ اشكالاً غريبة واشتركت فيه اثيوبيا الدولة المسيحية مع البرتغال كما اشتركت فيه القوى العربية والاسلامية لمساندة الامارات العربية فى شرق القارة .

وذكر أن هذه الامارات العربية قاومت الغزو البرتغالى ما إستطاعت الى ذلك سبيلاً لكن البرتغال بأسلحتهم المتقدمة إستطاعوا قهر هذه المدن وقد اصابها من جراء ذلك الكثير من التدمير والتخريب والحرق والابادة، فقد كان نصيب المقاومين الذين يتصدون للغزاة الابادة والرق للسكان والمدن والمزارع والحيوانات لنشر الرعب والفزع فى قلوب من يفكرون فى مقاومة المعتدين

وظهرت بطولات فى هذا المجال تستحق الدراسة والتنويه ـ وإن استطاع البرتغاليون بأسلحتهم أن يتغلبوا على المقاومة الوطنية التى واجهتهم لكن كان عليهم بعد ذلك أن يواجهوا ثورات الافريقيين والعرب التى هددت مراكزهم وسلطتهم.

ومن أبرز الثورات التى واجهها البرتغاليون الثورة التى تزعمها مير على فى عام ١٥٨٠م فى مقديشيو وامتدت الى ممباسا وغيرها من الموانىء بشرق افريقيا ولقي مير علي من الاتراك معاونة مكنته من إخضاع معظم المناطق الخاضعة للبرتغال ما عدا مالندى

ولم يستطع البرتغاليون إخماد الثورة إلا بالاستعانة بالقوات البحرية من الهند، وبعد ان نجحوا فى استمالة قبائل زومبا (Zumba) وهم من البانتو، وكان انضمامهم للبرتغاليين من العوامل الرئيسية التى مكنتهم من إسترجاع ممباسا والقبض على مير علي وإعدامه

وقد أيقن البرتغال بعد هذه الثورة أن قواتهم فى موزمبيق ومالندى غير كافية لتحقيق السيادة لهم على الساحل الشرقي للقارة ولذا أقاموا فى عام ١٥٩٣ حصنا قويا فى ممباسا .

على أن ثورات العرب والافريقيين لم تكن تهدأ حتى تبدأ من جديد، ففى عام ١٦٥٠ اندلعت الثورة مرة أخرى فى كل الشاطىء الشرقى وإتصل الثوار بإخوانهم العرب فى الشاطىء الآسيوى وجاءتهم نجدات من عمان وغيرها من انحاء شبه الجزيرة العربية .

وهكذا لم ينعم البرتغاليون بالاستقرار على الساحل بالاضافة الى محاولاتهم لمد نفوذهم تدريجيا للداخل ـ وكان اعتمادهم على ما يأتيهم من ممثل الملك فى الهند من

امدادات ونجدات لمواجهة ثورات الامريقيين

وحفل النصف الثاني من القرن السابع عشر بأحداث الصراع بين البرتغاليين من جهة وبين الوطنيين من الافارقة والعرب في سواحل افريقيا الشرقية ومؤيديهم من العثمانيين من جهة اخرى، وقبل ان يختم هذا القرن استطاع الافريقيون والعرب بمساعدة قوة من عمان حصار الحصون البرتغالية بالساحل وسقطت هذه الحصون في أيدى الوطنيين وإنكمشت سلطة البرتغال واقتصرت على بعض الاماكن الحصينة في جزيرة موزمبيق واضطروا للاعتراف بسيادة العرب على المنطقة الواقعة شمال رأس دلجادو (Cape De lgado)، بينما كانت السيادة للبرتغال الى الجنوب من ذلك .

واتخذ البرتغاليون من جزيرة موزمبيق مقرا لهم ومركزا لسيادتهم واهتموا بتحصينها واعدادها كقاعدة تجارية تخدم اسطولهم التجارى الذى يعمل بين لشبونة التى أصبحت سوقا تجاريا هاما للسلع الافريقية والشرقية، وبين الهند. وأصبحت قلعة موزمبيق مركز القائد العسكرى العام الذى هو في نفس الوقت رئيس الجهاز الادارى، وكان مسئولا أمام نائب الملك في الهند وقد زاد مركز البرتغاليين في شرق أفريقيا حرجا بعد أن فقدوا سيادتهم في المحيط الهندى والهند[٢٢]

خامسا. نهاية الاستعمار البرتغالى بشرق أفريقيا :

ظلت البرتغال متمسكة بوجودها في مورمبيق وفى مستعمراتها الأخرى انجولا، وغينيا بيساو حتى بعد ان أضطرت الدول الاستعمارية الكبرى مثل انجلترا وفرنسا ان تعترف بحق الشعوب الخاضعة لها في الاستقلال

وكانت السياسة التي وضعها انطونيو سالازار (Antonio Salazar) في ١٩٣٠ للمستعمرات البرتغالية في أفريقيا تقوم - كما شرحها جورج إميل (Jorge Ameil) أحد دعاة هده السياسة - على أساس الاحتفاظ بالمساحات التى يرفرف عليها علم البرتغال فيما أطلق عليه «البرتغال فيما وراء البحار»، وبذل كل جهد ممكن لاستخلاص الثروة الخبيئة في باطن الارض او الظاهرة على سطحها والبحث عن مناطق الانتاج والدمج وتذليل الصعوبات التى تعترض استغلالها[٢٣]

وقد صدر في عام ١٩٣٣ قانون لتحقيق هذه السياسة، وعمدت الحكومة البرتغالية لتشجيع المواطنين البرتغال وطلاب الجامعات للقيام برحلات وزيارات للمستعمرات البرتغالية وحث الحكومة البرتغالية ووسائل الاعلام المختلفة على العمل لاثارة حماس الشباب للهجرة الى المستعمرات واستغلال خيراتها، كما شجعت رجال الفكر والكتابة لتسخير اقلامهم للدعوة لهذه السياسة ليبقى حيا في أذهان الشعب البرتغالى - كما ذكر ساليزار - أن افريقية بالنسبة للبرتغال أكثر من أرض تستغلها لكنها السر في أن البرتغال ينظر اليها كبلد عظيم، وبدونها سوف تكون شعبا أوروبيا صغيرا، وحولت المدرسة العالية للدراسات الاستعمارية في لشبونة الى معهد أطلق عليه

اسم (معهد دراسات ما وراء البحار) لخلق طبقة من البرتغاليين لادارة المستعمرات وغير اسم المستعمرات الى اسم (اقاليم ما وراء البحار) وهو الاسم الذى اصبح يطلق ايضا على وزارة المستعمرات (وزارة ما وراء البحار)

وفى سنة ١٩٥١ صدر قانون اخر خاص بادارة الاقاليم البرتغالية فيما وراء البحار وهو لا يختلف فى جوهره عن القانون الصادر فى عام ١٩٣٣ واهم المبادىء التى احتواها هذا القانون[٢٤]

١ ـ تعتبر جميع الاراضى الافريقية الخاضعة للبرتغال جزءا لا يتجزأ من اراضى البرتغال ذاتها

٢ ـ تتمتع اقاليم ما وراء البحار ووزارة ما وراء البحار ولوزيرها سلطة تامة فيما يتعلق بكافة شئونها ويعاونه مجلس استشاري، ولكل اقليم حاكم عام يدير شئونه

٣ ـ يعقد موتمر عام فى لشبونة كل ثلاث سنوات برئاسة وزير اقاليم ما وراء البحار يحضره حكام هذه الاقاليم للنظر فى شئونها المختلفة

٤ ـ يحرّم فى هذه الاقاليم الاشتغال بالسياسة او تاليف احزاب

٥ ـ تشجيع سياسة الادماج (Assimilado) كما تعرف فى اللغة البرتغالية وهى تقضى بمنح الافريقى الذى يتعلم اللغة البرتغالية ويعتنق الكاثوليكية حق المواطن البرتغالى

٦ ـ منح القانون للادارة البرتغالية حق توريد العمال الافريقيين للعمل داخل الاقاليم التى تسيطر عليها البرتغال او خارجها تحت ستار ما يُسمى بعقود العمل

٧ ـ إنتقال الأفريقيين داخل الأقليم يخضع لنظام بطاقات الانتقال فلا يستطيع الأفريقي مغادرة قريته إلا بإذن سابق من بوليس المنطقة

٨ ـ وضع نظام صورى لتمثيل الاقاليم فيما وراء البحار فى البرلمان البرتغالى تحقيقا لسياسة الادماج وهذا يعنى بالطبع القضاء على القومية الافريقية للافريقيين فى هذه الاقاليم، وكان من الطبيعى ان يتحرك الوطنيون الافريقيون فى المستعمرات البرتغالية فى وجه المستعمر الذى اذاقهم صنوف العذاب والاستعباد وأن يتحينوا الفرصة المناسبة للانقضاض عليه وتحطيم الاغلال التى تربطهم به

وكانت البرتغال تخشى أكثر ما تخشاه امرين

١ ـ تسرب أخبار الحركات القومية الافريقية ـ التى اخذت تجتاح القارة لمستعمراتها

٢ ـ الرأى العام العالمى ممثلا فى الافراد والجماعات وكذا فى المنظمات الدولية ومعارضة الأساليب الوحشية واللاإنسانية التى تتسم بها سياسة البرتغال فى مستعمراتها ـ وكذا مساندة الدول الافريقية المستقلة وتشجيعها للوطنيين الافارقة فى ثورتهم ضد المستعمرين البرتغال

وقد حاولت البرتغال إحاطة مستعمراتها بسياج يمنع تسرب نسمات الحرية والقومية التى تهب على القارة الى هذه المستعمرات .

ورغم إنضمام البرتغال الى الامم المتحدة سنة ١٩٥٥ لكنها رفضت تقديم آية تقارير عن مستعمراتها كما نص على ذلك ميثاق

المنظمة الدولية بحجة أن هذه اقاليم برتغالية فيما وراء البحار .

لكن لم تجد هذه المحاولات فمنذ سنة ١٩٤٨ توالت الاضطرابات وحركات الاستنكار للسياسة الاستعمارية البرتغالية في شرق القارة ، فنشطت في موزمبيق مثلاً (حركة الاتحاد الديمقراطي) وهي حركة إنضم اليها عدد كبير من الافارقة بل انضم اليها عدد من المسئولين البيض الذين شعروا بضرورة تغيير الأوضاع في المستعمرة حتى لا يؤدي الأمر الى إنفجار الموقف

وقابلت البرتغال هذه الحركات بوسائل وحشية للقمع والارهاب فقتل عدد كبير من الافريقيين كما زج بأعداد منهم في السجون والمعتقلات .

وكان طبيعيا أن تساند الدول الافريقية والآسيوية في الأمم المتحدة حق الوطنيين الافريقيين في حريتهم .

ففي فبراير ١٩٦١ طلبت خمس وثلاثون دولة افريقية وأسيوية من مجلس الامن بحث الموقف في المستعمرات البرتغالية لأنه يعرض السلام والامن الدوليين للخطر

وتقدمت سيلان ، وليبريا ، ومصر بمشروع قرار للمجلس يقضي بتشكيل لجنة لتقصي الحقائق في المستعمرات البرتغالية

وقد شهدت الساحة الوطنية في موزمبيق عددا من التنظيمات الوطنية من أهمها جبهة تحرير موزمبيق التي عرفت باسم (الفريليو) التي أعلن تشكيلها في يونيو ١٩٦٢ وقد اعلنت الجبهة في سبتمبر ١٩٦٤ الكفاح المسلح ضد المستعمر واستطاعت فعلا تحرير مساحات واسعة من ارض موزمبيق وكان يتزعمها دكتور موندلاني ، وبعد اغتياله اختير ميشيل ساموورا رئيسا للجبهة ، وكان للجبهة تمثيل دائم في القاهرة ومجلة دورية بإسم ثورة موزمبيق .

ومنذ أن قامت منظمة الوحدة الافريقية في عام ١٩٦٣ ساندت قضية المستعمرات البرتغالية ، ورغم اشتداد حركة المقاومة الوطنية في المستعمرات البرتغالية في شرق القارة وغربها مما ترتب عليه استنزاف قوة البرتغال المعنوية والمادية والحربية - لكن ظلت حكومة سالازار العسكرية في عنادها الى انتهى الأمر بسقوط الحكومة بعد أن وصلت الحالة الاقتصادية في البرتغال الى الحضيض

وكان طبيعيا ان تسلم الحكومة المدنية التي خلفتها بعض المستعمرات البرتغالية في استقلالها

فقامت جمهورية موزمبيق المستقلة في يونيه ١٩٧٤ وقد علق أحد المؤرخين على ذلك بقوله «إن المستعمرات البرتغالية في افريقيا نجحت في تخليص البرتغال من الحكم العسكري ولما سقط الحكم العسكري في البرتغال استطاعت المستعمرات البرتغالية أن تنال استقلالها »

الهوامش

(١) De Caravalho, Vasco: La Domination Portugaise Au Maroc, 1415-1789 (Lisbohne 1936) P. 15

(٢) لمن يريد المعلومات الوافية عن دور البرتغال في المغرب العربي يرجع الى شوقي الجمل المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (القاهرة ١٩٧٧) ص ٤١ وما بعدها

(٣) Johnston, H.: History of the Colonization of Africa by Alien Races (Cambridge 1913) P. 30

(٤) Ibid P. 32

(٥) كان اسمها العربي (بساسنه) وهو كنية عن مكة المكرمة لأن مؤسسيها وفدوا من اقليم الحجاز وعرفت بعد ذلك عند المؤرخين باسم منبسى وحرفها البرتغاليون الى ممباسا انظر محمود طه المؤثرات العربية في شرق افريقيا ص ١٤ .

(٦) Duffy, James: Portuguese Africa (1957) P. 28

(٧) عن تفاصيل هذه الصراعات يرجع الى المقريزى تقى الدين احمد بن علي الالمام باخبار من بارض الحبشة من ملوك الاسلام (نشرة الدكتور رنك ـ القاهرة ١٩٨٥) وكذلك يوسف، احمد الاسلام في الحبشة (القاهرة ١٩٣٥)

(٨) شوقي الجمل تاريخ كشف افريقيا واستعمارها (القاهرة ١٩٨٠) ص ١٨١ وما بعدها

(٩) Kammeret La Mer وكذلك Hoskins British Routes to India (1928) P. 2 Rouga, L'Abyssine et L'Arabie depuis L'Antiquite (1929)

(١٠) تشرتش، رج. هاريسون الاستعمار الحديث (الاصل ١٩٥١ ترجمة د. دولت صادق ومراجعة د محمد السيد غلاب ص ٣٠

(١١) Ransford, Oliver : The Rulers of Rhodensia From earliest times to Referedum (London 1968) P. 58

(١٢) وشوقي الجمل قضية روديسيا بين الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية (١٩٧٦) ص ٥٥ وما بعدها
Coupland R.: East Africa and its Invaders (London 1938) P. 35

(١٣) Ibid p. 36 ملاحظة ناقش كاتب هذا المقال بتفصيل قضية اتهام العرب بنشر تجارة الرقيق والتوسع فيها في شرق القارة ـ انظر شوقي الجمل تاريخ كشف افريقيا واستعمارها مرجع سابق ص ١٣٩ وما بعدها، ١٨٤ وما بعدها

(١٤) Duffy Op Cit P 111

(١٥) الدومينيكان ـ طائفة كالجزويت انتسبت الى القديس دومينيكا (St. Dominic) وبدات نشاطها في اسبانيا وانتقل نشاط جماعة منهم الى البرتغال، وكان لها نشاط خاص في العمل التبشيري في الصين والهند واليابان. وحين فتحت الكشوف الجغرافية الميدان الافريقي للعمل اسرعوا لضم هذا الميدان لنشاطهم

(١٦) **Duffy: Op Cit: P. 259**

(١٧) انبرى عدد كبير من الكتاب لمهاجمة سياسة البرتغال التي كانت قائمة على اجبار الافريقيين على العمل في المزارع والمصانع وغيرها والتي اعتبروها صورة جديدة من الرق ومن هؤلاء

Swan, Charles: Slavery of Today (London 1900)
Harris, John, H. Portuguese Slavery— (London 1915)
Nerinson, H.W.: Modern Slavery. (London 1936)

(١٨) Bartlett, Vernon: Struggle for Africa (London) P. 89

(١٩) استقلت مستعمرة موزمبيق البرتغالية عن جوا بالهند في عام ١٧٥٢ واصبح حاكم موزمبيق مسئولا ايضا عن زمبيزيا وسفالة

(٢٠) لزيادة المعلومات عن هذا الحدث الطريف يرجع الى
Galvao, H.: Santa Maria and My Crusade for Portugal (1962).

(٢١) نجحت جريدة الاوبزرفر (**Oberver**) في الحصول على صورة كاملة من التقرير ونشرته في عددها الصادر في ٢٩ يناير ١٩٦١.

(٢٢) للمزيد من التفاصيل عن حركة المقاومة الوطنية للوجود البرتغالي في شرق افريقيا انظر شوقي الجمل تاريخ كشف افريقيا واستعمارها مرجع سابق ص ١٩١ وما بعدها وكذلك **Davidson, B.: The African Awakening (1955)**

(٢٣) راشد البراوى الرق الحديث في افريقيا البرتغالية (١٩٦٢) ص ٧٢ وما بعدها

(٢٤) عبدالملك عودة السياسة والحكم في افريقيا (القاهرة ١٩٥٩) ص ٢٠٠ وكذلك
Berlett: Op Cit. P. 86

مكتبة البحث

أولا . مراجع عربية أو معربة :

١ ـ د تشرتس، ج، هاريسون الاستعمار الحديث ترجمة د دولت صادق، مراجعة د محمد السيد غلاب (الاصل المترجم ١٩٥١)
٢ ـ راشد البراوى (دكتور) الرق الحديث في أفريقيا البرتغالية (القاهرة ١٩٦٢)
٣ ـ شوقي الجمل (دكتور) المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (القاهرة ١٩٦٢)
٤ ـ شوقي الجمل (دكتور) تاريخ كشف افريقيا واستعمارها (القاهرة ١٩٨٠)
٥ ـ شوقي الجمل (دكتور) قضية روديسيا بين الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية (القاهرة ١٩٧٧)
٦ ـ عبدالملك عودة (دكتور) السياسة والحكم في افريقيا (القاهرة ١٩٥٦)
٧ ـ المقريزى، تقي الدين احمد بن علي الالمام باخبار من بارض الحبشة من ملوك الاسلام (نشرة الدكتور رنك ـ القاهرة ١٨٩٥)
٨ ـ يوسف احمد الاسلام في الحبشة (القاهرة ١٩٣٥)

ثانيا . مراجع باللغة الانجليزية :

1 - Bartlett, Vernen: Struggle for Africa (London 1950)
2 - Coupland, R. : East Africa and its Invaders (London 1936)
3 - Davidson, B.: The African Awakening (1955)
4 - De Carvalho, Vasco: La Domination Protugaise Au Maroc 1415 - 1789. (Lisbonne 1936)
5 - Duffy, James: Portuguese Africa (London 1959)
6 - Duffy, James: Portugal in Africa (London 1952)
7 - Galvao, H.: Santa Maria and My Crusade for Portugal (1962)
8 - Harris, John, H.: Portuguese Slavery (London 1915)
9 - Hoskins : British Routes to India (London 1928)
10 - Johnston, H.: History of the Colonization of Africa by Alien Races Cambridge 1931
11 - Kamerer: La Mer Rouge, L'Abyssinie et l ' Arabe depuis L'Antiquite, (1929)
12 - Moreira, Edwardo: Portuguese East Africa (London 1926)
13 - Nerinson, H.W.: Modern Slavery (London 1936)
14 - Ransford, Oliver: The Rulers of Rhodesia from Earliest Times to Referendum (London 1968)
15 - Swan, Charles: Slavery of Today (London 1900)

التهديدُ البرتغالي لِتجارةِ البحرِ الأحمر

بقلم : بشير احمود كاظم

تعد رحلة فاسكودي جاما الأولى في سنة ٩٠٣ هـ/١٤٩٧ م الى الهند رحلة استطلاعية عرف من خلالها ان العرب يسيطرون على سواحل شرقي افريقيا والجزر القريبة منها وعلى معظم التجارة في غرب المحيط الهندي رغم ان دي جاما لم ينجح في كسب ثقة حكام الموانيء التى زارها .

وفي مستهل القرن السادس عشر الميلادي (١٤٩٩ ـ م ١٥٠٩ م) توالت الرحلات البرتغالية في المحيط الهندي فارضة سيطرتها في



منطقة كان النشاط التجاري فيها مقصورا على العرب . اذ تابع ملك البرتغال جهود فاسكودي جاما بارسال حملة أخرى في مارس من عام ٩٠٦ هـ/ ١٥٠٠ م بقيادة بدرو الفاريز جابرال (P.A. Gabral) مهمتها الحصول على قاعدة للسفن البرتغالية في الشرق سواء أكان ذلك عن طريق المفاوضات أم باستخدام القوة المسلحة [١] وقد أفلح جابرال في اقامة مركز برتغالي في كاليكوت سنة ٩٠٧ هـ/ ١٥٠١ م [٢] وأبلغ ملكها برسالة يحرم فيها على العرب الاقامة داخل حدود مملكته كما عرض عليه شراء ما يبيعه للعرب بثمن أفضل [٣] الا ان ملك كاليكوت رفض طلب القائد البرتغالي جابرال . مما أدى الى مهاجمة الاسطول البرتغالي لمدينة كاليكوت اذ أمطرها بنيران المدفعية البرتغالية وأحرق (٢٩) قطعة بحرية للتجار المصريين وكان بضمنها سفينة السلطان الغوري وهي محملة بالتوابل وتروم الابحار الى ميناء جدة وجميعها كانت راسية في الميناء ومحمله بمختلف السلع التجارية [٤] وقد استنجد ملك كاليكوت بالسلطان قانصوة الغوري سلطان مصر الا ان تأخر الاسطول المصرى في الوصول الى الهند اضطره الى عقد معاهدة صلح مع البرتغاليين الذين عادوا بعدها الى لشبونه ومعهم ١٣ قطعة بحرية مليئة بالبضائع الشرقية الثمينة [٥] .



ونرى من خلال ما تقدم ان سياسة البرتغاليين قد تغيرت بعد ان تبتوا أقدامهم في المراكز التجارية الهندية المهمة حيث كشفوا عن وجههم الحقيقي وعبروا عن أهدافهم الصليبية المبيتة ضد المسلمين . عندما بدأت سفنهم تجوب المحيط الهندي والبحار العربية فما من سفينة عربية عثرت عليها الا ونهبتها وقتلت من فيها كما أصبحت تغير على شواطىء الجزيرة العربية وتقتل وتحرق ثم تهرب '' وغدت الاطماع البرتغالية اشد ضراوة وعبروا عن شراستهم ووحشيتهم واستخدموا اشد انواع الارهاب والقسوة في معاملاتهم مع الموانىء والسفن العربية التى كانوا يعترون عليها '' ولعل ما يشير الى معاملتهم الوحشية الوثائق البرتغالية التى أوردها جوا دي بروس والتى عبر فيها عن احقادهم الصليبية . معترفا باعمالهم الوحشية حين قال « عندما غزا الكفار – وخاصة العرب منهم – وكانوا قد تركوا بلادهم الواقعة في الشرق ووفدوا الى بلادنا في الغرب تم قضت ارادته ان يمارس البرتغاليون حقهم الطبيعي هذا بعد انقضاء قرون عديدة وبالطريقة ذاتها بحد السيف ليس في الجزيرة العربية الحدباء حيث دمروا مدنها واحرقوا منازلها وخطفوا نساءها واطفالها واستولوا على الثروات والاوطان فيها فقط ولكنهم غزوا العرش . وقد دفع العرش ثمن اهانتهم لاسبانيا لانهم اعتنقوا ديانة اولئك العرب المتخلفين » .

ومن خلال ما تقدم يتضح ان معاملة البرتغاليين لم يكن لها مثيل في القسوة وانعدام الروح الانسانية . وهناك الكثير من الشواهد والأمثلة التى أوردها المؤرخون والتى تدل على وحشية البرتغاليين وقسوتهم . ومن الأمثلة على ذلك ما قام به البوكيرك . عند مهاجمته «قلعة» على الساحل العماني اذ انه أشعل النار في المدينة واغرق سبعا وعشرين سفينة تجارية كانت راسية في الميناء وتعرض أهل عمان لابشع أنواع التعذيب على أيدى البرتغاليين الذين قتلوا الأطفال وشقوا بطون السيدات وقطعوا اذان الرجال وانوفهم واحرقوا المساجد المقامة على ثغور ساحل عمان » .

اصبح التفوق البرتغالي في مياه المحيط الهندي واضحا على الرغم من بعد البرتغاليين عن بلدهم وقلة عددهم واتساع المنطقة التى كانوا يهدفون للسيطرة عليها الا انهم تمكنوا من فرض الحصار على التجارة الاسلامية . واستطاعوا . مهاجمة السفن العربية ومنعها من المتاجرة في المحيط الهندي . وعند التطلع لمعرفة تلك الأسباب يبدو واضحا تفوق البرتغاليين عسكريا وامتلاكهم السفن الحديثة المزودة بالمدافع والبنادق التى لم تكن معروفة في تلك الاقاليم

وفي عام ٩٠٨ هـ . ١٥٠٢ م جهز ملك البرتغال اسطولا يتالف من عشرين سفينة بقيادة فاسكودي جاما . تحرك من البرتغال واتجه الى المحيط الهندي '' وكانت هذه هي الرحلة الثانية بالنسبة لدى جاما . حيث كان يحمل معه تعليمات من أسياده البرتغاليين بتخريب موانىء العرب وتحطيم مراكبهم وسد مدخلي البحر الاحمر والخليج العربي في وجه التجارة البحرية '' ومنع تجارة الشرق من الوصول الى الموانىء المصرية

وكذلك منع السفن المصرية من الوصول الى الهند حتى يتسنى للبحرية البرتغالية السيطرة على تجارة الهند ( ) ومن أجل تحقيق ذلك الغرض ابقى دي جاما خمس سفن من الاسطول الذي قاده الى الهند ، تجوب مياه المحيط الهندي للقرصنة البحرية وامرهم بسد مدخل البحر الاحمر أمام السفن العربية الداخلة والخارجة منه ( ).

مضت البرتغال بتنفيذ مخططها الاستعماري بعد ان استحدثت منصب نائب الملك البرتغالي في الهند . حيث أصدر ملك البرتغال في عام ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م تعليماته بتولي فرانسسكو دالميدا هذا المنصب . وبهذا التاريخ فان البرتغال تعد اول حكومة استعمارية اوروبية انشأت مستعمرة في الشرق الأقصى ، لحماية مصالحها هناك وتحقق الاحتكار التجاري لسلع الشرق والسيطرة على مصادرها في الهند

وتتابعت الحملات البرتغالية لترصين مركزهم هناك ، ففي عام ١٥٠٥ م خرج من البرتغال اسطول تعداده (٢٠) سفينة تحمل على ظهرها ١٥٠٠ محارب من بينهم عدد من الحبويين والنادقة والالمان ، وتم لهم احتلال سفالة وكلوه ، وممباسا التي قاتلهم اهلها قتالا شديدا ، ولم يسلم من أيدي البرتغاليين في ساحل شرقي افريقيا من التخريب والتدمير سوى أهل مالندي الذين تعاونوا معهم في احتلال تلك السواحل ( ).

وفي عام ٩١٢ هـ / ١٥٠٦ م عزز ملك البرتغال الحملة السابقة بحملة اخرى مؤلفة من اربع عشرة سفينة ( ) ، فرض البرتغاليون من خلالها سيطرتهم على سواحل شرقي افريقيا وصاروا يحكمون الجزء الجنوبي منها والمتمثل في سفالة وموزمبيق وكلوه حكما مباشرا تدعمه حصونهم وأساطيلهم المتواجدة في المنطقة ، أما الجزء الشمالي من هذه السواحل ، فكانت سيطرة البرتغاليين عليه غير مباشرة ، اذ ان ذلك لم يتعد وجود جماعات من المستعمرين والتجار دون وجود حاميات وحصون ، ولكنهم كانوا يزورون هذه الموانىء بأساطيلهم ويجمعون الجزية من السلاطين والشيوخ ( ) ، وأخذت السفن البرتغالية تفرض حصارها على السفن العربية وتتعقبها في مياه المحيط الهندي الى ان يتم لها أسرها أو حرقها أو اغراقها زيادة على نهب بضاعتها وقتل ملاحيها ، مما قلل من ظهور هذه السفن أمام الساحل الهندي ( ).

واصل البرتغاليون زيادة نفوذهم البحري وسيطرتهم على التجارة الشرقية ، وسعوا جاهدين في سبيل تنفيذ سياستهم التوسعية ، فاسندوا الى القائد البرتغالي البوكيرك مهمة تنفيذ المخطط البرتغالي في البحر الأحمر والخليج العربي ، فجهز البوكيرك حملة عسكرية بقيادة نائبه (كرستان داكنها) لاحتلال جزيرة سوقطرة لاتخاذها قاعدة بحرية تنطلق منها السفن البرتغالية لقطع الطريق أمام السفن التجارية العربية القادمة الى خليج عدن ، وتم لهم ذلك في سنة ٩١٣ هـ / ١٥٠٧ م بعد قتال شديد مع أهالي الجزيرة ( ).

وفي أب من العام نفسه قام البرتغاليون بمهاجمة السفن التجارية الاسلامية في الطريق الى «هرمز» والهند وقطعوا الطريق

التجاري عبر الخليج العربي وهاجموا مسقط وخورفكان (*) ونهبوا السفن وأحرقوها وأسروا بعض التجار وعذبوهم ومثلوا بهم أبشع صور التمثيل (٢) وبعد احتلالهم لجزيرة سوقطرة اتضح لهم بأن عدن أكثر أهمية من هذه الجزيرة ، وان احتلالها يهدد تجارة البحر الأحمر بالانهيار ويشل حركتها

وبعد ان عين الفونسو البوكيرك حاكما عاما للقواعد والمراكز البرتغالية على ساحل الهند الغربي في سنة ٩١٥ هـ/ ١٥٠٩ م زاد في نشاطه لتحقيق الأهداف الاستعمارية الجديدة والسيطرة على المواقع الاستراتيجية والاقتصادية المهمة وفي اطار هذه السياسة التوسعية احتل البوكيرك في سنة ٩١٦ هـ/ ١٥١٠ م مدينة (جوا) (*) في الهند وجعلها مركزا للحكومة البرتغالية هناك ، ثم أعقب ذلك بالاستيلاء على ملقا عام ٩١٧ هـ/ ١٥١١ م في الطريق الجنوبي الشرقي من آسيا والتي تعد من أعظم قواعد التجارة العالمية حيث تتجمع فيها منتجات الهند الصينية بصفة خاصة

ويبرر من خلال سياسة البوكيرك التوسعية انه يتصف بنزعة عدوانية متعصبة ضد المسلمين، وانه كرس جهوده للهيمنة البرتغالية في المحيط الهندى وذلك بالاعتماد على فكرة السيطرة على كل المضايق البحرية التى تقود الى الهند

كما سعى للحصول على حلفاء محليين لتحقيق أغراضه العدوانية على البلاد الاسلامية من خلال اقامة العلاقات مع البلاط الحبشي في عام ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م . وبعد ان سيطر البوكيرك على الطريقين الرئيسيين للتجارة الشرقية أمر بمطاردة السفن الاسلامية في المحيط الهندي من أجل طرد المسلمين من المراكز التجارية الهندية والافريقية ومنعهم من مزاولة النشاط التجاري في المحيط الهندي

وفي بداية شهر شباط من عام ٩١٧ هـ/ ١٥١٣ م أرسل البوكيرك حملة بحرية مؤلفة من عشرين سفينة حربية تحمل على ظهرها ٢٥٠٠ محارب ، خرجت من (جوا) مركز انطلاق البرتغاليين في المحيط الهندي واتجهت نحو عدن ، وبعد وصول الاسطول البرتغالي الى ميناء عدن ، استولى على السفن الراسية فيه ثم قصفوا المدينة بمدفعيتهم ، مما اضطر حاكم عدن الى العمل على حماية المدينة من تدمير البرتغاليين فعمد أول الأمر الى استخدام اسلوب المهادنة ، فارسل بعض الهدايا الى البرتغاليين وطلب عقد الهدنة معهم ، الا ان البرتغاليين رفضوا اقتراح حاكم عدن وانذروه بتسليم المدينة لهم ، ومنحوه مهلة حتى اليوم التالي ولكن حاكم عدن الظافري رفض تسليم المدينة مما دفع البرتغاليين الى تسلق الاسوار والنزول الى

*** مسقط وخورفكان ميناءان مهمان في مدخل الخليج العربي**

*** جوا احد الموانيء المهمة في الهند وتطل على ساحل ملبار المطل على بحر العرب**

مثل مدينة حوا (Goa) ومدينة ديو (Duo) وعيرهما من المراكز التجارية المهمة وانساء قواعد عسكرية فيها لاسناد الاسطول البرتغالي اثناء تحركاته في المحيط الهندي لفرض السياسة الاحتكارية بالقوة وعدم السماح للسفن الاسلامية بممارسة اي نشاط ملاحي او تجاري في هذه المنطقة

المحور الثالث :

وهو فرض سيطرتهم على المراكز التجارية الاسلامية الواقعة على الساحل الشرقي للقارة الافريقية والتى اشرنا اليها في الصفحات السابقة من هذا البحث والتى تطل على المحيط الهندي . وجعلوا منها مراكز تجارية لهم وقواعد عسكرية لامداد اسطولهم اثناء تحركاته في المحيط الهندي

واستطاع البرتغاليون بعد اتباع هذه السياسة احتكار التجارة الشرقية واحتكار نقلها ايضا الى اوروبا عن طريق راس الرجاء الصالح . مما أدى الى الانهيار الاقتصادي السياسي الذى اصاب القوى المحلية المسيطرة على سواحل البحر الاحمر وموانئه وبشكل خاص المماليك والطاهريون

ولعل الحملات البرتغالية المتعاقبة اسفرت عن نتيجتين خطيرتين اثرتا في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للعرب في تلك المنطقة هما

١ ـ اعتبار وصول البرتغاليين الى المحيط الهندي وشرقي الجزيرة العربية بعد معرفتهم لطريق راس الرجاء الصالح بداية للأطماع الأوروبية الاستعمارية في هذه المنطقة زيادة على ان نشاطهم البحري قد فتح لهم افاقا جديدة لم يعرفوها من قبل . وذلك انهم ادركوا الأهمية البالغة لشرقي الجزيرة العربية من النواحي الاقتصادية والسياسية وكان وجودهم في المنطقة قد وضع نهاية لحصر الازدهار التجاري والملاحي العربي والاسلامي في شرقي الجزيرة العربية مما أصابه بالركود والانكماش (..) نتيجة للسياسة الاحتكارية العدائية التى فرضها البرتغاليون على الحركة التجارية والبحرية للبحر الأحمر .

٢ ـ والنتيجة الثانية التى جاءت بها هذه الحملات البرتغالية هي انتقال مسرح الصراع السياسي والديني بين البرتغاليين والمماليك من منطقة البحر المتوسط الى الساحل الشرقي لافريقيا والهند وشرقي الجزيرة العربية (..) . وعمدوا الى احراق المدن الاسلامية والمساجد ، والتنكيل بالسكان المسلمين والاستيلاء على السفن التجارية والسفن التى تحمل الحجاج الى بلاد الحجاز وقاموا بأسر ركابها وتعذيبهم وقتل بعضهم واغراق بعضهم الآخر (..)

وعلى أية حال فقد كان الوجود البرتغالي في الشرق ضربة قاصمة للنشاط التجاري العربي والاسلامي في البحر الأحمر والمحيط الهندي كما كان له الأثر البالغ على الأوضاع السياسية والاجتماعية للعرب والمسلمين في سواحل افريقيا الشرقية وجزيرة العرب والبحر الأحمر وشمال المحيط الهندي ، وبالتالي القضاء على دولة المماليك في مصر

موقف القوى المحلية من الغزو البرتغالي

١ ـ موقف المماليك :

كانت الجهود البحرية البرتغالية تهدف الى تحقيق مطامع اقتصادية وأخرى سياسية ومدفوعة بعوامل دينية صليبية كانت امتدادا لتلك الحرب الصليبية التى استمرت طويلا بين الشرق والغرب ، وكانت

هذه الجهود تسير بتأييد وحماس من قبل البابوية (٤٨)، لذا نراهم يتبعون في تحقيق ذلك أقصى أنواع القرصنة البحرية العسكرية، وكما ذكرنا سابقا فإن البرتغاليين ركزوا في خطتهم على تحقيق الحصار الاقتصادي على مصر من ناحية الجنوب والسيطرة على مواطن التوابل وانتزاع احتكارها من العرب وتحويلها الى لشبونه مباشرة، وحرمان مصر والبندقية من أهم مورد لها. وذلك لاضعاف مصر، اقتصاديا وحربيا حتى تصبح عاجزة عن التصدي لأي عمل برتغالي، حيث ان المماليك في مصر يمثلون القوة الاسلامية الكبرى في المنطقة وهي حاملة لواء الجهاد ضد الصليبيين (٤٩).

وكانت هذه التطورات الاقتصادية والسياسية في المنطقة بداية للصراع بين المماليك والبرتغاليين اذ ان دولة المماليك، كانت من أولى الدول التى تأثرت اقتصاديا بتحول طرق التجارة الى الحد الذى أصبح فيه مجيء السفن التجارية الى موانىء مصر نادرا، وأصبح البنادقة لا يجدون ما يحملونه من التوابل والبضائع الشرقية الى أوروبا (٥٠).

وذكر ابن اياس بأن هذه التجارة قد أخذت من العرب الذين كانوا بالامس سادتها كما أشار الى نقص دخل الدول التى كانت تمر بها التجارة نتيجة للهجمات البرتغالية على موانىء البحر الأحمر الجنوبية (٥١) ولذلك بدأ السلطان المملوكي في اتخاذ الاجراءات اللازمة لايقاف البرتغاليين عند حدهم ولانقاذ مصر من الانهيار الاقتصادي الذى تعرضت له، وقام السلطان الغوري في سنة ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م باعداد حملة بحرية مهمتها تقوية الحكم المملوكي في منطقة البحر الأحمر وتحصين ميناء جدة ثم الاندفاع الى الهند للقضاء على البرتغاليين هناك (٥٢) وفضلا عن جملة العوامل التى حركت السلطان الغوري لمواجهة الغزو البرتغالي، فان استنجاد الأمراء الهنود المسلمين بحكومة مصر كان من العوامل المهمة التى شجعت السلطان الغوري على اعداد هذه الحملة (٥٣) وذكر ابن اياس ما قام به ملوك الهند من ارسال الرسل الى السلطان الغوري لاغاثة المسلمين من عبث البرتغاليين الذين كانوا ينهبون أموال الناس ويلحقون بهم الأذى (٥٤) ويذهب المليباري الى أبعد من هذا عندما أشار في تحفة المجاهدين الى عبث البرتغاليين حين قال «امتهنوا المصاحف وداسوها بأقدامهم وأحرقوها وحاولوا تنصير المسلمين، واغرائهم بالمال والنساء وقتلوا الحجاج، أو باعوهم عبيدا، نساء وأطفالا ولم يأنفوا من قتل العلماء (٥٥).

وقد وردت الى السلطان الغوري رسائل من ملك الهند، اذ بعث كل من السامري صاحب قاليقوط (٥٦)، ومظفر شاه بن محمد شاه سلطان كجرات* (٥٧) برسائلهم يستغيثون بها السلطان المملوكي قانصوة الغوري لتدارك الموقف واتخاذ الاجراءات الكفيلة بتخليصهم من المخاطر الى تعرضت لها بلادهم وتجارتهم والعمل على تأمين الملاحة في المحيط الهندي والبحر الأحمر وبالوقت نفسه فقد كتب صاحب اليمن السلطان عامر بن عبدالوهاب رسالة الى حكومة المماليك يطلب امداده بالآلات

*** تعد كجرات أهم الممالك الاسلامية على الساحل الهندي الغربي وهي تحتل أقصى شمال الساحل، وعاصمة هذه السلطنة، أحمد آباد، أما أهم موانئها فهي كمبايا وديو وسورات. (سالم: الفتح العثماني الأول اليمن، ص٦٠).**

والمدافع والوقوف في وجه البرتغاليين .

ومن الملاحظ ان هذه الممالك الاسلامية عندما احست بالخطر الذي هدد مصالحها ، استنجدت بالسلطان الغوري وذلك لأن دولة المماليك في تلك الفترة كانت تمثل اكبر قوة اسلامية في المنطقة لامتلاكها الأسلحة النارية التي لا توجد عند غيرها من القوى المحلية في المنطقة كما انها كانت أكبر دولة ذات مصالح اقتصادية مباشرة مع الهند .

اقلع الاسطول المملوكي من ميناء السويس في ٦ جمادى الآخرة من سنة ٩١١ هـ المصادف الرابع من تشرين الثاني لسنة ١٥٠٥ م . وعين قانصوة الغوري الامير حسين الكردي قائدا له ، حيث كان هذا الاسطول مؤلفا من خمسين سفينة ، ولم تشر المصادر التاريخية الى عدد جنود هذه الحملة . ويذكر انهم كانوا من المماليك السلطانية وعدد من اولاد الناس (ابناء المماليك) الذين يجيدون استخدام الاسلحة النارية . وكان المغاربة يؤلفون أغلب افراد هذه الحملة لانهم كانوا ذوي خبرة في القتال البحري . واستخدام المدافع فضلا عن كونهم بحارة ماهرين .

ويروي ابن اياس بان حملة حسين الكردي المتوجهة الى جدة قد اصطدمت بامير ينبع يحيى بن سبع وقتلت عددا كبيرا من اتباعه وأحرقت الدور التي على ساحل البحر الاحمر في ميناء ينبع وخربوا الدكاكين وشتتوا العربان . ويبدو لي من خلال هذا الحدث ان أمير ينبع لم يكن خاضعا لسلطة المماليك في مصر قبل مجيء حسين الكردي الذي حسم الموقف في ينبع لصالح دولة المماليك وتوجه الى جدة لغرض تحسين مينائها وحمايته من خطر البرتغاليين الذين ما لبثوا ان أعلنوا عزمهم **لمهاجمة المدن** المقدسة وتدميرها . وما ان وصل الامير حسين الكردي الى جدة حتى باشر ببناء سور ضخم ذي أبراج عالية حول مينائها . واشارت المصادر التاريخية الحديثة الى ان الامير حسين الكردي قد بالغ في بناء سور جدة حيث انه هدم كثيرا من بيوت الناس التي تقع بالقرب من موضع السور واستخدم عامة الناس في البناء زيادة على الاعداد الكبيرة من البنائين والنجارين وغيرهم من الفنيين الذين جلبهم معه الى جدة . واستطاع ان يتمم بناء بناء السور والابراج في اقل من عام وذلك في ذي الحجة من سنة ٩١٢ هـ/ ١٥٠٧ م .

ومن جدة توجه الكردي الى «سواكن» فاستولى على مينائها دون ان يقاوم أهلها واقام بعض الاستحكامات فيها من أجل تأمين البحر الاحمر ثم توجهت الحملة الى الموانيء اليمنية . فمرت بجيزان ثم بجزيرة كمران الى (المخا) بعدها استقرت بعض الوقت في ميناء عدن . بعد وصولها اليه في ربيع الآخر من عام ٩١٣ هـ/ ١٥٠٧ م .

وقد أوضح حسين الكردي لوالي عدن ان الغرض من الحملة التوجه الى الهند لمحاربة البرتغاليين كما طلب أن يمده بالطعام والمؤن اللازمة لذلك فأجابه الوالي لما أراد وأمر بأن يأخذ من عدن ما يحتاج اليه لانه أعطى وعودا سابقة للمماليك بمساعدة الاسطول المصري في حربه مع البرتغاليين وقد وصف المؤرخ اليمني أبو مخرمة الذي عاصر الفترة موضوع البحث الاستقبال الذي قوبل به حسين الكردي في عدن حيث قال «وفي الشهر المذكور ربيع الآخر سنة ٩١٣ هـ/

١٥٠٧ م) كان وصول الأمير حسين المصري في ثلاث بومات وثلاثة أغربة من جدة الى الجهات اليمانية ، ولم يعلم احد مقصوده حتى مر بباب المندب ، فلما قرب من مدينة عدن ، أرسل قاصدا من قبله في سنبوق الى الأمير مرجان الظافري ، يستاذن في الدخول الى (حقات) ، فاذن له . فدخل في غاية ما يكون من الأدب فلما استقربالبدر ، أرسل اليه الأمير مرجان بسؤاله ، النقيب عبدالقادر فرج النجاشي والنقيب جابر البعداني ، فلما وصلا اليه أكرمهما وكساهما ، وقال بلغا الأمير مني السلام وعرفاه ، لولا اني ماخوذ علي من قبل السلطان قانصوة ان لا أدخل عدن لدخلت ومثلت بين يديه ، ولكن لا يمكن مخالفة امر السلطان واستاذن في شحنه ما يحتاجه من الماء والحطب وغير ذلك . فاذن له الأمير مرجان بذلك » . وبعدها تحرل الاسطول المصري من مياه عدن واتجه الى الهند حيث وصل الى ميناء كجرات الهندي في اواخر سنة ٩١٣ هـ/ ١٥٠٧ م ، وتشير المصادر التاريخية الى ان سلطان كجرات مظفر شاه قد رحب بالأمير حسين الكردي حين قدومه وسرعان ما تعاونت معه أساطيل المسلمين في الهند ضد الوجود البرتغالي . واتحدت هذه القوى الاسلامية تحت قيادة الأمير حسين الكردي . وبعد ان اشتبك الاسطولان في معركة بحرية تمكن حسين الكردي من تحقيق انتصار رائع على الاسطول البرتغالي في موقعة شول البحرية ((Chaul) (*) سنة ٩١٣ هـ/ ١٥٠٨ م ويذكر ان في هذه المعركة كان لورنزوا قائد الاسطول البرتغالي من بين القتلى مما أثار غضب والده فرانسسكو دالميدا ودفعه الى ان يقسم قسما كبيرا للانتقام من المسلمين لمقتل ولده وأعد عدته وخرج على رأس اسطول برتغالي مكون من تسع عشرة سفينة واشتبك مع الاسطول المصري وحلفائه في موقعة ديو البحرية في الثالث من شباط عام ٩١٥ هـ/ ١٥٠٩ م دمرت فيها معظم السفن المماليكية والهندية المتحالفة ويذكر زين الدين في تفاصيل مهمة عن هذه المعركة ، ان الاسطول البرتغالي كان قد انتهز فرصة لجوء الاسطول المماليكي والاسطول المتحالف الى جزيرة ديو للتموين ولاصلاح بعض سفنهما ، وقام بمفاجاتهما من الخلف وحدثت معركة بحرية ضارية انتصر فيها البرتغاليون وقتلوا الكثير من بحارة الأمير حسين الكردي وارغموه على الانسحاب بما تبقى من سفنه والعودة الى جدة لتقوية تحصيناتها وحماية المقدسات الاسلامية حيث انهم كانوا يتوقعون وصول البرتغاليين الى البحر الأحمر

وقد اختلف المؤرخون في تحليلهم لهزيمة الامير الكردي امام البرتغاليين في معركة ديو رغم الانتصارات التى حققها في موقعة شول التى سبقتها بعام تقريبا فقد أشار المليباري في تحفة المجاهدين الى ان سبب ذلك يكمن في الغرور الذى أصاب حسين الكردي وجعله يرفض الاستماع الى نصيحة حاكم ديو الذى اشار عليه بعدم الخروج الى عرض البحر لملاقاة البرتغاليين بل الانتظار في مياه ديو لحماية ظهور السفن كما يشك المليبارى بخيانة حاكم ديو (مالك اياس) لحليفه حسين الكردي واتصاله بالبرتغاليين

(*) **يقع ميناء شول (Chaul) على الشاطىء الغربي للهند الى الجنوب من سلطنة كجرات وكان يتبع مملكة الدكن الاسلامية**

بشكل سري . ومما يؤيد شكوكه ان البرتغاليين لم يتعرضوا لسفن مالك اياس بسوء بل ركزوا هجومهم على السفن المصرية . كما انه قام بتسليم كل الذين كان حسين الكردي قد قبض عليهم وحبسهم من البرتغاليين زيادة على ارساله الهدايا الى دالميدا من المؤن والذخائر الى الاسطول البرتغالي [١١]

أما المؤرخ البرتغالي باربوسا (Barbosa) فقد علل لجوء حاكم ديو (مالك اياس) الى عقد معاهدة الصلح مع البرتغاليين بسبب ضعفه وإدراكه للأمر الواقع بعد ان اخذ بعين الاعتبار مصلحة بلده لذلك سارع في ارسال رسله الى (دالميدا) ليعبر فيها عن رغبته في السلام [١٢]

وبعد ان تحقق للبرتغاليين الانتصار على المصريين في موقعة ديو البحرية زاد نشاطهم في المحيط الهندي ووضعوا أيديهم على مصادر التوابل واحتكروا التجارة هناك وأخذت سفنهم تراقب مداخل البحر الأحمر لمنع السفن الاسلامية من الدخول أو الخروج منه بعد ان تيقنوا من ضعف الاسطول المملوكي وعمدوا الى الاعتداء على المناطق العربية في عدن والبحر الأحمر [١٣]

لم تثن عزيمة المماليك الهزيمة التي لحقت بهم في موقعة ديو البحرية عام ٩١٥ هـ/ ١٥٠٩ م بل سعى السلطان الغوري لانشاء اسطول بحري ثان لمواجهة هذا الموقف المتطور ، ومن أجل ذلك اتصل باطراف مختلفة لاعانته في اعداد حملة السويس الثانية ، ففي ايلول من عام ١٥١٠ م اتصل السلطان الغوري بالبنادقة لحاجتهم حول امداده بالأخشاب والأسلحة والمعدات اللازمة لبناء سفن الاسطول المصري الجديد ، وبعد ان أرسل البنادقة هذه الامدادات اعترضها فرسان القديس يوحنا وأحرقوا بعضها واستولوا على البعض الآخر ولم تصل الى مصر سفينة واحدة من هذه السفن [١٤] كما اتصل قانصوة الغوري بالسلطان العثماني بايزيد الثاني (١٤٨١ - ١٥١٢ م) من أجل ان يشتري من العثمانيين ما يحتاجه من أخشاب وأدوات لبناء الاسطول المصري [١٥] وفي شوال من عام ٩١٦ هـ/ ١٥١١ م استجاب السلطان بايزيد العثماني لطلب قانصوة الغوري ووصلت الى مصر سفن عثمانية عدة وهي تحمل الأخشاب والحديد والبارود والبنادق والكاحل والمجاذيف والسهام والحبال والمراسي وغير ذلك من عتاد الحرب ، وكان مضافا اليها نحو ألفين من البحارة العثمانيين بقيادة سلمان الريس للمساعدة في اعداد الاسطول في ميناء السويس والمشاركة في الحملة البحرية المنتظرة الى الهند [١٦] . ويشير ابن اياس في حديثه عن حملة السويس الى اهتمام السلطان الغوري بسلمان الريس وجماعته . فقد ذهب الى السويس بنفسه للاحتفال بانزال سفن الاسطول الى البحر ، ووصف ذلك بقوله «وكان هناك الريس سلمان العثماني وجماعة من العثمانية البحارة (*) فقصد السلطان اظهار العظمة لأجل جماعة ابن

(*) ينسب ابن اياس أصل هؤلاء البحارة الذين أرسلهم السلطان العثماني والذين رافقوا سلمان الريس الى عثمانيين ومغاربة وان خمسمائة منهم كانوا من المماليك واولاد الناس (ابن اياس بدائع الزهور ، حـ ٤ ، ص٤٦٠) .

عتمان حتى قيل «دخل العسكر الى السويس وهو لابس آلة الحرب وكانت جماعة ابن عتمان هناك نحو ألفي انسان .»

وتشير بعض المصادر التاريخية الى ان المماليك كانوا يديمون الصلة بأمراء الممالك الاسلامية في الهند وكانوا يثيرون حماسهم الديني من أجل التعاون معهم ومساعدتهم في تحصين مدينة جدة وحماية المقدسات الاسلامية التى كان البرتغاليون يهددون باستمرار بالوصول اليها وتدميرها . وقد اسفرت هذه المساعي عن قيام سلاطين الممالك الاسلامية في الهند بتقديم كميات كبيرة من التوابل والاقمشة وغيرها من منتجات «كامباي» شحنت هذه المساعدات على متن ثلاثة مراكب من الهند الى جدة مساهمة منهم في تقوية سور جدة وتحصينها وحمايتها من التهديد البرتغالي

وزيادة على ذلك كان دخول الاسطول البرتغالي الى البحر الأحمر سنة ٩١٩ هـ/ ١٥١٣ م قد أثار مخاوف القوى المحلية والاسلامية وأحدث رد فعل عنيفا في المنطقة ، مما دفع أمير مكة الشريف بركات للتوجه الى جدة ومخاطبة الغوري وابلاغه بخطورة الموقف والطلب منه الاسراع في ارسال الامدادات الى جدة لمنع نزول البرتغاليين اليها .

ونتيجة للحصار الذى فرضه البرتغاليون على عدن والبحر الأحمر بعد دخولهم المنطقة ومحاصرتها فقد حدثت تطورات وأضرار كبيرة في الاقتصاد المصري وأصبحت تجارة المماليك تواجه ظروفا صعبة ومعقدة أشار ابن اياس اليها في حوادث سنة ٩٢٠ هـ حيث قال «وكان في تلك الأيام ديوان المفرد وديوان الدولة وديوان الخاص في غاية الانشجاب والتعطيل ، فان بندر الاسكندرية خراب لم تدخل اليه البضائع في السنة الحالية وبندر جدة خراب نحو من ست سنين»

وفضلا عما ذكرناه فان الاسطول المملوكي الذى أعده الغورى في السويس لمواجهة البرتغاليين وحماية البحر الأحمر قد انتهى من اعداده في بداية عام ٩٢١ هـ/ ١٥١٥ م ، وكان حصيلة ذلك العمل بناء عشرين سفينة حربية

وتتابعت الامدادات العسكرية الى قوات الأمير حسين الكردي ، حيث أرسل الغوري اسطولا اخر في حزيران من عام ٩٢٠ هـ/ ١٥١٤ م . والحقه باسطول ثالث في تموز من عام ٩٢١ هـ/ ١٥١٥ م بقيادة سلمان الريس ، وتجمعت كل القوات التى أرسلت من السويس في ميناء جدة وظلت فيها طوال شهر رمضان ، ثم أبحرت بعد عيد الفطر وفي السنة نفسها بقيادة الأمير حسين الكردي ويساعده الأمير سلمان الريس

لكن الحملة المملوكية التى كان هدفها ملاقاة البرتغاليين وطردهم من المنطقة واستعادة سيادتهم السياسية والاقتصادية في البحر الأحمر والمحيط الهندي قد فشلت وانتهى أمرها الى حدوث صراع مرير بين المماليك الجراكسة وبين السلطان اليمني عامر بن عبدالوهاب ، وفشل الاسطول المصري في التوجه الى الهند (٩١) .

ونتيجة لعوامل عديدة كانت قد واجهت

حملة المماليك وغيرت من سياستها واهدافها وجعلتها تتوقف عند عدن دون ان تواصل هجومها الى الهند ، وتغير سياستها العسكرية من سياسة هجومية الى سياسة دفاعية ، والمتبصر في هذا الأمر يجد ان بعض المصادر التاريخية التى تحدثت عن هذه الحملة ، حددت بعض الاتجاهات التى ادت الى تلك النتيجة واهم هذه الاتجاهات ما يأتي

١ ـ تأكيد بعض المصادر التاريخية على ان السبب الرئيسى في عدم تحقيق الأمير حسين الكردي هدفه بالوصول الى الهند هو الخلاف الذى وقع بينه وبين سلمان الريس ، الذى ادى الى انقسام الاسطول المملوكي بحيث توجه سلمان الريس الى زيلع ومنها الى جدة في حين عاد الأمير حسين الكردي الى جدة ، بعد مروره بالموانيء اليمنية الواقعة على ساحل البحر الأحمر ، ومما يستدل على خيانة سلمان الريس ، انفراده بقيادة الاسطول المرابط في جدة وتنفيذه أوامر السلطان سليم بالقبض على الأمير حسين الكردي واغراقه في البحر الأحمر أمام ميناء جدة [٩٢] وكان ذلك بعد استيلاء العثمانيين على مصر وقضائهم على دولة المماليك الجراكسة

٢ ـ أما العامل الثاني فهو عدم تعاون السلطان اليمني عامر بن عبدالوهاب ، الذى استنجد بالمماليك في بداية الأمر وخاصة بعد هجوم البوكيرك على عدن سنة ٩١٩ هـ/ ١٥١٣ م [٩٣] ولكنه سرعان ما تراجع عن الوفاء بعهده للغورى بتقديم المساعدات الى الاسطول المملوكي ورفض ان يتخذ الاسطول المصري قواعده في اليمن وكذلك احتجاز السفن الواردة بالمؤن ومنعها من الوصول الى الاسطول المصري في كمران [٩٤] . ونتيجة للأسباب السالفة الذكر قام الغوري بتحقيق ما يريده عن طريق القوة حيث وجه قواته المعدة لمحاربة البرتغاليين للقيام بالسيطرة على بعض الموانيء اليمنية ، بعدها استطاعت هذه القوات السيطرة على المدينة بعد ان لاقت مقاومة عنيفة من سكانها ، مما اضطرها الى الانسحاب من عدن في العام نفسه .

وفضلا عما ذكر من العوامل والاتجاهات التى عرقلت المماليك عن أداء مهمتهم في مواجهة البرتغاليين في الهند فان بعض المؤرخين يشكون في نزاهة الأمير مرجان الظافري حاكم عدن ويتهمونه بالخيانة بسبب عقده الاتصالات مع البرتغاليين واجابته لمطالبهم والتواطؤ مع سواريز قائد الاسطول البرتغالي وتسهيل مهمة دخوله البحر الأحمر الى الحد الذى عرض عليه مفاتيح المدينة [٩٥]

وخلاصة القول فان موقف المماليك في مصر تجاه الغزو البرتغالي كان ضعيفا بسبب جملة عوامل تعرضت لها دولتهم في بداية القرن السادس عشر الميلادي يمكن اجمالها بما يأتي

١) اضطراب الأوضاع السياسية لدولة المماليك بسبب الصراعات الداخلية بين الأمراء أنفسهم وحدوث الثورات في الاقاليم التابعة لهم وتعرض السواحل الشمالية لهجمات القراصنة الأوروبيين وعلى رأسهم «فرسان القديس يوحنا» الذين كانوا في جزيرة (رودس) [٩٦] .

وأشار ابن اياس الى ذلك واوضح بأن

قانصوة الغوري كان أثناء اعداده الحملة لمواجهة البرتغاليين في الهند قد أعد حملتين لاخماد ثورات العربان في الداخل احداهما أرسلها الى (الكرك) بالشام والأخرى أرسلها الى (ينبع) بالحجاز.

يضاف الى ما سبق ذكره من أسباب سوء الأحوال الاقتصادية لدولة المماليك بسبب تحول التجارة العالمية عن طريق البحر الأحمر والخليج العربي الى طريق رأس الرجاء الصالح وحرمان دولة المماليك من مصدر مهم من مصادر ثروتها

٢) والعامل الثاني الذى أثر على موقف المماليك من الغزو البرتغالي هو ان دولة المماليك تمتاز بكونها دولة برية وليست بحرية اذ كان المماليك فرسانا وليسوا بحارة . ولما كان الصراع بين الطرفين صراعا بحريا لذا استوجب من المماليك بناء اسطول حربي لمواجهة الموقف الجديد مع العلم ان دولتهم لم تكن تملك الأخشاب اللازمة لبناء هذا الاسطول . بل كانت تجلب الأخشاب والفنيين والصناع من الخارج ، وبشكل خاص من دولة البندقية التى كانت تعاني هي الأخرى من الوجود البرتغالي بسبب انتقال مركز الثقل التجاري الى طريق رأس الرجاء الصالح وتأثر مصالحها التجارية من جراء ذلك [١٩]

ومن خلال ما تقدم يتضح للباحث أن الجهود المتواضعة التى بذلها المماليك المصريون في مواجهتهم للخطر البرتغالي كانت بدوافع اقتصادية . اذ كان يدفعهم الى ذلك رغبتهم الشديدة في حماية تجارة الهند المارة عبر البحر الأحمر والتى كانوا يحصلون من وارداتها سنويا على أرباح طائلة وبشكل خاص تجارة التوابل

موقف اليمنيين من مواجهة الغزو البرتغالي

ان أهم القوى المسيطرة على البحر الأحمر والمحيط الهندي في مطلع القرن السادس عشر هي مصر في سواحل البحر الأحمر الشمالية واليمن في سواحله الجنوبية وقد تزامن وجود هاتين القوتين مع وصول البرتغاليين الى مياه المحيط الهندي والبحر الأحمر وتحويلهم تجارة الشرق الى طريق رأس الرجاء الصالح الذى أدى الى اضعاف دور البحر الاحمر التجاري والذى أضعف أيضا بدوره الاقتصاد المصري واليمني

وعند دراسة موقف أهل اليمن من الغزو البرتغالي الذى هدد مصالحهم التجارية نجد ان هذا الموقف كان يتصف بالضعف والتهاون الى الحد الذى يوصف بانه أقل ايجابية من موقف المماليك في مصر

ورغم ذلك فان اليمن اهتمت بالغزو البرتغالي ، ولكن امكانياتها البحرية كانت ضئيلة ، انها لا تملك اسطولا حربيا يقوى على مواجهة القوة البرتغالية ولم يقف اليمنيون مكتوفي الأيدي تجاه الغزو البرتغالي ، فقد أعد السلطان عامر بن عبدالوهاب في عام (٩١٢ هـ/ ١٥٠٧ م) حملة بحرية على الرغم من ضعف امكانيات اليمن الحربية والمالية ، وكانت هذه الحملة مؤلفة من أربع عشرة سفينة تحمل على ظهرها ستمائة مقاتل . وتشير المصادر التاريخية الى ان بعض رجال الحملة كانوا من الفقهاء وطلبة العلم الذين تطوعوا للجهاد ضد البرتغاليين . الا ان أخبار هذه الحملة البحرية لم يعرف عنها شيء

واغلب المؤرخين يعتقدون بان هذه الحملة الصغيرة وقعت فريسة سهلة للبرتغاليين في المحيط الهندي . غير ان المؤرخين يشيرون الى ان بعض سفن حملة عامر بن عبدالوهاب قد التحقت باسطول الأمير حسين الكردي في المحيط الهندي ومن المرجح ان هذه الحملة المتواضعة قد دمرت من قبل البرتغاليين في عرض المحيط الهندي وذلك لأن سفن هذه الحملة كانت عبارة عن سفن نقل عادية لا تتناسب مع السفن البرتغالية الحديثة ، التى تحمل المدافع والأسلحة النارية في الوقت الذى كان فيه اليمنيون يستعملون السلاح الأبيض في حروبهم حيث انهم لم يعرفوا بعد البنادق والرصاص .

وبالنظر لاهمية ميناء عدن التجاري وموقعه من مدخل البحر الأحمر فقد عزم البرتغاليون على الاستيلاء عليه ثم السيطرة على جدة من بعده ومن ثم تحقيق التحالف مع الحبشة لكسر شوكة المسلمين هناك وخططوا لتحقيق اهدافهم العدوانية التوسعية للسيطرة على عدن بعد ان تمت لهم السيطرة على جميع مراكز تجارة التوابل من (ملقا) الى هرمز الى سوقطرة

وفي عام ٩١٩ هـ/ ١٥١٣ وصلت السفن البرتغالية الى ميناء عدن حيث استولوا على السفن الراسية فيه وباشروا في قصف المدينة بنيران مدفعيتهم وقد اخاف هذا العمل حاكم عدن وخشي تدمير البلاد فارسل بعض الهدايا الى قائد الحملة وطلب منه عقد الهدنة الا ان البرتغاليين رفضوا طلب حاكم عدن مرجان الظافري وانذروه بتسليم المدينة وهددوه بالاستيلاء عليها بالقوة لكن أهل عدن رفضوا الاستجابة للتهديد البرتغالي واستبسلوا استبسالا رائعا للدفاع عن بلدهم بالهجوم على البرتغاليين الذين تسلقوا أسوار المدينة حيث أجبروهم على الهرب منها والعودة الى سفنهم خائبين دون ان يحققوا هدفهم بالاستيلاء على عدن .

وتشير بعض المصادر التاريخية الى ان السلطان عامر بن عبدالوهاب حاكم اليمن كان قد أرسل جنوده لمساعدة حامية عدن وان الأمير مرجان الظافري أمر بتحصين المدينة جيدا وكذلك طلب من اليمنيين عدم منازلة البرتغاليين في معركة بحرية نظرا لقوة الاساطيل البرتغالية وبعد ان فشل البرتغاليون في حملتهم هذه غطوا فشلهم بتدمير السفن الراسية في الميناء ثم انسحبوا بعدها نحو باب المندب

واورد ابن الديبع في حوادث ٩١٩ هـ/ ١٥١٣ م تفصيلات مهمة عن موقف اهل اليمن من الغزو البرتغالي حيث قال «وفي اثناء المحرم من سنة تسع عشرة وتسعمائة ، وصل العلم الى مولانا السلطان بقدوم ثمانية عشر مركبا الى بندر عدن فيها جمع عظيم من الافرنج . فجهز السلطان عسكرا الى ثغر عدن وأمر بالتخطيط والتحرز فيه وفي سائر البنادر . وامر بالقنوت عليهم بالصلوات الخمس وفي خطبة الجمعة فركب مرجان ولم يكن بها فارس غيره . فقاتلهم وقاتل معه أهل المدينة . فنالوا من المسلمين . ثم كانت الدائرة عليهم . فهزموا هزيمة منكرة وقتل منهم جماعة . فرجعوا منهزمين لا يلوون على أحد . وانكسر جمعهم واخذت دروعهم وسلاحهم وأصبح حزب الله هم الغالبون»

وبعد ان فشل البوكيرك في مهاجمة جدة عاد ثانية الى جزيرة كمران فبقى فيها أكثر من شهرين [116] ، ولما تعذر عليه الاتصال بحلفائه الاحباش المسيحيين عمل خطته التدميرية في موانىء البحر الأحمر التى وصلها في عودته حتى وصل عدن ثانية فضربها بالمدفعية [117] ، الا ان أهلها أبدوا بطولة رائعة وشجاعة فائقة وحماسا شديدا في الدفاع عنها ، وأكد ذلك ابن الديبع في الفضل المزيد بقوله «... ثم انهم نزلوا ليلاً في السنابيق ففطن بهم أهل عدن ، فخرجوا لهم خفية وثاروا عليهم فهزموهم وقتلوا منهم جماعة وجرحوا اخرين فلما انقطع رجاءهم من المدينة وتحققوا ان حزب الشيطان لا يقاوم حزب الرحمن رحلوا خائبين » [116] واستطرد ابن الديبع في وصفه شجاعة أهل اليمن وبطولتهم اذ قال «وقد استعد أهل عدن بسلاحهم ورتبوا في الساحل ، فنزلوا من سنابيقهم الى العراء رجاله مستعدين للحرب بالسلاح وغيره فلما نزلوا بالساحل ثار عليهم المسلمون من كل جانب وضربت المدافع من البلد ومن مراكبهم وكانت صيحة عظيمة وفتنة قوية فنصر الله المسلمين » [118]

وعلى اثر هذه المقاومة التى نظمها الأمير مرجان الظافري ضد الغزو البرتغالي في عدن فقد خابت أمال البوكيرك وفشلت أهدافه العدوانية التى كان يسعى بموجبها الى التنكيل بالمسلمين من جهة وارضاء الأحباش الذين أراد ان يكونوا عملاء تجاريين في منطقة البحر الأحمر من جهة ثانية .

وكان لأهل عدن تاريخ يذكر في مقاومة الحملة البرتغالية التى قادها لوبو سواريز (Lopo Soares) عام ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م ، والتى استغل فيها البرتغاليون الصراع الذى كان قائما بين المماليك وحاكم اليمن ، كما انهم كانوا على علم بالأضرار البالغة التى لحقت بحامية عدن وبتحصيناتها الدفاعية من جراء هذا الصراع فعند وصول حملة سواريز الى سواحل ميناء عدن أعلن انه جاء لمساعدة أهل اليمن ضد المماليك الجراكسة [119] . وبعد ان وصل الى ميناء عدن ، اجتمع الأمير الظافري بوجهاء مدينة عدن وبعد التشاور معهم اتفقوا على تسليم المدينة للبرتغاليين حفاظا عليها من الدمار والخراب وكذلك لأرواح سكان عدن [120] واذا كان هذا القول صحيحا فان تفسيره يعزى لثلاثة أسباب لا بد من ذكرها

١) استياء أهل عدن من المماليك الذين دمروا تحصينات المدينة بمحاولاتهم المتكررة لغزو عدن وتخريبها ، وانهم أرادوا من تحالفهم مع البرتغاليين ازعاج المماليك واغاظتهم ، كما ان هناك احتمالا ، مفاده ان أهل عدن كانوا يفضلون ان يجابهوا عدوا واحدا من ان يجابهوا عدوين قويين

٢) ربما ان الأمير مرجان الظافري كان يعرف ان اهتمام البرتغاليين ليس بمدينة عدن فقط وانما الاندفاع داخل البحر الأحمر للوصول الى مدينة جدة وتدميرها لذلك عمد الى اتباع سياسة المهادنة لاستغلال الوقت واكمال تحصينات المدينة والاستعداد للدفاع عنها ، كما حصل فيما بعد

٣) اما الاحتمال الأخير فهو أن مرجان

عرض تسليم عدن على البرتغاليين ليثير المصريين ويدفعهم الى القيام بهجوم قد يحطم قوى الطرفين أو على الأقل يحطم طرفا ويضعف الطرف الآخر فيستطيع مرجان ان يقاوم الطرف المنتصر بعد اعادة تحصينات عدن

ومن جانب اخر تشير بعض المصادر التاريخية ان الظافري استقبل البرتغاليين والدموع في عينيه من الذل والقهر . ولكن لوبو سواريز جعل المدينة بيد الظافري واجل الاستيلاء عليها الى حين رجوعه من جدة وفي هذه الاثناء استغل الامير مرجان الظافري فرصة انشغال البرتغاليين في مطاردة الاسطول المصري داخل البحر الاحمر وعمل جاهدا على تقوية تحصينات الميناء واصلاح ما ضربه الاسطول المصري كما انه استطاع تعبئة رجال القبائل من المناطق المحيطة بعدن وتنظيمهم للدفاع عنها . فضلا عن ذلك فقد وصلت النجدة العسكرية من مدينة السحر

وعند عودة سواريز الى عدن بعد فشله في مهمته طلب من الظافري تسليم المدينة الا ان هذا الأخير رفض طلب سواريز وهو واثق من قوة مواقعه الدفاعية ، لذلك غادر سواريز عدن الى ميناء بربرة الصومالية واحرقها تغطية لفشله الذريع في حملته ..

يلاحظ مما تقدم انه تم للبرتغاليين خلال هذه الفترة السيطرة على مصادر التجارة في الهند . جزر الهند الشرقية وساحل افريقيا الشرقية . كما انهم نجحوا في نقل المعركة البحرية الى المناطق العربية نفسها سواء أكانت في الخليج ام في البحر الأحمر . كما ان جهود هذه القوى المحلية من مماليك ويمنيين قد انتهت بالفشل في ايقاف النشاط البرتغالي البحري او منع تحول التجارة الى طريق راس الرجاء الصالح وانتهى صراع القوى المحلية الى فقدان مصر واليمن استقلالهما ووقوعهما تحت السيطرة العثمانية

الهوامش

(١) زين الدين المليباري «تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين» (لشبونة ـ ١٨٩٨ هـ) ص٣٧
(٢) المصدر السابق ، ص٢٢
(٣) المليباري المصدر السابق ، ص٣٧
(٤) صفوت بك «وثائق تركية» ص٣
(٥) المصدر السابق ، ص١٦
(٦) محمود السمرة «الصراع بين العرب والبرتغاليين في شرق افريقيا» مجلة العربي الكويت العدد/ ٥٩ سنة ١٩٦٣ ، ١٣٢
(٧) صفوت بك المصدر السابق ، ص١٦
(٨) جواد دى بروس «الوثائق البرتغالية» العشارية التانية ـ القسم الأول ص١
(٩) عبدالعزيز محمد الشناوي «معالم الوجود البرتغالي في شرقي الجزيرة العربية» لجنة تدوين تاريخ قطر ـ حـ٢ ـ ١٩٧٦ ـ ص٦٢٥
(١٠) Serjeant : Ibid, p. 42
(١١) صفوت بك المصدر السابق ، ص٦ . أنظر أيضا عبدربه المصدر السابق ص٣٠٧
(١٢) Serjeant, Op, Cit, p.169
(١٣) شهاب «فن الملاحة عند العرب» ص٤٦
(١٤) Serjeant : Op, Cit, p.169
(١٥) الغول المصدر السابق ، ص١٠٨
(١٦) محمود المصدر السابق ، ٢٢١
(١٧) Serjeant : R.B : OP, Cit, p.14
(١٨) Ibid : P.110
(١٩) Serjeant: R.B. Ibid,P.136

(٢٠) محمود السمرة المصدر السابق . ص١٣٣
(٢١) جوا دي بروس «الوثائق البرتغالية» الفصل التاني ص٩١ ـ ٩٤ ، ٩٥ ـ ١٢٢ .

(٢٢) Serjeant : R.B : Ibid, P. 110.
(٢٣) شارل ديل «البندقية جمهورية ارستقراطية» ص١٤٨ ـ ١٤٩
(٢٤) شارل ديل المصدر نفسه ، ص١٤٩
(٢٥) Serjieant : R.B : OP, Cit, P. 112.
(٢٦) سالم المصدر السابق . ص٥٣
(٢٧) أبو محزمه «تاريخ عدن» حـ١ (ليدن ـ ١٩٣٦) ص١٢ ـ ١٣
(٢٨) المصدر نفسه . ص١٦ ـ ١٧
(٢٩) احمد دراج «المماليك والافرنج» ص١٥٥
(٣٠) Duarto Barbosa: Adesscription of the coast of East Africa and Malabar in the beginning of the Sixteenth century, Translated by Henry E.J. Stanley (London - 1918) P. 50.
(٣١) IBID, P, 51.
(٣٢) Serjeant : OP, Cit, P. 169.
(٣٣) صفوت بك «الوثائق التركية» ص٨
(٣٤) سالم المصدر السابق . ص٧٣
(٣٥) صفوت بك المصدر السابق ص١٢
(٣٦) قاسم المصدر السابق ، ٢١٦
(٣٧) Serjeant : R.B : Ibid, P. 169.
انظر كذلك محمود المصدر السابق . ٢٢٣
(٣٨) قاسم المصدر السابق ، ٢١٦
(٣٩) سالم المصدر السابق . ص٨٩
(٤٠) Serjeant, R.B OP, Cit, P. 170.
كدلك قاسم المصدر السابق ص٢١٧
(٤١) Serjeant, R.B : Ibid, P. 170.
انظر أيضا السمرة المصدر السابق ص١٣٢
(٤٢) صفوت بك المصدر السابو ص٣
(٤٣) Bell, OP, Cit, P. 415.
(٤٤) Serjeant, OP, Cit, P. 16.
(٤٥) Serjeant, Ibid, P. 16.
(٤٦) Bell : OP, Cit, P. 415.
(٤٧) التساوي المصدر السابق . ص٦٣٥
(٤٨) Serjeant : OP, Cit, P. 2.
(٤٩) سوبيا هاو المصدر السابق ، ص١٠٧
(٥٠) تسارل ديل «البندقية جمهورية ارستقراطية» ص١٤٧

(٥١) ابن اياس «بدائع الزهور» حـ٤ . ١٩٨
(٥٢) دراج المصدر السابق . ١٣٧
(٥٣) سالم المصدر السابق . ٦٠
(٥٤) ابن اياس المصدر السابق . ١٩٨
(٥٥) المليباري المصدر السابق . ص٣٨
(٥٦) المليباري المصدر السابق . ص٤٠ انظر ايضا Barbosa, OP, Cit, P. 47

(٥٧) النهروالي المصدر السابق . ص١٩
(٥٨) ابن اياس بدائع الزهور حـ ٤ . ١٨٢
(٥٩) سالم المصدر السابق . ص١٦
(٦٠) ابن اياس المصدر السابق . ص٨٥
(٦١) النهروالي البرق اليماني . ص١٠
(٦٢) ابن اياس المصدر السابق . ص٩٦
(٦٣) المصدر نفسه . ص٩٦
(٦٤) المصدر نفسه . ص٨٤ ـ ٩٦
(٦٥) The Itinerary Ludovico de varthema of Bologna from 1502-1508, translated from the Original Italian, John Winter Jones (London - 1928 P.18).
انظر كذلك محمود المصدر السابق . ص٢٢٥
(٦٦) ابن اياس «بدائع الزهور» حـ ٤ ص٩٦
(٦٧) ابو محزمة «البحر الاحمر والمحاولات البرتغالية الاولى للسيطرة عليه» ص١٠٣ . انظر كذلك ابن الديبع «قرة العيون باخبار اليمن الميمون» حققه وعلق عليه محمد بن علي الخوالي (القاهرة ـ ١٩٧٧) حـ ٢ . ص٢١١
(٦٨) سالم المدر السابق . ص٦٢
(٦٩) ابو محزمة المصدر السابق . ص١٠٩
(٧٠) المصدر نفسه . ص١٠٨
(٧١) النهروالي البرق اليماني في الفتح العتمانى ص٣٠
(٧٢) ابن اياس «بدائع الزهور» حـ ٤ . ص١٤٢
(٧٣) المليباري المصدر السابق ص٤٠ ـ ٤١
(٧٤) فهمى المصدر السابق . ص٣٠ ـ ٩١
(٧٥) المليباري المصدر السابق . ص٤١
(٧٦) ابن اياس «بدائع الزهور حـ ٤ ص٢٨٦ انظر كذلك احمد دراج المماليك والافرنج» ص١٣٧ ـ ١٣٨ وسعيد عاشور العصر المماليكى في مصر والشام ص١٧٨
(٧٧) المليباري المصدر السابق . ص٤١

(٧٨) المصدر نفسه

(٧٩) Barbosa : OP, Cit, P. 61.

(٨٠) Stripling, G., W.F: The Ottoman Turks and the Arabs, 1511-1574. U.S.A. Urpana, University, of Illinos Press, 1942, P.31.

(٨١) ابن اياس «بدائع الزهور» حـ ٤ ، ص١٩١ ـ ١٩٢

(٨٢) ابن اياس «بدائع الزهور» حـ ٤ ، ص١٩٦

(٨٣) ابن اياس «بدائع الزهور» حـ ٤ ، ص٢٠١

(٨٤) المصدر نفسه ، حـ ٤ ، ص٣٦٥ .

(٨٥) جوا دي بروس «الوثائق البرتغالية» العشارية الثانية ـ الجزء الأول ، الفصل الثالث . ص٢٤ ـ ٤١

(٨٦) ابن اياس «بدائع الزهور» ، حـ ٤ ، ص٣٠٧ ـ ٣٠٨ ـ ٣١٠

(٨٧) المصدر نفسه . حـ ٤ ، ص٣٥٩

(٨٨) ابن اياس «بدائع الزهور» ، حـ ٤ ، ص٣٦٥ .

(٨٩) ابن اياس «بدائع الزهور» حـ ٤ ، ص٤٦٦ .

(٩٠) صفوت بك المصدر السابق ، ص٣ .

(٩١) ابن الديبع «قرة العيون» حـ ٢ ص٢٢٤ ـ ٢٢٦ ، أيضا النهروالي البرق اليماني

(٩٢) النهروالي البرق اليماني ، ص٢٦ ـ ٢٧

(٩٣) سالم المصدر السابق . ص٨١

(٩٤) النهروالي المصدر السابق ، ص٢٠ ـ ٢٣

(٩٥) صفوت بك المصدر السابق ، ص٤

(٩٦) ابن اياس «بدائع الزهور» ، حـ ٤ ص٢٢٠ انظر أيضا سالم المصدر السابق . ص٧٦

(٩٧) المصدر نفسه ، حـ ٤ ، ص٨٢

(٩٨) Stripling : Op, Cit, P. 32.

(٩٩) Tome Pires : Op, Cit, P. 5.

(١٠٠) Mr, Abir : Ethiopa And The Bed Sea, London, 1980, P— 110.

(١٠١) Ibid : P. 112.

(١٠٢) ابن الديبع «قرن العيون بأخبار اليمن الميمون» ص٢١١ .

(١٠٣) سالم المصدر السابق . ص٥٨ ـ ٥٩

(١٠٤) نفس المصدر والصفحة

(١٠٥) Abir : OP, Cit, P. 112.

(١٠٦) سالم المصدر السابق . ص٥٩

(١٠٧) حمزة علي ابراهيم لقمان ««تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية» دار مصر

للطباعة ، ١٩٦٠ ، ص١٢١ .

(١٠٨) شارل ديل البندقية جمهورية ارستقراطية) ص١٤٩ .

(١٠٩) أبو محزمة المصدر السابق ، ص١٢ ـ ١٣ .

(١١٠) المصدر نفسه ، ص١٦ ـ ١٧ .

(١١١) Tome Pires : OP, Cit, P. 15.

(١١٢) لقمان المصدر السابق ، ص١١٧ .

(١١٣) نفس المصدر والصفحة .

(١١٤) أبو محزمة المصدر السابق ، ص١١٩ .

(١١٥) Serjeant : OP, Cit, P. 170.

(١١٦) لقمان المصدر السابق ، ١١٨ .

(١١٧) أبو محزمة المصدر السابق ، ص١٢٥

(١١٨) المصدر نفسه ١٢٦ .

(١١٩) شهاب فن الملاحة عند العرب ، ص٤٨

(١٢٠) بامطرف المصدر السابق ، ص٥٥ .

(١٢١) شهاب المصدر السابق ، ٤٩

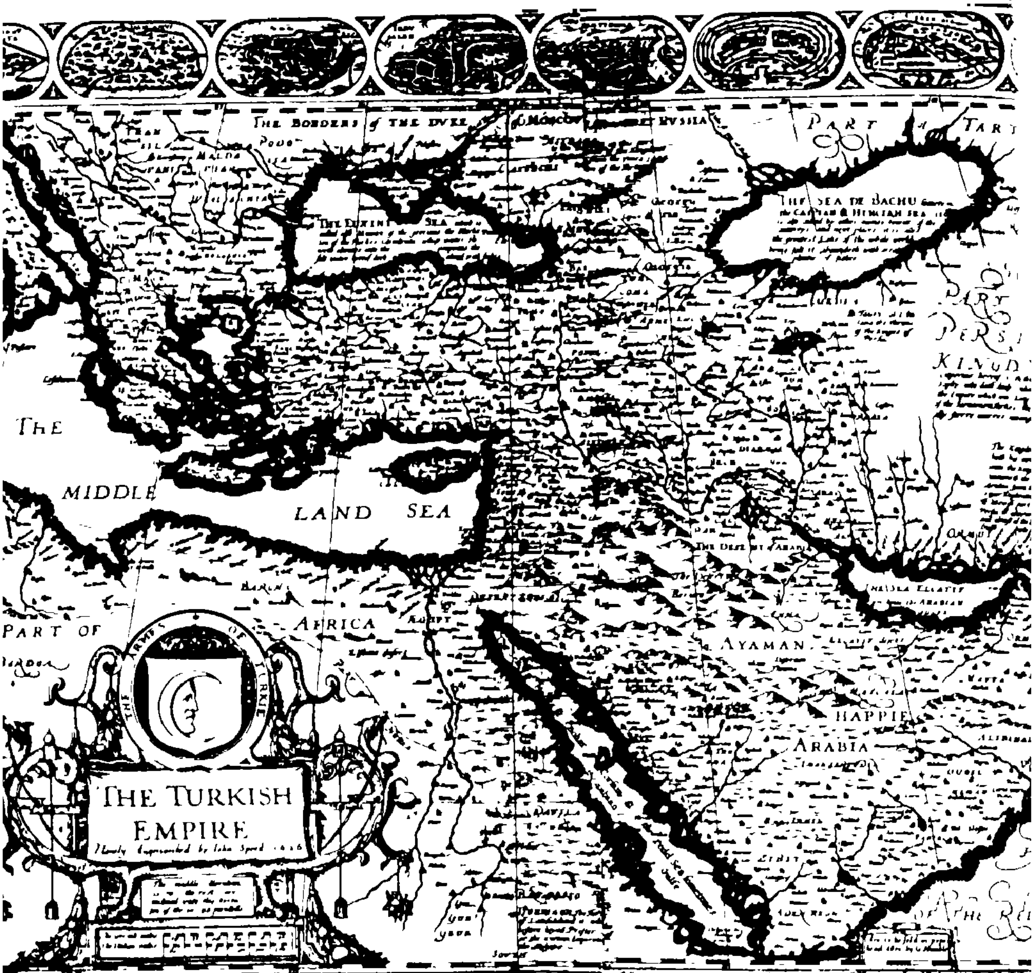
(١٢٢) بامطرف المصدر السابق ، ص٥٦



التوجه العثماني نحو الخليج العربي من خلال محمد علي

اعداد دكتور/
رأفت غنيمي الشيخ (مصر)

يرتبط التوجه العثماني من خلال محمد على باشا وأسرته نحو الخليج العربي بالتوجه العثماني بواسطة حملات محمد على وأبنائه على الحجاز ونجد والتي استغرقت الفترة من ١٢٢٦ ـ ١٢٣٤ هـ الموافق من ١٨١١ ـ ١٨١٨ م . وذلك أن الدولة العثمانية ضمت الحجاز الى ممتلكاتها بعد أن غزت مصر عام ٩٢٣ هـ ،



الموافق لعام ١٥١٧ م وان ظل يخضع لنظام الاشراف القائم هناك منذ القرن الرابع الهجري ، حتى نجح الأمير سعود الكبير في استخلاصه من سيطرة العثمانيين في عام ١٢١٨ هـ ـ١٨٠٣ م بالنسبة لمكة المكرمة وفي عام ١٢٢١ هـ الموافق لعام ١٨٠٦ م ، بالنسبة للمدينة المنورة .

وأما نجد فلم تدخلها قوات عثمانية حيث لم يكن بها من الاغراءات ما يشجع العثمانيين على اقتحامها ، بسبب صحراوية نجد وسيطرة النظام القبلي بها بالاضافة الى كونها منطقة داخلية لا توجد بها تجمعات سكانية الا حيث توجد المياه والمراعي وقد ظلت نجد تعيش في ظل نزاعات قبلية وعدم استقرار حتى نجح التحالف بين محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود في النصف الثاني من القرن

الثامن عشر الميلادي في توحيدها تحت حكم آل سعود وفي ظل دعوة التوحيد السلفية

وبالنسبة للاحساء فقد دخلها جيش عثماني قادم من البصرة عام ٩٦٣ هـ ، الموافق لعام ١٥٥٥ م في عهد السلطان سليمان القانوني ثم استخلصها من العثمانيين براك بن غرير بن عثمان بن سعود آل حميد من بني خالد عام ١٠٨١ هـ الموافق لعام ١٦٧٠ م وطرد الحامية العثمانية منها وظلت السلطة في أيدي بني خالد حتى دخلت الاحساء تحت حكم آل سعود في ظل دعوة التوحيد الاصلاحية عام ١٢٠٧ هـ الموافق لعام ١٧٩٢ م .

وهكذا نجد أن التوجه العثماني من خلال محمد علي وأسرته نحو الجزيرة العربية والخليج العربي جاء بعد أن انتشرت دعوة التوحيد السلفية في الاحساء والحجاز ، ومن ثم كان على العثمانيين التعامل مع هذه الدعوة ورعاتها ال سعود

وعندما فشل باشوات بغداد ودمشق في القضاء على دولة آل سعود الاولى نظرا لقوتها الروحية لجأ العثمانيون الى باشا مصر محمد على لكي يقوم بهذه المهمة وذلك منذ عام ١٢٢١ هـ الموافق لعام ١٨٠٦ م ، وكان هدف العثمانيين ضرب عصفورين بحجر واحد بالتخلص من محمد على الذي اختاره زعماء الشعب المصري التقليديين وأعني بهم رجال الازهر والاعيان ، والتخلص من الدولة السعودية العربية راعية دعوة التوحيد السلفية .

وقد استمرت حملات محمد على باشا وولديه طوسون وابراهيم على الحجاز ونجد في الفترة من عام ١٢٢٦ـ عام ١٢٣٤ هـ الموافق لعام ١٨١١ ـ ١٨١٨ م كما ذكرنا ـ وانتهت بسيطرة محمد على ـ باسم السلطان العثماني ـ على كل من الحجاز ونجد وسقوط الدرعية عاصمة ملك آل سعود في يد ابراهيم باشا وانتهاء الدولة السعودية الاولى التي استمرت قرابة ٧٥ عاما من ١١٥٧ هـ الموافق لعام ١٧٤٣ م ـ وهو عام التحالف بين محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود ـ حتى عام ١٢٣٤ هـ الموافق لعام ١٨١٨ م.

كان لنجاح حملات محمد عليه في الحجاز ونجد في تحقيق مطالب السلطان العثماني بأسقاط دولة آل سعود في الجزيرة العربية عدة نتائج منها ما هو خاص بمحمد على نفسه حيث زادت مكانته واتسعت آماله في ضم الشام الى ملكه ، ومنها ما هو خاص بمشيخات الخليج العربي حيث تطلع الباشا العثماني حاكم مصر بأنظاره تجاه هذه المشيخات ، وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه من أن التوجه العثماني من خلال محمد على نحو مشيخات الخليج العربي كان نتيجة

منطقية وثمرة من ثمار الوجود العثماني في الحجاز ونجد .

لماذا التوجه العثماني نحو الخليج العربي

ان تساؤلنا عن لماذا حدث التوجه العثماني من خلال محمد علي نحو الخليج العربي يتطلب منا مناقشة الاهداف التي سعت اليها الدولة العثمانية في هذا الوقت المبكر من القرن التاسع عشر الميلادي ، ذلك أن الدولة السعودية الاولى نجحت قبل هذه السنوات في نشر مبادىء دعوة التوحيد السلفية في انحاء متفرقة من الجزيرة العربية .

ولم تكن الدولة العثمانية تهتم بما حدث داخل الجزيرة العربية حيث لم تكن لها ممتلكات هناك ، ولكن عندما امتد النفوذ السعودي الى شواطىء الخليج العربي وجنوب العراق ، بدأ القلق يحرك الدولة العثمانية نحو طموح الدولة السعودية فكلفت سليمان باشا الكبير (بيوق) والى العراق بمحاربة السعوديين فأرسل حملتين لمحاربة آل سعود في الاحساء عام ١٢١٧ هـ الموافق عام ١٨٠٢ م ، وحملة ثالثة ضدهم في القصيم .(١)

وعندما امتد نفوذ آل سعود الى الحجاز أوائل القرن التاسع عشر - كما سبق أن ذكرنا - في عهد الامير سعود الكبير ازداد قلق الدولة العثمانية خاصة وأن السلطان العثماني يتخذ لنفسه لقب خليفة المسلمين وحامي حمى الحرمين الشريفين (بمكة المكرمة وبالمدينة المنورة) .

وازاء القلق العثماني من الوجود السعودي بمنطقة الحجاز فقد كلف السلطان العثماني والي مصر محمد علي باشا بالتعامل مع السعوديين لكسر شوكتهم واستخلاص منطقة الحجاز منهم واعادتها مرة أخرى تحت السيطرة العثمانية .

كما أن التوسع السعودي في منطقة الخليج العربي دفع العثمانيين الى القلق من ناحية السعوديين . ذلك أن الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود غزا الأحساء في عام ١١٧٦ هـ الموافق لعام ١٧٦٢ م حيث حقق من ورائها عدة مكاسب عسكرية ومالية ، ولكن الصراع استمر بين آل سعود وبين بعض زعماء الاحساء وجيش من باشوية بغداد ، كان النصر في النهاية لصالح آل سعود الذين أكدوا سيطرتهم على الاحساء حتى مجيء قوات محمد علي باشا .(٢)

وأما قطر فان أهلها وخاصة من قبائل آل مسلم وآل حسن والمعاضيد وغيرهم رحبوا بدعوة التوحيد السلفية عندما قام القائد السعودي ابراهيم

بن عفيصان في عام ١٢٠٧ هـ الموافق لعام ١٧٩٢ م بغزو قطر ومعه جماعة من أهل الخرج والفرع (٣)

كما رحب سكان واحة البريمي في عمان بدعوة التوحيد السلفية ، وقد لقيت قوات ال سعود المتجهة الى عمان التاييد من جماعتين . الجماعة الأولى بعض القبائل التي تقبلت تعاليم المذهب الوهابي (دعوة التوحيد السلفية) والجماعة الثانية الزعماء المعارضون لحكم دولة البوسعيد في عمان . وقد اعتنق مبادىء الدعوة الوهابية قبائل القواسم وبنى النعيم وبنى كعب وبنى قتب وان ظلت قبيلة بنى ياس متمسكة بمذهبها المالكي (٤)

وعندما وصل ابراهيم بن سليمان بن عفيصان عام ١٢١٠ هـ الموافق عام ١٧٩٥ م رسول آل سعود الى البريمي رحبت به قبائل بنى النعيم حيث اعتبرت البريمي قاعدة ينطلق منها نشاط رسول آل سعود لنشر نفوذ الدولة السعودية في بقية مشيخات الخليج حتى جزر البحرين ، وان كان آل سعود قد فشلوا في اخضاع الكويت لسيادتهم بعد معارك بين الطرفين امتدت من عام ١٢٠٨ هـ الموافق لعام ١٧٩٣ م الى عام ١٢١٩ هـ الموافق لعام ١٨٠٤ .(٥)

وبالنسبة لعلاقة آل سعود بآل سعيد في مسقط ، فقد اتسمت بالعداء حيث دارت معارك دامية بين سلطان مسقط «سعيد بن سلطان» وبين قائد آل سعود وممثلهم في البريمي مطلق المطيري استغرقت السنوات من ١٢٢٦ - ١٢٢٨ هـ الموافق من ١٨١١ - ١٨١٣ م. واذا كان مطلق المطيري قد نجح في غزو سلطنة عمان واكتسح أقاليم مسقط وشرقي صحار وجعلان وضم الى جانب الدولة السعودية قبيلتين من القبائل الكبرى في شرقي عمان هما القواسم وبنو على بعد أن اعتنقت هاتان القبيلتان دعوة التوحيد السلفية ، فان هذه الانتصارات انتهت دون عائد كبير ، اذ لقى مطلق المطيري مصرعه في نهاية عام ١٢٢٩ هـ الموافق لعام ١٨١٣ م . كما توفي أمير الدرعية سعود الكبير عام ١٢٣٠ هـ الموافق لعام ١٨١٤ م وكان زعيما ذا كفاءات سياسية وادارية كبيرة .(٦)

أما البحرين فقد ارسل الأمير سعود الكبير جيشا بقيادة ابراهيم بن عفيصان لمساعدة آل خليفة في تخليص البحرين من صاحب مسقط ، وقد نجحت قوات ابراهيم بن عفيصان في استردادها من سعيد بن سلطان صاحب مسقط عام ١٢٢٤ هـ الموافق لعام ١٨٠٨ م ، ولكن هذا القائد السعودي لم يسلم زمام أمورها الى آل خليفة بل أعلن ضمها لسلطان آل سعود حتى عام

١٢٢٦ هـ الموافق لعام ١٨١٠ م عندما استرد آل خليفة البحرين من سيطرة آل سعود .[٧]

وعندئذ اضطر الأمير سعود الى اطلاق سراح المعتقلين من آل خليفة في الدرعية وسمح لهم بالعودة الى البحرين ، وبهذا نجد أن الدولة السعودية لم تتمكن من ضم البحرين الى ممتلكاتها .[٨]

وهكذا كان التوسع السعودي في منطقة الاحساء ومشيخات الخليج العربي وجنوب العراق ومنطقة الحجاز هو السبب في التوجه العثماني نحو الجزيرة العربية بدءا من سواحلها على البحر الأحمر حتى سواحلها على الخليج العربي ، وكان الهدف العثماني هو التخلص من هذه القوة العربية التي كان المأمول أن تسيطر على المنطقة العربية وتستخلصها من الحكم العثماني المتهاوي .

ومن ثم كان تكليف محمد علي باشا بالتعامل مع هذه القوة العربية الفتية ، ومن هنا وبهذا التكليف ، قام محمد علي وأبناه طوسون وابراهيم بما طلب منهم واستخلصوا الحجاز من آل سعود ثم غزوا نجد ، ومن هناك جاء التوجه الى منطقة الخليج العربي . ومما يلاحظ أن التوجه الذي قاده محمد علي في الجزيرة العربية كان عثمانيا في التخطيط والتنفيذ والأهداف ، ولم يكن لمصر البلد أو الشعب صلة بهذا التوجه سوى خروج الحملات العسكرية ـ العثمانية الصرفة ـ من أرض مصر وموانيها باتجاه الحجاز ونجد .

وكانت قيادة تلك الحملات تركية بل كان الضباط والجنود الذين شاركوا في هذه الحملات أتراكا من الأرناؤوط والانكشارية ممن تمردوا على محمد علي وأراد التخلص منهم .[٩]

ويؤيد ذلك تسمية هؤلاء الجند في كتب مؤرخى نجد باسم الترك والروم ولم يذكر اسم المصريين [١٠] ، ويذكر محمد بن عمر الفاخرى في كتابه الاخبار النجدية في تأريخه لسنوات ١٢٣١ هـ الموافق لعام ١٨١٥ م وما بعدها ما نصه

وفيها سار عسكر الترك الذى في الحناكية فقدموا «الرس» و«الخبر» واستوطنوهما بموافقة أهلهما وملكوا ـ أطرافها وثبت القصيم وفي عام ١٢٣٣ هـ فملكها ـ أي الدرعية ـ العسكر صبيحة اليوم السابع ـ من ذي القعدة وبقى الطريف (مساكن آل سعود في الدرعية) فيه عبدالله بن سعود فحاربوا يومين ثم صالحوا وسلم عبدالله الى الباشا (ابراهيم بن محمد علي) وبقى عبدالله بعد ذلك يومين ثم سيره الباشا الى مصر ثم الى الروم وقتل هناك رحمه الله تعالى .[١١]

كما ذكر صاحب تحفة المستفيد أن الدولة التركية جمعت من ألات الحرب ومن المدافع والقنابل والذخائر والأموال عددا كبيرا من الجنود الى الديار المصرية وامرت محمد علي باشا والى مصر بحرب الامام سعود .[١٢]

ويذكر ابن بشر أنه في سنة ١٢٢٦ هـ الموافق لعام ١٨١١ م اجمع أمراء الروم على المسير الى الحجاز وأعدوا جميع آلات الحرب من السفن والمدافع والقنابل والبنادق وجميع الاتها وما يحتاجون اليه من الأموال والذخائر من الطعام وغيره . فاجتمع العساكر من اسطنبول ونواحيها وما دونها الى الشام ومصر والرئيس المقوم بهذا الأمر من جهة الروم صاحب مصر محمد على باشا ، فسير العساكر المذكورة برا وبحرا [١٣]

على الرغم من سقوط الدرعية وانتهاء الدولة السعودية الأولى عام ١٢٣٤ هـ الموافق لعام ١٨١٨ م ، فان التواجد السعودي ما لبث أن استعاد شيئا من مكانته في نجد ومنطقة الخليج العربي ، فقد قام الأمير تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بالدخول الى الدرعية عام ١٢٣٦ هـ الموافق لعام ١٨٢٠ م ، ثم الاستيلاء على الرياض واتخاذها عاصمة للدولة الجديدة ، واعترف بسيادة اسمية للدولة العثمانية ، وقد ساعده ذلك في السيطرة على نجد وامتداد نفوذه الى الخليج .[١٤]

وفي عام ١٢٤٤ هـ الموافق لعام ١٨٢٨ م وصل الى الرياض وفد من اهل عمان يطلب مساعدة عسكرية سعودية مقيمة في عمان وتعيين والٍ وقاض ، وقد استجاب الأمير تركي لهذه المطالب فأرسل عمر بن محمد بن عفيصان على رأس قوة كافية لينصب عبدالله بن سعود من «القويعية» واليا على الاقليم ، على أن يتخذ مركزه في البريمي وعين كذلك الشيخ محمد بن عبدالعزيز العوسجي قاضيا ، ولدى وصولهم الظاهرة استقبلتهم وفودها مع عناصر أخرى من «البطينة» الواقعة في المنطقة الساحلية من عمان بمظاهر الترحيب والتكريم .[١٥]

وعندما قتل الأمير تركي عام ١٢٥٠ هـ الموافق لعام ١٨٣٤ م تولى زعامة آل سعود ابنه الأمير فيصل الذي ما لبث أن أثار شكوك محمد على فبدأت الاشتباكات من جديد بين محمد على وفيصل ، وقرر محمد على ارسال حملة عسكرية عام ١٢٥٢ هـ الموافق لعام ١٨٣٦ م ، بقيادة اسماعيل أغا وأرسل معها الأمير خالد بن سعود الكبير شقيق الامام عبدالله بن سعود .

كان الأمير خالد بن سعود ضمن آل سعود الذين رحلوا إلى مصر عقب تدمير الدرعية وأمه جارية حبشية فنشأ في كنف محمد علي وجاء يحكم نجد حكما عصريا فنفر منه النجديون

(١٦) ، ولكنه حاز رضا الأتراك ووالي مصر فاندفع يحاول استعادة نفوذ الدولة السعودية في الخليج ، وأنها لحركة بارعة من محمد علي أن يشرك معه في مشروع الاغارة على نجد والامتداد الى الخليج شخصا يعتبره معظم النجديين الوارث الشرعي لأمجاد البيت الحاكم .(١٧)

ونتيجة لفشل حملة أسماعيل أغا ضد الأمير فيصل بن تركي أمر محمد على واليه علي الحجاز خورشيد باشا بأن يتوجه الى نجد على رأس حملة عسكرية انتهت بقبول خورشيد باشا ما عرضه عليه فيصل بن تركي بأن يسلم نفسه بشرط أن يعفو القائد العثماني - خورشيد باشا - عن الأهالي ويؤمنهم على أرواحهم وأموالهم . وفي ٢٣ رمضان ١٢٥٤ هـ الموافق ١٠ ديسمبر ١٨٣٨ م سلم فيصل ما كان معه من عتاد الحرب إلى أهل الخرج ، ثم سلم نفسه إلى خورشيد باشا الذي بر بوعده إذ عفا عن الأهالي كما أحسن معاملة الأمير فيصل فاستصحبه إلى مصر وولى مكانه خالد بن سعود الذي إنفرد بزعامة آل سعود .(١٨)

وقد أقام خورشيد باشا احتفالا كبيرا بتنصيب الأمير خالد بن سعود رئيسا للدولة السعودية ، وخلع عليه ثوب الشرف ، وأكد محمد علي للدول الأجنبية أن وجود قواته في الجزيرة العربية إنما هو بقصد ضمان حقوق الأمير خالد الشرعية في الحكم ، وهذا لا ينفي أن خورشيد باشا تولى بنفسه إدارة شئون نجد وما وصل إليه نفوذ محمد علي في ساحل الخليج .(١٩)

وعندما عادت الاحساء الى سلطة الأمير خالد بن سعود ونفوذ محمد على برحيل فيصل بن تركي الى مصر ، أرسل خورشيد باشا اليها - الى الاحساء - محمد أفندي لسن الضرائب وترتيب طرق الجباية التي لم تكن معروفة ولا مألوفة في تلك البلاد ، واستمر الحال على ذلك إلى شهر شعبان عام ١٢٥٥ هـ الموافق لعام ١٨٣٩ م .(٢٠)

ورغم انتشار قوات خورشيد باشا في موانىء القطيف وسيهات والعقير بساحل الخليج ، فقد ظل الأمير خالد رئيسا للدولة السعودية حتى قام عبدالله بن الثنيان وهو من أبناء عمومة الأمير خالد بن سعود بثورة ضد الأخير انتهت بالخلاص منه وقد وجد مساعدة من معظم أهالي نجد خاصة أنه أعلن بأن حكمه للبلاد سيكون نيابة عن الامام فيصل بن تركي . ومن ثم انتهى الأمر بفرار خالد بن سعود من الرياض إلى الاحساء عام ١٢٥٧ هـ الموافق لعام ١٨٤١ م.

وقد ساعد على نجاح عبدالله بن الثنيان انسحاب قوات محمد علي من شبه الجزيرة العربية بناء على اتفاقية لندن لعام ١٢٥٦ هـ الموافق لعام

١٨٤٠ م وفي ذلك يذكر صاحب الأخبار النجدية «وفي سنة ست وخمسين ومائتين وألف سارت العساكر المصرية من نجد من «ترمدا» والقصيم وارتحلوا شيئا فشيئا حتى ارتحل كبيرهم خورشيد باشا في ربيع الأول وبقى الأمر لخالد بن سعود (٢١) ثم نجاح الأمير فيصل بن تركي من العودة من مصر عام ١٢٥٩ هـ الموافق لعام ١٨٤٣ إلى الرياض واعترافه بالسيادة الأسمية للأتراك .

ويستدعي حديثنا عن التوجه العثماني من خلال محمد على نحو الخليج العربي أن نتناول هذا التوجه في بعض أجزاء الخليج الطبيعية المعروفة لنقف على المدى الذي وصل اليه هذا التوجه، وموقف عرب الخليج منه

الأحساء :

تطلع إبراهيم باشا بن محمد على إلى إقليم الأحساء كمنفذ على الخليج العربي لاقليم نجد بعد أن سقطت الدرعية في يد قواته عام ١٢٣٤ هـ الموافق لعام ١٨١٨ م ، ومن ثم اعتمد على عدو سابق لآل سعود وهو «رحمة بن جابر» - وهو من الجلاهمة العتوب الذي كان يمارس مغامراته البحرية من خور حسان في قطر - في الاستيلاء على القطيف ميناء آل سعود في الاحساء في نظير مساعدة ابراهيم باشا له لكى يعود إلى الاستقرار في الدمام وفي إعادة بناء حصنه القديم الذي كان آل سعود قد دمروه ولكن تطلعات إبراهيم باشا تقلصت في هذا الوقت المبكر بانسحاب قواته من الأحساء والتمركز في عنيزة بوسط شبه الجزيرة العربية ، مع الاعتماد على شيوخ بنى خالد أعداء آل سعود للحصول على أموال الزكاة من قبائل الأحساء .

وفي عام ١٢٥١ هـ الموافق لعام ١٨٣٥ م عاد التوجه العثماني من خلال محمد على وأبنائه إلى الأحساء ، وتمثلت هذه العودة في وصول «عبدالله بن مشاري» التاجر البحريني إلى المنطقة حاملا رسائل من أحمد باشا حاكم الحجاز من قبل محمد على إلى كل من سلطان عمان وشيوخ البحرين وأمير السعوديين . (٢٢) من أجل مساعدته باسم محمد علي على جمع الزكاة ، ورغم أن هذا المبعوث لقى الترحيب والمساعدة من سلطان عمان فانه ما لبث أن اختفى من القطيف أما تقدم قوات فيصل بن تركي أمير آل سعود الجديد التي وصلت إلى الاقليم .

ولكن خورشيد باشا قائد قوات محمد على في نجد قرر بعد أن أستقر له الوضع في الخارج واتخذ من «ثرمداء» قاعدة له أن يبدأ في تحقيق سياسة محمد على بالسيطرة على مناطق شرقي شبه الجزيرة العربية بدءا بالاحساء

بما في ذلك الكويت والعراق كي تلتحم هذه المناطق ببلاد الشام لتصبح وحدة واحدة تحت سيطرة محمد علي . (٢٣)

وقد تمكن خورشيد من تنظيم أمور الاحساء الادارية تحت حماية جانب من قواته عسكرت في كل من الهفوف والقطيف وسيهات والعقير وهي أهم مدن وموانيء الأحساء ، وتم تعيين محمد أفندي رفعت حاكما على إقليم الأحساء واتخذ من الهفوف مقرا ومركزا يباشر منه حكمه . (٢٤)

ومن ذلك أن خورشيد أعطى الأمان لعمر بن عفيصان ورؤساء الأحساء وأمرهم بالقدوم إليه وحفظ بيت المال ، فلما ركب أهل الأحساء إلى خورشيد باشا أمنهم وأذن لهم بالرجوع إلى بلادهم وذلك في شهر شوال ١٢٥٤ هـ الموافق لعام ١٨٣٨ م وبعد رحيل أهل الأحساء عين خورشيد باشا أحمد بن محمد السديري أميرا على الأحساء ومعه من العسكر مائة وثلاثون خيالا رئيسهم رجل من المغاربة يقال له «أبو خزام» ثم أرسل خورشيد بعد ذلك بحوالي شهر إلى الأحساء خمسين رجلا من العسكر والعرب رئيسهم رجل من المغاربة اسمه «محمد الفاخري» . (٢٥)

وأما محمد أفندي رفعت فقد كان مبعوث خورشيد إلى البحرين وفارس ، حيث حمل رسائل إلى آل خليفة بالبحرين ، ثم انتقل إلى فارس لشراء مواد غذائية (بر وشعير وغير ذلك) إلى القوات المتمركزة بالاحساء ، وعند عودته من البحرين ـ بعد اتفاق مع آل خليفة ـ إلى الاحساء عينه خورشيد أميرا على الأحساء بدلا من أحمد بن محمد السديري الذي أوكل إليه إدارة بيت المال ويعلق عثمان بن بشر على ذلك بقوله «هذه عادة ولاية الترك : أولها مطر وآخرها برد وصواعق» . (٢٦)

ولكن محمد أفندي رفعت أساء استخدام سلطاته في الأحساء حتى دبروا مقتله في غرة شعبان ١٢٥٥ هـ الموافق لعام ١٨٣٩ م ، ولما بلغ الخبر إلى خورشيد باشا جزع عليه جزعا شديدا وأمر أفندى عنده اسمه محمد شرمي وجهز معه عسكرا وأرسله بدله ، ثم جهز بعدهم عسكرا آخر فجلسوا بعسكرهم في الأحساء . (٢٧)

وقد ظلت الاحساء تحت سيطرة قوات محمد على بفضل التنظيم الذي وضعه محمد أفندي رفعت للأقليم وخاصة القطيف لقربها من جزر البحرين ولصلاحية مينائها للملاحة ، ومن ثم بدأ محمد رفعت وبأوامر من خورشيد باشا يخطط لتنفيذ المرحلة الثانية من سياسته الرامية للتوجه إلى البحرين . ولم يوقف هذا التخطيط سوى انسحاب قوات محمد على لا من الاحساء فقط بل ومن كل شبه الجزيرة العربية نتيجة لاتفاقية لندن

لعام ١٨٤٠ م .

وعند انسحاب قوات محمد علي من شبه الجزيرة العربية من الاحساء ونجد خاصة دعمت الأمير السعودي - الموالي لمحمد علي - ببعض الضباط الذين أسهموا في تدريب قـوة عسكـريـة منظمـة بلغت ٨٠٠ جندي تحت إمرة خالد [٢٨]، ولكن هذا الأمير لم يستطع الصمود طويلا بعد انسحاب قوات محمد علي حيث فر من الرياض أمام تقدم عبدالله بن ثنيان .

البحرين :

ترتبط البحرين باقليم الأحساء ارتباطا وثيقا ، ومن ثم لا نعجب أن يكون من مخطط خورشيد باشا مد نفوذ محمد علي إلى البحرين عبر الاحساء وكان آل خليفة حكام جزر البحرين ،وكان على رأسهم في سنوات تخطيط خورشيد وخاصة بين سنتي ١٢٥٤ - ١٢٥٦ هـ / ١٨٣٨ - ١٨٤٠م الشيخ عبدالله بن أحمـد آل خليفة

جاءت علاقات خورشيد باشا مع الشيخ عبدالله آل خليفة عن طريق حاكم الأحساء ووكيل الباشا هناك محمد أفندي رفعت ، والذي زار جزر البحرين مبعوثا من خورشيد باشا في غـرة ذي الحجـة عـام ١٢٥٤ هـ الموافق ١٥ فبراير عام ١٨٣٨ م ، وقدم تقريرا حمل تاريخ ٨ ذي الحجة عام ١٢٥٤ هـ الموافق ٢٢ فبراير عام ١٨٣٨ م أوضح فيه أن البحرين ذات أهمية قصوى لاستقرار الأحـوال في الاحساء والقطيف . فميناؤها هو الميناء الوحيد ذو الأهمية في المنطقة ولذلك اعتبرت جزيرة البحرين ميناء للأحساء والقطيف وسببا في رواج المنطقة اقتصاديا . [٢٩]

وعندما رأى الشيخ عبدالله نجاح قوات محمد على في شبه الجزيرة العربية وتوجه خورشيد باشا إلى جعل البحرين منطقة نفوذ لدولة محمد علي ، ومحاولة سلطان عمان ضم البحرين إلى سلطنته بطريقة مباشرة أو لحساب محمد على كأسلوب غير مباشر ، لجأ الشيخ عبداللـه إلى الأنجليز في الهند ومقيمهم العام في منطقة الخليج لحمايته من هـذه الأطماع .

ولما لم يجد الشيخ عبدالله من حكومة الهند البريطانية وممثلها المقيم العام في الخليج كابتن هينيل أية استجابة عملية حتى شهر المحرم ١٢٥٥ هـ الموافق مارس ١٨٣٩ م فيما عدا ما يصرح به الانجليز عن عدم رضاهم عن تطلعات محمد على في الخليج ، ولادراكه أطماع الفرس في البحرين [٣٠] ومطالبهم المالية نظير وجود مبعوث فارسي هناك ، ولما كان الشيخ عبدالله آل خليفة يعاني من

مصاعب داخلية فانه استقبل محمد أفندي رفعت مبعوث خورشيد في عام ١٢٥٥ هـ الموافق مايو ١٨٣٩ م مزودا بتعليمات من خورشيد وواضعا في الاعتبار أهمية البحرين لاستقرار منطقة الأحساء بل ونجد أيضا إلى جانب رواج الناحية الاقتصادية في هذه المناطق وواضعا في الاعتبار أيضا مطامع الانجليز ومواقفهم المعادية لمشروعات محمد على وكذلك مطامع حكام فارس وسلطنة عمان .

وبعد مفاوضات بين محمد أفندي رفعت مبعوث خورشيد باشا والشيخ عبدالله حول وضع البحرين وعلاقاتها في المستقبل مع دولة محمد علي ، تم الاتفاق بين الطرفين على تعهد حكومة محمد علي بتأييد ومساندة الشيخ عبدالله آل خليفة في حكم جزر البحرين مقابل أن يقدم زكاة تقدر بألفي «روبية» سنويا وبعض السفن لمساعدة قوات محمد علي العسكرية على الانتقال إلى ساحل عمان إذا احتاج الأمر إلى ذلك ، واشترط الشيخ عبدالله أن تبقى السلطة الداخلية في الجزر كلها بين يديه وألا يرسل خورشيد باشا ممثلا له يقيم في البحرين . (٣١)

وقد كتب الشيخ عبدالله بن احمد ال خليفة «رسالة إلى خورشيد باشا عقب توقيعه للاتفاقية مع محمد افندي رفعت بتاريخ ٢٣ صفر عام ١٢٥٥ هـ الموافق ٨ مايو عام ١٨٣٩ م يؤكد فيها التزامه بما جاء في نصوصها بأن «نعادي من عاداكم ونوالي من والاكم وأنتم كذلك ، ونؤدي لجنابكم الزكاة ... وصار حالنا معكم حال واحد . (٣٢) وكتبت الاتفاقية في قلعة شيخ البحرين في خورحسان على ساحل قطر .

ومما يلاحظ أن الاتفاقية بنصها على عدم إرسال مبعوث يمثل محمد على مقيم في البحرين وترك أمورها الداخلية بيد شيخها ، تنفي الاتهامات البريطانية باتجاه تطلعات محمد علي إلى استعمار البحرين وإرسال قوات عسكرية لاحتلال تلك الجزر لحساب محمد علي ، وهو أمر كان بعيد الاحتمال ، لأن أي هجوم على الجزر في رأي لوريمر يعتبر عملا خطيرا في جرأته ، وكان احتمال أن تقوم به قوات محمد على احتمالا ضئيلا . (٣٣)

وقد تعرض اتفاق الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة مع خورشيد باشا لانتقادات عنيفة من جانب حكومة الهند البريطانية التى لم تسمح بنجاح أية محاولة أجنبية تهدف إلى فرض السيادة على البحرين محتجة في ذلك بمعاهدة عام ١٢٣٥ هـ / ١٨٢٠ م التي جعلت البحرين إمارة مستقلة مرتبطة ببريطانيا بتعهدات .(٣٤)

وما أعلن عن الاتفاق حتى وجهت الانذارات ومارست الضغوط ضد

الشيخ عبدالله الذي حاول تبرير موقفه بأنه لم يتلق تأكيدات بريطانية عندما طلبها ، وبأن هذا الاتفاق مقرر قبل التوقيع عليه بزمن طويل ، وبأن هذا الاتفاق ليس موجها ضد الحكومة او المصالح البريطانية .

وقد وصل الكابتن «هينيل» المقيم العام البريطاني في الخليج الى البحرين في ١٥ جمادى آخر ١٢٥٥ هـ الموافق ٢٨ يوليو ١٨٣٩ م وسلم للشيخ عبدالله آل خليفة احتجاجا على هذه الاتفاقية ، ولم يقبل ابدا تبريرات الشيخ عبدالله ، وكان قد سبق للكابتن هينيل تقديم إنذار إلى خورشيد باشا في أول إبريل يحذره من الامتداد عسكريا إلى جزر البحرين . ولما لم ينجح هينيل في إقناع الشيخ عبدالله بنقض اتفاقيته مع خورشيد باشا ، ولما لم ينجح كذلك احتجاجه الذي قدمه لخورشيد باشا في فض عرى هذا الاتفاق ، وعندما ظل الشيخ عبدالله صامدا أمام تهديدات الانجليز إلى أن انسحبت قوات محمد علي من شبه الجزيرة العربية نتيجة لمعاهدة لندن عام ١٨٤٠ م ففقد بذلك سندا في مقاومة تهديدات ومؤامرات الانجليز . (٣٥)

عندما حدث كل ذلك اجتمعت اللجنة السرية لمديري شركة الهند الشرقية البريطانية وبحثت امكانية عزل شيخ البحرين (٣٦) ومن ثم لا نعجب أن نسمع عن اضطرابات وفتن في البحرين منذ عام ١٨٤٠ م لا تهدأ إلا بعزل الشيخ عبدالله من حكم البحرين عام ١٢٥٩ هـ ، الموافق لعام ١٨٤٣ م ، أي بعد أن حققت المؤامرات البريطانية أهدافها .

وفي ذلك يقول عثمان بن بشر : وفي جمادي الاولى ١٢٥٨ هـ الموافق ١٨٤٢ م وقع بين عبدالله بن أحمد آل خليفة حاكم البحرين وابن أخيه اختلاف ثم وقع بينهما الحرب العظيم (٣٧)

الكويت والعراق :

جاء التوجه العثماني من خلال محمد على الى الكويت في اطار نفس التوجه الى بقية مشيخات الخليج العربي وخاصة البحرين ، حيث سعى خورشيد باشا قائد قوات محمد علي في نجد أن يرتبط مع الشيخ جابر آل صباح حاكم الكويت باتفاق يؤمن لقوات خورشيد الحصول على المؤمن والاعتدة باستخدام سفن الكويت ، وفي نفس الوقت التطلع من هناك الى جنوب العراق .

وعلى هذا فقد سجلت المصادر المعاصرة أن خورشيد بعث وكيلا له يدعى محمد على أفندي الى الشيخ جابر آل صباح توصل الى اتفاق شبيه بالاتفاق الذي عقد بين محمد رفعت والشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة حاكم البحرين يقضي هذا الاتفاق بدفع زكاة لخورشيد باشا وتقديم التسهيلات في مياه وموانىء الكويت

لقوات خورشيد وخاصة استخدام السفن الكويتية لنقل الأسلحة الى ميناء القطيف بالأحساء حيث توجد قوات خورشيد ، وهذا في نظير عدم تدخل خورشيد باشا في الأمور الداخلية بالكويت وعدم وجود مبعوث لخورشيد مقيم بالكويت .

ونتيجة لهذه الاتفاقية استطاع محمد أفندي أثناء وجوده بالكويت أن يرسل من هناك عدة سفن محملة بالأغذية وخاصة الشعير ، كما استطاع أن يجمع معلومات عن الكويت والجنوب العراقي المطل على الخليج ، كما استطاع هذا المبعوث أن يحصل على تقدير حاكم الكويت حتى أنه كان يأخذ مكان الصدارة في مجالس الشيخ جابر آل صباح . كما استخدمت قوات خورشيد الموجودة بالأحساء سفن الاسطول الكويتي الكبير والمجهز تجهيزا جيدا في نقل شحنة من الأسلحة والاعتدة العسكرية من ميناء الحديدة باليمن الى ميناء القطيف بالأحساء في نوفمبر ١٨٣٩ م. (٣٨)

وكان من الطبيعي أن ينعكس هذا التقارب بين الشيخ جابر آل صباح ورجال محمد علي باشا على العلاقة بين الكويت وحكومة الهند البريطانية ، فيروى لنا لوريمر أن حاكم الكويت الشيخ جابر استقبل مبعوثا بريطانيا في نوفمبر ١٨٣٩ م بطريقة غير لائقة وغير متوقعة ، ويبرر لوريمر تصرف حاكم الكويت بأنه حدث بسبب فزع الشيخ جابر من نجاح قوات محمد علي في الجزيرة العربية ، وقد تناسى لوريمر أن محمد علي كان آنذاك يعيش أزمة دولية ولم يكن في مخططاته القيام بعمليات عسكرية ضد حاكم الكويت أو أية مشيخة في ساحل الخليج . (٣٩)

ورغم استياء حكومة الهند البريطانية من استقبال الشيخ جابر آل صباح لمبعوث خورشيد المدعو محمد أفندي منذ عام ١٨٣٨ م ، وأنه لم يستقبل الملازم «إدموندز» مساعد المقيم العام البريطاني في الخليج الاستقبال الودى المعهود عندما وصل الى الكويت في نوفمبر عام ١٨٣٩ م كما ذكرنا ، فان البريطانيين لم يوجهوا إنذارا لشيخ الكويت على غرار الانذارات البريطانية لحاكم الشارقة ولشيخ البحرين ، بل التمسوا له العذر بأن مسلكه مع «إدموندز» لم يكن صادرا عن نوايا سيئة نحو البريطانيين لكنه كان يهدف إلى خداع مبعوث خورشيد عن حقيقة العلاقة القائمة بينه وبين السلطات البريطانية . (٤٠)

وقد ظل التعاون بين الشيخ جابر آل صباح ومبعوث خورشيد باشا رغم معارضة السلطات البريطانية في الخليج ، بل تروي الوثائق أن الشيخ جابر قدم التسهيلات اللازمة للقوات العثمانية التي هربت من البصرة تحت قيادة «محمود آغا المورة» وأرادت

الالتحاق بقوات خورشيد باشا في نجد ، حيث أركب هذه القوات سفينة وصلت بها الأحساء ورفض طلب سلطات البصرة بالقاء القبض على هؤلاء الهاربين واعادتهم اليها . (٤١)

وبالنسبة للعراق فقد جاء التوجه العثماني من خلال محمد علي مختلفا حيث جاء اتجاه انظار محمد علي إلى العراق عندما حدث الصدام بين محمد علي والدولة العثمانية ، ومن ثم اراد محمد علي أن يستكمل سيطرته على منطقة الهلال الخصيب بضم العراق بعد أن نجح في ضم كل بلاد الشام ، وبعد أن سيطرت قواته على معظم شبه الجزيرة العربية وامتد نفوذه الى بعض مشيخات الخليج العربي.

ولذلك عندما كانت قوات محمد علي قد استقرت في بلاد الشام سادت العراق بعض القلاقل والاضطرابات ، وانتهز محمد علي فرصة هذه الاضطرابات ومارس ضغوطا من سوريا للوصول الى العراق بأن أخذ يساند القبائل العربية الثائرة في جنوب العراق ضد الباشوات العثمانيين من أجل ضم العراق الى الكتلة العربية التي حرص على أقامتها في المنطقة (٤٢)

ورغم اهتمام خورشيد باشا بضرورة غزو جنوب العراق والاستيلاء على البصرة لتامين قواته في الأحساء ونفوذ محمد علي في البحرين والكويت ، والحصول على المؤن والامدادات اللازمة لقواته ، فإن مناداته ليأذن له محمد علي في التقدم بقواته لغزو البصرة جاءت في وقت كان فيه الموقف البريطاني بصفة خاصة والدولي بصفة عامة معاديا لمشروعات محمد علي التوسعية ، وهذا يفسره اهتمام وزارة الخارجية البريطانية التي كان على رأسها اللورد «بلمرستون» Palmerston الذي ظهرت معارضته لمشروعات محمد علي في الخليج العربي وخاصة في الفترة من عام ١٨٣٨ م الى عام ١٨٤٠م (٤٣)

وهكذا بدأ التوجه العثماني من خلال محمد علي وأسرته في الجزيرة العربية بناء على طلب الدولة العثمانية خلال عشرين سنة تقريبا من ١٢٢٦ - ١٢٤٧ هـ الموافق لأعوام ١٨١١ م - ١٨٣١ م ، عندما بدأ الصدام بين محمد علي والدولة العثمانية على ارض الشام ، ومن ثم بدأ توجه محمد علي في الجزيرة العربية وفي ساحل الخليج العربي يأخذ اتجاها شخصيا لتحقيق أهداف محمد علي ولحساب ملكه هولا ملك الدولة العثمانية والسلطان العثماني .

وكان يمكن أن يقدر لتوجه محمد علي في الجزيرة العربية أن يستمر لولا موقف انجلترا بصفة خاصة التي سعت حتى أنهت كثيرا من مناطق سيطرته فانسحبت قواته من الشام ومن كل شبه الجزيرة العربية بموجب معاهدة لندن عام ١٨٤٠ م.

مصادر البحث

١ ـ عثمان بن عبدالله بن بشر عنوان المجد في تاريخ نجد جزءان حققه وعلق عليه عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ الطبعة الرابعة، مطبوعات دار الملك عبدالعزيز الرياض ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ م

٢ ـ حسين بن غنام . تاريخ نجد ، تحقيق د ناصر الدين الأسد القاهرة ١٣٨١ هـ ـ الموافق ١٩٦١ م

٣ ـ لوريمرج ج دليل الخليج . القسم التاريخي ترجمة ديوان حاكم قطر الطبعة الاولى ٧ أجزاء الدوحة ١٩٦٧ م

٤ ـ ارنولد ويلسون تعريب عبدالقادر يوسف الخليج العربي ـ القاهرة د ت

٥ ـ د محمد مرسي عبدالله إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية ١٧٩٣ ـ ١٨١٨ م جـ ١ القاهرة ١٩٧٨ م

٦ ـ د . مديحة أحمد درويش تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين طبعة ثانية جدة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م

٧ ـ د رافت غنيمي الشيخ العرب دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر . القاهرة ١٩٨٣ م

٨ ـ د . رافت غنيمي الشيخ في تاريخ العرب الحديث القاهرة ١٩٧٥ م .

٩ ـ د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم الدولة السعودية الاولى القاهرة ١٩٧٦ م .

١٠ـ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم محمد علي وشبه الجزيرة العربية جـ ٢ القاهرة ١٩٨١ م .

١١ـ خير الدين الزركلي شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ٤ أجزاء ١٩٧٠ م

١٢ـ محمد بن عمر الفاخري دراسة وتحقيق وتعليق د عبدالله بن يوسف الشبل الاخبار النجدية مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الرياض د ت

١٣ـ محمد بن عبدالله الانصاري تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد طبعة ثانية الرياض ١٩٨٢ م

١٤ـ سنت جون فيلبى تعريب عمر الديرادي تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية الرياض د . ت

١٥ـ امين الريحاني تاريخ نجد الحديث وملحقاته طبعة ثانية بيروت ١٩٥٤
١٦ـ د صلاح العقاد التيارات السياسية في الخليج العربي القاهرة ١٩٦٥ م
١٧ـ د احمد ابو حاكمة تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة القاهرة ١٩٦٨ م
١٨ـ جون ب كيلي بريطانيا والخليج ، ترجمة محمد امين عبدالله ٢ جزء مسقط منشورات وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان
١٩ـ Haskins,: Back ground of the British Position in Arabia. London

الهوامش

(١) مديحة درويش تاريخ الدولة السعودية ص ٣٥
(٢) د رافت الشيخ العرب دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر ص ٧٧
(٣) حسين بن غنام تاريخ نجد ص ١٨٠
(٤) د محمد مرسي عبدالله امارات الساحل وعمان والدولة السعودية الاولى ص ١٤٢
(٥) أرنولد ويلسون تعريب عبدالقادر يوسف الخليج العربي ص ٣٣١
(٦) لوريمر دليل الخليج القسم التاريخي جـ ١ ص ٣٠٤
(٧) د عبدالرحيم عبدالرحمن الدولة السعودية الأولى ص ٨٨
(٨) د مديحة درويش المرجع السابق ص ٣٩
(٩) خير الدين الزركلي شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز جـ ١ ص ٣٩
(١٠) عثمان بن بشر عنوان المجد في تاريخ نجد جـ ١ ص ١١٧
(١١) محمد بن عمر الفاخري دراسة وتحقيق د عبدالله بن يوسف الشبل . الاخبار النجدية ص ١٤٥ ـ ١٤٩
(١٢) محمد بن عبدالله الانصاري تحفة المستفيد ص ١٣٨
(١٣) عثمان بن عبدالله بن بشر المرجع السابق الطبعة الرابعة ص ٣٢١ ـ ٣١٢
(١٤) د مديحة درويش المرجع السابق ص ٥٨
(١٥) فيلبي تعريب عمر الديراوي تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ص ١٨١
(١٦) أمين الريحاني/ تاريخ نجد الحديث وملحقاته ص ٩٤
(١٧) فيلبي المرجع السابق ص ١٩٩
(١٨) أمين الريحاني المرجع السابق ص ٩٥
(١٩) لوريمر المرجع السابق جـ ٣ ص ١٦٣٨
(٢٠) محمد عبدالله الأنصاري المرجع السابق ص ١٥٤
(٢١) محمد بن عمر الفاخري المرجع السابق ص ١٧٥
(٢٢) لوريمر المرجع السابق جـ ٣ ص ١٤٣٥
(٢٣) د عبدالرحيم عبدالرحمن محمد علي وشبه الجزيرة العربية جـ ٢ ص ٣١٧

(٢٤) د رافت الشيخ المرجع السابق ص ٨٩
(٢٥) عثمان بن بشر المرجع السابق جـ ٢ ـ ص ١٧٣ ـ ١٧٩
(٢٦) نفس المرجع والصفحات
(٢٧) نفس المرجع والصفحات
(٢٨) لوريمر المرجع السابق جـ ٣ ص ١٤٣٨
(٢٩) د عبدالرحيم عبدالرحمن المرجع السابق ص ٣٢٢
(٣٠) د رافت الشيخ المرجع السابق ص ٨٦
(٣١) د صلاح العقاد التيارات السياسية في الخليج العربي ص ١٣٦
(٣٢) د عبدالرحيم عبدالرحمن المرجع السابق ص ٣٢٨
(٣٣) لوريمر المرجع السابق جـ ٣ ص ١٣٠٨
(٣٤) جون ب كيلي بريطانيا والخليج ترجمة محمد امين عبدالله جـ ١ ص ٨٨ .
(٣٥) ارنولد ويلسون المرجع السابق ص ٣٩٦
(٣٦) لوريمر المرجع السابق جـ ٣ ص ١٣١٠
(٣٧) عثمان بن بشر المرجع السابق ص ٢٠٢
(٣٨) د رافت الشيخ المرجع السابق ص ٩٠
(٣٩) لوريمر المرجع السابق جـ ٣ ص ١٥١٤ .
(٤٠) لوريمر المرجع السابق ١٥١٤
(٤١) د عبدالرحيم عبدالرحمن المرجع السابق ٣٧٥
(٤٢) د رافت الشيخ في تاريخ العرب الحديث ص ٧٠
(٤٣) Haskins Back ground of the British Position in Arabia vol. 1, p. 138 - 143.

العثمانيون والروس في الخليج العربي

دراسة في العلاقات السياسية بينهما ١٨٧٨-١٩٠٧

العلاقات الروسية والعثمانية بعد عام ١٨٧٨

كان لروسيا ـ شأنها فى ذلك شأن كثير من الدول الأوروبية الأخرى . مصالح استراتيجية وسياسية واقتصادية فى الدولة العثمانية ، مستغلة فى ذلك ضعف هذه الأخيرة ، وحالة التنافس التى قامت حولها فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين واجهت المطامع الروسية فى الدولة العثمانية ـ كما واجهت مطامع الدول الأخرى ـ أشكالا فى المعارضة والرضوخ ، وذلك تبعا لطبيعة السياسة الروسية وتطورها تجاه



بقلم : الدكتور
طارق نافع الحمدانى (العراق)

الدولة العثمانية من جهة ، وتماشيا مع حالة هذه الأخيرة من جهة أخرى . ومن المعروف أن روسيا خلال القرن التاسع عشر ، وبالذات خلال النصف الثانى منه ، كانت تسعى وراء تحقيق أهداف معينة فى سياستها الخارجية ، فقد قال أحد وزراء خارجيتها لامز دورف بأن «السياسة العامة لروسيا القيصرية هى أولا وقبل كل شىء سياسة اسيوية» [١] ان هذا القول يكشف طبيعة المجال الحيوى الذى كانت تفكر فيه روسيا والذى كان يتضمن بشكل أساسى آسيا الوسطى وايران والقفقاس والشرق الأقصى ، بخاصة بعد فشل سياستها التوسعية فى أوروبا الشرقية والبلقان . لقد استقر النفوذ الروسى فى القفقاس منذ بداية القرن التاسع عشر ، وكان اشتداد الصراع بين روسيا وبريطانيا فى الشرق الأوسط قد دفع روسيا الى الاسراع فى ضم مقاطعات آسيا الصغرى مثل طاشقند فى ١٨٦٥ ، وبخارى وسمرقند فى ١٨٦٨ ، وخيفا فى ١٨٧٣ ، وتركستان وعشق أباد ومرو فى ١٨٧٣ . لقد سيطرت روسيا على مساحات واسعة فى آسيا الصغرى ، ولكن توغل الجيوش الروسية الى ما وراء بحر قزوين واقترابها من حدود أفغانستان قد آثار قلق بريطانيا باعتبار أن ذلك يهدد أمنها فى الهند ، فجرت المفاوضات بين بريطانيا وروسيا وانتهت بعقد معاهدة ١٨٨٥ التى ثبتت الحدود بين آسيا الوسطى وأفغانستان [٢] .

وإذا كانت هذه المعاهدة قد أنهت

النزاع بين الدولتين المذكورتين في اسيا الوسطى . فإن مجالا أخر للنزاع قد استجد بينهما في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وذلك في بلاد فارس والخليج العربي . بعد بروز الأهمية الاقتصادية لتلك المناطق ، فضلا عن أهميتها الاستراتيجية والعسكرية ، ولم ينته هذا النزاع إلا بعقد معاهدة ١٩٠٧ .

وفي الوقت نفسه فإن الدولة العثمانية - خلال الفترة ذاتها - كانت قد وصلت الى مرحلة الانحطاط ، إذ كانت تراقبها الدول الأوروبية باهتمام ، وتسعى لاقتطاع أجزاء منها ، وكانت روسيا من بين هذه الدول تنتظر انهيارها ، وتساعد في بعض الأوقات على ذلك . أما بريطانيا فقد كانت تتبع سياسة حماية الدولة العثمانية والمحافظة على تكاملها السياسي لاعتقادها بأن في بقاء هذه الدولة بشكلها الضعيف حماية لوجودها في الهند ، وذلك وفقا للشعار القائل «بأن الدفاع عن الهند يبدأ في القسطنطينية»[٣]

لقد كانت أهداف روسيا في أراضي الدولة العثمانية ترمي الى تحقيق أمرين أولهما توسيع الحدود الروسية باتجاه الجنوب على حساب الدولة العثمانية متى سنحت الفرصة ، وثانيهما ضمان حرية المرور لسفنها الحربية في البحر الأسود عبر المضايق . ولتحقيق هذين الأمرين استعمل القياصرة الروس سياسة الضغط والقوة ، حيث أطلقوا التهديدات ضد القوى الأخرى للحصول على امتيازات في عبور المضائق ، والتأثير على السياسة العثمانية ، وبرزت تلك الأهداف في حادثتين مشهورتين هما حرب القرم عام ١٨٥٤ والحرب الروسية - التركية عام ١٨٧٦ .

كانت روسيا تعلق آمالا كبيرة في الوصول الى المياه الدافئة على البحر المتوسط - عبر البحر الأسود والمضائق - أو الخليج العربي ، وهي الآمال التي كانت محط تخوف بريطانيا ومعارضتها ، وذلك لأن نمو اسطول روسي قوي في البحر المتوسط يمكن أن يهدد مصر ويهدد مرور البواخر البريطانية المتجهة للهند عبر قناة السويس بعد ١٨٦٩ . فضلا عن أهمية ذلك الوصول بالنسبة للطرق التجارية وتبادل السلع والبضائع مع بلدان الشرق الأوسط . ويبدو أن روسيا قد انتهزت فرصة حروبها مع الدولة العثمانية عام ١٨٧٧ لتحقيق ذلك الهدف ، ولكن الحكومة البريطانية عارضت ذلك بشدة ، ويتضح ذلك من تحذير بعث به اللورد دربي Derby الى شفيلوف Shevlov - السفير الروسي في لندن ، بأن لا تنتهز روسيا فرصة حربها مع الدولة العثمانية للقيام بأي عمل عدائي إزاء قناة السويس والخليج

العربى [٤] وبالنظر لما لاقته روسيا من مقاومة ، فقد وجهت جل اهتمامها نحو فارس ، وذلك لما تمتعت به هذه البلاد من مكانة استراتيجية واقتصادية فى نظر السياسة الروسية ، بخاصة وأن كثيرا من موانيها تقع على الخليج العربى .

إلا أن الوضع تغير بصورة جذرية منذ ثمانينات القرن التاسع عشر ، ذلك أن بريطانيا لم تلبث أن تخلت بصورة واضحة عن سياستها التقليدية إزاء الدولة العثمانية ، حيث تسلمت قبرص من العثمانيين فى مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ ، واحتلت مصر عام ١٨٨٢ . وعلى أساس ذلك تغيرت سياسة الدولة العثمانية تجاه بريطانيا ، لأنها اعتبرت بأن احتلال مصر يمثل اعتداء على مملكتها ، فراحت تحارب المصالح البريطانية ـ بخاصة الاقتصادية ـ فى العراق وفى الخليج العربى [٥] .

ومع هذه التغيرات انتهجت روسيا سياسة جديدة تختلف عن سياستها السابقة تجاه الدولة العثمانية ، وهى تتمثل بالوقوف الى جانب الأخيرة والتصدى للمشروعات التى تهدف الى تقسيمها . من ذلك أن بريطانيا عرضت على روسيا مشروعا لاقتسام الدولة العثمانية أثناء زيارة القيصر الروسى نيقولا الثانى لها عام ١٨٩٦ بحيث تسيطر روسيا على مضيقى البسفور والدر دنيل مقابل سيطرة بريطانيا على أغلبية المناطق العربية [٦] وفى عام ١٨٩٨ رفضت الحكومة الروسية هذا الاقتراح ، ولعل السبب فى ذلك هو سيطرة بريطانيا على قناة السويس واستبعاد النفوذ الروسى عن المنطقة التى كانت تعدها روسيا احد منافذها الرئيسية نحو الشرق ، وهذا ما أشار اليه وزير خارجية روسيا لوبانوف روستوفسكى بقوله «ان عقدة جميع الصعوبات الشرقية قائمة فى مصر عند قناة السويس» [٧] وهكذا نلاحظ الأهمية الكبيرة التي وجهها الروس نحو قناة السويس باعتبارها ، كما سنلاحظ ، كانت احدى الطرق التى استخدموها للوصول الى الخليج العربى ، مما جعلهم يعارضون بشدة سيطرة بريطانيا التامة عليها

ومع أن السياسة الروسية هذه لا تمثل نهجا ثابتا إزاء الدولة العثمانية ، ولكن مثل هذا النهج قد أعطى روسيا صوتا مسموعا أكثر من ذى قبل فى العاصمة العثمانية ، وكان قناصلها يعملون فى كل من طهران واستنبول ـ بالتعاون مع فرنسا ـ لإثارة كل من فارس والدولة العثمانية تجاه المصالح البريطانية فى الدولة العثمانية بعامة وفى الخليج العربى بخاصة [٨] .

ونظرا لتطور النفوذ الروسى فى الدولة العثمانية ، فقد تقدم الكونت فلاديمير كابنست Count Valadimir

Kapnist وهو من رجال الأعمال والاقتصاديين الروس ، وشقيق السفير الروسى فى فينا ، وأحد الشخصيات ذات النفوذ فى البلاط الروسى ، الى السلطان عبد الحميد الثانى بمشروع لمد خط حديدى من ميناء طرابلس السورى على البحر المتوسط الى أحد موانىء الخليج العربى ، على أن تمتد منه فروع الى بغداد وخانقين ، وهو المشروع الذى أحاله السلطان الى وزارة الأشغال العامة من أجل دراسته وتقديم تقرير عنه . إلا أن المشروع أهمل أخيرا بسبب معارضة السفيرين البريطانى والالمانى فى العاصمة العثمانية ، حيث شجعا الباب العالى على رفضه ، هذا فضلا عن عدم إمتلاك روسيا

الامكانات المادية لدعم المشروع من جهة ، وتخوف العثمانيين من النفوذ الروسى فى ممتلكاتهم من جهة أخرى [٩]

السياسة الروسية تجاه الخليج العربى :

التطلعات وبواكير النشاط الفعلى :

لقد كانت بلاد الشرق ، ومن بينها فارس والمشرق العربى ، مثار اهتمام خاص من جانب السياسة التقليدية لروسيا ، والخارطة الروسية ـ كما يقول أحد الباحثين ـ تعطينا أسبابا قوية لهذا الاهتمام ، فالروس ، وعلى الرغم من اتساع امبراطوريتهم وإشرافها على بحار ومحيطات مختلفة إلا أنها بحار غير مفتوحة وقسم منها داخلى مثل بحر البلطيق والبحر الأسود ، وأما البحار الشمالية المفتوحة فهى مغلقة فى أغلب شهور السنة بسبب البرد حيث تتجمد مياهها ويصعب ان لم يكن يستحيل اجتيازها ، أما سواحل المحيط الهادى فهى بعيدة جدا عن قلب روسيا لذلك لا يمكن الوصول الى المياه المفتوحة والدافئة كالمحيط الهندى إلا بصعوبة [١]

لم تكن لدى القياصرة الروس تطلعات واضحة تجاه الخليج العربى طيلة النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وأصبحت تلك التطلعات فى نهاية ذلك القرن تهدف الى ايجاد مراكز للروس على الخليج تؤدى الى مياه المحيط الهندى الدافئة . وعندئذ روجت الأوساط السياسية فى حكومة الهند بأن روسيا تحاول تحقيق حلم

القياصرة فى الوصول الى مياه الخليج العربى ، تنفيذا لما ورد فى المادة التاسعة من الوصية التى نسبت الى القيصر بطرس الكبير ، التى تشير «الى شن حروب مستمرة ضد الدولتين العثمانية والفارسية والتوغل فيهما حتى الخليج العربى» [١١] ومع أن الدراسات التاريخية أثبتت زيف هذه الوصية ، إلا أن كثيرا من الناس اعتبروها صادقة زمنا غير يسير ، وكان لحرب القرم (١٨٥٤ ـ ١٨٥٦) ، وللحرب الروسية ـ التركية (١٨٧٦ ـ ١٨٧٨) ، أثر بليغ فى نشر الاعتقاد بين البريطانيين بأن قياصرة القرن التاسع عشر كانوا جادين فى تحقيق ما انطوت عليه تلك الوثيقة من مآرب توسعية كبيرة [١٢] .

وعلى أية حال ، فقد استطاع الروس أن يضمنوا توسعهم حتى الثلث الأخير من القرن التاسع فى المناطق التى تمتد عبر أراضى الدولة العثمانية وفارس فأفغانستان ، فهيأوا بذلك القواعد الأساسية لإمكانية تقدم جديد فى المستقبل . وفى المرحلة التالية ، وبسبب وقوف الدول الأوروبية الجدي أمام التطلعات الروسية فى الدولة العثمانية فى مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ ، فقد اتجهت روسيا بشكل واضح نحو فارس ، وكان نجاحها الاقتصادى والسياسى فى هذه البلاد سببا فى تطلعها نحو الخليج العربى .

ومن المعلوم أن التطلعات الروسية فى الأقسام الشمالية من فارس قد خرجت من حيز النظريات وأصبحت واقعا عمليا ، بفعل سيطرة روسيا الفعلية على هذه المناطق . أما فى منطقة الخليج العربى ، بساحليها الشرقى والغربى ، فقد ظلت معظم التطلعات الروسية مشاريع نظرية ، ذلك لأن قدرات روسيا الذاتية وأوضاعها الداخلية المضطربة ، لم تكن تتناسب مع تطلعاتها تلك ، هذا فضلا عن أن منطقة الخليج العربى كانت قد أصبحت حكرا للنفوذ البريطانى منذ عام ١٨٢٠

ومهما يكن الأمر ، فإن التطلعات الروسية النظرية ، أو النشاطات الفعلية لها فى الخليج العربى فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، كانت انعكاسات للسياسة الروسية التى هدفت الى اقامة نفوذ سياسى واقتصادى لروسيا فى المنطقة ، وتبلورت فى اطارات مختلفة ، استراتيجية وسياسية واقتصادية

١ ـ الاطار الاستراتيجى :

هدفت الاستراتيجية الروسية ـ فى اطارها النظرى ـ منذ نهاية القرن التاسع عشر الى ايجاد منافذ لها

للوصول الى المياه الدافئة . دون شك .
ولكى يتحقق ذلك شرعت روسيا فى البحث عن قاعده استراتيجية - بحرية لها فى الخليج العربى ، وقد ادركت أن تلك القاعدة لن تكتسب اهميتها المرجوة ما لم يتم الاتصال بينها وبين روسيا نفسها عن طريق مد السكك الحديدية عبر الأراضى الفارسية . وتتوضح هذه الاستراتيجية فيما أعلنته الحكومة الروسية فى أثناء مفاوضاتها مع بريطانيا لعقد إتفاقية ١٩٠٧ بشأن تقسيم فارس «بانه كان على روسيا - وحتى وقت قريب جدا - أن تضغط باستمرار للوصول الى الخليج العربى . مما كان يستلزم إنشاء سكة حديد عبر فارس وإنشاء محطة نهائية محصنة على شواطىء هذا الخليج» (١٢)

وعلى كل حال ، فقد بدأت الدعوة لربط الخليج العربى وإقامة قاعدة فيه عام ١٨٨٦ ، حين قدم أحد المواطنين الروس - سابنيزا Sapienza - مشروعا لربط بحر قزوين بالخليج العربى عن طريق السكك الحديدية وقد ضخمت السلطات البريطانية فى الخليج العربى هذا المشروع الروسى ، حتى أشيع فى عامى ١٨٨٧ - ١٨٨٨ أن شاه فارس سيتنازل لروسيا عن أحدى جزر الخليج العربى ، ونفى الشاه هذه الاشاعة بشدة (١٤) .

لقد انتشرت شائعات عديدة خلال السنوات العشر التالية عن المناطق التى تسعى روسيا للحصول عليها ، حتى ظهرت مقالة هامة عام ١٨٩٩ فى جريدة «فيدو موستى» التى تصدر فى سان بطرسبرغ بقلم أحد المسئولين الروس ، تطالب صراحة بالحصول على ميناء بندر عباس الى جانب قشم (١٥) وهنجام ولارك وهرمز لتكون نهاية خط حديدى من روسيا عبر فارس . وأشار كاتب المقال بشكل خاص الى المزايا الكامنة لهذه المناطق ، مما يكشف عن أن المقال كان يستند الى معلومات دقيقة . وقد تأكدت تلك المعلومات فيما أعلنته بعض الصحف الصادرة فى اسطنبول ، وفى الدوائر السياسية فى العاصمة العثمانية عندما أبلغ وزير الخارجية البريطانية السفير البريطانى هناك . «أنه واثق من أن مفاوضات تدور بين الحكومة الروسية والحكومة الفارسية بشأن حصول روسيا على ميناء على الخليج يصبح هو نهاية لخط حديدى فارسى - روسى» (١٦) ومع أن الحكومة الفارسية آنكرت وجود مثل تلك المفاوضات ، إلا أن الأحداث التالية تجعل تأكيدات الحكومة الفارسية موضع شك .

تعززت التطلعات الروسية نحو الخليج العربى عن طريق إرسال العديد من الروس الى المنطقة للتعرف على أصلح المناطق التى يمكن لروسيا أن تتخذها قواعد للنفوذ الروسى. وظهر أول دليل على اهتمام روسيا بالخليج في الزيارة التى قام بها ضابط مهندس الى هرمز ـ عن طريق كرمان وبندر عباس ـ فى ربيع عام ١٨٩٥، حيث قام خلالها بمسح جزيرة هرمز، وصرح قبل عودته منها أن روسيا ستقيم مستودعا للفحم هناك [١٧]

على أن التوجهات الروسية لم تكن مقصورة على الساحل الشرقى فى الخليج العربى، وإنما كان هناك ما يماثلها فى الجانب الغربى منه ففى عام ١٨٩٨ اتخذ القنصل الروسى فى بغداد إجراء فيما يخص مشروع بناء قاعدة بحرية روسية فى الخليج، وكانت الكويت على ما أظهرته الوقائع التاريخية، هى المنطقة التى وقع عليها اختيار الروس فى الجانب الغربى [١٨].

ظلت التطلعات الروسية طوال السنوات القادمة تقوم على وصول النفوذ الروسى الى الخليج العربى. إلا أن إتفاقية عام ١٩٠٧ بين روسيا وبريطانيا حول فارس، أنهت امكانية قيام الروس بانشاء مراكز لهم فى الخليج العربى، تلك المراكز التى كانت جزءا من تطلعات السياسة الروسية التقليدية. فقد صرح مدير المالية الروسية كوكوفتسوف Kokovtsov عام ١٩٠٦ بأن تلك الفكرة ـ الوصول الى منفذ على الخليج العربى ـ «إذا كانت فيما مضى فوق طاقتنا، فهى الآن مستحيلة إطلاقا» [١٩] ومع ذلك كله، لم يوقع وزير الخارجية الروسية «ازفولسكى»، على البند الخاص بالخليج العربى، الذى أرادت الحكومة البريطانية إدراجه فى المعاهدة. وجاء التحفظ الروسى بحجة أن الاتفاقية بشكلها الحالى أمر لا يخص روسيا وبريطانيا وحدهما، ولكنه يخص دولا أخرى مثل الدولة العثمانية وفرنسا وألمانيا.

٢ ـ الاطار الدبلوماسى :

الى جانب التطلعات الروسية فى إقامة قواعد لها فى الخليج العربى، فقد قامت روسيا بنشاطات دبلوماسية من أجل إقامة قنصليات عديدة فى مناطق الخليج العربى، واستخدامها وسيلة للاتصال بالقوى المحلية والتأثير عليها. ففى العراق مثلا كان إفتتاح أول قنصلية روسية فى بغداد هو سنة ١٨٨١. ثم ما لبثت أن أغلقت بعد فترة قصيرة، وأعيد فتحها مرة أخرى عام ١٨٨٩، وأنشأت لها فى الوقت نفسه قنصلية فى البصرة.

وفي عام ١٩٠١ رفعت درجة التمثيل الدبلوماسي في بغداد الى قنصلية عامة [٢٠]

لقد عمل القنصل الروسي في بغداد كروجلو Krouglow بصورة جدية لتحقيق السياسة الروسية في منطقة الخليج . وقد قام بنفسه بزيارة الكويت خلال الازمة التي حدثت بين شيخ الكويت والسلطات العثمانية عام ١٩٠١ . وذلك على ظهر الباخرة الروسية «جيلياك» Gilyak حيث قابل الشيخ مبارك الصباح وحاول التفاهم معه بهذا الشأن ، لكنه فشل في هذا المسعى بسبب الاتفاقية التي عقدها الشيخ مع بريطانيا [٢١]

وفي الوقت الذي كانت تتطور فيه النشاطات السياسية للقناصل الروس في الساحل الغربي من الخليج ، بذلت الحكومة الروسية اهتمامات مماثلة لانشاء قنصليات لها في الساحل الشرقي للخليج ففي عام ١٨٩٩ حاول دابيجا Dapiga القنصل الروسي في اصفهان وبوشهر ، أن يؤسس وكالات قنصلية في بندر عباس ومسقط والمحمرة . وأشيع في الوقت نفسه أن دابيجا هذا سيقوم بمسح هرمز ليرى امكانية صلاحيتها مخزنا للفحم الروسي في الخليج العربي . وحذرت بريطانيا الروس من مغبة الأمر ، وهذا ما دفع الحكومة الروسية الى ابلاغ السفير البريطاني في بطرسبرغ في ١٨ نيسان عام ١٨٩٩ ، «بانه ليس لها أي مخططات لبلوغ الخليج العربي ، وانها لا تنوي بأي حال من الأحوال أن تضيف الى أعبائها ومسئولياتها الحالية مسئولية حيازة ميناء بعيد أو محطات يتطلب الدفاع عنها في أوقات الحرب جهدا أسطوليا» [٢٢] .

وعلى أية حال ، فإن نفي روسيا محاولة إنشاء قاعدة بحرية لها في الخليج العربي - سواء في ذلك الوقت أو بعده - لم يكن يعني نهاية لنشاطهم السياسي ، ذلك لأن القنصليات الروسية في الجانب الشرقي للخليج هي التي كانت تقوم بالدور الأكبر في التحرك السياسي ، حتى أن القنصل الروسي في بوشهر يقوم في عام ١٩٠٢ باستخدام احدى السفن الحربية الروسية لزيارة الكويت ، لنجه - على الساحل الشرقي للخليج - وبندر عباس لاقامة قنصلية روسية في تلك الموانيء [٢٣] .

٣ . الاطار الاقتصادي :

عملت روسيا على إيجاد مصالح إقتصادية لها في الخليج ، غير أن هذا الأمر لم يكن بالامكان تحقيقه دون إقامة قواعد ووكالات تجارية ، وهذا ما سعت اليه في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . واتخذت

هذه الرغبة ـ فى بادىء الأمر ـ شكل الدعوة الى إيجاد أسواق للبضائع الروسية فى المنطقة ، ومنافسة القوى الأخرى ـ بخاصة بريطانيا ـ فى هذا الميدان ، وإرسال البعوث التجارية الى موانىء الخليج العربى المختلفة من اجل إقامة العلاقات التجارية معها وتحسينها .

ففى الميدان الأول ، آخذت الصحف والمجلات الروسية تركز اهتمامها على منطقة الخليج العربى فى العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر ، باعتبار أن لروسيا مصالح إقتصادية فيها . ووجهت فى الوقت نفسه النقد اللاذع للسياسة البريطانية ، لعقد معاهدة مع الكويت عام ١٨٩٩ . وقالت مجلة «روسكى مسك» . «ان لروسيا مصالح تجارية مهمة فى الخليج العربى ، ولهذا فإن مثل هذه المواقف وضرب المصالح العثمانية والألمانية والروسية فى المنطقة يجب أن يجابه بالمقاومة الشديدة» [٢٤] . وأشارت صحيفة روسية أخرى ، الى أن الحكومة الروسية ستتخذ خطوة مباشرة عن طريق إرسال سفينة حربية الى بندر عباس . إلا أن ناطقا باسم وزارة الخارجية الروسية أعلن بأن حكومته ليس لها أى نية أو رغبة فى إتخاذ أى عمل فى الخليج أو جنوب فارس ، وأنها تحاول فقط إيجاد أسواق للبضائع الروسية» . وهى غير مسئولة عن التصريحات المثيرة للصحافة الروسية [٢٥] .

أما فى الميدان الثانى ، فقد جرى إرسال عدة بعوث تجارية علنية وسرية ، الى منطقة الخليج العربى فأعدت التقارير عن الأوضاع التجارية فيها ، وطبيعة النشاطات الاقتصادية التى تنوى السياسة الروسية تحقيقها فى المنطقة من ذلك البعثة التي أوفدت الى الخليج العربى عام ١٩٠٠ ، لدراسة تنشيط التجارة الروسية فى المنطقة ، وكانت برئاسة كل من مستر «سرومياتينكوف» Saro-miatinkoff ومستر «بيلنبرغ» pel-lanberg اللذين وصلا من بومبى الى بوشهر ، وزارا بندر عباس والمحمرة والبصرة وبغداد ، وجاء فى التقارير بأن «سرومياتينكوف» جاء الى هذه المناطق بهدف دراسة إمكانية الاتجار مع موانىء الخليج [٢٦] وقد حددت التعليمات الى مستر «سروماتينكوف» باعداد تقرير عن رحلته تلك ، وقام بتنفيذ المهمة ، حيث قدمه الى مستر «دى ويت» وزير المالية الروسى وجاء فيه :

«أن ثمة مجالا لتصريف المنتجات الروسية فى جنوب إيران ، كالسكر

والصوف والحبوب والمشروبات الروحية . غير انه في رأيه أن تحظى تلك التجارة بعون رسمي لتستطيع منافسة التجارة البريطانية المزدهرة . كما يمكن رجوع السفن الى روسيا محملة بالأرز والتمر . واقترح «سروماتينكوف» فتح مصرف روسي في احد موانيء الخليج . وإقامة مخازن للفحم في بوشهر والبصرة . وإفتتاح وكالات قنصلية روسية هناك . على ان تحرس بقوة كبيرة وأن

تبقى على الأقل سفينة حربية روسية بشكل دائم في منطقة الخليج (٢٧) .

وعين وزير المالية الروسية لجنة خاصة لدراسة التقرير تضم ممثلين عن مختلف الأجهزة الادارية والهيئات التجارية ، وأقرته في السنة نفسها مع بعض التعديلات الطفيفة . ومنذ هذا الوقت لم تعد السياسة الروسية مجرد أفكار نظرية ، وإنما تبلورت بصورة فعلية حيث إزداد النشاط الروسي البحري - التجاري منه والعسكري - وأصبح وصول السفن الروسية الى الخليج العربي - كما سنرى - آمرا تنظمه الحكومة الروسية وتدعمه .

السياسة العثمانية إزاء الخليج العربي وعلاقتها بالقوى الأجنبية :

١ـ السياسة العثمانية في الخليج وموقفها من بريطانيا :

إتسمت سياسة الدولة العثمانية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بمحاولة استعادة نفوذها الاسمي على السواحل الشرقية للجزيرة العربية ، بعد أن فقدته منذ القرن السابع عشر وقد اقترنت تلك السياسة بمحاولة تقوية النفوذ العثماني

الاداري والسياسي والعسكري في المنطقة ، حيث اختار العثمانيون ولاة ذوي كفاءة عالية في البصرة ، ومنحوهم صلاحيات عالية بحيث يكونون مسئولين - في اغلب الأحيان - مسئولية كاملة عن شئون الخليج ، وأصبحت البصرة وفقا لذلك القاعدة العسكرية والسياسية للنشاط العثماني في المنطقة . ومع ذلك كله ، فإن سلطات والي البصرة ، كما تؤكده وثائق قصر يلدز العثمانية ، كانت

تتعرض لتقلبات كثيرة وشديدة ، فأحيانا نراه مسيطرا على قطر ويتدخل في البحرين ويصدر الأوامر الى الاحساء ، وأحيانا يتقلص نفوذه الى حد كبير جدا (٣٨) .

أظهر العثمانيون إهتماما جديا بالخليج العربي من خلال حملة مدحت باشا عام ١٨٧١ ، التي استهدفت عودة النفوذ العثماني الى المنطقة وأدى ذلك الى تدخل ولاة بغداد والبصرة في أحداث الخليج ، وتحدثت الوثائق العثمانية عن «قطع خليج البصرة» بدلا من الأقاليم والأقطار واعتبرتها جزءا من ولاية البصرة ، كما هو الحال بالنسبة لقطر ودبي مثلا (٢٩) .

غير أن الوجود العثماني الفعلي في مناطق خارج ولاية البصرة لم يكن سهلا ، بخاصة وأن بريطانيا كانت صاحبة الكلمة العليا في الخليج العربي منذ عام ١٨٢٠ ، وأن الامارات العربية على الساحل الغربي للخليج ، مثل الكويت وقطر والبحرين ، التي آدعى العثمانيون حقوق السيادة عليها ، كانت تمارس نوعا من السياسات التي تهدف الى الحفاظ على استقلالها مستغلة في ذلك الخلافات الدولية الموجودة في منطقة الخليج العربي ، ومن بينها الخلافات العثمانية ـ البريطانية (٣٠) .

وعلى الرغم من أن الدولة العثمانية لم تكن تمتلك غير السيادة الاسمية على مناطق الخليج العربي ، غير أن بريطانيا سعت منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى عام ١٩١٣ الى تجريدها من هذه السيادة . وما إتفاقية عام ١٩١٣ المعقودة بين بريطانيا والدولة العثمانية إلا صيغة لتنازل الأخيرة عن سيادتها الاسمية في مناطق قطر والبحرين ، وبذلك استطاعت بريطانيا تحويل طابع السيادة العثمانية لصالحها من صيغة الأمر الواقع de fact الى صيغة الطابع الشرعي de Jure (٣١)

وفي ضوء ذلك لم تكن السياسة العثمانية على وفاق تام مع السياسة البريطانية ، وهذا ما سنحاول التعرض له من خلال ايراد بعض الحوادث التاريخية . ففي عام ١٨٨٧ ، أعلن نظيف باشا والي البصرة العثماني الجديد ، أثناء مقابلة المستر روبرتسون Robertson الوكيل السياسي البريطاني في البصرة ، بأن مهمته هي تقوية العلاقات التركية مع إمارات الخليج العربي بدون استثناء بما في ذلك آل خليفة في البحرين الذين لم يترددوا في وضع العلم العثماني فوق جزيرتهم (٣٢) . وبعد حوالي عشر سنوات من ذلك ، صرح رئيس الوزراء التركي في تموز عام ١٨٩٨ «بأن السيادة التركية على مناطق الخليج العربي تمتد جنوبا الى القطيف ، وهدد الرئيس التركي بأن أية إدعاءات انجليزية مماثلة ستؤدى الى

مصاعب دبلوماسية على النطاقين الأقليمى والدولى (٣٣).

رافق هذه التصريحات التركية استعدادات عسكرية ، حيث تم تعزيز القوات العسكرية العثمانية فى البصرة ، وارسال الطراد «زحاف» الى ساحل القطيف ، الذى اجبرته السفن البريطانية على التراجع الى مياه البصرة .

لم تمر حادثة «زحاف» دون أن تترك تأثيرات عديدة على سياسة القوى المختلفة فى الخليج العربى فمن ناحية احتج السفير العثمانى فى لندن على الاجراءات الحربية التى اتبعها الأسطول البريطانى فى الخليج . ومن ناحية أخرى ، فقد أجرى زينوفيوف - السفير الروسى فى اسطنبول - إتصالا مع توفيق باشا - وزير الخارجية التركية ، وطلب منه أن يقنع السلطان عبد الحميد بخطورة إرسال الطراد «زحاف» الى الخليج العربى فى الظرف الراهن (٣٤) .

وعلى أية حال ، فالذى يبدو أن الحكومة العثمانية لم تأخذ برأى السفير الروسى بمسألة إرسال الطراد التركى الى الخليج العربى ، الذى أصبح عرضة للتهديد البريطانى . وهنا تدخلت روسيا فى الأمر حيث صرح مسئول فى السفارة الروسية فى اسطنبول «بأن بلاده تستنكر الاعتداءات البريطانية على ممتلكات السلطان ، سواء فى مصر أو فى قبرص أو فى الخليج العربى» . وقد قامت السفارة الروسية - كما يقول الدكتور الداود - بتوجيه نظر السلطان الى الخطر البريطانى فى منطقة الخليج (٣٥) .

وأظهرت حادثة أخرى ، وهى حادثة الكويت عام ١٩٠١ ، وقوف الروس الى جانب العثمانيين ، بوجه النفوذ البريطانى ، ففى تلك السنة قام أحد الضباط الانجليز بإنزال العلم التركى من مقر الشيخ مبارك ونصب علما جديدا محله سمى بعلم الكويت ، والقيام باعلان الحماية على ممتلكاته مما أدى الى انتشار حملات السخط فى الصحافة الروسية ، حتى أن زينوفيوف - السفير الروسى فى اسطنبول - أشار على الباب العالى بمراجعة محكمة لاهاى الدولية (٣٦) .

وعلى كل حال ، لم تشجع روسيا مرة أخرى السلطات العثمانية على القيام باجراءات عسكرية ضد الكويت ، وذلك خشية إزدياد النفوذ البريطانى فى الكويت ، ولهذا طلب السفير الروسى فى اسطنبول من السلطان عبد الحميد أن لا يقوم بأى عمل يؤدى الى تعكير الجو السياسى فى هذه المنطقة . ويظهر أن السلطان العثمانى لم يأخذ بنصيحة السفير الروسى هذه (٣٧) .

تأتى هذه التحذيرات لاعتقاد

الروس بأن إثارة قضية الكويت تؤدى الى تقوية النفوذ البريطانى ، واضعاف علاقة الكويت بالدولة العثمانية ، ويمكن أن نلمس هذا فى التقرير الذى بعث به السفير الروسى فى اسطنبول الى القنصل الروسى فى البصرة «أداموف» فى ٣١ آب سنة ١٩٠١ والذى جاء فيه «**إن من واجباتنا الأساسية مساندة الحالات التى تثير المتاعب لبريطانيا وتؤدى الى اضعاف موقفها . وإذا أتيحت لكم الفرصة يجب أن تفهموا وتوضحوا للحكام المحليين فى المنطقة بأن من مصلحتهم أن لا يتأثروا أو يهتموا بالمساندة الخارجية وأن لا يثيروا المشاكل والمصاعب أمام السلطة العثمانية فى شبه الجزيرة العربية . وإذا كان بامكانك ـ يقصد أداموف ـ مقابلة الشيخ مبارك فيجب أن توصيه بأن لا يسىء علاقته بالدولة العثمانية ولا يعطى مجالا لتدخل بريطانيا لأن ذلك التصرف يفسح لها المجال لأن تضع يدها على كل سواحل الخليج العربى أن ضعف الدولة العثمانية يعتبر خطرا كبيرا بالنسبة للمقاطعات العربية المستقلة وأن هذا يساعد بريطانيا على تحقيق مشاريعها التوسعية فى بسط نفوذها على أكبر جزء ممكن من هذه المنطقة**» (٣٨) .

لقد تطور النفوذ الروسى والألمانى فى الباب العالى على حساب النفوذ البريطانى ، وهذا ما تكشفه تقارير السفارة البريطانية فى اسطنبول ، بحيث أدى الأمر الى حدوث تنافس شديد بين هذه القوى الثلاث ومهما يكن من أمر ، فقد نظر العثمانيون بحذر شديد تجاه النفوذ البريطانى المتزايد فى الخليج العربى والمناطق المتاخمة له ، غير أنهم لم يظهروا عداءهم الصريح له ، لعدم امتلاكهم من الوسائل السياسية والعسكرية ما يمكنهم من مواجهته وهذا ما ينطبق أيضا على ادعاءاتهم بالسيادة على الامارات العربية الواقعة على الخليج ، دون أن يفرضوا نفوذهم الفعلى عليها . ففى رسالة بعث بها السلطان عبد الحميد الثانى فى ٤ ايلول ١٨٩٩ الى السفير البريطانى فى اسطنبول ، جاء فيها

«بأن تركيا سوف لن تسمح لأى دولة أوروبية (ما عدا بريطانيا) بالحصول على امتيازات فى مياه الخليج العربى . ولكنها غير مستعدة للتنازل عن البصرة أو الكويت أو البحرين أو القطيف» (٣٩) .

وعلى أية حال فإن مراقبة النفوذ الأجنبى فى منطقة الخليج لم تكن مقصورة على السفن البريطانية . بل هناك ما يشير الى نشاط السلطات المحلية فى ولاية البصرة لمراقبة تحركات السفن الأجنبية فى المنطقة . ومن بينها السفن الفرنسية والروسية فقد أوردت وثيقة عثمانية خبر وصول احدى السفن الروسية الى الكويت . وقالت «أن ظهور السفن الحربية الأجنبية فى سواحل الكويت من الأمور غير العادية . لهذا يرجى إجراء التحقيقات اللازمة حول التحركات البحرية الأخيرة فى المنطقة» (٤٠)

٢ـ السياسة العثمانية والنشاط الروسى فى الخليج العربى :

بدأ الروس يتحركون نحو الخليج العربى فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . مستغلين فى ذلك الروح العدائية التى تولدت لدى السلطان عبد الحميد الثانى ضد البريطانيين . وقد شجعهم على ذلك ادعاءات العثمانيين بالسيادة على كثير من المناطق فى الخليج العربى .

بذلت السلطات العثمانية فى العراق بعض التسهيلات للروس . من ذلك أنها اختصرت فترة نظام الحجر الصحى للطراد الروسى «جيلياك» . الذى وصل الى البصرة فى آذار عام ١٩٠٠ من عشرة أيام الى خمسة أيام تكريما له . وعندما اعترض البريطانيون على ذلك وسع هذا الاستثناء ليشمل جميع السفن الحربية الأجنبية المتجهة الى البصرة (٤١) .

وترددت كثير من الشائعات عن التسهيلات التى منحتها الدولة العثمانية للروس . بشأن التنازل لهم عن بناء خط حديدى من طرابلس الى الكويت . وإقامة محطة للتزود بالفحم على الخليج العربى . وربما الكويت أيضا . من ذلك ما أشار اليه أحد التقارير البريطانية التى رفعها المقيم السياسى فى المنطقة فى ٢٢ كانون الأول ١٨٩٧ . حيث قال :

وهناك . على أية حال . مسألة لفتت نظرى فى الآونة الأخيرة . فمنذ عدة أشهر تروج الشائعات حول نشاط روسيا وعملائها فى الخليج ... الأمر الذى يؤكد هذه الشائعات الى حد ما وزيادة على ذلك . فقد أدركت من المعلومات التى حصلت عليها أن

الكويت هى الموقع الذى تتركز عليه أعين روسيا» (٤٢) . ولما كان الروس تواقين لمعرفة المزيد عن الكويت ، فقد لجأوا الى السلطات العثمانية فى البصرة أو السلطات المركزية فى اسطنبول ، وذلك من أجل السماح لمبعوثيهم بزيارة المنطقة ، مغلفين مهمتهم بنوع من الكتمان والسرية ومتظاهرين بالرغبة فى التجارة أو مكافحة الطاعون (٤٣) . وتشير الوثائق البريطانية الى ان هؤلاء المبعوثين الروس لم يكونوا تجارا فى معظمهم ، إنما جاءوا لمهمات استطلاعية وسياسية ، ومع ذلك فقد حصلوا على اذن السلطات العثمانية فى العراق بالمرور الى الكويت . من ذلك أن روسيين هما أفانيسوف Ovanessof وعباس عليوف Abbas Aliof ذهبا الى الكويت عام ١٨٩٩ عبر البصرة ، وهما يحملان أمرا من الحكومة التركية الى الشيخ مبارك بأن يمنحهما كل مساعدة ممكنة» (٤٤) . وتشير تلك الوثائق أيضا ، الى أن روسيا آخر قد عبر لتوه من البصرة الى الكويت ، «وهو يحمل توصية من الوالى العثمانى بشراء الجلود ، وذكر بأنه أرمنى ويعمل تاجرا فى بغداد» (٤٥) والظاهر أن هؤلاء المبعوثين كانوا على علاقة وثقى بالمشروعات الروسية التى ترمى الى ايجاد قاعدة للروس فى الخليج العربى ، ومحطة للتزود بالفحم فى المنطقة ، وقد أظهر القناصل البريطانيون تخوفهم من أن تتنازل الدولة العثمانية لهم عن ذلك (٤٦) .

ومن الدلائل على وجود تسهيلات عثمانية للروس فى الخليج العربى ، مسألة الحجر الصحى ، التى حاولت كل من الدولة العثمانية وروسيا الاستفادة منها فبالنسبة للدولة العثمانية حاولت اتخاذ بعض التدابير لاحكام سيطرتها على مداخل الخليج العربى ، بينما حاولت روسيا الاستفادة من الأمر لزيادة نشاطها فى أجزاء فارس الجنوبية ، فضلا عن الجزء الغربى من الخليج .

وأصل مسألة الحجر الصحى تعود لانتشار وباء الطاعون فى الهند عام ١٨٩٦ ، وامتداده الى بلدان آخرى ، وانعقاد عدة مؤتمرات عالمية لبحث الأمر . وفى المؤتمر الصحى الذى انعقد فى فينيسيا عام ١٨٩٧ طرحت مقترحات لاقامة مركز صحى بالقرب من البصرة وآخر فى جزيرة هرمز أو قشم عند مدخل الخليج العربى ، على أن تكون هذه المراكز تحت سيطرة مكتب الصحة فى العاصمة العثمانية . وقد واجهت هذه المقترحات معارضة بريطانية ، وذلك لاعتقادهم بأن اقامة مثل هذه المراكز

سيمنح الدولة العثمانية سيطرة بحرية فى الخليج العربى . ومهما يكن من امر ، فقد قبلت بريطانيا قسما من تلك المقترحات فى العام التالى ، على الرغم من ابداء بعض التحفظات حولها (٤٧) .

وقد لا نجانب الصواب إذا قلنا بأن مسألة الحجر الصحى تأخذ طابعا سياسيا ، وذلك لأن روسيا بدات منذ عام ١٨٩٧ إرسال عدد من الأطباء لدراسة الطاعون فى منطقة الخليج ، هذا مع العلم بأن المرض لم يظهر فى المنطقة إلا فى عام ١٨٩٩ ، وقد قام هؤلاء الأطباء بزيارات متكررة لبندر عباس والبصرة ، ولكن تقارير المقيميات البريطانية فى المنطقة كانت تستبعد عنهم هذه الصفة . فقد أشار لوتش ، المقيم السياسى البريطانى فى الجزيرة العربية «أن المدعو أداموف Adamoff الذى اصطحب طبيبين روسيين فى مهمة خاصة بمكافحة الطاعون فى العام الماضى ، زار بغداد فى شهر أب بعد أن قام بجولة فى الخليج ، ولكن أداموف هذا ليس طبيبا» (٤٨) .

والظاهر أن جميع هؤلاء الأطباء كانوا يقومون بزيارات استطلاعية لمنطقة الخليج ، وأن زياراتهم تلك كانت مرتبطة بالمخططات الروسية الخاصة بالكويت ، إلا أن الحكومة العثمانية لم تعط هذا الأمر أية أهمية ، على الرغم من الزيارات المتكررة التى كانوا يقومون بها للبصرة ، وكان هذا المنحى عاملا مشجعا للنشاط الروسى فى المنطقة .

وإذا كان العثمانيون قد قدموا التسهيلات للروس فى منطقة الخليج العربى ، فإن الأخيرين كانوا يدعمون المواقف السياسية العثمانية ، سواء فى العاصمة العثمانية أو فى منطقة الخليج نفسها . من ذلك أن السفارتين الروسية والألمانية فى العاصمة اسطنبول ـ كما تلمح الوثائق البريطانية ـ كانتا تشجعان الحكومة العثمانية على اتخاذ عمل ضد الشيخ مبارك ، باعتبار أنها تمتلك «حقوق السيادة على الكويت» (٤٩) .

غير أن الأهم من ذلك أنه بدأت تظهر عام ١٩٠١ فى الأوساط الروسية بعض الآراء الداعية الى ضرورة المساهمة فى المشكلة الكويتية عندما اشتد الخلاف بين شيخ الكويت والسلطات العثمانية ، ومحاولة الأخيرة إرسال جيوشها الى المنطقة . وأصبحت هذه النظرة موضوع مطالبة الصحف الروسية آنذاك . وعلى أية حال ، فقد شعر القياصرة الروس بأن زيادة النفوذ البريطانى فى الخليج العربى من شأنه أن يقوى ذلك النفوذ فى جنوب فارس أيضا . ولذلك فقد

اقترح زينوفيوف ـ السفير الروسى فى اسطنبول ، «بأنه فى حالة اقدام الحكومة البريطانية على احتلال الكويت أو أى جزء يقع بالقرب من الخليج العربى ، فإن روسيا القيصرية بدورها تكون غير ملزمة أو أنها تعلن بطلان مفعول المعاهدة الروسية البريطانية حول أفغانستان» (٥٠) ، عام ١٨٨٥ .

وعلى هذا فإن إرسال الطراد الروسى «فرياج» Varyag الى المياه الكويتية ، وفتح قنصلية روسية فى البصرة وفى ميناء بوشهر ، وتأسيس شركة للملاحة البحرية بين موانىء البحر الأسود ـ خاصة ميناء أوديسا ـ وموانىء الخليج العربى ، تقع جميعها ضمن إطار الخطة الروسية الجديدة لا خارجها .

ومن ناحية أخرى قام الروس بدور الوساطة من خلال الأزمة التى حدثت بين شيخ الكويت والسلطات العثمانية عام ١٩٠١ ففى هذا العام اتصل الشيخ مبارك مع القنصل الروسى العام فى بغداد ، لأمر يصفه لوريمر «بأنه مجهول» (٥١) إلا أن الوثائق البريطانية تكشف عن طبيعة هذا الأمر ، مؤكدة بأنه تم عن طريق بعض المواطنين الروس الذين كانوا يترددون ما بين بغداد والكويت ، وبالذات عن طريق اوفانيسوف وعباس عليوف ، اللذين وصفتهما تلك الوثائق فى عدة مواضع «بأنهما رجلان مثقفان ثقافة جيدة ، ويعرفان الروسية والتركية والعربية ، غير أنهما يظهران ارتباطهما بالأعمال التجارية» (٥٢) أما غرض الاتصال فتشير اليه وثيقة بريطانية أخرى قائلة : «أن عباس عليوف ، الموجود الآن فى البصرة (١٩٠١) ، يحمل رسالة موجهة من القنصل الروسى العام فى بغداد الى الشيخ مبارك . مفادها أن السفير الروسى كان قد اتصل بالسلطان عبد الحميد بشأن علاقته مع الدولة العثمانية» (٥٣) .

ومما لا شك فيه ، فإن الروس كانوا قد اتصلوا بالشيخ مبارك عدة مرات ، وعرضوا عليه تقديم مساعدتهم لتحقيق استقلاله ، إلا انه رفض تلك العروض ، كما سنرى . وجددوا اتصالهم به فى ١٢ أيلول ١٩٠٤ ، إلا أنهم فى هذه المرة عبروا عن استعدادهم لضمان مكانته فى الكويت «إذا ما تصالح مع الأتراك واستقبل القناصل الروس والفرنسيين» (٥٤) .

وصفوة القول ، أن السلطات العثمانية فى البصرة ، ساعدت الى حد كبير تحركات الروس فى منطقة الخليج العربى ، وقد عمل هؤلاء ـ وفقا للسياسة الروسية العامة ـ على

التوسط في بعض القضايا التي تخص العثمانيين، بخاصة فيما يتعلق بالكويت، مما أفسح المجال لمزيد من النشاط الروسي قبل عام ١٩٠٧.

الطرق التي اتبعتها روسيا للوصول الى الخليج العربي :

لم يسلك الروس طريقا للوصول الى الخليج العربي، وإنما سلكوا عدة طرق كان قسم منها يقع ضمن مناطق النفوذ العثماني الرسمي، مثل طريق العراق، وطريق الكويت، وطريق قناة السويس ويوجد هناك طريق اخر مهم سلكه الروس الا وهو طريق فارس، الذي تقع ضمنه منطقة الاحواز التي ظلت موضع نزاع بين الدولتين العثمانية والفارسية طيلة الفترة التي نقوم بدراستها. ولما كان الروس قد اطمأنوا الى جانب الدولة العثمانية كما اسلفنا، فقد سلكوا هذه الطرق جميعها من أجل زيادة نشاطهم ونفوذهم في الخليج العربي، كما سنوضح ذلك

١ - طريق فارس - الخليج :

يعد طريق فارس من أقدم الطرق التي وضعها الروس نصب أعينهم باعتباره يمثل أقصرها في الوصول الى الخليج العربي وقد سبق لنا أن بينا بأن الروس قد وضعوا فارس ضمن مخططاتهم الاستراتيجية قبل عام ١٩٠٧، وحاولوا أن يتخذوا أحد موانئها قاعدة لوجودهم في الخليج العربي، ومحاولة ربطها بخطوط السكك الحديدية القادمة من الشمال. على ان ما ذكرناه يمثل أفكارا نظرية، سرعان ما تحولت الى واقع عملي حينما أوفد الروس، ومنذ عام ١٨٨٧، عددا من ضباطهم الى أماكن معينة في فارس مثل اصفهان وشيراز وبوشهر وبندر عباس لدراسة امكانية اتخاذها محطة للتزود بالفحم[٥٥]

تركزت أنظار الروس منذ عام ١٨٩٩ نحو ميناء بندر عباس، بما فيه الجزر الواقعة في مضيق هرمز، من أجل أن يكون المحطة التي ينشدها الروس. وقد عزز الروس ذلك عن طريق ارسال الطراد «جيلياك» الذي زار ميناء بندر عباس عام ١٩٠٠، وتكررت زيارات السفن الروسية

الحربية لهذا الميناء في السنوات التالية ، مما يدل على انها استهدفت اغراضا سياسية في المنطقة[٥٦] .

كانت مسألة مد السكك الحديدية عبر الأراضي الفارسية ، مهمة للروس بقدر أهمية ايجاد قاعدة بحرية لهم على الخليج العربي . ذلك لأن السكك الحديد كانت هي اداة الربط بين الأراضي الفارسية من جهة ، والقاعدة المنشودة في الخليج من جهة أخرى . غير ان هذا الأمر لم يكن من الأمور السهلة ، بخاصة وان البريطانيين في فارس كانوا يقفون في وجه هذه المشروعات ، لأنها تشكل في نظرهم ، تهديدا لوجودهم السياسي والتجاري في المنطقة .

يعد عام ١٩٠٠ نقطة انطلاق لمشروعات الاستطلاع الروسية الرامية الى معاينة المناطق التي يمتد اليها مشروع الخط الحديدي الذي يربط بين الأقسام الشمالية في بلاد فارس وموانىء الخليج العربي ، وبخاصة بوشهر وبندر عباس . فقد وصلت بعثة روسية الى طهران في آذار ١٩٠٠ ، ومنها اتجهت الى اصفهان وشيراز ، ثم ما لبثت ان اتجهت الى أربعة مواقع مختلفة على الخليج ، وهي بوشهر والمحمرة وبندر عباس وشاهبار .

وقد وصف القناصل الروس هذه البعثة بأنها «بعثة جغرافية» ، ولكن الصحف الروسية وصفت رئيس البعثة بأنه «مدير السكك الحديدية» ، وأثبتت الدلائل بأن رجال هذه البعثة كانوا من المهتمين بالسكك الحديدية ، وقد اوفدوا الى فارس لاختيار أفضل الطرق لمد خط حديدي عبر القوقاز يقطع فارس في اتجاه الخليج ، لكن اعضاء البعثة أظهروا تخوفهم من أن يتقاطع هذا الخط الحديدي مع الخط الالماني في بغداد ، ومع شبكة السكك الحديدية الهندية[٥٧] . وعلى أية حال ، فقد كانت مشاريع السكك الحديدية الروسية تثير المتاعب لبريطانيا ، لأنها كانت مشغولة آنذاك بحرب البوير في جنوب افريقيا (١٨٩٩ ـ ١٩٠٢) ، إلا أن بريطانيا استطاعت أن تضع حدا لتلك المشروعات باتفاقية عام ١٩٠٧ .

ومن الجدير بالذكر ، انه رافق هذه المشروعات الروسية جهود كبيرة لاقامة قنصليات روسية في بلاد فارس ، وقد آثمرت تلك الجهود عن فتح وكالة قنصلية في بندر عباس ، وقنصلية عامة في بوشهر منذ عام ١٩٠١ ، وعين لها اوفسينكو Offseenko ، الذي قام بدور كبير في النشاطات الروسية على الساحل الشرقي للخليج وغربيه .

٢ . طريق العراق . الخليج :

كان العراق الطريق الآخر المهم الذي عمل الروس على استخدامه للوصول الى الخليج . وذلك عبر وسائل مختلفة فقد سعت روسيا الى تاسيس مصالح ملاحية لها في العراق . إذ بذل سفيرها باسطنبول ـ بحكم العلاقة الطيبة مع الدولة العثمانية . جهودا للحصول على امتيازات مماثلة لتلك التي كانت تتمتع بها شركة لينج البريطانية ويعتقد ان القرار الذي اتخذته الحكومة العثمانية في سنة ١٨٨٣ ، القاضي بايقاف الشركة البريطانية عن العمل ، كان بتحريض من روسيا(٥٨) .

ووقع العراق في حيز السكك الحديدية ، التي كان الروس يزمعون مدها في الدولة العثمانية . فقد حصل تانكريد Tancred على امتياز من الحكومة العثمانية في آذار ١٨٨٣ لمد سكة حديدية من طرابلس على البحر المتوسط عبر حلب ـ بغداد فالبصرة غير ان هذا المشروع لم يخل من الاحلام السياسية ، فقد اراد تانكريد أن يخرج اليهود من روسيا ويوطنهم على جانبي السكة الحديد ، لكن معارضة الحكومة العثمانية لمثل هذا المشروع ووفاة تانكريد نفسه أديا الى قبر المشروع(٥٩) كما ان مشروع كابنست ، الذي سبق ذكره ، كان من المؤمل أن يبدأ من ميناء طرابلس في بلاد الشام حتى الكويت ، على أن يمر أحد فروعه ببغداد وخانقين ، واخر بكربلاء . غير ان مشروعا كهذا كان مصيره الفشل أيضا . ذلك لأن روسيا لم تكن تمتلك الوسائل المادية الكافية التي تمكنها من انجاز مثل هذا المشروع ، فضلا عن معارضة بريطانيا والمانيا له(٦٠)

وعلى الرغم من الاحباطات التي تعرضت لها روسيا في هذه المجالات ، فقد استمرت في سعيها لتطوير مصالحها التجارية في العراق ، وذلك عن طريق تصريف بضائعها فيه واستيراد بعض السلع العراقية إذ تشير تقارير القناصل البريطانيين الى ان روسيا تقوم بتصريف كثير من بضائعها في العراق مثل البترول (الكيروسين) والأخشاب والأقمشة والأواني الزجاجية والخزفية . وقد بلغت واردات العراق من تلك السلع عام ١٩٠٧، (٥١,٠٠٠) صندوق من البترول ، (٣١,٨٢١) قدما مكعبا من الأخشاب ، و(١٢٦) بالة أقمشة ، و(٣٧٠) صندوقا من الأواني الزجاجية و(٢١٥) صندوقا من الخزفيات(٦١) . وفي الوقت نفسه ، فقد كانت روسيا تستورد بعض المنتجات العراقية ، بخاصة التمور

الجلود . وقد بلغت صادرات العراق الى روسيا سنة ١٩٠٧ (٤،٤٥٣) طنا من التمور[٦٢].

ولعل من بين المجالات التي حقق الروس فيها نجاحا زيادة نشاطهم القنصلي في العراق ، والدور السياسي الفعال الذي قاموا به من خلال قناصلهم في المنطقة ، بخاصة الاتصال بشيخ الكويت لعدة مرات ، وتحريض السلطات العثمانية ضد النفوذ البريطاني المتزايد في العراق وفي الأحواز . وفي المجال الآخر بالذات ، قامت كل من بريطانيا وروسيا بدور غير قليل في مسألة الحدود القائمة بين العراق وفارس ، حيث كانت الأخيرة تخترق سيادة امارة الأحواز ونظرا لأن كلا من بريطانيا وروسيا كانت لهما مصالحهما الخاصة ، السياسية والاقتصادية ، في هاتين المنطقتين فقد حاولتا وضع حد للمنازعات بين العراق وفارس ، وذلك ابتداء من معاهدة أرضروم الثانية عام ١٨٤٧ وحتى بروتوكول الاستانة عام ١٩١٣[٦٣] .

٣ . طريق الكويت والسواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية

يعد الكويت من الطرق الرئيسية التي اراد الروس النفاذ منها الى الخليج العربي ، بخاصة وان هذه المنطقة كانت محط أنظارهم كقاعدة للتزود بالفحم ، ونهاية لمشروعات سكك الحديد الروسية الى الخليج ، وهي الموضوعات التي اسلفنا الاشارة اليها . على ان المخططات الروسية هذه كانت الأساس لكثير من الاتصالات التي آجراها الروس مع شيخ الكويت من أجل عقد معاهدة معه ، وان لم تصب هذه الاتصالات نجاحا . وفي هذه النقطة بالذات سوف لا يكون اعتمادنا على الوثائق والمصادر البريطانية التي استخدمها الباحثون كثيرا ، وإنما على بعض المؤلفات الروسية التي اعتمدت على الوثائق الروسية ذات الصلة بالموضوع .

فالنسبة لمعاهدة ١٨٩٩ المعقودة بين حكومة الهند البريطانية والكويت ، اشارت المصادر الروسية ، بخاصة مؤلفات بونداريفسكي ، الى الظروف التي اتخذتها بريطانيا كوسيلة لعقد هذه المعاهدة ، والتي كان من بينها تخويف حاكم الكويت الشيخ مبارك بالخطر العثماني من جهة ، والخطر الروسي الرامي الى اخضاع مشيخة الكويت من جهة أخرى[٦٤] . وازاء ذلك ، فإن هذه المصادر ارادت التشهير بالمؤلفات التي كتبها المؤرخون البريطانيون الذين يرون بأن المبادر لعقد معاهدة

١٨٩٩ ليس بريطانيا . بل مبارك ، شيخ الكويت ، الذي كان يبحث عن وسيلة تحميه من «الخطر الروسي»[٦٥]

وفي الوقت الذي تأزمت فيه العلاقة بين الدولة العثمانية والكويت ووصلت عام ١٩٠١ حدا عرفت فيه في المصادر الروسية «بمشكلة الكويت» ، قام الروس بدور واضح في التأثير على سياسة الدولة العثمانية من جهة ، ومحاولة تحقيق ما يماثلها في مشيخة الكويت من جهة اخرى ففي هذه الازمة ، ارسل الطراد الروسي «فارياج» الى موانىء الخليج العربي في بداية شهر كانون اول عام ١٩٠٠ ، مما دعا «اداموف» ، القنصل الروسي في المنطقة ، الى أن يبعث برسالة الى «زينوفيوف» - وزير خارجية روسيا - اظهر فيها تخوفه من مثل هذا الاجراء لاعتقاده ان اثارة المشكلة الكويتية مجددا غير ملائم في هذه الفترة بيد ان «زينوفيوف» لم يأخذ بهذه الاقتراحات وأصر على تنفيذ رحلة الطراد الى موانىء الخليج العربي ، كما أبرق الى «اوفسيسكو» ، القنصل الروسي في بوشهر ، طالبا منه ان يكون على ظهر الطراد وأن ينزل الى الأراضي الكويتية . ويقابل الشيخ مبارك ويلفت نظره الى ان بريطانيا أكثر خطرا على الكويت من الدولة العثمانية ولهذا فعليه أن يحسن علاقته مع الأخيرة[٦٦] ومع اننا لا نعلم اذا كان القنصل الروسي قد نفذ تلك التعليمات أم لا ، ولكن يستنتج من التقرير الذي قدمه الى «زينوفيوف»، بعد زيارته للكويت بأن المقابلة كانت جيدة وان شيخ الكويت لم يكن مرتاحا جدا الى الطلبات والتسهيلات التي ارادها البريطانيون منه[٦٧] .

ولكن الوضع الجديد لم يخل من مفاجآت ، وهذا ما يشير اليه المؤرخ الروسي «بونداريفسكي» ، حيث يقول بأنه عثر على النسخ الأصلية لثلاث رسائل كان قد وجهها مبارك في نيسان ١٩٠١ الى «كروغلوف» القنصل الروسي العام في بغداد . وتضمنت هذه الرسائل «طلبا ملحا الى الحكومة الروسية بأن تحمي الكويت من دسائس الانجليز ، حتى ان مبارك اقترح رفع العلم الروسي فوق الكويت[٦٨]

ومع اننا لسنا بصدد انكار صحة هذه الرسائل ، ولكن الذي يمكن قوله ، انه في ظل التنافس الدولي حول الكويت ، فإن الشيخ مبارك لم يحدد موقفه تماما من الأطراف المتنازعة في بادىء الأمر ، ولهذا استقبل قناصل بريطانيا وروسيا والمانيا ، وقد قبل صداقة هؤلاء جميعا دون قيود[٦٩]

وصفوة القول ، فإن المصادر

روسية ارادت الوصول الى نتيجة نيسيـة ، وهي ان الـروس في تصالاتهم المستمرة مع شيخ الكويت م يرغبوا في استغلال هذه القضية صالحهم ، ولكنهم ارادوا اتخاذها وسيلة للوقـوف في وجه الـزحف البريطاني الى الأقسام الشمالية من الخليج العربي ، غير انهم فشلوا في هذا المضمار لتركز النفوذ البريطاني هناك .

لم تقتصر اتصالات الروس على الشيخ مبارك وحده ، إذ اتصلوا بـالأمـير عبـدالعـزيــز بن متعب بن الرشيد أمير نجد ، كما اتصلوا بالأمير عبدالعزيز بن سعود عقب نجاحه في استرجاع الرياض من عامل ابن الرشيد عليها . وكانت اتصالات الروس متزامنة مع رغبة العثمانيين في استعادة نفوذهم في الجزيرة العربية ، وذلك من خلال تقديم العون لابن الرشيد ضد ابن سعود . ولعل من اقدم هذه الاتصالات ، تلك الزيارة التي قام بها «ادوارد نولدي» الموظف الروسي الذي كان في الأصل المانيا من ساحل البلطيق . وقد توجه عن طريق بيروت ودمشق الى حائل ، وزار مخيم مشيخة ابن رشيد في شمالي الرياض ، ثم توجه الى طرابزون عن طريق العراق (كربلاء ـ بغداد ـ الموصل) ، والأناضول الشرقية . ولمذكرات هذا الموظف الروسي أهمية كبيرة جدا ، ذلك لأنه يشير فيها الى الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية وزيارته لأبن رشيد ، الذي كان في حالة عداء مع السعوديين[٧٠] ومهما يكن من تفسير لهذه الزيارة ، فإنها كانت في الواقع ذات أغراض سياسية بخاصة وان الشخص الذي قام بها كان موظفا لدى الحكومة الروسية ، وقد زار أحد الأطراف المتنازعة في الجزيرة العربية ، وترك لنا انطباعاته عن الأوضاع في المنطقة . ومما يدل على ذلك ، ان الروس وبعد أن أصيبوا بخيبة أمل في اتصالاتهم مع الشيخ مبارك حتى عام ١٩٠١ ، فقد حاولوا ان يقيموا علاقات مع عدوه الرئيسي ابن رشيد[٧١] .

وعلى هذا النحو اراد الروس أن يتدخلوا في النزاعات القائمة في شمال وشرقي الجزيرة العربية . فعلى اثر الزيارة التي قام بها «آوفسينكو» القنصل الروسي العام في بوشهر ، لشيخ الكويت مبارك الصباح ، التقى بأحد امراء ابن سعود ، تصادف وجوده وقتذاك بالكويت ، حيث تؤكد الوثائق البريطانيـة بأن القنصـل الـروسي قد عـرض عليه تقـديم المساعدات من مال وسلاح[٧٢] وفي الـوقت نفسه ، تحتفظ الـوثـائق البـريطانيـة بنسخة من رسـالـة

عبدالرحمن بن فيصل بن سعود ، الموجهة الى المقيم السياسي في الخليج ، مؤرخة في ٥ صفر ١٣٢٠هـ/ ١٤ مايو ١٩٠٢ ، وهي تشير الى الاتصال الذى اجراه الأمير السعودي مع القنصل الروسي في الكويت ، الى أن تقول «وطلب مني - أي عبدالرحمن - ان اكتب له رسالة واصفا فيها المعاملة السيئة التي وجهها الاتراك لي ، والمساعدة التي قدموها لأبن رشيد ضدي[٧٢]

تلك هي الظروف التي احاطت بالاتصالات الروسية مع ابن سعود ، التي دأبت الوثائق البريطانية على تصديقها ، ولكنها اعتبرتها «تكتيكا» Tactic اراد الطرفان استغلالها لتحقيق مصالحهما الخاصة ، فابن سعود اراد اثارة البريطانيين للوقوف الى جانبه ضد ابن رشيد ، في حين ارادها الروس وسيلة لاظهار نشاطهم ومطامحهم في المنطقة ، التي كانوا تواقين للوصول اليها[٧٤] .

وتطلع الروس نحو البحرين حيث زار بعض مواطنيهم هذه البلاد عام ١٩٠٢ ، وكان من بينهم المدعو «سربيانيكوف» "Serebianikoff" الذي ادعى انه اتى المنطقة سائحا ، والتقط عدة صور لأماكن متفرقة في البحرين ، وقال بانه سيرسل هذه الصور وسيكتب انطباعاته للصحافة الروسية[٧٥] . وفي العام نفسه ، زارها المستر «بوغوبا فلينسكي» العالم الروسي المتخصص في الاحياء المائية ، حيث امضى فيها اسبوعين في مهمة علمية ، التقى خلالها بشيخ البحرين . ويؤكد لوريمر ، بأن هذا الشخص «كان عالما بالفعل لا شأن له بالمصالح السياسية[٧٦] ، إلا ان المعلومات التي تحفظها الوثائق الروسية تظهر عكس ذلك ، إذ انها تشير الى بعض كتابات هذا العالم ، وبعض التصريحات التي نقلها عن حاكم البحرين ، وجميعها تدل على اهتماماته السياسية . ومن بين تلك الكتابات قوله «هناك رغبة قوية عند شعوب المنطقة في ايجاد علاقة متينة مع روسيا»[٧٧] كما انه ينقل لنا تصريحا لشيخ البحرين عند زيارته له جاء فيه

> **«ليس هناك أي شك في ان العرب يخشون (الأصل يخافون من) الانجليز الانجليز هنا منذ مائة عام ، والكل يعلم انهم يملكون المدافع والبواخر الحربية ، وليس هناك دولة اوربية جاءت الى هذه المنطقة يمكنها ان تساعد العرب فيما اذا رفضوا العمل حسب رغبة**

الانجليز . فإذا استمر الروس في المجيء الى هنا فإن العرب ستقل مخاوفهم بصورة تدريجية من الانجليز[٧٨] .

فلا غرو بعد هذا ، أن لا يستبعد المرء طبيعة المهمة السياسية ، وربما العلمية ايضا ، التي هدف اليها «بوغوبا فلينسكى» من زيارة البحرين ، بخاصة وانها جاءت في وقت زاد فيه النشاط السياسي الروسي في المنطقة .

٤ ـ طريق قناة السويس ـ الخليج .

يعد طريق قناة السويس من أكثر الطرق اهمية ، إذ وصلت بواسطته كثير من السفن الروسية الحربية والتجارية من أجل ارساء النفوذ الروسي في الخليج العربي ، وتم هذا بعد افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ .

يرتبط هذا الطريق مع مجمل النشاطات الروسية الاخرى ، ذلك لانه في الوقت الذي كان يجري فيه البحث عن نهاية للسكة الحديدية المزمع اقامتها في الخليج العربي في اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ظهرت في الوقت ذاته الدعوة لانشاء خطوط ملاحية تربط البحر الأسود بالخليج العربي ، عبر قناة السويس ، واقامة المحطات التجارية المناسبة في المنطقة . وعلى هذا الاساس ، زارت البعوث التجارية مختلف موانىء الخليج العربي لفتح الوكالات فزارت الكويت والبحرين ومسقط وقطر والمحمرة ، وأخيرا اتخذت الشركة الملاحية مركزا لها في بوشهر بعد ان رفضت الموانىء العربية قبولها ، غير ان الروس حاولوا افتتاح وكالات لهذه الشركة في كل من مسقط وجاسك وبندر عباس ولنجة والمحمرة والبصرة[٧٩] .

زاد الروس نشاطهم السياسي والتجاري في الخليج العربي عن طريقين ، وهما المظاهرات البحرية الروسية التي استهدفت اغراضا سياسية ، وانشاء الشركات الروسية للملاحة البخارية . فبالنسبة للطريق الأول ، زار عدد من الطرادات الحربية الروسية ـ في بداية القرن العشرين ـ موانىء الخليج العربي ، مثل «جيلياك» عام ١٩٠٠ ، و«فارياج» عام ١٩٠١ ، و«اسكولد» عام ١٩٠٢ ، و«بويارين» عام ١٩٠٣ . ويمكننا ان ندرج أهداف هذه الزيارات في الآتي :

١ ـ الحصول على معلومات هامة حول الوضع بالخليج والمناطق التي يستحسن للبواخر الروسية ارتيادها

والتماثل فيها .

٢ ـ الفات نظر الدوائر السياسية البريطانية . والتلويح بأن بريطانيا ليست وحدها صاحبة النفوذ في المنطقة

٣ ـ اظهار الاتفاق بين السياستين الروسية والفرنسية تجاه الخليج العربي . وهذا ما تعكسه زيارة الطراد الروسي «بويارين» بصحبة الطراد الفرنسي «لانغرتيه» ، لمسقط وقيام قاندا الطرادين بمقابلة السلطان معا[٨] .

٤ ـ تعريف سكان المنطقة بالروس ونشاطهم إذ كان يسمح للمواطنين أحيانا بالصعود الى السفن الروسية ومشاهدتها . وقد أثارت هذه السفن ، وبالذات «فارياج» سكان موانىء الخليج وذلك لاستخدامها الانارة الكهربائية الحديثة التي تفتقر اليها السفن الحربية البريطانية الموجودة في مياه الخليج العربي . ولكي يغطي البريطانيون على ذلك فقد جاءوا بالمولدات الكهربائية الى جميع قواعدهم في الخليج ، كما ارسلوا الى مياه الخليج الطراد الحديث «امفيتريد» الذي يشبه الطراد الروسي «فارياج» في أجهزته الكهربائية[٨١] .

ويبدو ان زيارات السفن الروسية تركت أثرا كبيرا في نفوس الناس الموجودين في المنطقة ، بحيث اثار الأمر انزعاج القنصل البريطاني في البصرة . وفقد لوريمر صوابه بحيث وصفها بعبارات لاذعة حيث يقول «وكان يميز زيارات هذه السفن المتابعة لموانىء الخليج حفاوات زائدة ، وتحيات رسمية وبحرية . ومجاملات واسعة ، بل واحيانا كانت السفن نفسها تسمح للدهماء ـ كذا من العرب والايرانيين بالصعود اليها ومشاهدتها»[٨٢] .

ولكي يقيم الروس لهم مصالح ثابتة ومستقرة في الخليج ، فقد عملوا على تسيير خط من البواخر الملاحية اليه ، وهذا ما أوحت به اللجنة التي ألفها «دي ويت» ، وزير المالية الروسي ، حيث دعت في تقريرها الذي اصدرته في أواخر عام ١٩٠٠ الى اقامة خط ملاحي من ميناء أوديسا على البحر الأسود الى كل من البصرة وبوشهر خلال شهرين . فكان وصول الباخرة الروسية «كورنيلوف» Korniloff الى الخليج العربي في اذار ١٩٠١ بمثابة تدشين لهذا الخط

لقد توسعت التجارة الروسية في الخليج العربي بسرعة كبيرة حتى قدر عدد السفن التي ارسلت خلال الاعوام من ١٩٠٣ ـ ١٩١٤ بحوالي ستين باخرة روسية كبيرة محملة بالأخشاب والنفط والخزف الصيني والزجاج والسكر والطحين والمكائن

والاقمشة والكبريت والمشروبات والمربات ، وفي طريق عودتها الى روسيا كانت تقل التمور والتبغ والسمسم والجلود(٨٣) .

وهكذا يبدو لنا ان الروس ، منذ مؤتمر برلين عام ١٧٨٨ ، بدأوا ينتهجون سياسة المحافظة على الدولة العثمانية بدلا من اقتسامها ، على العكس من السياسة البريطانية التي بدأت تنتهج سياسة مغايرة . وعلى هذا الاساس ، ولما كان للعثمانيين نفوذ اسمي في منطقة الخليج العربي ، سواء في البصرة أو في الامارات العربية ، فقد حاول الروس الاستفادة من هذا النفوذ . بخاصة وان العثمانيين سعوا الى احيائه في سبعينات القرن التاسع عشر ، وكرروا الامر في أواخر القرن المذكور واوائل القرن العشرين . لقد عمل الروس على ايجاد قواعد بحرية لهم في الخليج سواء في الجانب الشرقي منه أو الغربي ، ولقى الروس العون من السلطات العثمانية المركزية منها والمحلية في ولاية البصرة ، ومع ذلك ظلت معظم المشروعات الروسية نظرية ولم تخرج الى حيز الوجود ، رغم الوسائل السياسية والاقتصادية والعسكرية التي اتبعتها روسيا ، ويعود سبب ذلك الى استقرار النفوذ البريطاني في المنطقة منذ عام ١٨٢٠ وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى .

وعلى أية حال ، فإن المخططات الروسية تجاه الخليج العربي قد انتهت باتفاقية عام ١٩٠٧ بين روسيا وبريطانيا ، ذلك لأن الأخيرة قد حالت فيها بين الوجود الروسي في شمال بلاد فارس وبين الأماكن التي كانت محط انظار الروس في الخليج على ان قبول روسيا بهذا الأمر لم يكن طوعا ، وإنما بفعل الأوضاع المضطربة التي كانت عليها روسيا ، بسبب اندحارها في الحرب مع اليابان عام ١٩٠٥ ، وقيام الثورة الفرنسية في العام نفسه .

ولكن الأهم من ذلك كله ، ان الروس اذا كانوا قد فشلوا في تحقيق نفوذ سياسي مستقر لهم في الخليج ، بسبب النفوذ البريطاني القوي ، فإنهم نجحوا في المحافظة على تجارتهم في المنطقة دون انقطاع ، وبخاصة عن طريق ميناء البصرة ، ومنه الى بقية انحاء العراق ، والأقسام الداخلية في فارس .

الهوامش

هوامش البحث :

١ ـ دريك هولدر ، السياسة السوفيتية تجاه الشرق الأوسط في دراسات في الاقتصاد والسياسة والقانون ، مجموعة المحاضرات التي القيت في الندوة الديبلوماسية التي نظمتها وزارة خارجية دولة الامارات العربية المتحدة في ابوظبي لعام ١٩٧٨ ، ص ١٥٤

٢ ـ روتشين ، العلاقات الدولية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين (موسكو ، ١٩٦٠) ص ٥٧٩ (باللغة الروسية) ، نقلا عن الدكتور نوري عبدالبخيت ، الصراع بين روسيا وبريطانيا حول فارس والخليج العربي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، مجلة الخليج العربي ، (جامعة البصرة) ، العدد السادس (١٩٧٦) ص ٥٧

٣ ـ بونداريفسكي ، سياسة ن ازاء العالم العربي (دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧٥) ص ٥٦

٤ ـ الدكتور جمال زكريا قاسم ، دراسة لتاريخ دولة الامارات العربية المتحدة ١٨٤٠ ـ ١٩١٤ (دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط ٢ ، ١٩٧٤) ص ٣٩١

٥ ـ الدكتور عبدالكريم غرايبة ، وثائق يلدز كمصدر لتاريخ البصرة وخليجها والنشاط الاوربي في تلك المناطق في بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ (مطابع دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٥) ص ٦٩٥

٦ ـ W.L. Langer, The Diplomacy of Imperialism (New York, 1956), pp. 466-7.

٧ ـ بونداريفسكي ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .

٨ ـ قاسم ، المصدر السابق ، ص ٣٩٩

٩ ـ Edward Meaa Earle, Turkey, the Great powers, and the Baghdad Railway (Russell and Russell, New York, 1966), p. 58.

١٠ـ محمد عدنان مراد ، صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي جذوره التاريخية وابعاده (دار دمشق للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٤) د ص ٣٤٠

١١ـ انظر نص الوصية في كتاب برسي سايكس Sir Percy Sykes, A History of Persia (Macmillan and Co. Ltd. London, 1963), Vol. II, pp. 244-6.

١٢ـ الدكتور زكي صالح ، بريطانيا والعراق حتى ١٩١٤ دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري (مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٨) ص ١٤٣

١٣ـ روز لويس كريفس ، المعاهدة الانجليزية الروسية ١٩٠٧ ـ ١٩١٤ بعض وجوهها ومدى تاثيرها في فارس ، ترجمة الدكتور محمد وصفي ابو مغلي ، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، السلسلة الخاصة ـ ٣٩ ـ (١٩٨٤) ص ٩

١٤ـ India office, L/P s/20/c. 277. Russian activities, in P.G.
نقلا عن د عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم ، سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي ١٨٥٨ ـ ١٩١٤ دراسة وثائقية (مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز ، الرياض ، ١٩٨٢) ص ٢٨٧

١٥ـ ج ج لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، مطبوعات علي بن علي ، الدوحة ، قطر ، ط ٢ د ت) ، ج ١ ص ٥٢٣

١٦ـ المصدر نفسه

١٧ـ سير ارنولد ويلسون ، تاريخ الخليج ، ترجمة محمد امين عبدالله ـ سلطنة مسقط ، وزارة التراث القومي والثقافة ، ط ٢ ، ١٩٨٥ ، ص ١٨٥

١٨ـ المصدر نفسه

١٩ـ كريفس ، المصدر السابق ، ص ٨

٢٠ـ لوريمر ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٥٧٦ ، وج ٧ ص ٣٩٥٤

٢١ـ المصدر نفسه ، ج ١ ص ٥٧٥

٢٢ـ د عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم ، السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩ ـ ١٩٤٧ دراسة وثائقية (دار المريخ ، الرياض ، ١٩٨١) ص ٨١

٢٣ـ لوريمر ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٥٧٥

٢٤ـ البروفيسور بونداريفسكي ، الدبلوماسية الروسية ومشكلة الكويت سنة ١٩٠١ ، ترجمة وتعليق الدكتور نوري عبدالبخيت ، مجلة كلية الآداب (جامعة البصرة) العدد ١٢ ، السنة العاشرة (١٩٧٧) ص ١٣٠

٢٥ـ Sir C. Scott to the Marquess of Lansdown, St. Petersburg, Dec. 25, 1907. Quoted in: Robin Bidwell, the Affairs of Kuwait 1896 - 1905, Vol. I. 1896 - 1907 (Frank Cass and Company, London, 1917). Vol. I, p. 163.

٢٦ـ ابراهيم ، السلام البريطاني في الخليج العربي ص ٨٢

٢٧ـ لوريمر ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٥٣١

٢٨ـ غرايبة ، المصدر السابق ، ص ٦٩٣

٢٩ـ عبدالكريم غرايبة ، الخليج العربي في العهد العثماني في دراسات في التاريخ والسياسة والقانون والاقتصاد ، مجموعة محاضرات الندوة الدبلوماسية التي نظمتها وزارة خارجية دولة الامارات العربية المتحدة في

ابوظبي (١٩٨٠) ص ١٦٨

٣٠- احمد العناني . دراسة مقارنة بين الوثائق التركية والبريطانية . الشيخ قاسم بن محمد بن ثاني ومشكلات الزعامة المحلية في الخليج خلال القرن التاسع عشر . ابحاث الحلقة الرابعة للمراكز والهيئات المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية (مناقشة الدكتور محمود علي الداود) . (ابوظبي ، ١٩٧٩) . ص ٢٣٧

٣١- لوتسكي . تاريخ الاقطار العربية الحديث (دار التقدم . موسكو . د ت) ص ٤٢٤

٣٢- From Robertson to the Political Resident in Turkish Arabia, No. 207 14 Dec. 1887, F.O. 78/5108.

٣٣- الداود . المصدر نفسه ص ١١٨

٣٤- بوندار يفسكي . الدبلوماسية الروسية ومشكلة الكويت سنة ١٩٠١ . ص ١٢٣

٣٥- العلاقات الدولية في الخليج العربي . ص ١١٤

٣٦- لوتسكي . المصدر السابق . ص ٤٢٣ - ٤

٣٧- نفس المصدر

٣٨- بونداريفسكي . الدبلوماسية الروسية ومشكلة الكويت . مقتبس من ارشيف سياسة روسيا القيصرية الخارجية . وثيقة ١٦١٥ . ورقة ٣٦٥

٣٩- الداود . المصدر السابق . ص ١٢٣ مقتبس من
Enclosed In O'connor to Foreign office, No. 4424, Sept. 1899. F.O. 78/5114.

٤٠- الباب العالي/ نظارة الشئون الخارجية . برقية من توفيق باشا الى منير بك . باريس . الرقم ٤٥٦١٥/٧ في ٨ يناير ١٩٠٢ نقلا عن د . نجاة عبدالقادر القناعي اهمية الوثائق العثمانية في دراسة تاريخ الخليج العربي الحديث وشبه جزيرة العرب الحديث . دراسات الخليج والجزيرة العربية . العدد الثلاثون . السنة الثامنة . (ابريل ١٩٨٢) ص ١٨٠

٤١- لوريمر . المصدر السابق . ص ٢٢٥٣

٤٢- الدكتورة فتوح الخترش . التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك دراسة وثائقية مقارنة بالمؤرخين المحليين . تاليف ج ج سلدانها . عن كتاب شئون الكويت ١٨٩٦ - ١٩٠٤ (الكويت) ط . ١ - ١٩٨٥ . ص ٦٢

٤٣- د بدر الدين الخصوصي . النشاط الروسي في الخليج العربي ١٧٨٧ - ١٩٠٧. دراسات الخليج والجزيرة العربية . العدد الثامن عشر . السنة الخامسة (نيسان . ١٩٧٩) ص ١١٩

٤٤- Government of India to Lord G. Hamilton, Feb. 14, 1899, Bid Well, op. cit. vol. I, p. 40.

٤٥- Sir N. O'conor to the Marquess of Salisbury, constantinople, Feb. 25, 1899.

٤٦- Foreign Office to Admiral Beaumont, Foreign Office, Feb. 16, 1898, Bidwell, Op. Cit, Vol. 1, P. 27.

٤٧- للمزيد من مسالة الحجر الصحي تلاحظ الوثائق البريطانية التي جمعها بدويل Bidwell وانظر ايضا . القناعي . المصدر السابق . ص ١٦١ - ٠٦٦

٤٨- الخترش . التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك . ولكنها تذكر اسم الروسي الذي اصطحب الطبيبين خطا باسم «ادموان» . انظر نص التقرير ايضا في Bidwell, The Affairs of Kuwait, Vol. 1, 1896 - 1901, Government of India to Lord G. Hamilton, Feb. 9, 1898, P. 27.

٤٩- Foreign Office (Confidental), October, 30, 1901, P. 13; N. O'Conor to the Marquess of Lansdowne, Therapia, August 21, 1901, Quoted in: Bidwell, Op. Cit, Vol. 1, P. 78.

٥٠- ارشيف سياسة روسيا الخارجية . وثيقة ٣٦٤ . ورقة ٥٣٣ نقلا عن بوندار فيسكي . الدبلوماسية الروسية ومشكلة الكويت سنة ١٩٠١ . ص ١٢٧ - ٨

٥١- دليل الخليج . ج١ ص ٥٧٥

٥٢- Sir N. O'Conor to the Marquess of Salisbury, Constantinople, March 18, 1899, Quoted in, Bidwell, Op. Cit, Vol. 1, P. 47.

٥٣- Consul Wratislaw to Sir N. O'Connor, Bussorah, May 15, 1901, Quoted in Bidwell, Op. Cit. Vol. 1, P. 54.

٥٤- Bidwell, Op. Cit, Vol. 7, (Introduction):, P. XLV.

٥٥- الدكتور بدر الدين الخصوصي . الخليج العربي والمطامع الاستعمارية . مجلة كلية الاداب والتربية (جامعة الكويت) . العددان الثالث والرابع . حزيران وكانون الاول (١٩٧٣) ص ٢٤٣

٥٦- لمزيد عن زيارات السفن الروسية الحربية لمنطقة الخليج العربي يلاحظ لوريمر . المصدر السابق . ج١ ص ٥٢٣ - ٥٢٥

٥٧- المصدر نفسه . ج١ ص ٥٢٧ - ٩

٥٨- المصدر نفسه . ص ٢٢٥٢

٥٩- الدكتور لؤي بحري . سكة حديد بغداد (شركة الطبع والنشر الاهلية . بغداد . ١٩٦٧ . ص ٢٠

٦٠- المصدر نفسه . ص ١٨ - ٩ .

٦١- British Parliamentary Papers, Report on the trade of the Wilayet of Basra, 1908, CXVI, P. 8: نقلا عن جاسم محمد حسن . العراق في العهد الحميدي ١٨٧٦ - ١٩٠٩ . رسالة ماجستير غير منشورة . مقدمة الى كلية الاداب . جامعة بغداد (١٩٧٥) . ص ٤٠٢

٦٢- المصدر نفسه
٦٣- انظر الدكتور جابر ابراهيم الراوي . الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية - الايرانية دراسة قانونية وتانقية (مطبعة دار السلام . بغداد . ١٩٧٥) ص ٢٤٨
٦٤- بوندار يفسكي . سياستان ازاء العالم العربي . ص ٦٦
٦٥- المصدر نفسه ص ٦٧
٦٦- ارشيف سياسه روسيا الخارجية . ونيفه ٣٦٥ . ورقة ١٣ . نقلا عن بونداريفسكي الدبلوماسيه الروسية ومشكلة الكويت سنة ١٩٠١ ص ١٢٩ . سياستان ازاء العالم العربي . ص ٦٧ . المؤلف نفسه . التوغل البريطاني في جنوب وادي الرافدين ومحاولات احتلال الكويت في بداية القرن العشرين - ترجمه الدكتور نوري السامرائي . مجلة الخليج العربي . (جامعة البصرة) . العدد الثالث (١٩٧٥) ص ٥٣
٦٧- المصدر نفسه
٦٨- بونداريفسكي
٦٩- قاسم . المصدر السابق . ص ٢٦٧
٧٠- ب م دانتسيغ . الرحالة الروس في الشرق الاوسط . ترجمة وتعليق الدكتور معروف خزنة دار (المركز العربي للطباعة والنشر . بيروت . ١٩٨١) ص ٣٣٨
٧١- Bidwell, Op. Cit, Vol. 1, P. XIV (Introduction).
٧٢- في برقيه للادميرال داي هـ بوسانكويت . سلدانها . عن شئون الكويت ١٨٩٦ - ١٩٠٤ . ص ١٦٦
٧٣- Foreign Office, from C.A. Kemball Officiating Political Resident in the Gulf, to the Secretary of the Government of India, حيث نجد في هذه الوثيقة الترجمة الانكليزية لرسالة عبدالرحمن بن فيصل بن سعود باللغة العربية
٧٤- Consul Wratislaw to Sir N. O'Connor (Confident) Bussorah, June 8, 1901. Quoted in: Bidwell, Op. Cit, Vol. 1, P. 61.
٧٥- ابراهيم . السلام البريطاني في الخليج العربي ص ١٠٠
٧٦- دليل الخليج . ج١ ص ٥٦٨
٧٧- عبد البخيت . الصراع بين روسيا وبريطانيا حول فارس والخليج العربي . ص ٦٢
٧٨- ارشيف سياسة روسيا القيصرية الخارجية . نقلا عن عبدالبخيت . المصدر نفسه . ص ٦٢
٧٩- مراد . المصدر السابق . ص ٣٤٥
٨٠- الوثائق الفرنسية . جمع الانسة ايزابيل بالو . عمان وفرنسا صفحات من التاريخ . ترجمة السيد خزعل (طبع بمطابع شركة تيب . د ت) ص ٢٢٢

٨١ـ أرشيف سياسة روسيا القيصرية الخارجية ، F. 550, L. 16 ، نقلا عن عبدالبخيت ، الصراع بين روسيا وبريطانيا حول فارس والخليج العربي ، ص ٦٢

٨٢ـ دليل الخليج ، ج١ ص ٥٢٧

٨٣ـ Charles Issawi, The Economic History of the Middle East, 1800 - 1914 (Chicago, 1966), P. 352.

العناصر التراثية

في شعر علي بن المقرب العيوني

٥٧٢هـ - ٦٣٠هـ - ١١٧٦ - ١٢٣٢م

بقلم الدكتور:
أحمد موسى الخطيب

إبن المقرب العيونى شاعر بحرينى ولد عام ٥٧٢ هـ وهو أحد أبناء الدولة العيونية التى حكمت البحرين فى الفترة بين ٤٥٠ ـ ٦٥٠ هجرية أى حوالى ٢٠٠ عام .. وابن المقرب شاعر متميز يجتمع فى شعره الابداع الفنى والتسجيل التاريخي ومن هنا جاءت قيمة الشاعر وشعره من الناحية التاريخية إذ يعتبر دون مبالغة المصدر الأساسى لتاريخ الدولة العيونية ذلك لأنه حرص خلال شعره على تسجيل أسماء ملوك هذه الدولة وأبرز الأحداث التى مرت بها .

لهذه الأسباب نقدم هذه الدراسات عن الشاعر فى الوثيقة .

إختلف أصحاب التراجم ، ونساخ ديوانه ، وبعض المعاصرين من الباحثين فى إسمه ، ولقبه ، وكنيته ، وفى ترتيب أبائه ، حتى الجد الأعلى للعشيرة . ولكن ما انتهينا اليه ورجحناه مطمئنين أن شاعرنا هو «على بن المقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبد الله بن على بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن محمد العبدلى ، العامرى ، اللكيزى الربيعى ، البحرانى ، العيونى ، الاحسائى ، أما عن لقبه وكنيته ، فقد لقبه المؤرخون بخمسة القاب هى : جمال الدين ، وكمال الدين ، وموفق الدين ، ومهذب الدين ، ونور الدين ، ولكنه اشتهر بالأولى منها .

كما كنوه بأربعة كنى : أبى عبد الله ، وأبى الحسن ، وأبى المنصور ، وأبى القاسم . وقد اشتهر بالكنيتين الأوليين .

وربيعة جد شاعرنا الأعلى ، وقبيلته فخذ من قبيلة عبد القيس العدنانية ذات الأمجاد ، والذائعة الصيت فى الجاهلية والاسلام .

ويطلق على عشيرته (آل عبدل) نسبة الى جدهم عبد الله بن على ،

مؤسس الدولة العيونية . ويقال لعشيرته (آل ابراهيم) نسبة الى الجد الأعلى ابراهيم بن محمد

وعرف قومه (بالعيونيين) نسبة الى بلدة «العيون» بالاحساء ، وبهذه الأخيرة عرف التاريخ دولتهم وتحدث عنهم

نشأته :

وليس بين أيدينا من الأخبار والروايات فى كتب الاقدمين ما ينير جوانب حياة ابن المقرب ، فيبدد الظلمات التى تكتنف نشأته ، ويصف تقلبه فى الدنيا طفلا ، وفتى ، وكهلا ، ثم يكشف عن أثر البيئة فى نفسه ، وما كان لقبيلته من أثر فى فصاحته ، وما أفاده فى بلده قبل أن يرتحل عنه ، وما أفاده من حلقات العلماء هناك ، فى نمو معارفه ، وعمق مداركه ، ونفاذ بصيرته .. وإنما هى نتف أوردها القدماء فى كتبهم .

يذكر ابن الشعار ان ابن المقرب قد ولد عام ٥٧٢هـ فى بلده العيون من نواحى الاحساء ، وبين أهله وعشيرته ترعرع ، وعاش طفولة مجهولة كالكثير من الشعراء ، وزاد أنها مجهولة تماما . ويفهم من شعره أنه قضى أيام شبابه وصباه فى ربوع البحرين ، ويبدو أنها كانت أياما عذبة . كما أمضى شطرا من أيام شبابه اللاهى فى (الحجر) قصبة اليمامة و (إجلة) من نواحى اليمامة ايضا ، قبل أن تذهله صروف حياته عن متع الدنيا وملذاتها .

ويدهشنا الشاعر لغياب أسرته فى ديوانه ، فلم يذكر والده سوى فى موضعين ، وكذلك أمه . والشيء الذى لا شك فيه أن والده من آل ابراهيم العيونيين ، ومن رجال الصف الثانى أو ما بعد ذلك ، لا خطر له بينهم . ومثله كثيرون فى أى أسرة حاكمة فى كل زمان ومكان . وأن أمه من بكر بن وائل .

ويخلو ديوان ابن المقرب تماما من رثاء أمه وأبيه ، مما يجعلنا نرجح - مطمئنين - أنهما قد ماتا وهو صغير ، فعاش يتيما محروما من عطف الأب ، وحنان الأم ويبدو أنه الابن البكر والوحيد لهذين الأبوين لخلو ديوانه من ذكر أخ أو أخت له .

ملامح شخصيته

يرى العقاد أن تمام الطبيعة الفنية «أن تكون حياة الشاعر وفنه شيئا واحدا ، لا ينفصل فيه الانسان الحى من الانسان الناظم ، وأن يكون موضوع حياته هو موضوع شعره ، وموضوع شعره هو موضوع حياته ، فديوانه هو ترجمة باطنية لنفسه ، يخفى فيها ذكر الأماكن والأزمان ، ولا يخفى فيها ذكر خالجة

لا هاجسة . مما تتألف منه حياة الانسان . ودون ذلك مراتب يكثر فيها الاتفاق بين حياة الشاعر وفنه أو يقل»

والقارىء لديوان ابن المقرب تطالعه شخصيته واضحة الملامح . وكأنه يعوض بذلك ما لحقه من تقصير مؤرخي الأدب ، وإهمالهم له ، فحفظ لنا شعره - بكل أمانة - معالم شخصيته . فقد كان عزيز النفس . سامي الهمة . طموحا الى المجد

يطنّ نحولي ذو السفاهه والعنا
عراما بهند واشتياقا الى دعد
ولم يدراني ماجد شف جسمه
لقاء هموم خيلها ابدا تردى
قليل الكرى ماض على الهول مقدم
على الليل والبيداء والحر والبرد
عدمت فؤادا لا يبيت وهمه
كرام المساعي وارتقاء الى المجد

أما رفضه الضيم والخنوع . فقد كان من أبرز ملامح شخصيته . وكلفه هذا الهجرة عن الوطن . حيث يقول

خليليّ ما دار المذلة فاعلما
بداري ولا من ماء اعدادها وردى

كما كان صاحب عزيمة متوقدة ، وحماسة لاهبة ، وحكمة تحفل بالكثير من هذه المعاني . كما أن فخره ينمّ على أنه من أنصار القوة في الحياة ، ويرى القوة هي السبيل لمواجهة تحديات الحياة

بالسيف يفتح كل باب مقفل
وتحل عقدة كل خطب مشكل

والسيف (وهو رمز القوة عنده) يعد اللغة المثلى للتفاهم مع الأعداء ، ولا سبيل سواها . وهو يؤمن بسياسة القوة سبيلا «لاستعباد» الناس وكل شعره دعوة للحرب ، وحشد الجند ، ورفع السلاح . وكأبابروح ابى الطيب تطالعنا في ثنايا العديد من قصائده فهو لا يميل الى التعلق باوهام الحياة وسراب امالها الخادع . وتعاف نفسه استمراء الراحة . فنفسه العظيمة في طراد دائب

وكان جريئا في إعلان رايه ، مخلصا في نصحه ، عفيفا في لومه . ولأمر ما ينكب ، ويلقى به في السجن ، ويبدي باختياره الى العراق . ومع ذلك يظل جلدا صابرا

ثبت من الزمان بعثير
قليل عندها حز الشفار
فراق احبه وذهاب مال
وضيم اقارب واداد جار
فلا والله ما وجد كوجدى
ولا عرف اصطبار كاصطباري

ويبدو أنه قد واجه تحديات واقعة ولم يكن قد بلغ سن الحلم . حيث يقول

لقد كلفتني خططا اشابت
قذالي قبل خط في عذاري

وعلى الرغم من أن قومه قد ضايقوه

فى عيشه ، وناصبوه الريب والحذر إلا أنه كان لهم اللسان المنافح عنهم ، المعبر عن أمجادهم

لقد بذلوا المجهود فيما يسوءنى
وقد كنتُ ارمى دونهمْ واجالدُ

هذا ومع ارتحاله بعيدا عنهم ، إلا أنه كان حفيا بانبائهم . يسائل الركبان عنهم ، حيث يقول

وإنّى حفىّ عنهُمُ ومُسائلٌ
بهمْ حيث ينْوى السّفْر او ينزل الركبْ

وهذه الأخلاق النبيلة التى فاضت بها نفسه ، والتزم بها طوال حياته ، شيمٌ عربية أصيلة ، ومرتكز أساسى للفخر القومى فى أدبنا العربى

وكان ابن المقرب قد عزم الا يمدح سوى أمراء بيته العيونى ، فلا يليق بمثله ان يمدح ويتكسب

وإنّى لاتسا المدْح فى غير سيّد
أسود أبى لوزاحم النجم كاهلُه

ولكن أرزاء الدهر كانت أقوى - على ما يبدو - من كبرياء نفسه ، فاضطر لأن يمدح ويطلب النوال ، ويرجو .. ولكن ما يغفر له أنه لم يمدح من رجالات العراق إلا من عرف بخطر سياسى أو اجتماعى أو علمى . من أمثال الخليفة العباسى الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ) ، والخليفة المستنصر بالله (٦٢٣ - ٦٤٠ هـ) ، وشمس الدين باتكين أمير البصرة ، وبدر الدين لؤلؤ أمير الموصل (ت ٦٥٧ هـ) والملك الأيوبى الأشرف (ت ٦٢٥ هـ) والنقيب العلوى تاج الدين اسماعيل ، والعالم الجليل أبى البقاء العكبرى .

عاش ابن المقرب فى بيئة شهدت قدرا غير قليل من الانحلال والتفسخ ، ومع ذلك أبى لنفسه - صيانة لعرضه - أن يشينها ، أو يعطى الشانئين فرصة للنيل منها ، فهو يقول

وأكبرتُ نفسى ان اجالس قينة
ودُفّا ومزمارا وعودا واعبدا
وان اجعل الانذال حزبا وشيعة
ولو جار فى الدهر ما شاء واعتدى
فلستُ ببدْع فى الكرام وهذه
سبيل ذوى الافضال والباس والندى

وكان الشاعر شديد الاعجاب بنفسه ، معتداً بها ، لا ينساها حتى إذا مدح ، حيث كانت تغيب أو تذوب ذوات الكثير من شعرائنا ، وكان يرى أنه خير أبناء قومه ، وفتاهم الأول ولعل هذا الإعجاب بالنفس تعويض عما لقيه من ظلم ذويه ، وإهمالهم له ، وإلا فما الذى يدفعه لأن يقول

فإن لم يكن لى ناصر من بنى أبى
فحزمى وعزمى يغنيانى عن الحشد
وإن لم يدرك العليا همام بقومه
فنفسى تناجينى بإدراكها وحدى

وأول ما يخطر بذهن قارىء هذه الأبيات ومثيلها فى ديوانه روح أبى

الطيب ، ونفسه العظيمة ، ولم لا ، ففيه من أبى الطيب شموسه واباؤه ، وعلو همته ، وسمو أمله ، وكلاهما من أنصار القوة فى الحياة ، ولم يكونا من أصحاب الحظوظ السعيدة ، حاربتهما المطالب ، وحاربهما المجتمع ، وكان اعتدادهما الشديد بالنفس أحد العوامل الهامة التى حالت دون تحقيق ما كان يطمح كل منهما اليه .

وكما كان شديد الاعتداد والإعجاب بذاته ، فقد كان مزهوا بشاعريته ، ويرى أن نظمه يفوق شعر أقرانه وأنداده ، وتردد هذا فى مواضع عديدة من ديوانه ، ومنه قوله

وغريبُ نظم فاق أشعار الورى
فيكُمْ بساحة كلّ أرض ينشدُ
وإليكها يأبا علىّ مدْحة
من فضلها انىّ عليها أحسدُ
جاءتْ نسيجة وحدها فى عصرها
إذ انت فى هذى البريّة أوحدُ

وما بين أيدينا من أخبار قليلة عن الشاعر ، لا ينفعنا فى تصور ملامحه وسماته ، لإغفالها أوصافه ، وشعره أيضا لم يسعفنا بشىء من ذلك ، اللهم إلا إشارته فى موضعين من ديوانه لنحوله ، والذى كان - كما يبدو - سمة ظاهرة ، لافتة للنظر بل وللتساؤل والتوهم .

ظنَّ نُحولى ذو السفاهة والغبا
غراما بهندٍ واشتياقاً الى دعد

وتتكرر هذه الاشارة ، وبالمعنى نفسه ، فى قصيدة له يمدح فيها الخليفة الناصر لدين الله عام ٦١٤هـ ، ولكن صفة النحّول هنا تصاحبها صفة الاصفرار

ظننت نُحولى واصفرارى من الهوى
وذلك مما يقتضيه التوهّمُ

ولا يترك الشاعر من يشغلهم أمر نحوله واصفراره يخبطون فى وهمهم كما يشاءون ، بل يفصح لهم عن علّة ذلك

لعمرك مابى من هوى غير اننى
بغُرَ المعالى يا ابنة القوم مُغرمُ
وقد عرضتْ من دون ذاك فاحرضتْ
امورٌ لها يُستهلك اللحم والدّمُ

ومن كان على شاكلة ابن المقرب فى حدة طبعه ، ورهافة حسه ، وسمو هدفه ، وعانى مثله اضطهاد ذوية ، وإنكار مجتمعه له ، فالنحول صفة لازمة له ، أما الصفرة التى بدت على محيا شاعرنا عام ٦١٤ هـ ، فلعلها أثر لهمه الذى لا يزايله ، حتى وإن بدا ساكناً

إن ترى شخصى لامر ساكناً
فلعمرى إن قلبى فى طراد
فهو همّ مقلق لمضجعه
قليل الكرى ماض على الهول مُقدمُ
على الليل والبيداء والحرّ والبرد

وربما كان اصفراره ناجماً عن مرض مزمن قد أصابه ، وبدأت أعراضه تظهر عليه ، وأدى الى وفاته

فى سن مبكره ، فقد توفى وهو فى السابعة والخمسين من عمره .

ثقافته

ويخلص قارىء ديوان ابن المقرب الى أنه قد الم من ثقافة عصره بما يعينه على أن يكون شاعرا متمكناً من أدواته الفنية . من ثراء فى الألفاظ ، وقوة فى الصياغة ، وسلامة فى البناء ، وغنى فى الايقاع . بالاضافة الى ثقافته الدينية والفلكية ، وعلمه بالأنساب ، وإحاطته بأيام العرب . وبتاريخ قبيلته فى الماضى والحاضر ، ووقوفه على دقائق تاريخ دولتهم منذ نهوضها ، وحتى تقوض سلطانها

وفاته

فى البحرين ، وعلى أرض الاحساء التى ناضل دونها ، وارتحل عنها من أجلها ، لفظت تلك النفس الكبيرة أنفاسها الأخيرة ، مشيعاً بما أخلص من نية ، وأحسن من عمل ، وبذل من جهد ، وأبدع من قول .

وقد أجمع من ترجموا له على أنه ولد فى العيون عام ٥٧٢هـ ، أما وفاته فقد اختلفوا فى تحديد زمانها ومكانها . ولكن ما نطمئن اليه أنه قد توفى بالبحرين أواخر المحرم عام ٦٣٠ هـ .

توفى ابن المقرب ، ولا نعرف كم ترك من البنين ، فقد ورد فى شعره ما يفيد أنه كان متزوجاً ، وأباً يسعى لتحقيق حياة كريمة لأسرته ، بعد أن جار عليها الزمن ، فمن قصيدة له يمدح فيها الأمير محمد بن على العيونى عام ٦٠٥ هـ يقول

فصن حُرَّ وجهى عن سؤال فإنَّه ... علىَّ ولو عاشَ ابن زائدة صعبُ

وزِدْ كثيرا من يسير تقُتُّ به ... فراخا قد استولى على ربْعها الجدبُ

***

كان هذا عرضا لابد منه لحياة الشاعر وشخصيته وننتقل الآن الى الجزء الرئيسى من هذا البحث

منذ أن أخذت تجربة الشعر الجديدة تفرض نفسها على الساحة الأدبية ، بدأت تتتابع مجموعة من الدراسات الجادة لتقويم هذه التجربة الجديدة ، واستأثرت صلتها بالتراث بالحظ الأوفر من جهود المؤيدين لها أو الرافضين ، وتخصصت بعض الدراسات فى الكشف عن قيم التعبير والتصوير عند الشاعر المعاصر من خلال توظيفه لعناصر التراث توظيفا ايحائيا رمزيا

والسؤال الذى يطرح نفسه هل استخدم على بن المقرب العيونى . شاعر الاحساء (٥٧٢ ـ ٦٣٠ هـ) فى هذه المرحلة المتأخرة عناصر التراث للتعبير عن آفاق تجاربه الفنية ؟ والى أى مدى استخدمها ؟ وكيف تعامل

ـعها فى شعره ؟

وهذا البحث محاولة للاجابة عن هذه الاسئلة

لا يستطيع أى أديب أن يفلت واعيا أو غير واع من تأثير عاملين اساسيين لهما سطوتهما على ابداعه ومصادر إلهامه .

الأول هو الواقع الذى يعيش فى اطاره بتأثيراته الانسانية والطبيعية فالانسان فنانا أو غيره ـ لا يعيش في فراغ ، وإنما هو إفراز محدد لواقع معين يرسم له كثيرا من خصاله وصفاته الانسانية والنفسية ، ويصوغ له ـ الى حد ما ـ مواقفه الفكرية ومفاهيمه الجمالية إزاء حركة البشر فى عالمه .

والثانى . هو التراث وتقاليد النوع الفنى الذى يبدعه فالاديب فى ظل أية مرحلة ، وتحت آية مدرسة ليس إلا حلقة متواضعة فى سلسلة تاريخية فارعة الطول [1] .

فخبرة الشاعر الجمالية ـ إذن ـ تتشكل من خلال معايشته الطويلة لصياغة تراثه الشعرى ، ووقوفه على كيفية استثمار سابقيه لطاقات اللغة وامكاناتها اللامحدودة فى العطاء والدلالة . والخبرة اللغوية عند الشاعر يتوقف تراؤها وعمقها على كيفية تعامله مع التراث القديم ، ومدى قدرته على الافلات من سطوته وتجاوزه ، وصولا الى كيفية جديدة تفى بمطالب واقع معاصر يعايشه ويعبر عنه . (والشاعر بخاصة لا يعيش حياة منفصلة عن الماضى ، بل يستأنف حياته فى نفس الدروب التى سلكها أسلافه ، وقد أخذه التعب والنصب ، وفى باطنه حافز يحفزه على تحمل كل المشقات وتجشم كل الصعاب . هو الأمل فى أن يكون أديبا مكملا لسابقيه) [2] ويتطلب أمل التواصل هذا الوقوف ـ بصبر واناة ـ على ما خلفته أجيال الشعراء من تراث فنى ، وما أحدثوه عبر رحلتهم الطويلة والشاقة من اضافات أو تثوير فى بنية التشكيل أو فى بنية المعنى فالفن اضافة ولا يحدث الشاعر عملا آصلا بدون ثقافة عميقة لموروثه الشعرى فهو الرحم الذى يتخلق فيه ، والنهر الذى منه يغترف ، وعلى ضفافه تترعرع مواهبه وملكات ابداعه . وقد الح الناقد العربى القديم على حاجة الشاعر المحدث الماسة الى الرواية والحفظ ، صقلا لمواهبه ، وسموا بحسه الفنى .

إذن فصلة المتاخرين بأسلافهم هى صلة طبيعية ، وتظهر هذه الصلة عند الشعراء بعامة ، ولكنهم يتفانون فى مدى الخضوع لسلطانها . فهناك شعراء يمتلكون التراث ، واخرون يمتلكهم التراث . فالضرب الأول منهم

يكون الشاعر فيه انسانا ينتج شعرا متميزا ، وذلك بعد أن هضم التراث ووعاه ، واستطاع بعد ذلك أن يصل الى كيفية خاصة فى التعامل مع أداة عامة ، والشاعر من هذا المستوى يتجاوز التراث عادة ، فيضيف اليه جديدا . أما الضرب الثانى منهم (فقد يمتد تقديره لموروثه الشعرى من مفردات اللغة وقواعدها الى تراكيبها وامثالها ، الى تشبيهاتها واستعاراتها ، حتى ينتهى الى فن الشعر بكل ما يشتمل عليه من أوزان وموضوعات وأخيلة ومعان) (٣) .

وحين يحصر الشاعر المحدث نفسه فى اغراض أسلافه وموضوعاتهم ، ويفرض عليه الالتزام بأساليبهم فى التعبير ، فلابد من أن يضيق المجال أمامه . وقد افصح (ابن طباطبا) عن معاناة شعراء عصره بقوله (والمحنة على شعراء زماننا فى أشعارها أشد منها على من كان قبلهم ، لأنهم قد سبقوا الى كل فن بديع ولفظ فصيح ، وحيلة لطيفة ، وخلابة ساحرة .) (٤) .

فإذا كان الشاعر الجاهلى يقول

ما أرانا نقول إلا معارا
أو معادا من قولنا مكرورا

فما بالك بمن تلاهم من الشعراء الذين كانوا ينظرون بعين التجلة والاعجاب والتقديس لذلك الموروث الشعرى ، وتقاليده الفنية الثابتة فى البناء والتشكيل . واينا لا يذكر استهجان الذوق الفنى العربى حين تجاوز أبو نواس تلك القيم الفنية . وأعلن ثورته على بناء القصيدة . والتى تمثلت فى خروجه على المطلع الطللى التقليدى ، ودعوته الى الرجوع للطبع لا الى التقليد ؟ أو حين تجاوز أبو تمام تلك القيم الفنية المألوفة فى تشكيل الصورة الشعرية ، فعد الأول شعوبيا ! وتأخرت - حينئذ - شاعرية الثانى ، فقدم عليه معاصروه من النقاد من هو دونه من شعراء العصر .

ويمكن القول بأن الشاعر العباسى قد سلك أحد طريقين الأول التكرار الساذج الذى يسقط قيمته كشاعر مطالب بالابتكار ، والآخر التوليد الذى يخرجه من مأزق التكرار الى آفاق أرحب فيما يسمى (بحسن الاتباع) وهو أن يأتى المتكلم الى معنى اخترعه غيره فيحسن اتباعه فيه . بحيث يستحقه بوجه من وجوه الزيادات التى توجب للمتأخر استحقاق المعنى المتقدم على أن سالك هذا السبيل - سبيل التوليد - يحتاج الى ألطاف الحيلة ، وتدقيق النظر فى تناول المعانى واستعارتها وتلبيسها حتى تخفى على نقادها البصراء بها . فينفرد بشرفها كأنه غير مسبوق اليها (٥) .

إن علاقة الشاعر العربى بتراثه علاقة قديمة قدم الشعر العربى ذاته ، فهذه العلاقة وان وهنت فى بعض العصور أو تغيرت صورها أو طبيعتها من عصر الى عصر ، فهى لم تنقطع أبدا ، حيث لم يكف الشاعر العربى فى أى عصر من العصور عن استرفاد تراثه واستلهامه على نحو من انحاء الاسترفاد والاستلهام ، ولم يكف نقدنا العربى أيضا منذ أقدم عصوره عن دراسة بعض صور هذه العلاقة فى اطار أو آخر .. وتحت عناوين متعددة مثل (السرقات الأدبية) و (المعارضات) و (التشطير والتربيع والتخميس) وغيرها . وكل هذه نماذج لعلاقة الشاعر العربى بموروثه الشعرى والأدبى بعامة ، وهى كلها نماذج لمحاكاة التراث والأخذ منه ، دون محاولة لتطويره أو تنميته .. حيث كان التراث فى إطار هذه الصور من صور العلاقة هو النموذج المثالى الذى لا ينبغى للشاعر أن يتجاوزه (٦) .

وفى دراسة قيم التقليد عند الشاعر على بن المقرب العيونى (٥٧٢ - ٦٣٠ هـ) على مستوى التعبير والتصوير والايقاع (٧) . نقف على طبيعة علاقة الشاعر بموروثه الشعرى ، ونلاحظ فى تناولنا لقيم التعبير التقليدية أنه قد صدر فى نتاجه الفنى متأثرا بإطار ثقافى واسع يمتد قرابة سبعة قرون ، تأثر فيه بشعر الفحول من أسلافه ، بعد أن قرأ أشعارهم ووعاها ، وقد أسهمت هذه القراءة أو الاحاطة - دون شك - اسهاما حسنا ملحوظا فى تكوين شاعريته ، وفى تحديد أبعادها ... كما أن المعانى والصور التى أخذها ، هى من المعانى والصور الهامة التى تلتقطها الذاكرة باهتمام ، وتصهرها ، وتختزنها لتصبح جزءا من لا شعور الشاعر . كما جاء بعضها من قبيل توارد الخواطر بين الشاعر وسابقيه بحكم كرور الأيام وتشابه المناسبات ، ولا سيما (أن الشعر العربى - حتى عصر الشاعر - لم يتغير فى موضوعه ولافى صورته ولافى نوعه ، ولم يتغير فى لفظه ومعناه الا تغييرا قليلا جدا ، فقد بقيت القصيدة معتمدة على وحدة الوزن والقافية ، معنية بوحدة المعنى ، وبقى موضوع الشعر كما كان مدحا وهجاء ورثاء وغزلا ، وإنما تحددت هذه الموضوعات دون أن تتغير) (٨)

وحين أمعنا النظر فى صور شاعرنا الفنية ، وجدناه يشكلها وفق نمط قديم موروث أرسى قيمه شعراؤنا الأول ، وليس هذا مدعاة للدهشة نظرا لثبات الأغراض التى طرقها شعراء بنى العباس ، كما طرقها أسلافهم ، ونحم

عن هذا الثبات استمرار الشكل النمطي الفني ، (مما ساعد الشاعر على الاستمرار - دون حرج - في نقل صور القدماء ابتداء في ذلك من اعتماده على صورة الطلل في مقدمة القصيدة ، وانتهاء بدوافعه الشعرية الى اغراض بعينها) [٩]

لذا ظلت أشباح الصورة التقليدية الموروثة تلاحق ابن المقرب في أغلب موضوعاته الشعرية . وامتد تقديره للتراث من مفردات اللغة الى تشبيهاتها واستعاراتها ، حتى انتهى فيه الى رسم الصورة العامة . (وقد يمتد تقدير الشاعر للتراث بشكل طبيعي ، حتى ينتهي الى فن الشعر بكل مقوماته) [١٠]

لذا وجدنا أن بعض الموضوعات القديمة ما زالت سائدة في شعر العصر العباسي بسبب التقليد والمحاكاة في الغالب واتجه الشاعر الى معالجة تلك الموضوعات على طرق المتقدمين ، فلطلل صورته النمطية ، وللناقة والرحيل عليها صورها المتشابهة ، وكذا في وصف الرحيل وما ينشأ عنه من مثلهم العليا كالكرم والشجاعة والنجدة والوفاء وغيرها من مكارم يصور الشاعر اضدادها في الهجاء . ويعد معظم شعراء بني العباس - من حيث مذاهبهم في النظم والاغراض الشعرية - امتدادا لاسلافهم من شعراء الجاهلية (لأن نهوض الأدب العربي لم يكن نوعا من النسيان للماضي أو التنكر له ، أو الغض من شأنه ، فالأمر واضح ، حيث ظل الشعراء يصطنعون لغة الاطلال ، ويبكون الديار ، ويذكرون منازل الأحبة بعد انقضاء العصر الجاهلي . وظلت المادة التي يصنع منها الشعراء خيالهم متشابهة أو كالمتشابهة . فالشمس والنجوم والجبال والوديان وانماط الشجر والظباء والأبقار والناقة والفرس والبحر والسفن ، كل أولئك وغيره كثير ، ظل مادة تفكير أدباء العربية عصورا طوالا ، فقد أرسى شعراء العصر الجاهلي دعائم هذه المادة الفكرية والجمالية [١١]

ولم يقف تقدير ابن المقرب لتراث أسلافه عند محاكاتهم في تعبيرهم وتصويرهم بل تجاوز ذلك الى موسيقاهم الظاهرة المتمثلة في اطرهم الايقاعية وقوافيهم [١٢] ، فإذا به ينظم أكثر شعره في بحر الطويل ، والبسيط ، والكامل ، والوافر ، وقد ظلت هذه البحور الأربعة - مضافا اليها بحر الخفيف موفورة الحظ في كل العصور ، يطرقها كل الشعراء ، ويكثرون النظم فيها ، وتألفها آذان الناس في بيئة اللغة العربية [١٣] ، كما نظم بقية شعره في بحور يمكن - مع قليل من التسامح - ان تعد من

الأوزان المألوفة التى كانت الآذان تستريح اليها [١٤]

كما نلاحظ أنه قد نظم أكثر شعره فى حروف كثر دورانها وشيوعها فى الشعر العربى وهى الميم ، واللام ، والباء ، والدال ، والنون ، والراء ، والعين .

وبعد أن المحت الى طبيعة علاقة ابن المقرب بتراثه الشعرى ، والتى ليست مدار حديثى فى هذا البحث ، أود أن أتوقف مليا عند جانب آخر من صلته بتراثه بعامة ، (وهى صلة لا تقل أهمية عن تلك العلاقة الضيقة التى دأب الدارسون على الوقوف إزاءها عندما يتصدون لدراسة شاعر عربى قديم ، بغية جلاء قيم التقليد والتجديد فى شعره . وكثيرا ما استوقفتنى تلك العناصر التراثية فى شعر ابن المقرب ، وهالتنى كثرتها أثناء دراستى لشعره ، وبعد فراغى منه . وكلما قرأت دراسة جديدة فى توظيف التراث العربى فى شعرنا المعاصر ، تداعت الى ذاكرتى تلك العناصر التراثية فى شعره) التى استمدها من مصادر عدة تاريخية ، وأدبية ، ودينية ، وصوفية ، واسطورية ، وأدركت أن ثقافة الشاعر لا تقف عند حدود استيعابه لتجارب اسلافه الشعرية على مستوى التعبير والتصوير والايقاع ، ووعيه بالتاريخ الفنى عند الجماعة للنوع الأدبى الذى يبدعه ، بل لابد له من وعى واستلهام معطيات تراثه التاريخية والفكرية والأدبية والروحية .

فالمتأمل لشعر ابن المقرب يدهشه شيوع تلك العناصر التراثية فى فنه ، وكثرة دورانها والالحاح عليها ، مما لايدع مجالا للشك فى أن هذا الشاعر قد ألم بمصادر الثقافة العربية والاسلامية سواء فى بيئته (الاحساء) أو من خلال رحلاته المتكررة الى حواضر العراق واتصاله ببلاط الخلفاء والأمراء ، واحتكاكه بعلمائها . كما لا يفوت المتأمل لشعره تقدير الشاعر للطاقات الايحائية فى تراثه ، وادراكه لقدرة معطيات تلك العناصر التراثية على الايحاء بمشاعره وأحاسيسه ، وقدرتها على التأثير فى نفوس المتلقين ، حيث تعيش تلك المعطيات فى وجدانات الناس وأعماقهم تحف بها هالة من القداسة والإكبار لأنها تمثل الجذور الأساسية لتكوينهم الفكرى والوجدانى والنفسى . (والشاعر حين يتوسل الى الوصول لوجدان أمته بتوظيفه لبعض مقومات تراثها يكون قد توسل الى هذا الوجدان بأقوى الوسائل تأثيرا عليه) [١٥] .

فحين أراد ابن المقرب أن يصور تجربته مع أبناء عمومته ، حين أوجسوا خيفة من سمو همته ،

وتـأبيـه ، ورفضـه لسيـاستهم الضعيفة ، فأساءوا اليه ، وزهدوا فيه ، وسجنوه ، وجردوه من أملاكه ، ونفوه الى العراق ، قـال شاكيـا معاتبا [١٦] .

فإنْ ساءني منهم على القُرب معشرٌ
واصبـح من تلقـائهم مـا اكـابـدُ
فقـد بـاعت الاسبـاطُ قبلي اخـاهُمُ
ببخس وكـلُّ منـهـمُ فيـه زاهـدُ

فهو يوظف معطيات الآية القرآنية الكريمة (٢١) من سورة يوسف (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين)

ونجده فى موضع آخر يلجا الى احداث التاريخ العربى ليجعل من بعضها تجارب موازية لتجربته مع قومه ، ويتخذ منها عـزاء لنفسه فيقول [١٧] .

فـلا تحسبُ الاعداءُ انى لمـاجرى
تضعْضعْتُ او اعطيتُ حبلى مُشاغبا
فقبلى قضى النُعمان فى السّجن نحبهُ
وغُـودر مسلوبـا وقـد كـان سـالبـا
وعاش ابنُ ذى الجدين فى الغلّ بُرهة
ليـالى يـدعـو قـومـه والعصـائبـا

فهو يشير هنا الى تجربة النعمان بن المنذر (أبو قابوس) ـ وهو من أشهر ملوك الحيرة فى الجاهلية ـ مع كسرى (ابرويز) حين نقم عليه فعزله ونفاه الى خانقين ، فسجن فيها الى أن وافته منيته . ويكرس هذه الموازاة برسم خط آخر مستلهما تجربة أخرى ، وهى تجربة بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى ، سيد شيبان ، وهو من أشهر فرسان العرب فى الجاهلية ، أدرك الاسلام ولم يسلم . وذكره الجاحظ فى حديثة عن الفارس يبلغ الغاية والشهرة ولا يرزق ذلك الذكر ، والتنويه ببعض من هو أولى منه ، ثم يقول : وهم يضربون المثل بعمرو بن معد يكرب ولا يعرفون بسطام بن قيس .

وفى معرض شكواه وعتبه ونصحه يتكىء على بعض العناصر التراثية التى استقرت فى وجدان الجماعة متصلة بأمثالهم الشعبية الدارجة . فانظر اليه كيف يعبر عن ندمه على مدائحه التى دبجها فى أبناء عمومته . وأدرك أنـه قد وضعهـا فى غير موضعها ، فيقول [١٨]

فـاه مـن زفـرات كلمـا صـعـدتْ
فى الصّدر كادتْ تورّى النار من ضلعى
يسـوقُهـا أسفٌ قـد تـار من نـدم
يُرْبى على نـدم المغبون من كُسع

ويتنكر أبناء عمومته لما بينهم وبينه من قربى وصلة رحم ، فيقول [١٩]

أرحـامُنـا مـن يـوم غُيِّب جـدُّكـمْ
فى رمسـه مقطـوعـةٌ لـم تُـوصـل
حتـى كـأنّـا مـن جُـهينـة أصلُنـا
لاوُلْـد عبـد الله نحـنُ ولاعلى
ولـم الـعـدُو يـروحُ قـرد زُبيْـدة

تبعاً ومُصْفى الوُدِّ كلبة حوْمل

وأنظر اليه كيف يعرض بخصومه من خلال استغلال المثل العربى - حيث يقول : [٢٠] .

عن الرُّشْد أهْدى من سطيح وكُلُّهُمْ
الى الغيِّ أعدى من سُليْك المقانب

وقد يتخذ من الأسطورة والمثل معا وسيلة فنية للتعريض بخصومه ، فيقول . [٢١]

ورا مُتَمُّونى كُلَّ ذى عيْد هيّبة
بعيد الرّضا إن أعطه الحقَّ برْتَسما
يرى نفْسه عُوجاً ولولا استماعُكُمْ
أباطيلة كان المهين المُقْرقما
أقولُ لهُ أنت الرّتيدُ وقد أرى
قداراً سعيْنى فى قباهُ ومنْتسما

وينصح قومه أن يلتفوا حول أميرهم ، ويحذرهم من مغبة الخروج عن طاعته ، مستلهما فى ذلك حمق ابى غبشان ، فيقول [٢٢]

وارضُوا رضاهُ فإن ساخط أمره
منكم لأخسرُ من أبى غُبْشان

وعاش ابن المقرب حياته ناصحا شفيقا لقومه ، ومحذرا اياهم من الأخطار التى تحيق بهم ، والمؤامرات التى تحاك لهم ، ولم يثنه عن ذلك سجن ولا نفى أو تشريد ، فقد ظل ملتزما بموقفه الوطنى ، ولكن يبدو أن الداء قد استشرى الى الحد الذى لا ينفع معه تحديد الداء ووصف الدواء ، فيتخذ الشاعر من حدث تاريخى ضخم مقابلا لواقعه فيقول . [٢٣] .

وإنّى فى قومى كعمرو بن عامر
ليالى يُعْصى فى قبائله الأزْد
أراهم أمارات الخراب وما بدا
من الجُرذ العيّاث فى صخرها الصّلْد
فلم يزْعوُا مع مالقوا فتمزّقُوا
أيادى سبا فى الغور منها وفى النّجْد
خليلَىّ مادارُ المذلّة فاعلما
بدارى ولامرٌ ماء أعدادها وردى

فيجعل الشاعر من تجربة عمرو بن عامر الأزدى مع قومه مقابلا لتجربته مع قومه العيونيين ، وعمرو بن عامر بن حارثه الغطريف الأزدى الملقب بمزيقاء ملك جاهلى يمانى من التبابعة ، كان له تحت السد بمارب من الحدائق مالا يحاط به وقد أهمل أمر السد فى أيامه فخرب ، وبدأت هجرة الازد من تلك الديار ، وتفرقوا فى شمال الجزيرة العربية .

ويحاول الشاعر أن يلهب مشاعر قومه ، وأن يحرك خامد الهمم فى نفوسهم ، لعلهم يتخذون موقفا يحقق لهم العزة والكرامة ، فيعود الى تراثه القومى ليتخذ من أحد رموزه قدوة ومثلا ، فيقول . [٢٤] .

فعزْماً فموتُ العز عند ذوى النهى
حياةٌ وعيشُ الذُّل موتٌ بلا غسْل
فقد يُنكر الضّيمُ الكريمُ بسيفه
إن اسطاع او بالشّدقميّة والرّجْل

كما فعل العبسيّ قيسٌ وإنما
أخو الهمة العليا أخو الحسب الجزل

ويفقد الشاعر الأمل بقومه وهو يرى صور الاستسلام تتلاحق ، وأمارات الوهن تتفاقم ، فيتوجه اليهم ناصحا أن يجلوا عن موطنهم ، ويضع بين أيديهم تجارب مماثلة من تاريخ امته حين جلا الازد عن موطنهم ، فبقوا ملوكا فى مواطنهم الجديدة ، وحين أبت عبد القيس أن تتحول عن موضعها فى البحرين بعد أن تفرقت كلمتهم وكثرت بينهم الحروب فضعفوا ووهنوا فوثب القرمطى أبو سعيد الحسن بن بهرام فاستولى على موطنهم وأذلهم وأحرق بعضهم ، فيقول مخاطبا قومه (٢٥)

فاجْلُوا فما انتم بأول من جلا
واختار اوطانا على الأوطان
فالأزْد اجْلَوا قبلكم عن مأرب
وهُمُ جبالُ العزِّ من كهلان
سقوْا ملوكا بالعراق ويثرب
والشام وانفردوا بمُلْك عُمان
إنّى لاخشى انْ تُلاقوا مثلما
لاقى بنو العيّاش والغرّيان
كرهوا الجلاء عن الدّيار فاهلكوا
بالسّيف عن عرض وبالنيران

وعلى الرغم من رحلات الشاعر المتعددة الى العراق بعيدا عن موطنه إلا انه كان يضع عينا على حواضر العراق ، وأخرى على واقع الحياة فى البحرين ، وراصدا بوعى شديد تطور الأحداث هناك ، وما بلغته همم القوم من الفتور والموات ، فيعود اليهم معرضا بهم صراحة لا تلميحا . واستمع اليه معبرا عن هوان الجماعة من خلال مدحه لأميرهم ابى ماجد محمد بن على العيونى ، وانظر كيف يستغل عناصر التراث ليوحى من خلالها عن غياب القيم النبيلة عند الجماعة ، فيقول (٢٦) .

يا ضيعة العُمْر فى قوم تخالُهُمُ
ناسا ولاغير اثواب على صور
لو أنّ ذا الحلم قيسا حلّ بينهم
لودّ منهم ذهاب السمع والبصر
ولو يُعمَّرُ نوحٌ فيهمُ سنة
لقال ياربِّ هذا غايةُ العُمُر
فاه منّى بحجّاج يزولُ به
ما كان من عُجر عندى ومن بُجر

ويضيق أبناء عمومته عليه فيمد بصره الى العراق عله يجد فيه ما يلبى حاجاته النفسية وطموحاته العريضة ، فيقول معبرا عن تجربته تلك ودواعيه الى هجرة الأهل والوطن (٢٧) .

ولاتكُ مثلافا لدار مذلّة
ولو فاض واديها لُجيْنا وعسْجد
وسرّ فى طلاب المجد جدا فإنّنى
رأيتُ المعالى لايواتين قعّدد
فلولم يفارق غمده السيفُ فى الوغى
لما راح يُدعى المشرقَ المهنّد

ولولا انتقالُ البدر عن برجه الذى
به النقصُ لم يدركْ كمالاً واسْعدا
ولو نام سيفُ بالحصيب ولم يلجْ
على الهوْل لم يُذع المليك الممجّدا
ولم ينشع الاحبوش كاساً مريرة
ويجمعُ فى غُمْدان شملا مُبَدّدا

فهو يوميء - بعد صورتين حسيتين جاء بهما لتبرير موقفه - الى حدث تاريخى هام متخذا منه مماثلا لتجربته ، وذلك حين استولى الأحباش على اليمن فى القرن السادس الميلادى ، فنهض سيف بن ذى يزن الملك الحميرى فقصد قيصر الروم فلم ينصره ، فاتجه الى فارس فأمده كسرى أنوشروان بمدد من الرجال أعاد به ملك بيته .

وقد يشير الى الظلم الفادح الذى وقع عليه بتجريده من أمواله ، والاستشهاد بقارون بن قاهث الفرعونى صاحب الثراء الواسع ، وانه لوحل بالاحساء لغادرها صفر اليدين ، فيقول [٢٨] .

واهجر دارا لويحل ابن قاهث
بها راح مسحوتا من المال مجحدا

وشعر ابن المقرب حافل بمثل هذه العناصر التراثية من الأحداث الهامة والاعلام التى استقرت فى وجدان أمتنا رموزا رفيعة لكل القيم العربية النبيلة ، وكان لهذا الاحتفال أثره فى اثراء معانيه فى أوسع مجالاته الشعرية وبخاصة المديح والفخر والحماسة والرثاء والهجاء ، وقد لاحظنا استلهامه لبعض تلك التجارب والرموز فى جانب من صوته الذاتى المتمثل فى شكواه وعتبه .

وقد استأثر المديح عنده بزخم هائل من تلك الرموز ، حيث كان يعمد الى المقابلة بين ممدوحه وبعض الشخصيات العربية والاسلامية من اعلام التراث ، إذا ما أراد أن يرسم صورة مثالية لممدوحه موشاة بتلك الخطوط التراثية الاثيرة فى الوجدان العربى ، فاستمع اليه مادحا أمير البصرة شمس الدين باتكين [٢٩] .

ومنْ ينزلْ بشمس الدين يصحب
على العلاّت بسّاما جوادا
يجالسُ منه قعقاع بن شوْر
وكعبا مُلبس النّعْما إيادا

ومثل هذا قوله مادحا [٣٠] .

إقدامُ جسّاس وعزّةُ هانىء
وعفافُ بسطام ونفسُ عصام

والشاعر يعيد على مسامعنا اصداء بيت ابى تمام المشهور من حيث التشكيل وحشد مثل هذا العدد من مشاهير التراث واعلامه ، حيث يقول

إقدامُ عمرو فى سماحة حاتم
فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

ولكن تشكيل مثل هذه الصورة القائمة على التماثل والمتشابهة بين

ممدوحه وتلك الاعلام قليلة فى شعره ، إذا ما قيست بتلك الصورة الشائعة عنده فى رسم صورة ممدوحه . المتمثلة فى تجاوز ممدوحه لتلك الرموز ، التى وقرت فى وجدان الجماعة مثلا عليا ، ونماذج سامية محتذاة ، وقدوة رفيعة تتطلع همم الرجال الى مساماتها ، وترسم خطواتها على طريق الشرف والفضيلة . ففى مديحه للخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ) يقول [٣١]

إذا العربُ العرباءُ يوما تفاخرتْ
بذى العزّ من ساداتها والقمائم
وجاءوا بقيس وابنه وبمعبد
وكعب واوس وابن سلمى وحاتم
سماهُمْ جميعا ثم لمّتْ بفترة
الى جود بحر منكُمْ متلاطم

ومثل هذا قوله مادحا [٣٢] .

علاق الندى اوسا وفى الزهد والتقى
أويسا وفى الحلم ابن قيس ابابحر

ومنه قوله فى مديح أحد أبناء عمومته العيونيين . [٣٣] .

اذا صال لم يُعدل بقيس بن خالد
وإن قال لم يُعدل بسعد بن مالك
وإنْ جاد بذّ المرتديَين جُودُهُ
وانسى بنى الامال جود البرامك

وتأمل كيف يستلهم مواقف العزة والكرامة فى تاريخ أمته ، ورفض العربى للضيم والمذلة ، فيقول مادحا أميرا عيونيا . [٣٤] .

احمى من المرء جسّاس بن مُرّة إذ
أردى كُليْبا بعزم غير ذى فشل
لم يقبل العار فى ضيم النّزيل ولم
يقنعْ بنقص ولم يحتجّ بالعلل

وكأن الشاعر يحذر أبناء عمومته من مغبة الإجحاف فى حقه ، ولا سيما أنه قد شفع هذين البيتين بصورة نادرة للعدالة ، ولكنه يسترفدها هذه المرة من تراث أمة أخرى . فيقول [٣٥] .

أحنى واعْدلُ من كسرى عداة رمى
بالسّهم قلب ابنه فى الحقّ لم يُسل

ويحلو لابن المقرب أن يكرر بعض الاعلام فى صور المديح ، لكنه يحرص كل مرة أن يضيف جديدا ، مثل قوله [٣٦] .

يقصّرُ حاتمُ فى الجود عنهُ
وكعبُ والبرامكةُ الكرام
وعمروٌ فى اللقاء عليه كلٌّ
وعوفٌ فى الوفاء له غُلامْ

وقوله مادحا النقيب تاج الدين اسماعيل بن النقيب [٣٧] .

فلو انّ قُسا فى الفصاحة رامهُ
لأكْدى ولانهارتْ عليه المباحثُ
يقرُّ له فى الجود كعبُ وحاتمُ
وفى الحلم والإقدام قيسٌ وحارث

والملاحظ أنه كان يحرص إذا مدح أحدا من رجال الدين والعلم أن يستدعى تلك الشخصيات الخالدة فى الزهد والتصوف والفقه وعلوم الدين

وعلم الكلام .. ومثل هذا قوله مادحا الشيخ محب الدين الواسطى الشافعى .[38] .

احييْت بشْراً والجُنيْد وعامراً
زُهْداً وكُلٌّ إذْ يُعدُّ إمامُ

واقمت للقرشىّ فى أرانه
حُججاً يُقصرُّ دونها النَظَامُ

لورادك التورىُّ اعلن قائلا
أنت الغمامُ ومنْ سواك جهامُ

وقوله [39]

ومن يلْق ابراهيم يلْق ابن تارح
أخى العزْم فى نُسْك وعزْم خلال

ويلْق ابن يعقُوب المكرّم يُوسُفا
نبىَّ الهُدى فى عفّة وجمال

والمتأمل لمديح ابن المقرب تدهشه ثقافة الشاعر ووعيه بهذه العناصر التراثية ، واحاطته بمشاهير الاعلام من ربيعة بخاصة فى كل ميدان وفن ، وكأنه يزهو بانتسابه اليها . كما يدل بعروبته وما احتفظت به ذاكرة هذه الأمة من أمجاد وتجارب انسانية تعد كنوزا نفيسة عبر العصور ، يحق لأبنائها أن يتغنوا بها ، وأن يقيسوا هاماتهم بشوامخها ، وأن يقابلوا تجاربهم بتلك التجارب الخالدة فى الوفاء والاقدام والكرم ...

فابن المقرب حريص على أن يصل حاضره بماضيه ، أو قل هو حريص على أن يمتد الماضى فى الحاضر من خلال المقارنة بين ممدوحه ورموز تراثه ، وهى مقارنات ومقابلات يلح عليها ولا يملها فى مدائحه ، ويعدها انغامه الاثيرة التى تحرك شاعريته وتثريها بالمعانى والصور فى الوقت ذاته ، واورثة هذا العزف على هذه الأوتار أنغاما متميزة وصيغا لغوية مألوفة ، ولنستمع اليه مادحا لنرى كيف يصدر أبياته (بأفضل التفضيل) ، وهو بصدد عقد تلك المقابلات بين ممدوحية وتلك السلسلة من قمم تراثه [40] .

أعزُّ وأوْفى من عُميْر وحارث
وأكرمُ من كعب وأوس شمائلا

وأصدقُ بأسا من كُليْب إذ عدا
يجرُّ الى حرْب الملوك الجحافلا

وأحلمُ من قيس إذا الحلمُ لم يزِحْ
يُطوقُ عارا أو يمُوّقُ جاهلا

وامنعُ جارا من يزيد وهانىء
وجساس السّاقى حسا الموت وائلا

وقوله فى موضع آخر [41] .

ماحلْمُ قيْس ماوفاءُ سموْءل
ماجُودُ أوس ماشجاعةُ جحْدر

ابى وأمنعُ جانبا من هانىء
ايام يمنعُ خلفةُ ابن المُنْذر

وأشدُّ بأسا من كُليْب إذْ سطا
بالسّيف يجتثُّ الذُرى من حمْير

وأعزُّ جارا من فتى بكْر وقد
نزلتْ بساحته عقيلةُ منْقر

وتشكل تلك العناصر التراثية فى فخر ابن المقرب رافدا هاما ، وخطا

واضحا . فإذا ما افتخر بنفسه أو بقومه تداعت اليه أسراب منها ، تسعفه وتلبيه بمدد غزير من المعاني ، مثل قوله [٤٢]

بيتُ الرناسة لى وحكمةُ دغفل
وبيانُ سحبانَ وشعرُ الأخطل

وقوله [٤٣]

وعندى لشانيها سيوفٌ ثلاثةٌ
لسانٌ ورايٌ لا يفلّ ومخْذمُ

فقد اثر أن يضفى على سيفه الثالث دلالة المضاء وسرعة القطع ، فجعله (مخذما) . وهو سيف ارتبط ببطولات فارس عربي معروف ، هو الحارث بن ابى شمر الغساني

وقوله في موضع اخر مفتخرا بنفسه [٤٤]

أريهم منطقا عيّا وإنّي
لأفحمُ في بلاغته زيادا

وانظر كيف يستلهم هذه الرموز - أحيانا - حين تأتي ممثلة لذروة تيار الفخر بالنفس ، حيث يقول [٤٥]

ياجفُوني طلّقي عنكِ الكرى
إنّما طيبُ الكرى بعد السُّهاد
ما الذي يقعدُني عن همّتي
والمنايا رائحاتٌ وغواد
لأقيمنّ لأبناء الوغى
سُوق اقدام وطعن وجلاد
إنْ يكنْ عزّا وإلا فردى
لستُ من دُون شبيب ومصاد

فالشاعر يستلهم دلالة علمين باذخين في الدهاء والطموح والثورة .

ولا يخفى مدى تقدير الشاعر لمثل هذه الأمور الثورية الطموحة ، ومجيئها على هذه المشاكلة بعد هذا المد من الفخر العالي بالنفس ، يشي بما يكنه الشاعر من رغبة في التوثب والثورة والتطلع الى الزعامة .

ويعاتب الشاعر ابن عمه الأمير فضل بن محمد العيوني ، ويوجعه لوما وتعنيفا ، وتتجسد جراحات النفس النازعة امثالا مؤلمة ، وحكما صائبة يبلور فيها خلاصة تجربته الذاتية مع أهله المتمثلة في موقفهم المنكر لحقه الغاض من مكانته ودوره ، ويبدى أسفه الشديد لمدحهم ، ويرى نفسه وهمته أكبر وأسمى من أن يجالس أمثالهم ، فهو حقيق بأن يجالس ويصحب ويمدح رموز الشرف والاباء العربي ، فيقول [٤٦] .

ندمْتُ على مدحى رجالا وسرّني
بأنْ ضمّتني قبل ذاك الملاحدُ
وحُقّ لمثلي أن يموت ندامةً
إذا أنشدتْ في الناس تلك القصائدُ
الاليت شعرى هل اجالسُ فتيةً
نماها الى العلياء قيسٌ وخالدُ
وهل تصحبنّي من شُريْك عصابةٌ
لها طارفٌ في كل مجد وتالدُ
عراعرُ لم تحلُلْ ديار ابن منذر
فتُلقى الى الاعداء منها المقالدُ

ويقابل هذا الصوت الذاتي في

ديوانه صوت قبلي يتكىء فيه على تراث تاريخي يتسع لامجاد قومه في الماضي الموغل في القدم ، وفي الحاضر القريب ، فيقول من قصيدته التي يعارض فيها عينيه قطرى بن الفجاءة المشهورة (٤٧) .

فإنّ سيوفنا ما زال فيها
شفاء للرؤوس من الصّداع
يخبّرُ تُبّعٌ عنها وكسرى
بذا والمنذران وذو الكلاع

والملاحظ أن الشاعر في فخره الذاتي كان يقوم بانتقاء حر لعناصر التراث التي يسترفدها من اطاره القبلي أو العربي . أما في فخره القبلي فكان يصدر عن وعي بدقائق التاريخ المتصل بربيعة في الماضي والحاضر ، وقد استوقف هذا الحس التاريخي عنده عددا من الباحثين (٤٨) ، أمثال الدكتور شوقي ضيف في مقالته الضافية تحت عنوان (سجل شعرى تاريخي فريد) والمستشرق الهولندى دي جويا في بحثه الخاص بتحديد نهاية القرامطة ، وغيرهما .

ولعل الصوت القبلي لم يبلغ مداه في ديوان الشاعر كما بلغه في قصيدة له يمدح فيها أميره الأثير محمد بن ابي الحسين العيوني ، والذى تذكرنا علاقته به بعلاقة المتنبي بسيف الدولة الحمداني . فبعد مقدمة طلية تقليدية يبدأ فخره القبلي بقوله : (٤٩) .

فقومي الألى اجْلوْا قُضاعة عنْوة
وداستْ لهم كلْبٌ ونهدٌ وخولانُ
وهم فلّقوا هام التّبابع إذْ طغتْ
يُفسِّرُ به وادى خُزازى وسُلّانُ

ويمضي مسترفدا لهذا التراث التاريخي ، ويطول فخره ، وحسبنا منه قوله (٥٠)

وعادتْ بهم من دهرهم الُ منذر
فصانهُمْ حامي الحقيقة صوانُ
ولم يحْم كسرى من خُدود سيوفهمْ
ليوثُ لها بالجو زأرٌ وزُور انُ
وهُمْ ملكوا اكناف نجد وطاطاتْ
لعزّتهمْ بالشام عمرُو وغسّانُ
وسارتْ الى البحرين منهُمْ عصابةُ
مصاليتُ غارات مغاويز غُرّانُ
فعن هجر دادوا القرامط عنْوة
وقد شركتْ فيها عتيكُ وحُدّانُ
وساروا الى أرض القطيف فلم يكُنْ
ليمنعها منهمْ حُصونٌ وحيطانُ
ولم تمتنعْ منهُمْ اوالُ بمُزْبد
من اليمّ تُزجيه شمالٌ ومرْخانُ

ومثل هذا قوله من قصيدة يمدح فيها الأمير فضل بن محمد ويرثي والده محمد بن ابي الحسين . (٥١) .

بناك للمجد اباء بهم شرُفتْ
ربيعةُ الغرّ عدنانا وقحطانا
قومٌ همُ ثاروا حُجْراً وهُمْ اسرُوا
عمْراً وهُمْ قهروا ذا التاج صُهْبانا
وهُمْ اباحُوا حمى كسرى وهُمْ قتلوا
هامُرْز واستنْزلُو الاسوار مهرانا

وانظر اليه كيف يستغل درايته بأنساب الخيل للايماء الى رموز الفروسية والبطولة فى التاريخ العربى ، فيقول مفتخرا (٥٢) .

إذا مادعوت ابنى نزار اجابنى
كتائب انكى فى العدى من يد الدهر
تداعى الى صوت المنادى تداعيا
كدفاع موج جاء فى المد للجزر
على كل ذيال وجرداء شطبة
تجىء كسيل يلطم الطلح بالسدر
نتاج غمر والصنيب وكامل
وذات نسوع والنعامة والخطر
وزنر عن السحين بكر وتغلب
وعن عبد قيس ذى الفلى وعن انمر
وقيس ابى الشم الطوال وسعدة
تميم واكرم والدا بانى عمرو
وعن سيدى ابناء كل قبيلة
واسرها سلا خزيمة والنضر

ومثل هذا الصنيع قوله (٥٣) .

إذا شئت لبى دعوتى كل ماجد
يعد ليومى نائل ونزال
جبال إذا طاشت حلوم بنى الوغى
رواس ولكن فى شخوص رجال
نتاج ابن حلاب وقيد ولاحق
وعلى المذاكى كامل وعقال

وكان ابن المقرب يعرف كيف يوجه هذه المادة التراثية الغزيرة ، ليستثمرها فى رثائه ، فيتحول رثاؤه - أحيانا - الى ومضات تاريخية رائعة ، تحكى نهاية أبطال وأمم ملأوا الدنيا ببطولاتهم ومآثرهم ، ثم طواهم الردى . والشاعر يرمى من خلال ذلك الى استلهام العبرة والعظة ، وخير ما يمثل ذلك ميميته فى رثاء أحد أصدقائه والتى مطلعها (٥٤) .

ابدى الحوادث فى الايام والأمم
أمضى من الذكر الصمصامة الخذم

والتى يقول فيها .

أين الملوك وأرداف الملوك ومن
ساد القبائل من عاد ومن إرم
وأين طسم وأولاد التبابع من
أولاد حمير والسادات من عمم

ويمضى على هذا النحو حتى نهاية القصيدة على امتداد واحد وعشرين بيتا ، يومىء فى اشارات مكثفة الى سلسلة طويلة من الأبطال ممن طواهم الموت ، ووضع نهايته الحتمية لتألق نجمهم ، ومنها قوله (٥٥) .

أردى ابن مرة همَاما وكان له
عقد الرئاسة عن ابنائه القدم
ومانع الجار جساسا أتيح له
سهم المنون على عمد فلم يرم
والحوفزان الذى كانت تنوء به
بكر سقاه بكاسات من النقم
وفارس العرب العرباء إن ذكرت
بسطام مد اليه كف مخترم

وحين يموت (مذكور) ابن عم الشاعر بطعنة رجل من عامة الناس ، يرثيه ابن المقرب بقصيدة تفيض ألما وحزنا ، ويعود الى تراثه باحثا عن

جارب مماثلة لمقتل ابن عمه ليجعل
منها عزاء وسلوى لاهله ومحبيه ،
ليحول دون شماتة اللامزين لهذه
الميتة ، فيقول : (٥٦) .

وما قتلةٌ ممّا يُعابُ به الفتى
إذا غدَ يوما بين شيب وشبّان
فقد مات بسطامٌ بطعنة عاصم
وكان المُرجّى فى معدّ بن عدنان
كذا ابنُ حواريّ الأمير محمّد
أتاهُ الردى من كف راع لرعيان

وتتجاور - أحيانا - فى مديحه وفخره عناصر تراثه العربى والاسلامى وعناصر أخرى من التراثين الفارسى واليونانى . وكان يتخذ من كسرى الفرس واسكندر اليونان مثلين عاليين فى العدل والحنكة السياسية ، وتتكرر فى شعره صورة مقابلة أو مماثلة ممدوحية بهما ، والملاحظ أن أكثر ما يأتى ذلك فى ثنايا مداتحه لأمراء العراق ممن ينحدون من أصول غير عربية ، فيمدح شمس الدين باتكين الرومى أمير البصرة ، فيقول (٥٧) .

حُبيت حلم ابن قيس فى سيادته
لكن قرنت به إقدام جسّاس
وعدل كسرى وإفضال ابن حارثة
أوس وعلم الفتى الحبر ابن عبّاس

ويمدحه فى موضع آخر فيقول : (٥٨) .

يا ساشجاع يا ثمال الورى
يا طاهراً من كلّ ذمّ وذامْ
ياشبه ذى القرنين من رهطه الغُرّ
بنى العيص الملوك الكرامْ

ويقول مادحا أمير الموصل بدر الدين لؤلؤا (٥٩) .

أرسى قواعد مُلْك لو يُدبّرُهُ
كسرى وإسكندرٌ أعيتهمُ الحيلُ

وقد يستغل هذه الرموز غير العربية فى مديح أمير عيونى ، مثل قوله فى مديح أحد أمراء الدولة العيونية (٦٠)

وإذا احتبى وسط الندى رفعْتهُ
عن أنْ تشبّهه بنوشروان

ويقول فى مديح أمير عيونى آخر (٦١)

حلمُ ابن قيس فى سماحة عمّه
معن ويُمْنُ اسكندر اليونانى

وربما يوظفها فى فخره أيضا ، مثل قوله

فغدْنا ببيض ذكّرتْهُمْ خدودُها
بما كان من أخبار كسرى ورُستُما

وقد تلقانا هذه الصورة أيضا فى تعريضه بواقعه ، حيث يقول

ومن الشّقاء إقامتى فى بلدة
لله جدّ عدوّها ما أسعدا
لو حلّها كسرى لقال لما يرى
نفسى لمن يبغى الخراب لها الفدا

وبعد هذا العرض لمجالات استلهام ابن المقرب لعناصر التراث فى شعره نود الاشارة الى أننا لم نقم بحصر كل

مواضع استخدامها في شعره ، فهذا امر يطول الخوض فيه ، لكثرة دوران هذه العناصر في شعره وشيوعها على نحو يشكل ظاهرة فنية بارزة عنده ، وتمثل عونا للباحثين على تحديد الاطار المعرفي للشاعر ، وتحديد ألوان الثقافة السائدة في بيئته . ويبدو جليا لمتأمل هذه المادة التراثية صلة الشاعر القوية بأحداث التاريخ العربي وتفاصيله الدقيقة عبر العصور ، ووعيه بصناع تلك التجارب القومية والانسانية ، التي لها صفة الديمومة ، وادراكه لمدى تقدير الجماعة لهذه المادة إذا ما وضعنا في الاعتبار أن الفن دوما يعمل على تلبية المطالب الروحية والنفسية والفكرية للجماعة ولعل استثمار ابن المقرب لهذه المادة التراثية واستيحاءها في مجالات شعره الهامة كان عاملا هاما في رفده بهذه القيم المعنوية ، التي اكسبت فنه ثراءه وخصوصيته وقدرته على التوهج والعطاء ، مما يجعلنا نقول بأنه شاعر كبير في زمانه ومكانه ، وبأنه حقيق بتسمية (متنبيء الخليج العربي) . وبأن قاريء ديوانه لابد له من الاستعانة بكتب انساب العرب وأيامهم وأمثالهم وفتوحهم ، وبعض مصادر انساب الخيل ، ولابد له من معاودة تراجم بعض الاعلام في كتب الطبقات وغيرها .

والسؤال الذي يطرح نفسه ، ما سر الحاح ابن المقرب على استدعاء واستلهام تلك الاعلام المعروفة ، والاحداث الهامة من تراثه ؟

ليس من شك في أن توظيفها في شعره ، يأتي في سياق محاولاته كشاعر مبدع في البحث عن وسائل تعبيرية قادرة على الوفاء بحق تجاربه ، وأن استخدامها له ما يبرره في شعر اسلافه ، ولكن صورة الالحاح التي نراها في شعره لاستدعاء تلك الاعلام التي تمثل رموزا عالية لقيم الجماعة في الوفاء ، والكرم ، والاقدام ، والاباء ، والشرف ، والثورة ... الخ تشي بموقف الشاعر من واقعه الذي شحبت فيه تلك القيم التي تمثل عصب الحياة في موطنه ، حيث يقول (٦٢) .

أدْنِ النجيبة للتَّرحال وأرخ لها زمامها واخْلط الرَّوحات بالبُكر
وخطَّها الحطَّ إرقالا وأوْلِ قِلى أوال لا نادما واهجُرْ قُرى هجر
أماكنا لعبتْ أهلُ الفساد بها فدمَّروها بلا فكر ولا نظر

فالشاعر كان يرمي الى تجسيد القدوة للجماعة من خلال تلك الصور والمقابلات ، وإذا ما وضعنا في الاعتبار أن ابن المقرب قد شاء له القدر أن يشهد آخر الفصول في حياة السلطة العيونية ، فقد توفي عام

٦٣ هـ ، والدولة العيونية تؤذن الزوال (٦٣٦ هـ) . كما أن نهاية لامبراطورية الاسلامية كانت وشيكة ن وفاته ، فقد اجتاحها المد المغولى عام ٦٥٦ هـ . والشاعر قد أمضى فى العراق شطرا من عمره من خلال خمس رحلات متتالية زار فيها أهم حواضره ، واتصل بالخليفة العباسى وأمراء الدولة وكبرائها . لذا لا نستبعد أنه بحسه الشاعرى المرهف ، وقدرته على قراءة الواقع وسبر أغواره ، واستشراف مستقبله ، كان يحس بواجبه الوطنى والقومى المتمثل فى النفخ فى روح الجماعة ، لعلها تتجاوز عاهات الراهن العربى آنذاك

وإذا كان ابن المقرب قد استطاع أن يعبر عن بعض المواقف من خلال مقارناته البارعة بين حاضره وماضيه ، أو من خلال خلق تلك المتوازيات بين تجاربه وما يماثلها من تجارب الأسلاف فى التراث العربى إلا أنه من الواضح أن كيفية توظيف هده العناصر التراثية ، يختلف الى حد كبير عن مثيله عند الشاعر العربى المعاصر . فشعراء تجربة الشعر الجديد قد استطاعوا لأول مرة (أن ينظروا الى التراث من بعد مناسب ، وأن يتمثلوه ، لا صورا وأشكالا وقوالب ، بل جوهرا وروحا ومواقف ، فأدركوا بذلك أبعاده المعنوية ، وهم فى خروجهم على الاطار الشكلى للشعر القديم لم يكونوا بذلك يحطمون التراث ، بل كانوا يحطمون شكلا كان قد تجمد ومن شأنه أن يتطور ويتجدد ، فليس الشكل هو روح حقيقية فى زمان غير زمانه إذا كان الشكل وحده هو كل ما يمكن أن يستفاد منه وإنما الشىء الباقى الفعال فى أى تراث هو قيمته الروحية والانسانية الكامنة فيه ، أى قيمته المعنوية [٦٣]

إذن فتجربة الشعر الجديدة حين ثارت على البنية الشكلية للشعر القديم ، ظلت موصولة بجانب جوهرى فيه يتمثل فى تلك القيم المعنوية ، والروحية والفكرية والانسانية الكامنة فيه . فتجربة الشعر الجديدة إذن (تخلص لروح التراث وان تمردت على أشكاله وقوالبه ، والشعر المعاصر لم يطرح قضية التراث جانبا - كما توهم البعض - بل هو أعمق وأصدق إرتباطا بها . وكل من يتجاوز عن قضية الشكل ، ويتأمل هذا الشعر يلمس بوضوح كيف يعيش التراث فى ثناياه [٦٤] .

فشعراء تجربة الشعر الجديدة قد افادوا - ولا شك - من تجربة أسلافهم فى الشعر القديم ، حين لفتوا

انظارهم الى تلك القيم المعنوية التى يزخر بها تراثهم ، والى إمكـانية استغلالها فى التعبير عن معانيهم وتجاربهم ولكن كيفية تعاملهم مع تلك المادة التراثية يمثل (صورة من صور علاقة الشاعر بالتراث لم يسبق له أن عرفها فى تاريخه الطويل ، وهذه الصورة هى ما يمكن ان نطلق عليه توظيف التراث ، بمعنى استخدام معطياته استخداما فنيا ايحائيا ، وتـوظيفها رمـزيا لحمـل الأبعـاد المعاصرة للرؤية الشعرية للشاعر بحيث يسقط الشاعر على معطيات التراث ملامح معاناته الخـاصة فتصبح هذه المعطيات معطيات تراثية - معاصرة ، تعبر عن أشد هموم الشاعر المعاصر خصوصية ومعاصرة فى الوقت الذى تحمل فيه كل عراقة التراث وكل إصالته ، وبهذا تغدو عناصر التراث خيوطا أصيلة من نسيـج الـرؤيـة الشـعـريـة المعاصرة [٦٥] .

الهوامش

(١) راجع د. طه وادي جماليات القصيدة المعاصرة ص ٥٥ دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٢م

(٢) د شوقي ضيف في النقد الأدبي ص ١٧٧ دار المعارف بالقاهرة ط ٥ ، ١٩٧٧م

(٣) د عبدالعزيز الاهواني ، ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر ص ٢٧ ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٢م

(٤) ابن طباطبا ، عيار الشعر ، ص ٨ ـ ٩ تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام . المكتبة التجارية بالقاهرة ١٩٥٦م

(٥) المرجع نفسه ص ١٠

(٦) انظر د علي عشري زايد . توظيف التراث العربي في شعرنا المعاصر . مجلة فصول . ع ٢ ١٩٨٠م ، ص ٢٠٣

(٧) راجع د. أحمد الخطيب . شعر علي بن المقرب العيوني دراسة فنية ص ٢٢٥ ـ ٢٨٨ دار المريخ بالرياض . ١٩٨٤م

(٨) د طه حسين ، حديث الأربعاء ، ح ٢ ص ٨ ، مطبعة الحلبي بالقاهرة ١٩٣٧م

(٩) راجع عبدالله التطاوي ، الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد ، ص ٧٦ ، رسالة ماجستير مخطوطة باداب القاهرة ١٩٧٦م

(١٠) ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر ص ٢٧

(١١) د مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم ، ص ٤٢٠ ، الجامعة الليبية ، كلية الآداب (د ت)

(١٢) راجع شعر علي بن المقرب العيوني دراسة فنية . ص ٢٨٠ وما بعدها

(١٣) انظر د. ابراهيم انيس ، موسيقى الشعر ص ١٩٢ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٢م

(١٤) انظر نفس المرجع والموضع .

(١٥) د علي عشري زايد ، إستدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ص ١٨ ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان . طرابلس ـ ليبيا ١٩٧٨م .

(١٦) ديوان ابن المقرب . تحقيق عبدالفتاح الحلو . ص ١٤٣ . الناشر مكتبة التعاون الثقافي بالاحساء ١٩٦٤م

(١٧) الديوان . ص ٣٦ . ٣٧

(١٨) الديوان ص ٢٧٥ وكسع . حي باليمن . ولعله يعني غامد بن الحارث الكسعي الذي اتخذ قوسا وخمسة أسهم وكمن للصيد . فمر قطيع فرمى عيرا فامخطه السهم وصدم الجبل فاورى نارا فظن انه قد أخطأ فرمي ثانيا وثالثا إلى اخرها وهو يظن خطاءه فعمد إلى قوسه فكسرها ثم بات . فلما أصبح نظر فإذا الحمر مطرحة مصرعة واسهمه بالدم مضرجة فندم فقطع ابهامه وانشد

ندمت ندامة لو ان نفسي تطاوعني إذا لقطعت خمسي

تبين لي سفاه الراي مني لعمر ابيك حين كسرت قوسي

(١٩) الديوان ص ٤٢١ وزبيدة هي زوجة الخليفة الرشيد وأم الأمين وكلبة حومل يضرب بها المثل في الجوع . وحومل امرأة من العرب كانت تربي كلبة للحراسة وتجيعها وتطردها بالنهار . فرات ليلة القمر طالعا فنبحت عليه تظنه رغيفا لاستدارته . ولما طالت الشدة عليها أكلت ذنبها

(٢٠) وسطيح الكاهن هو ربيع بن ربيعة . كاهن جاهلي غساني من المعمرين . كان العرب يحتكمون إليه ويرضون بقضائه وسليك المقانب هو سليك بن السلكة وهي امة وكانت سوداء وكان هو ايضا أسود . وكان من أعدى الناس لا يشق غباره . واخباره في العدو والغارة مشهورة

(٢١) رامه وارأمه عطفه على غير ولده . والعيدهية السيء الخلق . وبرشم وجم . وعوج اسم رجل هو عوج بن عوق ذكر من عظم خلقه شناعة . وذكر انه كان ولد في منزل ادم فعاش إلى زمن موسى عليه الصلاة والسلام وذكر انه كان مع فراعنة مصر . ويقال كان صاحب الصخرة أراد أن يلحقها على عسكر موسى عليه السلام . وهو الذي قتله موسى (اللسان مادة عوج) ويقال في اساطير العرب انه قتل فصارت جثته جسرا على النيل وقدار بن سالف عاقر الناقة . ومنشم بنت الوجيه العطارة بمكة . وكانت العرب تقول اشأم من عطر منشم

(٢٢) الديوان ص ٦٤٠ أبو غبشان هو المحترش بن ربيعة الخزاعي . كان حاجب البيت الحرام بعد أبيه . وكانت العرب تجعل له جعلا في كل موسم . فقصروا به في بعض المواسم . فغضب فدعاه قصي بن كلاب فسقاه . ثم اشترى منه البيت بازواد وقيل بزق خمر
(الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٦٧ . ٦٨)

(٢٣) الديوان ص ١٣٨

(٢٤) الديوان ص ٣٢٠ قيس بن زهير العبسي . أحد دهاة العرب كان يلقب بقيس

الرأي لجودة رأيه . وهو امير عبس واحد الشجعان الخطباء زهد في اخر عمره ورحل إلى عُمان وعف عن الطعام وأكل الحنظل ومازال في عُمان حتى مات سنة ١٠ هـ . وويل قرية من نواحي عُمان

(٢٥) الديوان ص ٦٣٩ العياش عياش بن سعيد راس بني محارب . والعريان بن إبراهيم بن عامر بن الحارث رأس بني مالك

(٢٦) الديوان ص ٢٤٢ والعجر والبجر العيوب والأحزان . وما أبدى الانسان وما أخفى

(٢٧) الديوان ص ١٥٢ ، ١٥٣

(٢٨) الديوان ص ١٥٦ ابن قاهث هو قارون بن يصهر بن قاهث ، وهو من يضرب به المثل في كثرة المال .

(٢٩) الديوان ص ١٨٤ ، ١٨٥ قعقاع بن شور . ذلك الذي يقول فيه الشاعر (وكنت جليس قعقاع بن شور ولا يشقى بقعقاع جليس) وهو من بني بكر بن وائل . تابعي . شهد عهد معاوية بن أبي سفيان . يضرب به المثل في حسن المجاورة . قيل كان يجعل لمن جالسه نصيبا من ماله ويعينه على عدوه . ويشفع له في جوانحه ، ثم يغدو إليه بعد المجالسة شاكرا . وكعب بن مامة الايادي . يضرب به المثل في الجاهلية في الكرم وحسن الجوار

(٣٠) الديوان ص ٥٠٢ وبسطام بن قيس الشيباني الفارس الشاعر . وقد سبق ذكره . وهانيء بن قبيصة الشيباني . يضرب به المثل في الوفاء والعزة . وموقفه من النعمان بن المنذر حين نقم عليه كسرى معروف ومشهور (الديوان ص ٥٩٠) .

(٣١) الديوان ص ٤٩٢ قيس بن معديكرب الكندي صاحب مرباع حضرموت في الجاهلية . وولده الاشعث بن قيس الذي مدحه الاعشى فاجزل له العطاء . ولعله أراد قيس بن مسعود بن ذي الجدين . وكان عاملا لكسرى على طف العراقين والابله . وولده بسطام الشيباني الشاعر الفارس . ومعبد لعله يعني معبد بن حنش بن مالك التغلبي أو معبد بن احيحه بن الجلاح أخو عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف (جمهرة انساب العرب لابن حزم الأندلسي . تحقيق عبدالسلام هارون . ص ١٤ ، ٣٠٧ . دار المعارف ١٩٨٢م) وأوس بن حارثة بن لام الطائي أحد سادات العرب وأجوادها في الجاهلية (الديوان ص ٢٠٣) وكعب سبق ذكره

(٣٢) الديوان ص ٢٠٣ أوس بن حارثة الطائي . سبق ذكره أويس بن عامر القرني تابعي عابد متنسك . أدرك حياة النبي ﷺ . ولسكناه الرمال والقفار لم يره وأبو بحر هو الأحنف بن قيس التميمي . أحد الدهاة الفاتحين العظماء . ضرب به المثل في الحلم ت ٧٢ هـ .

(٣٣) الديوان ص ٣١٢ . وقيس بن خالد هو ذو الجدين الكندي . وذو الجدين (كما

في القاموس) هو عبدالله بن عمرو بن الحارث . وعمرو بن ربيعة فارس الضحياء . وسعد بن مالك البكري الوائلي قتل في حرب البسوس . وله أشعار جياد . والمرثديون . رهط زيد بن مرثد . وخالد بن يزيد بن مرثد بن زائدة . وذلك بيت كرم في ربيعة لا ينازع . والبرامك هم وزراء العباسيين وحجابهم . عرفوا بالكرم واشتهروا به .

(٣٤) الديوان ص ٣٨٧

(٣٥) نفس المرجع والموضع

(٣٦) الديوان ص ٥٦٥ وعمرو بن معديكرب الزبيدي يضرب به المثل في الاقدام . وعوف بن محلم بن ذهل بن شيبان يضرب المثل بوفائه ، لان عمرو بن هند طلب منه مروان القرظ . وكان قد أجاره فمنعه عوف وابى أن يسلمه

(٣٧) الديوان ص ١١٧ قيس بن ساعدة الايادي من أفصح العرب وأخطبها . توفي قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة وقيس بن عاصم المنقري اشتهر بالحلم والشجاعة . وقدم على النبي ﷺ في وفد بني تميم فاسلم وتوفي سنة ٢٠ هـ . والحارث بن عباد البكري أحد سادات العرب وشجعانها . وهو الذي انتصرت به بكر على تغلب حينما ثار لمقتل ولده بجير في حرب البسوس

(٣٨) الديوان ص ٥٦٩ . ٥٧٠ بشر بن الحارث بن علي بن عبدالرحمن المروزي المعروف بالحافي . من ثقات رجال الحديث . له في الزهد والورع أخبار توفي ببغداد عام ٢٢٧هـ والجنيد بن محمد البغدادي الصوفي . عالم فاضل . شيخ مذهب التصوف في أيامه توفي ببغداد عام ٢٩٧هـ . وعامر لعله يعني عامر بن شراحيل الشعبي . تابعي من رجال الحديث الثقاة عام ١٠٣هـ . أو لعله يعني عامر بن عبدالله المعروف بابن عبد قيس العنبري . تابعي ناسك متعبد من أقران أويس القرني

(٣٩) الديوان ص ٣٧٧ ابن تارح إبراهيم عليه السلام .

(٤٠) الديوان ص ٤٠١ عمير بن الحباب بن جعدة السلمي . ومن ولده زياد والحجاف بن حكيم البطلان الفاتكان (الجمهرة ص ٢٦٤)

(٤١) الديوان ص ٢٢١ . ٢٢٢

(٤٢) الديوان ص ٤٢١ دغفل بن حنظلة بن زيد الذهلي الشيباني . يضرب به المثل في معرفة الانساب . قال الجاحظ لم يدرك الناس مثله لسانا وعلما وحفظا . تولى تعليم يزيد بن معاوية ت ٦٥هـ

(٤٣) الديوان ص ٤٤٩

(٤٤) الديوان ص ١٨٣

(٤٥) الديوان ص ١٨٠ شبيب بن يزيد الخارجي أحد كبار الثائرين على بني أمية . كان داهية طماحا إلى السيادة . خرج بالكوفة ونادى لنفسه بالخلافة . فشل الحجاج في قتاله . وتكاثرت عليه جيوش الشام . فقتل كثيرون من

أصحابه . ونجا بمن بقي منهم فمر بجسر دجيل (في نواحي الاهواز) فنفر به فرسه . وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر وغيرهما فالقاه في الماء وغرق سنة ٧٧هـ ومصاد بن يزيد بن نعيم الشيباني أخو شبيب . ثار معه . وشهد أكثر حروبه . وأعانه على كروبه

(٤٦) الديوان ص ١٤١ ، ١٤٢ . لعله أراد قيس بن ثعلبة بن عكابة من بني بكر بن وائل . ولعله اراد قيس بن مسعود بن ذي الجدين . ولعله يقصد بخالد خالد بن جعفر العامري فارس هوازن وشاعرها في الجاهلية . ويقوى هذا ان لخالد عقبا ينسبون إليه . وهم بطن من عامر بن صعصعة وشريك ابو بطن من بطون العرب . وهو شريك بن مالك بن عمرو . والعراعر الشرفاء . والمفرد على صورة الجمع بعد ضم العين . وديار ابن منذر ارض الحيرة نسبة إلى النعمان بن المنذر

(٤٧) مطلع قصيدة قطري بن الفجاءة

اقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعى

الديوان ص ٢٧٢ المنذران لعله يعني بهما المنذر بن ماء السماء . والمنذر بن الحارث الغساني . والأول هو ثالث المناذرة ملوك الحيرة في الجاهلية . وهو من أعظمهم واشدهم بأسا والثاني هو ابن الحارث بن جبلة الغساني . امير بادية الشام قبيل الاسلام من قبل قيصر الروم . وذو الكلاع هو يزيد بن النعمان الحميري . وذو الكلاع الأكبر . وهو وذو الكلاع الأصغر سميفع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذي الكلاع الأكبر من اذواد اليمن وملوكها في الجاهلية . وسمي ذو الكلاع لان حمير تكعلوا على يده اي تجمعوا

(٤٨) راجع شعر علي بن المقرب العيوني دراسة فنية ص ١٩ وما بعدها . ص ٢١٨ وما بعدها وانظر علي بن المقرب العيوني حياته وشعره . د علي عبدالعزيز الخضيري . ص ٣٢٣ وما بعدها وانظر مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة . سجل شعر تاريخي فريد . د شوقي ضيف . العدد ٣٨ نوفمبر ١٩٧٦م .

(٤٩) الديوان ص ٥٨٨ كانت مساكن قضاعة بين جدة وذات عرق (بقرب مكة) . وقد أجلاهم عنها العدنانيون . فتفرقوا في الحجر ووادي القرى . واستقر بعضهم بأطراف الشام ونجد . وكلب قبيلة ينسبون إلى كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة جد جاهلي . وفهد قبيلة ينسبون إلى فهد بن زيد بن ليث من بني الحاف من قضاعة . وهو جد جاهلي أيضا . وكذلك خولان ينسبون إلى خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . وهو جد جاهلي يماني كان يوم خزازي لمعد على مذحج . وخزاز جبل ما بين البصرة إلى مكة . وكانت معدلا تستنصف من اليمن . ولم تزل اليمن قاهرة لها حتى كان هذا

اليوم فانتصرت معد ، ولم تزل لها المنعة حتى جاء الاسلام ، ويوم السلان لبني عامر على النعمان بن المنذر اللخمي ، ويقصد بهذه الاشارة إلى انتصار عرب الشمال على عرب الجنوب ، أعنى العرب المستعربة على العرب العاربة

(٥٠) الديوان ص ٥٩٠ ويشير هنا إلى موقف الوفاء النادر حين دفع النعمان بن المنذر باله واولاده وماله إلى هانيء بن قبيصة الشيباني ، وذهب إلى كسرى ، وما حدث بعد ذلك من انتصار العرب على الفرس بذي قار . والقرامطة هم بنو بهرام ، وكبيرهم أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي ، كان تاجراً بالبحرين ثم دعا الناس إلى نحلته ، وعظم امره وحارب الخلافة العباسية ، استولى على سائر هجر والاحساء والقطيف ، قتله خادم له في الحمام سنة ٣٠١هـ (الديوان ص ٤٦٩) . وقد وضع عبدالله بن علي العيوني نهاية لنفوذهم ومعتقداتهم عام ٤٦٧هـ (انظر تفصيلات ذلك في هامش الديوان ص ٥٣٣ ، وراجع شعر علي بن المقرب العيوني ، دراسة فنية ص ١٩ وما بعدها) وعتيك قبيلة تنسب إلى عتيك بن الأزد بن عمران بن عمرو بن مزيقاء الكهلاني القحطاني ، وحدان قبيلة تنسب إلى حدان بن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب الأزدي (الديوان ص ٥٩٠)

(٥١) الديوان ص ٦٠٩ حجر بن الحارث الكندي من بني آكل المرار ، وهو أبو امرىء القيس ، ثار بنو أسد عليه فقتلوه ، وقد ثار امرؤ القيس لأبيه من بني أسد ، وعمرو هو عمرو بن معديكرب الفارس العربي المعروف ، وصهبان بن سعد بن مالك القحطاني جد جاهلي ، وجاء في احدى مخطوطات الديوان هو صهبان بن الحارث الحميري ملك التبابعة ، والأسوار مهران قائد الفرس

(٥٢) الديوان ص ١٩٩ عمير فرس حنظلة بن سيار (القاموس) ، والضبيب فرس حسان بن حنظلة الطائي (انساب الخيل لابن الكلبي ، دار الكتب المصرية ١٩٤٦م ، ص ٩٥) ، وكامل من خيل ضبة ، وهو فرس زيد الفوارس الضبي (انساب الخيل ٥٢) ، وذات نسوع فرس بسطام بن قيس (القاموس) ، والنعامة فرس قراض الازدي (انساب الخيل ١٠٦) ، والخطر ليس في القاموس الا الخطار ، وهو فرس حذيفة بن بدر الفزاري وفرس حنظلة بن عامر النميري

(٥٣) الديوان ص ٣٧٣ محبوك القرى محكم الظهر قوية ، وفرس مشنج النسا لم تسترخ رجلاه ، والرعال جمع الرعيل ، وهي القطعة من الخيل قدر العشرين أو الخمسة والعشرين وحلاب من خيل بني تغلب من نتاج أعوج (انساب الخيل ١١٣) ، ولاحق من الجياد المنجبة ، وكان لفتى بن اعصر بن قيس عيلان (انساب الخيل ص ٢٢) ، وكامل سبق ذكره ، وذو العقال من جياد العرب وفحول الخيل (انساب الخيل ١٢٩)

(٥٤) الديوان ص ٤٨٥

(٥٥) الديوان ص ٤٨٦ . همام بن مرة بن ذهل بن شيبان اخو جساس قاتل كليب ، وهو من سادات شيبان ، والحوفزان لقب الحارث بن شريك لان قيس بن عاصم رضى الله عنه حفزه بالرمح حين خاف أن يفوته . وكان الحوفزان سيد بكر بن وائل ، وبسطام بن قيس بن مسعود الشيباني من اشهر العرب في الجاهلية ويضرب المثل بفروسيته ، قتله عاصم بن خليفة الضبي يوم الشقيقة قبل الهجرة .

(٥٦) الديوان ص ٥٩٩ بسطام بن قيس الشيباني سبق ذكره ، وحمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه قتله وحشى بن حرب الحبشي في غزوة احد ، استخفى له خلف حجر ثم رماه بحربة كان يرمى بها رمى الحبشة فلا يكاد يخطىء ، ومحمد بن الحواري العيوني حمل ذات يوم على المغيرين على الاحساء وطرد خيلهم ، ولحق رجلا فحقره من أن يقتله فتركه ، فحين تعداه زرقه بالرمح فقضى عليه

(٥٧) الديوان ص ٥١٦

(٥٨) الديوان ص ٥٧٦ . وعيصو بن اسحق عليه السلام ابو الروم ، وأبو العيص كنيته .

(٥٩) الديوان ص ٤٤٢

(٦٠) الديوان ص ٦٢٢ وكسرى أنوشروان هو المشهور بعدله

(٦١) الديوان ص ٦٤٠

(٦٢) الديوان ص ٢٤٢ خلط الروحات بالبكر معناه الدوام على السير ، والخط القطيف ، والارقال الاسراع ، والقلى البغض ، وأوال جزيرة بالخليج العربي ، وهي التي يطلق عليها الآن مع مجموعة جزر صغيرة تجاورها اسم دولة البحرين ، وهجر قصبة البحرين ، وهى اما مدينة الاحساء الحالية ، أو كانت تقع قريبا منها ، وهجر تطلق أيضا على البحرين في الاصطلاح القديم ، وكانت تشمل المنطقة الشرقية من جزيرة العرب

(٦٣) د عز الدين اسماعيل/الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، دار الفكر العربي (د ت) ، ص ٢٨ ، ٢٩

(٦٤) نفس المرجع والموضع .

(٦٥) د علي عشري زايد ، توظيف التراث في شعرنا المعاصر ، مجلة فصول ، ع ٢ ، ص ٢٠٤ .

ببليوجرافيا

روّاد الإصلاح في العصر

١ الأفغ

في القرن السّادس عشر. وصل الع
وفي القرن التاسع عشر ب

من مكرور القول تأكيد حقيقة ان الرجال المميزين بعبقريتهم وشجاعتهم وبعد نظرتهم للأمور .. دائما ما يتركون في حياتهم وبعد مماتهم جدلا - وبصوت عال - بين الانصار والخصوم .. ذلك لأن الناس لا تألف ما اعتادت عليه فحسب بل تحارب غالبا للحفاظ على ما ورثته من السلف . وتضعه احيانا فوق الشبهات ومن ثوابت المكان والزمان التي لا تناقش ' وكان هذا قدر كل المصلحين والمجددين في تاريخ الانسانية بما فيهم رسل الله وانبياؤه (عليهم السلام) .. لذا لا عجب أن نجد هذا الاختلاف بين



حديث

الى

بون للقمة
لإنهيار

بقلم الدكتور
فهمي توفيق
مقبل.
السعودية

مفكرى الامة ومثقفيها حول حقيقة شخصيات المصلحين الاسلاميين فى العصر الحديث ونهجهم . وحسب هؤلاء الاعلام البارزين منزلة - فى رأينا المتواضع - ان دعوتهم للاصلاح كانت بمثابة انذار مبكر ايقظ الامة ونواة اولى للثورات والحركات التى رفضت الاستسلام لقوى الشر والضياع والخوف ، وسعت سعيا حثيثا لتحقيق الطموحات والامال فى التغيير الايجابى الذى نشدته البلاد العربية تحت الحكم العثمانى .

ولعل فى تزامن قيام هذه الحركات والثورات مع اعتلال صحة الدولة العثمانية واحتضارها ، ومحاولات اقتسام الدول الاستعمارية لتركة « الرجل المريض » ما يبرر ضرورة ولادتها ، وما ترتب على ذلك من طروحات فكرية وعملية ، كانت تهدف اخراج المسلمين من حالة الذهول وفقدان الرؤيا الى حالة الحضور ووضوح الرؤيا ، لتمكنهم من العودة الى الجذور لاصلاح الحاضر وكسب المستقبل .. وهو الامر الذى أدى ان يشهد القرن الثالث عشر هجرى (التاسع عشر الميلادى) ارهاصات فكرية نوعية ، تناولت اوضاع الدولة العثمانية برمتها ، مما نجم عنه بالتالى قيام جبهات مؤيدة للتوجهات والافكار الجديدة وأخرى معارضة لها .. خصوصا فى الولايات العربية التى كانت تعانى - على ما يبدو - اقسى انواع الاهمال والعزلة والغياب شبه التام عن المسرح الدولى والعالمى ! ويمكن القول ان قاسما مشتركا ربط بين المعارضين والمؤيدين لسياسات الدولة العثمانية فى المشرق العربى ، يتمثل فى الاتفاق على سلطة عثمانية اسمية على الولايات العربية ، يفسح المجال امام حكم شبه ذاتى لشعوب هذه الولايات ، يفضى بالتالى الى تنازلات مقبولة تتيح من فرص استقلالية القرار لها ، خصوصا ما يتصل منها بالحياة الفكرية (التعليمية والتربوية) والاجتماعية والاقتصادية .. ويعيد الاعتبار لعنا[صر] الهوية العربية ، لغة ، وتاريخ[ا] وثقافة ، وحضارة .. الخ . ومن المعر[وف] ان الدولة العثمانية حكمت البلاد العر[بية] حقبة طويلة من الزمن تربو عن اربعة [قرون] سنة (٩٢٢ - ١٣٤٣ هـ = ١٥١٦ - ١٩٢٤) ، وهى بالتأكيد حقبة لـ[ـها] ايجابياتها ولها سلبياتها .

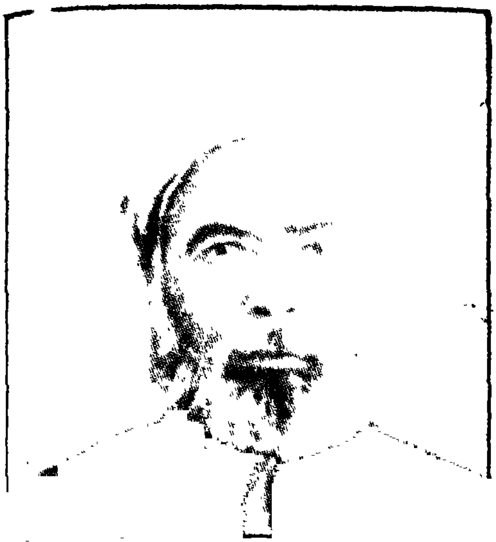
ومرة اخرى ، فان هذه الدراسة المكرسة لثبت وتبويب المصادر والمراجع المتعلقة باعلام (القرن ١٣ هـ = ١٩م) وعصرهم ، لا تتسع لتثمين مثل هذا الدور ، الذى قتل بحثا ودراسة ، وتكفلت بالحديث عنه كتب كثيرة ، بمختلف اللغات ، لكن هذا لا يمنع - انصافا للحقيقة - من القول بأن القرن (١١ هـ = ١٦م) ، كان يمثل ذروة التفوق العثمانى السلمى والحربى فى الداخل والخارج ، وكان هذا وحدة كافيا لحدوث عملية الانبهار عند شعوب العالم العربى بخاصة والعالم الاسلامى بعامة (المهيضة الجناح) بهذا المارد الاسلامى العملاق ، الذى نظر اليه كصخرة جبارة تتحطم عليها اطماع القوى الاستعمارية والمخططات الهادفة لغزو المشرق الاسلامى .. لكن الحال تغير فى القرن (١٣هـ = ١٩م) عما كان عليه فى العصر الذهبي للدولة العثمانية ، حيث شهد هذا القرن عوامل الانحطاط والضعف العثمانى ، مما أوجد شعورا عاما بالسخط والخوف من ضياع كل

المنتسبات التاريخية التي حققها العثمانيون عبر تاريخهم العام القريب والبعيد ، وربما معها تاريخ الاسلام العربي وتراثة المجيد .. في هذا الجو المفعم بالتوتر والقلق ومتاهات الحيرة على حاضر العالم العربي والاسلامي ومستقبله . نهض نفر صالح مجاهد من أبناء الامة الاماثل ، ملبين نداء الواجب ، للعمل على ايقاف هذا التدهور المتسارع والخطير في كيان شخصية الدولة العثمانية واسسها من جهة ، والحيلولة دون تقديم تنازلات يطالب بها اعداء الامة ، قد ينجم عنها ملء الفراغ عند انحسار السلطة العثمانية عن الاراضي العربية من قبل هذه القوى المعادية للحق والتاريخ العربي والاسلامي ، من جهة اخرى . لذا وفي هذا السباق المحموم مع الزمن ، هب هذا النفر المؤمن الغيور ، مناديا باعادة ترتيب البيت الاسلامي وحماية وحدته ، برأب الصدع بين السلطة العثمانية ورعاياها من العرب والمسلمين من غير الاتراك العثمانيين ، في عملية ترميم لجسور الثقة التي باتت شبه مقطوعة بين الطرفين .. لكن ضعف الدولة العثمانية الذي وصل الى حالة الانسان المريض الميئوس منه ، لم تستجب الى هذه المحاولات المخلصة والتي جاءت على ما يبدو متأخرة جدا عن موعدها ، وبعد ان فقد « الرجل الهرم » كل مقومات القدرة على الحركة والصراع من اجل البقاء . ومن المحزن ان رواد النهضة الاسلامية الحديثة لاقوا في مسعاهم النبيل هذا ـ كما لاقى كل المصلحين الشرفاء في كل الازمنة والعصور ـ من المنافقين والمنتفعين من كال لهم التهم الباطلة جزافا ، والتي أدت معظم الاحيان الى تشردهم ونفيهم عن أوطانهم ، مع الامعان في ايذائهم ، وتسفيه لارائهم والتقليل من شأنهم ومن مواقفهم الشجاعة الحكيمة .. لذلك لا عجب ان نرى معظم رواد النهضة الاسلامية في العصر الحديث قد ماتوا في ظروف غامضة ، القى الشك ظلاله الكثيفه السوداء عليها ..!

هذا ما كان عليه حال هؤلاء الرجال ، وعزاؤنا فيهم انهم لن يكونوا أول المصلحين أو آخرهم . فتاريخنا الاسلامي يضيق على كثرة صفحاته بأمثال هؤلاء الفدائيين الذين جأروا بالحق امام الطغاة ، وقاموا بالثورات بهدف تصحيح المسار الاسلامي كلما انحرف عن جادة الصواب .. وكانت مواقفهم البطولية في كثير من الاحيان بمثابة نقاط تحول تاريخية في حياة امتهم الاسلامية ، مظهرين على الدوام ثقة لا حدود لها بروح الدين الاسلامي القوية وقدرتها على التجدد والاستمرار والبقاء . من وحي هذا كله ، ومن رحم الزمن الاسلامي النظيف ، جاءت منظومة المصلحين الافغاني ، وعبده ، والكواكبي ، ورضا ، كمقدمة طبيعية لارهاصات هذا الزمن ، صانع التاريخ



السلطان عبدالحميد



الشيخ محمد عبده

محاولات الإصلاح وبعد أن فقد الرجل المريض

الاسلامى العظيم ، وقد تباينت ردود الفعل فى الخافقين ، حول مضمون دعوة هؤلاء المفكرين ، رواد نهضتنا الحديثة ، وهى الدعوة الهادفة اساسا لقيام نهضة اسلامية عارمة تأخذ بعين الاعتبار التطورات الهائلة التى شهدتها الساحة العالمية من حولنا ، ومن ثم التعامل مع هذه التطورات التى حملتها معها رياح المدنية الحديثة ، التى لفحت وجه الشرق

بقوة ، على اسس ومقاييس اسلامية صحيحة ، تعرف كيف توظف النافع ، وكيف تلفظ الضار منها ... وقد اجمع عقلاء الامة وحكماؤها على ان هؤلاء الرجال عبروا بكل الصدق عن الفكر الاسلامى الاصيل ، وشكلت جهودهم لبنات اساسية فى حماية الصرح الاسلامى المتشامخ من السقوط فى امتحان مواجهة العصر الحديث ، عصر



الكـواكبي



الشيخ رشيد رضا

جـ ءت متأخرة..

ة درة على الحركة

التغيرات المذهلة السريعة ، والتحولات الهائلة فى نمط الحياة واساليبها بكل ابعادها والوانها .. وكان سلاح هؤلاء

الرواد الاباء ـ فى مواجهة تلك التحديات المنذرة بشر مستطير ، تبيته القوى

الاستعمارية ، والذى كان يهدد حاضر امتهم ومستقبلها ـ هو سلاح الايمان وكلمة الحق منادين بصدق بالعودة الى ينابيع الاسلام الصافية ، رافعين نفس الراية التى رفع لواءها ابدا أئمة الفكر الاسلامى من رجال الدعوة السلفية والاصولية الاسلامية امثال ابن حنبل وابن تيمية .. الخ . وقد مضى السلف الأبرار يعبق ذكرهم تاركين بصماتهم عميقا فى تراثنا الاسلامى المضىء ، وعلى الطريق ذاته مضى أحفادهم الميامين يحملون أمانة الرسالة « فمنهم من قضى

نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »
(الاحزاب ٢٣) .

من كل ما تقدم رأينا أن من الوفاء لابقاء ذكرى هؤلاء الرواد حية لا تموت ، ان نقوم بعمل - نرجو ان يكون اضافة جديدة - يجمع شتات اعمالهم ، والاعمال التى كتبت عنهم بمختلف اللغات ، ويكون فى الوقت نفسه مقدمة ضرورية تشجع على فتح الباب على مصراعية للباحثين والمهتمين باعادة كتابة تاريخ هؤلاء الاعلام ، الذى يمثل حقا أهم حقبة من تاريخنا على وجه الاطلاق ، على أمل ان يتم تناول هذا التاريخ على نحو موضوعى ، منزه عن أى غرض او مقصد مادى ، او أهواء شخصية بهدف الوصول الى الحقيقة المجردة ، التى تعتبر من أهم مقومات البحث العلمى الجاد والرصين. ونتناول في هذه الحلقة أول هؤلاء وهو:

جمال الدين الأفغاني

١٢٥٤ - ١٣١٥ هـ - ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م

أولا - حياته :

كان الأفغاني ومازال كأى علم بارز وشخصية كبيرة ، مثار جدل واسع فى جميع الاوساط العربية والاعجمية ، ولم تتفق هذه الأوساط حول شخصيته بقدر ما اختلفت عليها .. وسواء فى حياته او مماته ، تنازعت على نسبته اليها فئات ومذاهب وتيارات فكرية عديدة ، وانعكست حمى هذه الصراعات بالضرورة على الاعمال التى تناولت حياة الافغانى وسيرته من جميع جوانبها .. ومن بين هذه النزاعات الاختلاف المستفحل حول تحديد هوية المكان الذى شهد مسقط رأس الافغانى ، وربطه بمذهبه وعقيدته وآرائه ، لهذه الاسباب وغيرها جعلت بعض الروايات مكان ولادته مدينة أسعد اباد الافغانية القريبة من العاصمة كابل ، ويذهب البعض الآخر الى انها كانت قرية أسد اباد الايرانية ..! وايا كانت درجة ثبات الصدق من عدمه فى هذه الروايات ، فان الافغانى كان وسيبقى ملكا لكل امته الاسلامية ، وهو بشمولية شخصيته الاسلامية ، وفهمه العميق ، ودرايته الواسعة بروح الدين الاسلامى وعالميته ، اكبر من ان تحتويه فئة دون فئة ، او مذهب دون مذهب . ويقول تلميذه الشيخ محمد عبده فى هذا السياق : « انى لو قلت ان ما اتاه الله من

ق... الذهن ، وسعة العقل ، ونفوذ
ا. عبيرة ، هو أقصى ما قدر لغير الانبياء
لـ ت غير مبالغ .. [١] » ويتفق مع هذا
ال أى قول فضيلة الشيخ محمد الغزالى «
لقد استجمع الافغانى كل ما يملك من مواهب واشتبك فى صراع مرير مع الحكام الذين اذلوا الشعوب ومع الشعوب التى ذلت للحكام ، وشرع يعرض حركة عقل ، واباء نفس ، ويبرز خصائص الحضارة الاسلامية بما حوت من فكر نضير ، وجرأة على الحياة وقدرة على التغيير .. ويضيف فضيلته قائلا : « كانت الشورى قد ماتت مبنى ومعنى ، وكان الاجتهاد قد توقف ، وامسى ذكريات بائدة ! وكانت الطاقة الروحية قد نفدت بين العامة والخاصة . وسقط المسلمون من أعين البشر جميعا ، وكان على جمال الدين الافغانى ومن التف حوله من الرجال ان يستأصلوا علل التخلف ، ويردوا الامة الى الصراط المستقيم . وبديهى ان تكون الجامعة الاسلامية اساسهم فلا تعصب لجنس ، وأن يكون العقل الاسلامى رائدهم او باعثهم فلا تعصب لمذهب أو رأى[٢] »

ولا غرو فى ذلك فتنشئة الافغانى الدينية ، ومحتده الاصيل ، كان لهما بالغ الاثر فى تكوين شخصيته واسس فكره الاسلامى الواسع ، ومن المؤلم ان ينطفىء هذا السراج الوهاج وعالمه الاسلامى ـ الذى اوقف حياته كلها مهموما بقضاياه ـ يعيش نفس الحالة من الفوضى والفرقة والتمزق والاخطار المحدقه به ، التى كان عليها عندما أبصر الافغانى نور الحياة .. ولا ادل على ذلك من ان بلاده الافغان والعالم الاسلامى معها وجدهما يواجهان ـ كالقطيع الذى اهمله الراعى ـ قطعان الذئاب البشرية من قوى الاستعمار المفترسة ، التى اخذت تنشب مخالبها فى جسد الولايات العربية العثمانية بخاصة ، والشرق بعامة هذا الى جانب سوء الطالع الذى صاحبه فى مراحل حياته المختلفة ، ولعل ابرز حدث فى مراحل حياته المبكرة يتجلى فى زوال نفوذ والده (صفير) ، الذى وقع ضحية ظروف وتقلبات سياسية لئيمة ، املت عليه السفر الى كابل ، والاقامة جبريا فيها بأمر من ملك الافغان . هذا بعد أن تمت مصادرة ممتلكاته ، وتقليص سلطاته الى أصغر حجم ممكن . هذه هي الاجواء المكفهرة التى عاش فى كنفها

---

(١)انظر قدرى قلعجى ، ثلاثة من اعلام الحرية ، جمال الدين الافغانى ، محمد عبده ، سعد زغلول ، دار الكتاب العربى (بيروت ، د ت) ص ٧ .

(٢)محمد الغزالى « الاستماع للطاعنين فى الافغانى ، هزيمة اسلامية شائنة » فى الشرق الاوسط ، جريدة العرب الدولية ، من سلسلة ملفات الشرق الاوسط ، الحلقة ١ ، العدد ٣٧٦٣ ، ١٨ اذار (مارس) ١٩٨٩م = ١٤٠٩هـ ، ص ١٠ .

الافغانى طفولته المعذبة الحائرة .. وعلى الرغم من ذلك أجمعت المصادر على أن هذه النوازل والنكبات ، لم تفت فى عضد والده واصراره وحرصه على تنشئة ولده جمال ، وتربيته وتعليمه على نحو مشرف وخلاق ، فحشد ـ له وهو بعد صبيا فى الثامنة من عمره ـ اساتذة كابل الماهرين ، ليأخذ عنهم الاداب العربية ، وعلوم الشريعة ، والحكمة ، والمنطق ، ولما بلغ اشده فى الثانية عشرة من عمره ، انتقل به الى النجف ليضمه الى مدارسها الدينية ، لتمكينه من العلوم الاسلامية ، من تفسير ، وحديث ، وفقه ، وتوحيد ... الخ ، وذلك جنبا الى جنب مع دراسة العلوم الفلسفية ، والرياضية ، والطب والهيئة والنجوم .. وبعد اربع سنوات من تلقي العلوم الجادة المختلفة فى مدارس النجف ، اراد الافغانى ان يمتحن خبراته فى مواجهة الحياة العملية ، فقرر ـ وكان بعد فى ريعان الشباب ـ الذهاب فى اول رحلة بعيدة بمفردة الى الهند ، فاتحا بذلك سلسلة لا تنتهى من رحلات واسفار جال فيها الشرق والغرب .. ولم يطل المقام بالافغانى فى الهند ، فخواطره الثائرة ، وافكاره المتأججة ، وشغفه بعظائم الامور ، سرعان ما جعلته يبحر الى مكة المكرمة بقصد الحج ، فوصلها (١٢٧٤هـ = ١٨٥٧م) . ثم ما لبث ان عاد ادراجه الى بلاده الافغان وصولا الى عاصمتها كابل ، لكنه وجدها كما تركها تمور بالغليان السياسى والصراع على

السلطة بين امراء الافغان .. وتشاء الاقدار ان يلاحقه سوء الطالع [illegible] اخرى ، وذلك حين انحسم الصر[illegible] السياسي على النفوذ والحكم ، لصالح الخط المعادى له ولاسرته .. مما اضطره لاعداد العدة للسفر من البلاد متذرعا بالذهاب الى الحج ونيته مبيته للسفر الى الهند فوصلها للمرة الثانية (١٢٥٨هـ = ١٨٦٨م) ، فوجدها فرصة مواتية للتنفيس عما يجيش فى صدره من كراهية للاستعمار واعوانه . فنشط يبذر فيها بذور الوطنية والثورة ويؤلب ابناءها للتمرد على مستعمريهم من الانجليز ، الامر الذى دفع سلطات الاحتلال البريطانى بالتعجيل فى طرده من البلاد بعد اقل من شهر من وصوله اليها .. فيمم الافغانى وجهه هذه المرة شطر الاستانة مارا بمصر لاول مرة (١٢٦٨هـ = ١٨٦٩م)، حيث استقبل عند وصوله اليها ـ فى بادىء الامر ـ استقبالا طيبا ، تم التعبير عنه بتعيينه عضوا فى مجلس المعارف الاعلى . لكن هذا الشعور بالارتياح ما لبث ان اختفى ، تاركين للوشاة والحاسدين فرص الغدر والنهش فيه كيفما شاءوا . فكانت المحصلة نفيه من الاستانة (١٢٨٨هـ = ١٨٧١م) فعزم العودة الى الهند من حيث اتى ، لكن الاقدار ومشيئة الله تدخلت فى اللحظة المناسبة حيث غير رأيه عند وصوله الى مصر . وقرر البقاء فيها ، مطمئنا لمؤشرات ايجابية كثيرة ، رأى امكانية استثمارها

لـ الح القضايا الاسلامية ، ولمصلحة بـ ث تنظيم اسلامى سياسى قادر على مـ بعة الاهداف .. وصولا الى الامال الـ جوة ، التى كرس الافغانى حياته من احلها .. وعبر ثمان من السنوات كان فيها صانعا للاحداث والتاريخ اكثر منه مشاركا فيها أو متفرجا عليها من بعيد ، استطاع ان يحولها الى سنوات حافلة بالكفاح الوطنى نافخا من روحه الثورية وانتقاداته البناءة النارية ، فى روح النهضة الاصلاحية فى الدين والسياسة ، منبها المصريين ـ على نحو مبكر ـ الى المخاطر المترتبة على التدخل الاجنبى فى شئون الوطن والتى لا تهدد فى النهاية حاضر مصر ومستقبلها وحدها ، بل هى مقدمة اشبه ما تكون بحصان طرواده ، فى عملية انقضاض غادر على الاقطار العربية والاسلامية الاخرى .

لقد كانت هذه السنوات الثمان التى عاشها الافغانى فى مصر بحق ، من اخصب سني حياته ، فاحتشد له من المؤيدين والانصار ، ما اهله فعلا للتدخل فى شئون البلاد بصورة مباشرة او غير مباشرة ، ويكفى ان عددا لا يستهان به من اعيان البلاد ورجالاتها من امثال الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول ، ومحمود سامي البارودى وغيرهم كثير كانوا من اخلص خلصائه ، وهم الذين اصبحوا فى وقت لاحق من ابرز قادة الاصلاح والتنوير والثورة ، ومن اعظم رجالات مصر وصانعي تاريخها الحديث .. وجزءا لا يستهان به من تاريخ العرب الحديث والمعاصر !

وامام تعاظم شان الافغانى وازدياد حضوره فى حياة مصر الفكرية والسياسية ، آوغر انصار السكون واعداء الحركة والتغيير صدر الخديوى توفيق وبطانته عليه ، وهو الذى قد تسلم حديثا حكم البلاد خلفا لوالده الخديوى اسماعيل (١٢٩٦هـ = ١٨٧٩م) وذلك استجابة لمطالب الوطنيين المنادين باصلاحات شاملة من شانها انقاذ البلاد من ان تقع فريسة لتطاحن القوى الاستعمارية ، البريطانية والفرنسية بخاصة .. ازاء ذلك كله استشعر الخديوى توفيق خطر الافغانى عليه وعلى اركان نظامه ، فاستصدر امرا فوريا بطرده من مصر ضاربا بعرض الحائط تعهدات سابقة كان قد قطعها على نفسه للافغانى وحزبه الوطنى الحر ، ليتسلم على اساسها الحكم خلفا لابيه اسماعيل الذى اغرق البلاد بالديون ، وغيب الاحرار فى السجون .. وهكذا وجد الافغانى نفسه ومعها آماله وآمال الاحرار معه ، تذبح على مقصلة اعداء الحرية والفكر الاسلامى الملتزم ، وتمكنت هذه القوى الغاشمة ان تزيل من طريقها أخطر عقبة تقف امام مخططاتها الجهنمية ..! ورحل الافغانى عن مصر يملؤه الحزن والاسى ، قاصدا الهند ليصلها بعد رحلة عذاب طويلة مضنية ، وليتخذ من مدينة بومباى مقرا لاقامته والتى امتدت الى ثلاث سنوات

١٢٩٦هـ = ١٨٧٩ (١٣٠٠ - ١٨٨) حيث رحل عنها الى باريس ، بعد ان ضاق ذرعا بمضايقات المحتل الانجليزى ، وبعد ان اختمرت فى ذهنه فكرة تنشيط جمعية العروة الوثقى ، التى كان قد اسسها قبيل طرده من مصر - فى اوائل عهد الخديوى توفيق - للدعوة الى الجامعة الاسلامية ، وايقاظ الشرق من غفلته ، واماطة اللثام عن المخططات التى تحاك فى الظلام وتستهدف العالم الاسلامى وشعوبه .. ومن اجل هذه الغاية كتب من باريس الى رفيق دربه الشيخ محمد عبده ، الذى كان منفيا عندئذ فى بيروت ، يطلب منه موافاته الى باريس ، ليشاركه فى اصدار جريدة العروة الوثقى من هناك ، لتكون لسان حال الجمعية ومنبرها الحر . وبعد اعداد مضن والقفز من فوق عراقيل صعبة صدر منها ١٨ عددا ، زلزلت الارض تحت اقدام اعداء الامة واعوانهم ، وراحت القوى المضادة لحركة التاريخ العربى الاسلامى ، تعمل بكل الاساليب الملتوية ، لاغتيال العروة والاجهاز عليها .

وبعد ان توقفت العروة الوثقى عن الصدور ، لم يتوقف معها نشاط الافغانى ، الذى ظل يتنقل بين باريس ولندن حاملا معه هموم بلاده وامته ، وبعد ان وصل فى النهاية الى طريق مسدود ، قرر العودة الى الشرق واستئناف كفاحه ورسالته من هناك ، فاختار ايران بعد ان تلقى من الشاه ناصر الدين وعودا بتحقيق رغبته النزيهة فى التجديد والاصلاح .. لكن سرعان ما صدم بعد وصوله بالقوى ذاتها التى تضمر العداء لفكرة التغيير ومبدأ الاصلاح ، وكانت النتيجة ان البوا عليه الشاه ناصر الذى غير من اسلوب معاملته مع الافغانى ، مما اضطر جمال الدين للعودة الى اوربا . لكن الشاه عاد واسترضاه مرة اخرى ، مؤكدا له هذه المرة بشكل قاطع نيته على تنفيذ ما اتفقا عليه من اصلاحات ، وانه سيطلق يده (اى الافغانى) فى ادارة دفة الحكم ، ومعالجة الامور على النحو الذى يراه فى مصلحة البلاد والعباد لكن هذه الوعود لم تكن اكثر من فقاعات فى الهواء ، فعند عودة الافغانى للمرة الثانية ، واجه نفس الاسلوب ، لكن هذه المرة كان اقسى واشد اذ أمر الشاه بطرد الافغانى من البلاد ، على نحو مهين وبالغ الاذى ، ليلقى به على الحدود مع العراق ، حيث وصل عاصمتها بغداد منهك القوى .. وليمكث فيها ثلاثة شهور ، قرر بعدها العودة الى لندن ليصلها فى خريف ، ١٨٩١م (١٣٠٩) ، حيث أخذ من هناك يشن حملة جبارة عاتية ومركزة ، اقلقت الشاه ناصر الدين وهزت نظامه ، فاستنجد الشاه بالسلطان عبدالحميد الثانى ، سائلا اياه دعوة الافغانى لزيارة الاستانة ، فى محاولة ، ترمى لاقناعه بالكف عن التعرض له ولنظام حكمه ، ونزولا على رغبة الشاه ناصر ، وجه

ـد لحميد دعـوة للافغـانى لزيـارة لا ـتانة لتحظى بقبـوله ، وليصـل لا ـتانة فى اواخـر عام ١٣١٠هـ ١٨٩ م) ، ولتكون آخر محطة له فى حياته ، حيث بقى فيها حتى مات ، ومن مخريات القدر ، انه بعد مرور خمس سنوات على طرد الافغانى من ايران ، تدم شاب متحمس - من مـريدى لافغانى ، يدعى الميرزا محمد رضا لكرمانى - على اغتيال الشاه ناصر الدين مدة رصاصات من مسدسه فارداه تيلا ، وعلى الفور حاولت الحكومة لايرانية الصـاق تهمة قتـل الشاه الافغانى ، وطالبت الحكومة العثمانية سليمها اياه ، باعتباره المحرض الرئيسى لى قتله ، الا ان الحكومة العثمانية فضت الاذعـان لطلب الحكـومـة لايرانية ، لكنها فى نفس الوقت ضيقت لخناق على جمال الدين الافغانى ، حدت من تحركاته ، وجـاءت هذه لاحداث متزامنه مع ظهور اعراض رض عضال فى فك الافغانى ، حار فيه لاطباء ، واشيع انه السرطان ، وبعد سراع مرير مع المرض لم يقو على مقاومته اضت روحه الى بارئها ، (يوم الثلاثاء ٥ شوال ١٣١٥هـ = ٩ مارس (اذار ١٨٩٧م) ودفن فى الاستانة ، الا ان رفاته نقلت فى وقت لاحق وبالتحديد سنة ١٣٦٤هـ (١٩٤٤م) الى مسقط راسه فى بلاد الافغان ، وذلك فى احتفال مهيب يليق بتخليد ذكراه ، ووفاء لمجاهد أمين نذر نفسه حتى الرمق الاخير ، لخدمة بلاده وامته ، رحم الله جمال الدين الافغانى ، وجزاه خيرا لقاء ما قدمه لعالمه الاسلامى من جهود فذه محمودة ، وما بذله فى سبيله من تضحيات جسام .

ثانيا : أعماله

معظم الاعمال التى كتبها الافغانى بنفسه ، او التى أملاها على تلامذته ومريديه ، أو تلك التى نشرت فى كبريات الصحف ومجلات ذلك العصر ودورياته ، مثل جريدة العروة الوثقى ، وجريدة البصير ، وجريدة أبو نظارة زرقاء [٣] ، وجريدة [٤] Levant Times of Istanbul ، وغيرها كثير ، قد جمعها باقتدار الاستاذ الدكتور محمد عماره فى « الاعمـال الكاملة لجمال الدين الافغـانى » ،

---

٣) جريدتى « العروة » و « البصير » كانتا من الصحافة المهاجرة فى فرنسا وقد صدرتا من باريس . اما الاخيرة ، ابو نظارة زرقاء ، فقد اصدرها يعقوب صنوع سنة ١٨٧٧ فى القاهرة ، وكانت اول صحيفة كاريكاتورية سياسية ساخرة فى الشرق العربى . وقد جاء ذكر هذه الدوريات وغيرها اكثر من مرة ، هنا وهناك داخل الدراسة (انظر مكانها فى الفهارس) .

(٤) من الصحف التركية المعروفة التى كانت تصدر فى استانبول باللغة الانجليزية .

صدار المؤسسة العربية للدراسات النشر ، (بيروت ١٣٩٩ ـ ١٤٠١هـ = ١٩٧٩ ـ ١٩٨١م . وكذلك تجد المزيد من المعلومات الجامعة المختصرة لحياة الافغاني، في كتاب الاستاذ يوسف اسعد داغر ، « مصادر الدراسة الادبية » ، (بيروت ١٣٧٦ ـ ١٣٩٢هـ = ١٩٥٦ ـ ١٩٧٢م) (انظر هنا ج ٢ ، ص ١٢٦ ـ ١٣١) ، كذلك انظر الدراسة العلمية الجادة ، والتعريف الوافي والسرد النقدي للكتب ذات الصلة الوثيقة بالموضوع والتي تتناول حياة جمال الدين الافغاني من جميع جوانبها ، في .

A. Albert Kudsi Zada, Sayyid Jama;l Al-Din Al-Afgha;ni: An annoted Bibliography, (Leiden, 1970).

وسنكتفي هنا بالاشارة الى الاعمال التي اكدت صحة نسبها للافغاني المصادر الموثوقة والمراجع العلمية المعول عليها .

الكتب :

- رسالة الواردات وسر التجليات ، (القاهرة ١٢٩١هـ = ١٨٧٤م) ، انظر محمد عمارة ، الافغاني ، ج ، ١ ، ص ١٧٦ ـ ١٧٧ ولنفس المؤلف ، الامام عبده ، ج . ١ ، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٨ .
- حاشية على شرح الديواني للعقائد العضدية ، (القاهرة ١٢٩٣هـ = ١٨٧٦م) ، انظر عمارة ، الافغاني ، ج . ١ ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ ، ولنفس المؤلف ايضا عبده ، ج ، ١ ، ص ٢٠ ـ ٢١٩ .
- مقالات جمالية ، باشراف محمد شاهباز ، (كلكوتا ١٣٠٢هـ = ١٨٨٤م) ، انظر كذلك طبعة طهران (مقالات جمالية) باشراف صفات الله الاسد أبادي (طهران ١٣٥٢هـ = ١٩٣٣م)
- رسالة الرد على الدهريين ، نقلها عن الفارسية الشيخ محمد عبده (بيروت ١٣٠٤هـ = ١٨٨٦م) ، وترجمت كذلك للغتين الانجليزية والفرنسية (راجع اعماله المترجمة) وقام بتحقيقها حديثا محمود ابو رية . مطبوعات الكرنك ـ ١ مكتبة العقائد ـ (القاهرة د . ت) .
- تتمات البيان في تاريخ الافغان ، (القاهرة ١٣١٩هـ = ١٠٩١م) انظر ايضا جريدة المقتطف ، القاهرة ، مجلد ٢٦ ، رقم ١,٤ نيسان (ابريل) ، ١٩٠١م = ١٣١٩هـ ، ص ٣٧٢ .
- منتخبات من جريدة العروة الوثقى ، (القدس ١٣٢٢هـ = ١٩٠٤م) .
- بالاشتراك مع محمد عبده، العروة الوثقى ، اعيد طبعها عدة مرات في القاهرة وبيروت ، من ١٣٢٨هـ ١٩١٠م الى سنة ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م ، آخرها طبعة

ر الكتاب العربى (بيروت ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م) . للمزيد انظر مكانها فى الفهارس) .

- الوحدة الاسلامية ، (القاهرة ١٣٥٢هـ = ١٩٣٣م) .
- القضاء والقدر (القاهرة ١٣٥٣هـ = ١٩٣٤م) .
- الوحدة الاسلامية والوحدة والسيادة ، (القاهرة ١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م) .
- اراء ومعتقدات سيد جمال الدين افغانى ، باشراف مرتضى شاهارد يهى ، (طهران ١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م) .
- مجموعة اسناد ومدارك جاب نشده : درباره ، سيد جمال الدين ، مشهور به افغانى ، جمع وترتيب أورى ، اشراف وتحرير : ايراج افشار واصغر مهدوى (طهران ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م) .

المقالات :

- « حقيقة الانسان وحقيقة الوطن » فى جريدة مصر ، مجلد ١ ، الاعداد ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، (القاهرة ١٢٩٦هـ = ١٨٧٨م) .
- « الحكومة الاستبدادية » فى جريدة مصر ، مجلد ٢ ، رقم ٣٢ (القاهرة ١٢٩٧هـ = ١٨٧٩م) ، اعيد طبعها فى مجلة المنار المجلد ٣ (القاهرة ١٣١٨هـ = ١٩٠٠م) ص ٥٧٧ - ٥٨٨ و ٦٠١ - ٦٠٧ .
- « منافع الوفاق ومضار الشقاق » فى جريدة البصير ، العدد ٧٧ ، ٦ نيسان (ابريل) ١٨٨٣م = ١٣٠١هـ (باريس) .
- « المسألة الهندية » فى جريدة الاهرام ، عدد آب (اغسطس) ، (القاهرة ١٨٨٥م = ١٣٠٣هـ) . انظر ايضا عمارة ، افغانى ، ج ١ ص ١٥٤ .
- « الشرق والشرقيون » فى مجلة ابو نظارة زرقاء (باريس ١٣٠١ هـ = ١٨٨٣م) اعيد طبعها فى المنار (القاهرة) ، المجلد ٢٥ ، ص ٥٣٥ - ٥٣٩ .
- « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب والقى السمع وهو شهيد » فى المنار (القاهرة) المجلد ٢ ، ص ١٤ - ٢٢ ، منقولة عن جريدة العروة الوثقى .
- « العلماء وسلطات الحاكم المتسبد » ، فى المنار ، (القاهرة) ، المجلد ٩ ، ص ٩٠٥ - ٩٠٦ ، منقولة عن جريدة العروة الوثقى .
- « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، فى المنار (القاهرة) مجلد ١٤ ، ص ٢٨ - ٣٢ منقولة عن العروة الوثقى .
- « السياسة الانجليزية فى الممالك الشرقية واسباب الحرب بمصر » فى المنار ، (القاهرة) المجلد ٢٥ ، ص

٧٥٦ ـ ٧٦٠ ، منقولة عن مجلة النحلة ،(٥) العدد٣ ، السنة الخامسة (لندن) .

ـ « كتاب له (الافغانى) في الدفاع ع الـدولـة العثمـانيـة » ، في المنـ (القاهرة) المجلد ٢٦ ، ص ٤٤ ـ ٤٧ .

Translations:

Al-Afghānī's personal books and papers, Documents inédits concernant Seyyed Jamāl-al-Dīn Afghānī (Majmū eh-yi asnad va madarik-i chāp nashudeh dār bāreh-yi Sayyid Jamal ad-Dīn mashhur bi Afghāni), ed. by Afshār, Iraj, and Asghar, Mahdavī, (Tehran, 1963).

Al-Hukūma al-Istibdādiyya', in Misr Newspaper, Cairo, ii. 33, 15 Feb., (1879); reprinted in Al-Manār, iii. 14 Nov., (1900), pp. 601-607, Eng. trans. 'Al-Afghānī on Types of Despotic Government', by L.M. Kenny, in Journal of the American Oriental Society, 86, i. (1966), pp. 19-27.

Al-Makhzūmī's Khātirāt Jamāl al-Dīn al-Afghānī, Persian trans. by M.M. Chahardihi, (Tabriz, 1328/1950).

'Philosophie de l'Union nationale basée sur la race et l'Unité linguistique', trans. M. Hendessi, in Orient, No. 6, (1958), pp. 123-128.

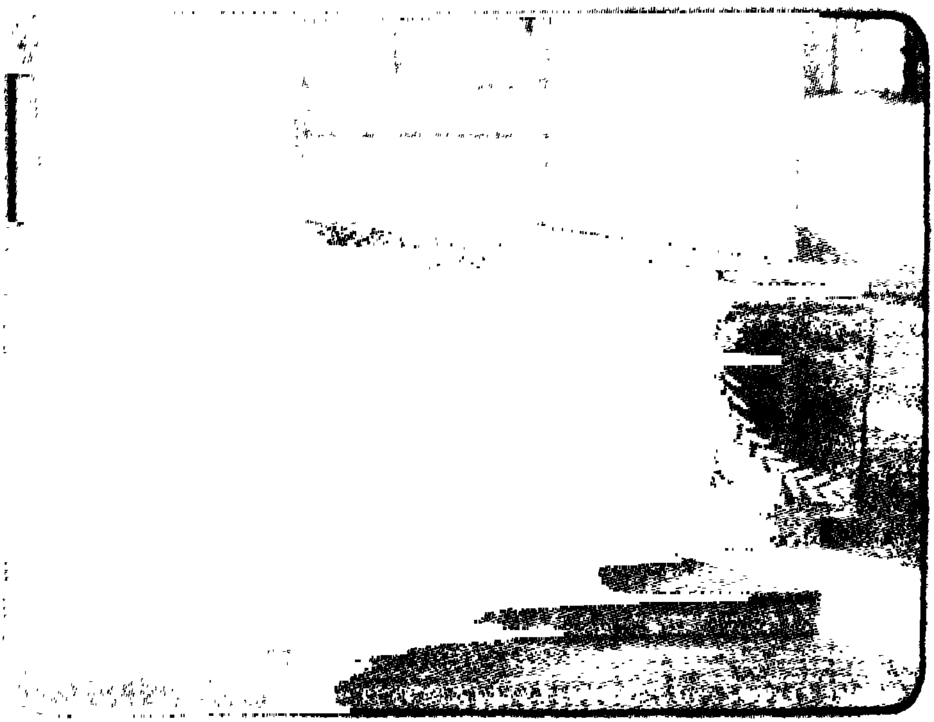
'Pages choises de Djamal al-Dīn al-Afghānī: La Nationalité et la religion musulmané', trans. M. Colombe (from Al-'Urwah al-Wuthqā, No. 2, Mar. 20, 1884), Orient, No. 22, (1962), pp. 125-130. Also Orient, No. 21, (1962), pp. 87-115; 22 (1962), 125-159; 23 (1962), 169-198; 24 (1962), 169-198; 24 (1962), 125-151; and 25 (1963), 141-152.

(٥) صدرت مجلة النحلة اولا ببيروت ، لصاحبها لويس صابونجي ، واستمرت اربعة اعوام ١٨٧٧ ـ ١٨٨١ . ثم انتقل بها الى لندن لاسباب شخصية وسياسية ، للمزيد انظر الزركلي ، الاعلام ، ج . ٥ ، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ . (طبعة دار العلم للملايين) بيروت

Al-Radd ʿalā al-Dahriyyīn, trans. from Persian by Muhammad ʿAbduh, (Beirut, 1886). Reprinted since successively in Cairo and Beirut from 1849 to 1955.

Al-Radd ʿalā al-Dahriyyīn, Fr. trans. Réfutation des Matérialists, by A.M. Goichon, in de l'Orient, vol. xi, (Paris, 1942). Includes Afghānī's comment on Renan's Lecture, from Jo rnal des Débats, May 18, (188).

Al-Radd ʿalā al-Dahriyyīn, Eng. trans. The Refutation of Materialists, from the original Persian, by N.R. Keddie and Hamid Algar, in Keddie's An Islamic Response to Imperialism, pp. 73-187, see also pp. 191-200.



● ضريح الافغاني بكابول ●

دراسات
عن جمال الدين الأفغاني بالعربية

(أ) الكتب .

- احمد امين زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ، ط ٤ (القاهرة ١٤٠٠ هـ = ١٩٧٩) خصوصا الصفحات ٦٣ - ١٢٨ .

- : فيض الخاطر ، فى ٧ اجزاء ، انظر هنا المجلدين الرابع ، ص ٢١٦ ، والخامس ، ص ٢٤٣ - ٢٠٠ .

- **سعيد الافغاني** : نابغة الشرق السيد جمال الدين الافغانى ، (القاهرة ١٣٨٦هـ = ١٩٦٧م) .

- **عباس محمود العقاد** : على الاثير ، (القاهرة ١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م) .

- **عبدالباسط حسن** : جمال الدين الافغانى ، واثره فى العالم الاسلامى الحديث ، (القاهرة ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م) .

- **عبدالرحمن الرافعي** . جمال الدين الافغانى باعث نهضة الشرق ، دار الكتاب العربى ، سلسلة اعلام العرب ، رقم ٦١ ، (القاهرة ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م) .

- **عبدالستار الهوارى** : جمال الدين الافغانى ، (القاهرة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م) .

- **عبدالقادر المغربى** : البيات ، مجلدان ، (القاهرة ١٣٤٤هـ = ١٩٢٥م) .

« « جمال الدين الافغانى ، ذكريات واحاديث ، (القاهرة ١٣٦١ - ١٣٦٨هـ = ١٩٤٢ - ١٩٤٨م) ، طبعة جديدة (١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م) .

- **عبدالمحسن القصاب** : ذكرى الافغانى فى العراق ، (بغداد ١٣٦٥هـ = ١٩٤٥) .

- **عبدالمنعم حسين** : جمال الدين الاسد أبادى ، المعروف بالافغانى ، (بيروت ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م) .

- **عثمان امين** : اعلام النهضة الحديثة ، جمال الدين الافغانى (القاهرة ، د ، ت)

« « رواد الوعى الانسانى فى الشرق الاسلامى ، (القاهرة ١٣٨١هـ = ١٩٦١م) .

- علي شلش : الافغاني وتلاميذه ، ود ق مجهولة المركز العربى للاعلام والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٩. (تحقيق ودراسه) .

- عمر دسوقي : فى الادب الحديث ، مجلدان (القاهرة ١٣٦١هـ = ١٩٤٢م) ، انظر هنا المجلد الاول ، ص ٢١٩ - ٢٣٧ .

- فتحي الرملى : البركان الثائر ، جمال الدين الافغانى ، (القاهرة ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م) .

- فهد الرومي : منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير ، مؤسسة الرسالة (بيروت ١٤٠١هـ = ١٩٨١م) انظر هنا ٧٣ - ١٢٣ .

- قدرى حافظ طوقان : جمال الدين الافغانى ، اراؤه وكفاحه واثاره فى نهضة الشرق ، (القدس ١٣٦٧هـ = ١٩٤٧م) .

- قدرى قلعجي : جمال الدين الافغانى ، حكيم الشرق ، (بيروت ١٣٦٧هـ = ١٩٤٧) .

- ثلاثة من اعلام الحرية ، جمال الدين الافغانى ، محمد عبده ، سعد زغلول ، (بيروت د . ت) .

- محسن الامين : جمال الدين الافغانى ، (بيروت ، د . ت) .

- محسن عبدالحميد : جمال الدين الافغانى ، المصلح المفترى عليه ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م) .

- محمد ابو زيد : جمال الدين الافغانى ، (القاهرة ١٣٨١هـ = ١٩٦١م) .

- محمد رشيد رضا : تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده ، ٣ مجلدات ، القاهرة (١٣٥٠هـ = ١٩٣١م) .

- محمد سلام مدكور : جمال الدين الافغانى ، باعث النهضة الفكرية فى الشرق ، (القاهرة ١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م) .

- الحكيم الثائر جمال الدين الافغانى ، ط ٢ (القاهرة ١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م) .

- محمد عبدالحميد : نابغة الشرق السيد جمال الدين الافغانى ، (القاهرة ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م) .

- محمد عبدالفتاح : اشهر مشاهير الشرق (القاهرة د . ت) .

- محمد عمارة : جمال الدين الافغانى ، الاعمال الكاملة ، فى مجلدين ، (بيروت ١٤٠٠ - ١٤٠٢هـ = ١٩٧٩ - ١٩٨١م) .

- محمد فهمي عبداللطيف : جمال الدين الافغانى والوحدة الاسلامية (بيروت د . ت) .

- محمد المخزومي (باشا) : خاطرات

جمال الدين الافغانى ، (بيروت ١٣٥٠هـ = ١٩٣١م) اعيد طبعها مرارا ، (احدث طبعة ١٤٠١هـ = ١٩٨٠م) .

ـ **محمود ابو ريا** جمال الدين الافغانى تاريخه ورسالته ، (القاهرة ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م) .

ـ : جمال الدين الافغانى ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م ، من سلسلة نوابغ الفكر العربى رقم ٢٩ ، دار المعارف (القاهرة ١٣٩١هـ = ١٩٧١م) .

ـ **محمود قاسم** : جمال الدين الافغانى ، حياته وفلسفته ، (القاهرة ، ١٣٧٦هـ = ١٩٥٦م) .

ـ **ميرزا لطف الله خان** : «حقيقة جمال الدين الافغانى» فى مجلدين الفه اصلا بالفارسيه « ابن اخت جمال الدين الافغانى » ترجمه وقدم له وعلق عليه عبدالنعيم حسنين ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، (المنصورة ، مصر ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م) .

ـ : جمال الدين الاسد أبادى « ترجمة وتعليق صادق نشأت وعبدالنعيم حسنين ، (القاهرة ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م) .

ـ **يوسف أسعد داغر** : « مصادر الدراسة الادبية » فى ٤ مجلدات ، (بيروت ١٣٧٦ ـ ١٣٩٢هـ = ١٩٥٦ ـ ١٩٧٢م) انظر خصوصا المجلد الثا... ص ١٢٦ ـ ١٣١ .

(ب) المقالات :

ـ **ابراهيم اليازجى** « جمال الدين الافغانى » فى البيان ، (بيروت) عدد اذار (مارس ١٢٩٧هـ = ١٨٧٩م) ، اعيد طبعها فى مجلة الاصلاح (الارجنتين) مجلد (١٩٣٢) ص ٣٥٤ .

ـ **احمد امين** « جمال الدين الافغانى » فى الثقافة ، (القاهرة) عدد ٢٦٤ (١٩٤٤) ص ٩ ـ ١٢ العدد ٢٦٥ ، ص ٦ ـ ١٠ ، والعدد ٢٦٦ ، ص ٧ ـ ١١ ، والعدد ٢٦٧ ، ص ١ ـ ٥ ، والعدد ٢٦٨ ، ص ، ٥ ـ ١٠ ، والعدد ٢٦٩ ، ص ٤ ـ ١٩ .

ـ **احمد الدرديرى** : السيد جمال الدين الافغانى ، فى الهلال ، ٤٣ (القاهرة) ص ٥٣ .

ـ **انور الجندى** : « مجالس جمال الدين الافغانى » فى العربى ، العدد ١٥٧ ك (ديسمبر) ١٣٩١هـ = ١٩٧١م) ، ص ١٥٨ وما بعدها .

ـ **فى البيان (مجلة)** : « السيد جمال الدين الافغانى » ، مجلد ١ (بيروت ١٣١٥هـ = ١٨٩٧م) ، ص ٧٨ ـ ٨٧ .

ـ **فى الثقافة (مجلة)** : جمال الدين الافغانى ، وشكيب أرسلان ، مجلد ١ (دمشق) ص ٣٣٧ .

ـ ... جى زيدان : السيد جمال الدين الا... ـانى ، فى الهلال ، مجلد ٥ ، (ا... اهرة ١٣٥١هـ = ١٨٩٧م) ص ٦٢ ـ ٥٧١ .

ـ **جمال الدين الرمدى** : « صور البطولة عند جمال الدين الافغانى » فى الثقافة ، العدد ٧٢٢ (القاهرة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م) ص ١٢ ـ ١٣ .

ـ **فى الرسالة الاسلامية (مجلة)** : « تحقيق حول علاقة الافغانى بالماسونية » بحث منشور بالعددين ٦٢ ، ٩٣ . (بغداد) .

ـ « شبهات حول الافغانى » سلسلة ابحاث منشورة فى اعداد السنة ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م (بغداد).

ـ **رمضان لاوند** : « جمال الدين الافغانى ، باعث ثورة لا صانع فلسفة » فى الطريق الاعداد ٣ ـ ٩ (بيروت ١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م)، ص ١٧و٩ .

ـ **السيد الحسينى** : « كتاب السيد جمال الدين الافغانى للميرزا الشيرازى » فى مجلة العرفان ، مجلد ٣ ، (صيدا ـ لبنان) ص ١٢٤ .

ـ **شبلى الشميلى** : « جمال الدين الافغانى » ، فى الزهور ، العدد ٣ ، (القاهرة) ص ٤١١ ـ ٤١٣ .

ـ **صالح شهرستانى** : « صفحة مطوية عن المرحوم السيد جمال الدين الاسد أبادى الشهير بالافغانى » فى العرفان مجلد ١٤ ، (صيدا ـ لبنان) ص ٥٨ ـ ٦٨ .

ـ **عباس محمود العقاد** جمال الدين الافغانى وقضية السودان » ، فى مجلة الدستور ، عدد ك ١ (ديسمبر) (القاهرة ١٣٧١هـ = ١٩٥١م) .

ـ **عبدالحميد الكاتب** «جمال الدين الافغانى ، الحسينى منقذ الشرق وحكيمه» فى الثقافة ، العدد ٤١ (القاهرة) ص ١٢ .

ـ **عبدالرشيد ابراهيم** : السيد جمال الدين الافغانى فى مجلة الشباب المسلمون مجلد ٥ ، فبراير (شباط) القاهرة ١٤٠١هـ = ١٩٨١م) ص ٣٥٨ ـ ٣٦٥ .

ـ **عبدالقادر المغربى** : جمال الدين الافغانى ، ام الايرانى ؟ فى المؤيد ، (القاهرة ١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م) اعاد طبعها فى كتابه البينات (فى مجلدين) (القاهرة ١٣٤٤هـ = ١٩٢٥م) ص ١٥ ـ ١٥٧ .

ـ **عبدالكريم الدجيلى** : ذكرى سيد جمال الدين فى الرسالة ، العدد ١١ ، (القاهرة) ، ص ٤٦٠ .

ـ السيد جمال الدين كما اعرفه ، فى الرأى العام ، العدد ١١٧٥ (بغداد ١٣٦٤هـ =١٩٤٤م) .

ـ **عبداللطيف الثنيان** : « حول جمال

الدين الافغاني » في الثقافة ، العدد ٢٣ ، (القاهرة) .

ـ **عبدالمنعم حمادة** جمال الدين الافغاني نبذة من حياته ، في الثقافة ، مجلد ١ ، العدد ١٢ (القاهرة) ص ٢٠ .

ـ «جمال الدين الافغاني ومحمد عبده » ، في الثقافة ، المجلد ٣ ، العدد ١١٦ (القاهرة) ، ص ٣٦٦ .

ـ **عثمان امين** « رسالة جمال الدين الافغاني ، في العرفان ، العدد ٣ ، (صيدا ـ لبنان) (١٢٧٠هـ = ١٩٥٠م) ص ٦ ـ ١٢ .

ـ **عثمان أمين** : « عبقرية جمال الدين الافغاني » في العربي ، العدد ٧٩ (الكويت ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م) ص ، ٥٥ ـ ١٦٢ .

ـ : « الافغاني والتجديد الاسلامي » في الفكر الاسلامي ، العدد ٥ ، (بيروت ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م) ص ، ٣٥ ـ ٤٤ .

ـ **فرح انطون** : « فلسفة جمال الدين الافغاني » في الجامعة ، المجلد ٥ (القاهرة ، نيويورك ١٣٢٤هـ = ١٩٠٦ م) صفحة ٢٤٠ ـ ٢٤٨ .

ـ **قدرى قلعجي** : « جمال الدين الافغاني » في الطريق العدد ٤ ، (بيروت) ص ١٨

ـ **محمد امان صافي** « المصلح جمال الدين الافغاني ، وحقيقة فكره وموطنه » في جريدة الشرق الاوسط ، العدد ٣٧١ ، ٣١ آيار (مايو ١٩٨٩م ١٤٠٩هـ) ص ١٢ .

ـ **محمد حميد الله** : « صلات أرنست رينان (٦) بجمال الدين الافغاني » في الفكر الاسلامي ، العدد ٢ ، (بيروت ١٣٩١ هـ = ١٩٧١م) ص ٦٤ ـ ٧٤

ـ **محمد رشيد رضا** « النهضة الاسلامية في مصر » في المنار ، مجلد ١ ، (القاهرة) ص ٢٤١ .

ـ « الانقلاب العثماني » في المنار ، مجلد ١١ ، (القاهرة) ص ٨٤٩

ـ « جمود الازهر ودعوة حكيمي الشرق الى الاجتهاد والاصلاح »، في المنار ، مجلد ٣٢ ، (القاهرة) ص ٦٧٥

ـ «التجديد الاسلامي دعوة الحكيمين والافغاني والمصري» في المنار ، والمجلد ٣٢ ، (القاهرة) ص ٢٠٦ .

محمد عاكف أفندى : « الشيخ جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده » في المنار المجلد ١٣ (القاهرة ١٣٢٨هـ = ١٩١٠م)، ص ٧٠٩ ـ ٧١٢ .

ـ **محمد عبده (الشيخ)** : « ترجمة جمال الدين الافغاني » في التقديم لكتاب

---

(٦) ارنست رينان (A·Renan) (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢) كاتب وعالم أثرى فرنسى .

جمال الدين الافغانى ، رسالة الرد على الدهريين ، اعيد طبعها فى محمد عمارة ، الاعمال الكاملة للامام محمد عبده المجلد ١ ص ٣٤٤ ـ ٣٥٥ ، كذلك فى مجلة

الجامعة لصاحبها ورئيس تحريرها فرح انطون ، المجلد ٥ (أب) اغسطس ، (القاهرة ، نيويورك ١٣٢٤هـ = ١٩٠٦م) ص ١٢٢ ـ ١٢٩ .

ـ **محمد عماره** : « العروة الوثقى : لمناسبة مرور مائة سنة على ذكرى الافغانى ، (١٣١٥هـ = ١٨٩٧م)» فى مجلة الكويت ، العدد ١ اكتوبر (ت ١) (الكويت ١٩٨٠م ـ ١٤٠١هـ) ص ٧٧ ـ ٨٤ . انظر ايضا العدد ٢ ، (ت ٢) (نوفمبر) ، ص ٩٢ ـ ٩٩ ، والعدد ٣ ، (ك ١) (ديسمبر) (١٩٨٠م = ١٤٠١هـ) ، ص ١٠٩ ـ ١١٣ .

ـ **محمد عنان** جمال الدين الافغانى ، وجمهورية الشورى ، فى مجلة القدس ، العدد ٥ (بيروت ١٤٠١هـ ١٩٨٠م) .

ـ **محمد غالب**. السيد جمال الدين الافغانى فى الازهر ، المجلد ٣٠ ، (القاهرة ١٣٧٣هـ = ١٩٥٣م) ص . ٢٣٢ ـ ٢٣٨ .

ـ **محمد فهمى عبداللطيف** : « ذكرى باعث الشرق ، فى الرسالة ، العدد ٧٠٦ (القاهرة ١٣٦٧هـ = ١٩٤٧م) .

ـ **محمد لطفى جمعه** : « ثلاثة رجال : الافغانى ، الكواكبى ، الثعالبى فى الحديث ، مجلد ٢ (حلب) ، ص ٦٥٠ ـ ٦٥٤ .

ـ **محمود ابو ريا** : « حول ذكرى السيد جمال الدين الافغانى » فى الرسالة . العدد ١١ (القاهرة) ص ٢٣٩ .

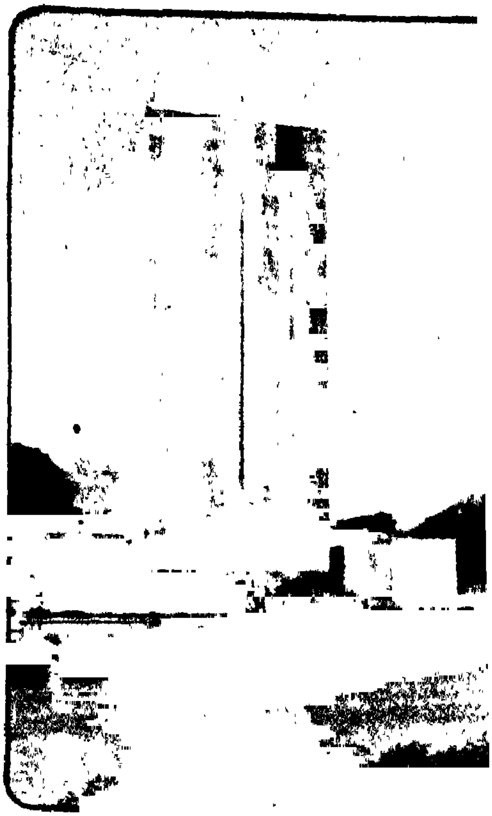
ـ **محمود الشرقاوى (شيخ)** : ذكرى مرور خمسين سنة على وفاة الشيخ جمال الدين الافغانى مصلح دينى وزعيم سياسى فى الازهر ، مجلد ٢٩ ، (القاهرة) ص ٨٢٧،١٣٦ .

ـ **فى المشرق (مجلة)** : «جمال الدين الافغانى» المجلد ١٣ (بيروت ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م) ص ٢٢٧ .

ـ **مصطفى عبدالرازق** : « السيد جمال الدين الافغانى » فى السياسة الاسبوعية ، العدد ٦٥ (القاهرة ١٣٤٦هـ = ١٩٢٧م) .

ـ **مصطفى محمود** : « جمال الدين الافغانى ، فى الاديب ، العدد ١٣ ، (بيروت ١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م) ، ص ١٣ .

ـ **ملفات الشرق الاوسط** : « الرجل الولوع بعظائم الامور ، العزوف عن صغائرها جمال الدين الافغانى » ، تحت هذا الشعار قدمت الشرق الاوسط جريدة العرب الدولية دراسة هادفة جادة (ملفا شاملا) لواحد من ابرز زعماء الاصلاح فى القرن ١٩ ، السيد جمال الدين الافغانى ، ومن اجل هذا الغرض جندت



● على ضفة النهر.. عاد اخيرا!



● هنا يرقد الشيخ

صفوة من كبار العلماء والكتاب المهتمين بتثمين دور الافغانى واثر هذا الدور على تاريخنا الاسلامى الحديث والمعاصر ، وفى مقدمة هؤلاء العلماء والكتاب

المعروفين الشيخ محمد الغزالى ومحمد عماره وعبدالباسط حسن وعبدالحليم عويس وسيد رزق الطويل والشيخ سيد سابق وانور الجندى وعدد آخر من الكتاب اللامعين المعروفين .. وقد استغرق الملف ١٤ حلقة ، ابتداء من العدد ٣٧٦٣ ، (١٨ ، اذار مارس)

١٩٨٨م = ١٤٠٩هـ ، وانتهاء بالعدد ٣٨٠٩ . (٣ آيار مايو) ١٩٨٨م =

١٤٠٩هـ ، وقد تخللها واعقبها بعض التعليقات والتداخلات الهامة التى اسهمت فى اغناء الموضوع واثرائه

- ميرزا رافع مهدى . « الثورة الفارسية : هل كان للسيد جمال الدين الافغانى اتصال بها »؟ فى السياسة الاسبوعية ، العدد ٩١ (القاهرة ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٧م) ص ١٩

دراسات
عن جمال الدين الأفغاني بلغات أجنبية

Works on Jamāl al-Dîn al-Afghānî

a) Books:

ʿAbd al-Ghaffar, Q. Muhammad.
Āsār-i Jamāl al-Dīn al-Afghānī, (Delhi, 1932), in Urdu.

Abdel-Malek, Anouar.
Idéologie et renaissance nationale: l'Égypt moderne, (Paris, 1969).

Adams, C.C.
Islam and Modernism in Egypt: A Study of the Modern Reform Movement Inaugurated by Muhammad ʿAbduh, (London, 1933), esp. pp. 4-17.

Asar, ʿAbd al-Halîm.
Tazkira da Sayyid Afghānî, (Peshawar, 1961), in Pushto.

Badawi, Zaki.
The Reformers of Egypt – A Critique of al-Afghani, ʿAbduh and Ridha, (The Muslim Institute Papers, 2, Slough, U.K. 1976), esp. pp. 1-10.

Browne, E.G.
The Persian Revolution, 1900-1909 (Cambridge, 1909, re-printed, 1966), Persian trans. Inquilābî Iranî, by Ahmad Puzuh, 2d edn., (Tehran, 1338/1958).

C ihrdihî, M. Mudarrisî.
Z diqānî va falsafa-yi ijtima ʿi va Siyas-y: Sayyid Jamal al-Dîn A hānî, (Tehran, 1334/1954).

Co chy, Georges.
Djamal Eddîne al-Afghānî et les Mystéres de sa Majesté Impériale ʿAbdul-Hamid II, (Cairo, n.d.).

Hourani, Albert.
Arabic Thought in the Liberal Age, 1798-1939, (London, 1962). esp. pp. 103-129.

Keddie, N.R.
An Islamic Response to Imperialism: Political and Religious Writings of Sayyid Jamāl al-Dîn al-Afghānî, (Berkeley and Los Angeles, 1968).

Sayyid Jamāl al-Dîn ʿal-Afghānî', A Political Biography, (Berkeley and Los Angeles, 1972).

Religion and Rebellion in Iran: The Tobacco Protest of 1891-1892, (London, 1966).

Kedourie, Elie.
Afghani and ʿAbduh; An Essay on Religious Unbelief and Political Activism in Modern Islam, (London, 1966).

Khūgiyāni, M. Amin.
Hayāt-i Sayyid Jamal al-Dîn Afghānî, (Kabul, 1318/1939).

Kudsi-Zadeh, Albert.
The Legacy of Sayyid Jamal al-Dîn al-Afghānî in Egypt, unpubl. Ph.D. thesis, Indiana University, (Bloomington, 1964)

Sayyid Jāmal al-Dîn al-Afghānî: An Annotated Bibliography, (Leiden, 1970).

Lutfallah, Khān Mîrzā.
Jamāl al-Asadabādî, al-Maʿrūf bi al-Afghani. Arabic trans with Introduction by Sādic Nasha'at and ʿAbd al-Munʿim Husayn, (Cairo, 1957).

Al-Mujahid, Sharif.
Sayyid Jāmal al-Dîn al-Afghānî His Role in the Nineteenth Century Muslem Awakening, unpubl. M.A. thesis, McGill University, (Montreal, 1954).

Mustafizz, al-Rahmān.
Jāmal al-Dîn al-Afghānî, (Dac

ca, 1955), in Bengali.

Pakdaman, Homa.
Djamal-ed-Din Assad Abadi dit Afghani, (Paris, 1969).

Srour, Hani.
Die Staats-und Gesellschaftstheorie bei Sayyid Gamalalddin 'Al-Afghani': als Beitrag zur Reform der Islamischen Gesellschaften, in der zweiten Hälfte des 19. Jahrhunderts, (Freiburg, 1977).

Tabātabā'ī, M. Muhīt.
Naqash-i Sayyid Jamāl al-Dīn Asadabādî dar bīdarî-yi mashriq zamîn, (Tehran, 1350/1971).

b) Articles:

'Abduh, Muhammad.
'Falsafa-yi tarbiyat az pazar-i Sayyid Jamāl al-Din Afghānī' trans. into Persian by M.M. Chāhrdihī, Armaghān, vol. 24, pp. 351-355.

Ahmad, Aziz.
'Sayyid Ahmad Khān, Jamāl al-Dīn al-Afghāni and Muslim India', in Studia Islamica, xiii, (1960), pp. 55-78.

'Afghānī's Indian Contacts', in Journal of the American Society, lxxix, (Baltimore, 1969), pp 476-504.

Amin, Osman ('Uthmān Amîn).
'Jamāl al-Dīn al-Afghānī', in M.M. Sharif, ed., A History of Muslim Philosophy, ii, (Wiesbaden, 1966), pp. 1482-1490.

Baider, Abid Raza.
'Jamāl al-Dīn al-Afghānī: A Bibliography of Source Materials', in International Studies, iii, July, (1961), pp. 99-108.

Ende, Werner.
'Waren Gamāladdin al-Afghānī und Muhammad 'Abduh Agnostiker?' in Zeitschrift der Deutschen morgenländischen Gesellschaft, Munich, (1969), pp. 650-659.

Federmann, Robert.
'Scheik Djamadeddin el-Afghānî: Ein Lebensbild aus dem Orient', in Beilage zur Allgemeinen Zeitung, Munich, No. 144, 24 June, (1896).

Goldziher, I.
'Djāmal al-Dīn al-Afghānī.

(with bibliography)', in EI[1], i. pp. 1008-1811; and also with J. J...ier, in EI[2], ii. pp. 416-419.

Hamidallah, Muhammad.
'Ernest Renan and Jamal al-Dīn al-Afghānī: Firmest Representatives of Two Cultures', in The Islamic Review, Working, Eng., xlvi, 5-6, (1958), pp. 33-35. cf.

'Silāt Amist Renan bi Jamāl al-Dīn al-Afghānī' in Al-Fikr al-Islamī, Beirut, No. 2, (1971), pp. 64-74.

Hanna, Sami A.
'Al-Afghānī: A pioneer of Islamic Socialism', in The Muslim World, lxii, Jan., (1967), pp. 24-32.

Keddie, N.R.
'Afghānī in Afghanistan', in Middle Eastern Studies, i. July, (1965), pp. 322-349.

'The Pan-Islamic Appeal: Afghānī, and 'Abdülhamid II', in Middle Eastern Studies, iii. Oct., (1966), pp. 46-67.

'Sayyid Jamāl al-Dīn al-Afghānī's first Twenty-Seven Years: The Darkest Period', in The Middle East Journal, xx, Autumn, (1966), pp. 517-533.

'A Case of Posthumous Charisma?' in Philosophers and Kings, D.A. Rustow, ed., (New York, 1970), pp. 148-179.

'Islamic Philosophy and Islamic Modernism: The Case of Sayyid Jamāl al-Dīn al-Afghanī's first Twenty-Seven Years: The Darkest Period', in The Middle East Journal, xx, Autumn, (1966), pp. 517-533.

'A Case of Posthumous Charisma?' in Philosophers and Kings, D.A. Rustow, ed., (New York, 1970), pp. 148-179.

'Islamic Philosophy and Islamic Modernism: The Case of Sayyid Jamāl al-Dīn al-Afghānī', in Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists, Wiesbaden: O. Harrassowitz, (1971), p. 190.

Kedourie, Elie.
'Further light on al-Afghānī, in Middle Eastern Studies, i. Oct.,

(1964), pp. 187-202.

Kedourie, Elie.
'The Elusive Jamāl al-Dīn al-Afghānī: A Comment', in The Muslim World, lix, 3-4, (1969), pp. 308-314.

'Afghānī in Paris: A Note', in Middle Eastern Studies, viii, Jan., (1972), pp. 103-105.

'Jamāl al-Dīn al-Afghānī', in The New Encyclopaedia Britannica, (1974), vol. 10. p. 20.

Key, Kerim Kami.
'Jamāl al-Dīn al-Afghāni and the Muslim Reform Movement', in Islamic Literature, Oct., (1951), pp. 5-10.

Kudsi-Zadeh, Albert.
'Jamāl al-Dīn al-Afghāni: A Select List of Articles', in Middle Eastern Studies, ii. Oct., (1965), pp. 66-72.

'Afghānī and the National Awakening of Egypt: A Reassessment of His Role', in Correspondance d'Orient, Brussels, No. 11, (1970), pp. 297-305.

'Islamic Reform in Egypt: S me Observations on the Rol of al-Afghānī', in The Mu lim World, lxi, (1971), pp. 1- 2.

'Afghānī and Freemasonry in Egypt', in Journal of the American Oriental Society, xcii, (1971), pp. 25-35.

'Afghānī on Afghanistan', in International Journal of Middle East Studies, Los Angeles, iv, (1973), pp. 367-368.

'Sayyid Jamāl al-Dīn al-Afghānī: A Supplementary Bibliography', in The Muslim Work, lxv, (1975), pp. 279-291.

'Salim 'Anhūrī (1856-1933), Journalist, Poet and Social Critic', in Islamic Civilization, D.P Little, ed., (Leiden, 1976), pp 179-189.

Kudsi-Zadeh, Albert.
'The Emergence of Political Journalism in Egypt', in The Muslim World, lxx, No. 1, Jan., (1980), pp. 47-55.

La dau, J.M.
'A Afghānī's Panislamic Project in Islamic Culture, xxvi, Jul . (1952), pp. 50-54.

Ma di, Muhsin.
'Jamāl al-Diñ al-Afghānī', in The Arab Journal, New York, iv, (1967), pp. 19-22.

Taqi-Zādeh, Hasan.
'Mashāhir Mardān-e Mashreq va Magreb: 1. Sayyid Jamāl-ud-Din', in Kaveh, Berlin, No. 3, (1921), pp. 5-11.

In The Times (London)
'The National Party in Egypt', 30 Aug., (1879).

السيرة الذاتية باختصار وفق التسلسل الزمني

١٢٥٤هـ = ١٨٣٨م : ولادته ببلدة « أسعد أباد » الافغانية القريبة من العاصمة كابل .

١٢٦٤هـ = ١٨٤٨م : أتم حفظ القرآن الكريم فى المنزل ، واستعان والده باساتذة كابل الماهرين ليأخذ عنهم ولده جمال ، الاداب العربية ، وعلوم الشريعة ، والحكمة والمنطق .

١٢٦٦هـ = ١٨٤٩م : أنضم الى مدارس النجف الدينية ولمدة اربع سنوات تمكن خلالها من استيعاب العلوم الاسلامية ، والفلسفية ، والرياضية ، وعلوم الطب والهيئة والنجوم .

١٢٧٠هـ = ١٨٥٣م . وصل الى الهند ، فاتحا بذلك سلسلة لا تنتهى من رحلات واسفار ، جال فيها الشرق والغرب منتهزا فرصة اقامته فى الهند ، لينهل المزيد من العلوم خصوصا الاوربية والرياضة الحديثة .

١٢٧٤هـ = ١٨٥٧م : قصد مكة للحج (لاول مرة) مبحرا اليها من الهند .

١٢٧٧هـ = ١٨٦٠م : عاد الى وطنه ، واستقر فى العاصمة كابل ، وتقرب من الامير دوست محمد خان ، والف اول كتبه باللغة العربية « تتمة البيان فى تاريخ الافغان » واخذ يجهر بعداوته للاستبداد

والاستعمار ، ممهدا الطريق بذلك للدخول الى معترك الحياة السياسية من اوسع ابوابها .

١٢٧٩هـ = ١٨٦٢م : انفجر الصراع السياسى على السلطة بين امراء الافغان ، وانتهى بعد سنوات مريرة من حروب اهلية الى سيطرة الجناح المعادى لخط الافغانى ، وذلك بسقوط محمد أعظم خان الذى اتخذ من جمال الدين وزيرا أول (رئيس وزراء) لجهاز دولته .

١٢٨٥هـ = ١٨٦٨م : غادر كابل الى الهند ، ليرحل عنها بعد شهر من وصوله الى مدينة السويس فى مصر ، بأمر من سلطات الاحتلال الانجليزى !

١٢٨٦هـ = ١٨٦٩م : قصد الاستانة ، عاصمة السلطنة العثمانية ، حيث أستقبل هناك ـ فى البداية ـ استقبالا طيبا ، وتقرر تعيينه عضوا فى المجلس الاعلى للمعارف ، ودرس اللغة التركية واتقنها .

١٢٨٨هـ= ١٨٧١م : ترك الاستانة امتثالا لرغبة السلطات ، ووصل الى مصر للمرة الثانية ليقيم فيها ثمانى سنوات ، كانت من أخصب سنى حياته ، وكان فيها صانعا للاحداث والتاريخ اكثر منه مشاركا فيها أو متفرجا عليها من بعيد .

١٢٩٦هـ = ١٨٧٩م : اتخذ توفيق باشا (خديوى مصر) قرارا بنفى الافغانى عن البلاد .

١٣٠١هـ = ١٨٨٤م : اسس مع الشيخ محمد عبده جريدة العروة الوثقى فى باريس ، والتى توقفت عن الصدور فى نفس السنة .

١٣١٠هـ = ١٨٩٢م : بعد سنوات مضنية حافلة بالجهاد المتواصل قضاها متنقلا بين عواصم الشرق والغرب منافحا عن قضايا أمته ، لبناء صرح الجامعة الاسلامية .. ومحاربة الاستعمار بكل اشكاله .. عاد إلى الاستانة ، لتكون آخر محطة فى حياته .

١٣١٣هـ = ١٨٩٦م : قام احد رجالات جمال الدين الافغانى ومريديه، باغتيال الشاه ناصر الدين (شاه ايران) .. واتهمت حكومة ايران الافغانى بتدبير مؤامرة الاغتيال ، وطالبت الحكومة العثمانية تسليمها اياه ، لكن الحكومة العثمانية ردت الطلب بالرفض ، لكنها فى نفس الوقت ضيقت الخناق على جمال الدين ، وراقبت تحركاته .

١٣١٤هـ = ١٨٩٧م : وفاته (رحمه الله) بعد أن صارع شهورا مرضا عضالا فى فكه واشيع انه سرطان ، لكن يرجح انه قد مات مسموما ! دفن فى الاستانة ، الا أن رفاته نقلت فى سنة ١٣٦٤هـ (١٩٤٤م) الى مسقط راسه فى بلاد الافغان ، ومن الجدير بالذكر أن الافغانى قضى حياته أعزب (لم يتزوج) .

b 'g, Wolfgang Mallmann: Rüs-
t ig und Wirtschaft am Golf.
I n und seine Nachbarn (1965-
1978). Hamburg 1978. 224 pp.

(10) Erinnerungen aus der Expedition gegen die Seeräuber des persischen Meerbusens, im Jahre 1819 und 1820. In: Morgenblatt für gebildete Stände. Tubingen und Munchen. 15. 1821. pp. 1085–1086, 1089-1090, 1103–1106, 1110-1111.

deutsch-iranischen Handels — und Wirtschaftsbeziehungen. Herrenalb/Schwarzwald 1961. (Both publications include more references).

7) Eugene Staley: Business and politics in the Persian Gulf. The story of the Wönckhaus firm. In: Political Science Quarterly. Now York. 48. 1933. pp 367-385.

8) Lukasz Hirszowicz: The Third Reich and the Arab East. London and Toronto 1966. pp. 86, 205-206.

9) Among others: C Reinhardt: Ein arabischer Dialekt, Gesprochen in Oman under Zanzibar. Grammatik, Laut - und Formenlehre der Sprahe der Oman-Araber und ihrer Kolenie in Zanzibar nach praktischen Gesichtspunkten bearbeitet. Mit Originaltexten, Geschichten, Sprichwörtern und Kriegsliedern in der Umschrift mid Übersetzungen unde Anmerkungen. Berlin 1894. XXV, 428 pp. — Siegfried Genthe: Der Persische Meerbusen. Geschichte und Morphologie.

Frankfurt am Main 1897. 96 pp — Leopold Contzen: Die letzten Tage von Ormuz, mit Ausblicken auf die Verhaltnisse am Persischen Golf. Beitrage zur portugiesischen Kolonialgeschichte. Bonn 1903. 35 pp. — Hans Erich Tzschirner: Streifzüge um den Persischen Golf. Berlin 1917. 194 pp — 1936. VI. 114 pp. Jens B. Plass: England zwischen Russland und Deutschland. Der Persische Golf in der britischen Vorkriegspolitik, 1898-1907, dargestellt nach englischen Archivmaterial. Hamburg 1968. 507 pp. — Friedrich H. Kochwasser: Kuwait. Geschichte, Wesen und Funktion eines modernen arabischen Staates. Tübingen und Basel 1969. 412 pp. — Handbuch des Persischen Golfs. 5th ed. Hamburg 1976. 280 pp. Ahmed al-Bayati Der Arabisch-Persische Golf Eine Studie zur historischen, politischen und ökonomischen Entwicklung der Golf-Region München 1978. XXVIII, 373, XXXV pp. Eckehart Ehren-

NOTES

1) Carsten Niebuhr: Beschreibung von Arabien. (Reprint of the 1772 ed.) Graz 1969. (including a preface by Dietmar Henze: Carsten Niebuhrs Bedeutung für die Erdkunde von Arabien). — Thorkild Hansen: Arabian Felix. The Danish Expedition of 1761-1767. London 1964.

2) Friedrich H. Kochwasser: Das Deutsche Reich und der Bau der Bagdad-Bahn. Eid Kapitel deutscher Orient-Politik. In: Araber und Deutsche. Begegnungen in einem Jahrtausend. Ed. Friedrich H. Kochwasser and Hans R. Roemer. Tübingen and Basel 1974. pp. 294-349. — Helmut Mejcher: Die Bagdadbahn als Instrument deutschen wirtschaftlichen Einflusses im Osmanischen Reich. In: Geschichts und Gegenwart. Göttingen. I, 4. 1975. pp. 447-481. (Both articles include more references).

3) Text of the Treaty in: Husain M Albaharna: The Arabian Gulf states. Their legal and political status and their international problems. 2nd rev. ed. Beirut 1975. Appendix XI pp. 375–376.

4) J. G. Lorimer: Gazetteer of the Arab Gulf, 'Oman, and Central Arabia. Vol. I, 1. Calcutta 1915. pp. 1026-1027.

5) Ibid. pp. 310-311.

6) Ulrich Gehrke: Germany and Persia. In: Germany and the Middle East, 1835-1939. International Symposium, April 1975. Tel Aviv 1975. (Jahrbuch des Instituts für deutache Geschichte. Beiheft. 1). pp. 104-116. — Friedrich Kichwasser: Iran und wir. Geschichte der

Since Japan planned to strike towards India and the Western part of the Indian ocean, the possibility began to be considered of a linking of their forces somewhere at the Gulf. This possibility was taken into account by the Allied staff. But Germany lost the battles in the main theatres of war in Europe, her attempts to gain political influence in Iraq and Persia ended unsuccessfully, and therefore the German attempts to reach the Gulf failed again.

This is only a short, provisional survey on the German approaches to the Gulf region, a comprehensive study of that subject does not exist so far. The German contribution to the exploration of that region and the research work on it is comparatively small. Apart from Carsten Niebuhr's already mentioned volume "Description of Arabia" ("Beschreiburg von Arabien") published as early as 1772, there are only a few German books on the Gulf region in general and some countries of it in particular. [9] The first article on Gulf affairs in a German journal was — according to my knowledge was published in 1821. [10]

Numerous articles on political, commercial, and geographic affairs and travel accounts have followed until today. The Centre for Documentation and Research in Abu Dhabi is now collecting documents and other material on the Gulf region also from German public and private archives. This collection might provide us with more detailed information about the German approaches to and interest in that region. Let us hope that it will encourage further research on this subject.

October 1907, a British warship appeared at Abū Mūsā towing a number of sailing boats loaded with 300 of the Shaikh's followers. The warriors disembarked, seized the employees of the Wönckhaus firm, and removed them to Linga. When a representative of Mr. Wönckhaus arrived there, he was fired upon, but not killed, by the same native warriors. Mr. Wönckhaus protested to the German Government which passed on his protest to the British Government. The question of compensation was discussed and postponed and repostponed, and the determination of the actual amount was further postponed. The Wönckhaus firm turned its interest to the area of the Karun River and set up a steamboat service in competition with a British firm which lasted until 1914.

The outbreak of the First World War put an end to all these German activities in the Gulf region and its adjacent countries: The Baghdad Railway project remained uncompleted, the relations between Persia and Germany were temporarily severed, and all German influence was removed from the Gulf by the British. As a result of the War, Germany lost all her colonial possessions, and her aspirations in the Gulf region came to an end.

In the course of the Second World War, Germany again tried to gain influence in the Middle East. One of the German aims was apparently to reach the Gulf from the Caucasus, in order to establish a land connection to that region parallel to the maritime route through the Mediterranean and the Suez Canal which was to be controlled by Italy. [51] Japan's entry into the War, in December 1941, created new elements in the German Middle East policy.

In 1906, partly at the instigation of Mr. Wönckhaus, the Hamburg-America line established a regular service to the Gulf and the Wonckhaus firm became the agent of the steamship company. Sometime later, about 1911, Mr. Wöckhaus became Honorary Consul representing the German Government in Basra. Since in the eyes of British officials, anything undertaken by a foreign power or its nationals in the Gulf had political importance, the expanding activities of the Wönckhaus firm in the Gulf region met with resistance from the British: When the Wönckhaus firm tried to obtain rights to pearl fisheries from an Arab Shaikh in the neighbourhood of Bahrain, it was prevented by the British. When the firm began negotiations in Constantinople for pearl-fishing rights and for lease of Halul Island, a centre of the industry, again Great Britain intervened.

A third incident which could easily have attained major importance occurred on the Island of AbūMūsā: A British firm had contracted and was working for a deposit of iron oxide on the Island of Hormuz. Mr. Wönckhaus found a similar deposit on the nearby Island of Abū Mūsā.

The Shaikh of Sharja, whose territory it was, had conceded to three Arabs the right to exploit the iron oxide of Abū Mūsā, and in 1906 two of them transferred their rights to the Wönckhaus firm, which then prepared to start operations. At this stage the Shaikh cancelled the concession under British influence. The British Government had concluded a treaty with him and other Arab chieftains to the effect that they would dispose of none of their lands to any other power. The Wönckhaus firm did not take notice of the Shaikh's revocation of the concession. In

decided to go there and see what could be done with them. That was in 1897, and he established himself soon afterwards at Linga whereas the English, the French and the Rusians in the Gulf were convinced that he had been sent there with a subsidy from the German Government. Mr Wönckhaus emphasized — and we may believe him — that he was completely dissociated from all political aims and all connections with the German or any other government. It was a purely private, commercial enterprise. What made the firm suspicious in particular was its success, its rapid expansion and its prosperity which were generally explained by a subsidy from Berlin, and therefore the firm was considered a direct representative of German political imperialism. The suspicions of the British against the Wönckhaus firm were strengthened by their growing concern over manifestations of German political and economic interest in nearby regions: the already mentioned Baghdad Railways and the increasing relations between Germany and Persia. Presumably German politicians and diplomats were not unhappy to see a German firm establishing itself solidly along the Gulf. So the business of Mr. Wönckhaus whether he wished it or not, inevitably acquired a political importance as it grew. Such a development in such a region was bound to have repercussions on European politics. Diplomatic circles in Petersburg, London and Paris discussed Mr. Wönckhaus' firm and said that the German government was following a far-sighted policy in the Gulf. Even if Mr. Wönckhaus had denied these rumours, such a contradiction would not have changed the general opinion about his firm.

German travellers to visit the country and afterwards reported about their personal experiences and what they encountered there. Many others followed, among them Adam Olearius, Engelbert Kämpfer, and Carsten Niebuhr. Later, treaties of friendship, commerce and shipping were concluded between Persia and the German Customs Union (1857) and the German Reich (1873), and a German legation in Persia was established in 1885. However, German commercial interests in the Persian market increased only in the 1890's, and it was only in 1905 that a more active German policy towards Persia was brought about. As an indication of this more active policy towards Persia, the Hamburg-America Line established a new shipping line to the Gulf, in the following year. German interests in Persia which faced strong competition from two rival powers, Great Britain and Russia, were concentrated on Persia proper. It was not Germany's aim to get an entrance to the Gulf through Persia.

Meanwhile, there was another German approach to the Gulf region from another direction: from East Africa where Germany had a colony since 1884. There, in Zanzibar, in the decade of the 1890's, an energetic young man named Robert Wönckhaus worked for a Hamburg firm. [7] Native dhows plied regularly between Zanzibar and the Gulf, taking up cargoes of slaves to serve as pearl divers and bringing back products of the region. Among these products, was the mother of pearl shells. These shells were bought by the Hamburg firm, shipped to Europe and sold at a handsome profit. Mr Wönckhaus had heard that such shells were thrown away as valueless in the Gulf, and so he

ommission visited Kuwait in search of a suitable site for the projected terminal. [4] It seems that the Shaikh expressed himself unfavourably regarding the establishment of the terminal within his jurisdiction, and that he made clear that the real control of the country rested with himself and not with the Sultan. In April 1900, the British Ambassador in Constantinople declared to the Turkish Minister for Foreign Affairs, that his government wished to maintain the status quo in the Gulf and could not view with indifference any action which would alter it or give to any other power rights and privileges over territories belonging to the Shaikh of Kuwiat. At the same day, the British Government made it clear to the German Ambassador in London, that the Shaikh of Kuwait was not at liberty to cede to the Baghdad Railway any part of his territory without the consent of Her Majesty's Government.

Apart from these railway designs the German presence in the Gulf region was rather limited during this period. In 1894, when the German warship "Cormoran" visited Masqat, a German Consulate was established in Baghdad, and in 1897, a German Vice-Consul was appointed at Busheer; the total number of German subjects in the Gulf ports being at the time only six. [5].

Parallel to the German advances in the Ottoman Empire, which the railway designs were a part, there was a strong tendency in German foreign policy to foster commercial interests in Persia. In fact, contacts between Germany and Persia [6] date back to the beginning of the 15th century when Hans Schiltberger came to Persia. He was the first one in a long row of

was granted to the Germans 1898, definitely in 1899. In the year before, on 30 December 1898, the Ottoman Government had formally granted the concession for a railway project to a Russian engineer, Count Vladimir Kapnist; his plan was the construction of a railway from the port of Tripoli on the Mediterranean coast to Kuwait via Homs, Baghdad, and Basra. Actually Russia was the great power whose advance to the Gulf through Persia was worrying British politicians at the end of the 19th century much more than the German approaches. Rivalry in the region was one sector of the huge Anglo-Russian conflict on an immense front from Tibet through Afghanistan and Persia as well as in the Far East. In order to prevent the access of any other power to the Gulf, the British government reacted by the conclusion of an Exclusive Treaty with the Shaikh of Kuwait in January 1899. The Shaikh pledged "himself, his heirs and successors not to receive the Agent of any Power or Government at Kuwait, or at any other place within the limits of his territory, without the previous sanction of the British government". Other provisions of the Treaty bound the Shaikh, his heirs and successors, "not to cede, sell, lease mortgage or give for occupation or for any other purpose any portion of his territory to the Government or the subjects of any other Power without the previous consent of Her Majesty's Government for these purposes."[3]

The Treaty was signed without the knowledge of the Ottoman Government which certainly would have objected to it had it been made public. One year after the conclusion of that Treaty, in January 1900, a German

her hand became aware of the importance of railway connections for the political and economic development of the Empire, if only to strengthen the power of the central government in its remote provinces. The construction of the railways in the Ottoman Empire soon developed into a matter of competition between Great Britain, France, Russia and Gerany. The competing European powers used the means of "pénétration pacifique", the so-called peaceful penetration, in order to gain influence in countries where purely military means could not be used without risking a war. The Ottoman Empire was all the more part of the areas where this "pénétration pacifique" could be practised, since its strength was breaking up more and more in the course of the 19th century. The Sultan preferred German capital and technical assistance for the construction of the railroad, because Germany had shown less political and economic interest in the Ottoman Empire than Great Britain and France which had previously forced political and economic concessions upon the Empire.

Thus Germany gradually gained a preferential position in the Ottoman Empire economically, politically, and militarily, and created, by these means, preconditions for the entry of the Ottoman Empire into the First World War on the side of the Central Powers. Great Britain considered the German advance in the Ottoman Empire a menace to the balance of power in the Middle East and a menace to her interests in the Gulf region in particular, since Kuwait had been chosen the terminal of the Baghdad Railway and of a similar Russian project. The Baghdad Railway concession

end of the 16th century, mainly in order to protect their sea route to India. So it was a British war-ship which brought Niebuhr from Bombay to Masqat. The dynasty of the Al Bû Sa'id, still ruling in Oman until today, had taken power in 1749, just 16 years before Niebuhr arrived in Masqat.

More than one hundred years later, when Great Britain had consolidated her political, military and commercial predominance over that region, another German approach to the Gulf region seemed to be imminent. For Great Britain the Gulf region was not that important but, being on the route to India, imperial defense dictated that no other power should have a foothold there. In the course of Germany's growing economic cooperation with the Ottoman Empire, German companies won, in the 1880's and 1890's, the contract for the construction of a railroad which would eventually connect Berlin with Baghdad, the so-called Baghdad Railway. [2] This railway was understood as a symbol of Germany's rising prestige in the world and her imperial ambitions, in particular as a symbol of the so-called German "Drive to the East" ("Drang nach Osten") and as an instrument of German influence and penetration in the Ottoman Empire.

An overland railway connection from Asia Minor through Mesopotamia to the Gulf, leading finally to India, had been recommended as early as 1772 by an Englishman, John Sullivan. However, it was only since the beginning of the 19th century that such a plan became a matter of discussion. Whereas Great Britain became interested in establishing her own communication with India, Ottoman Empire on the

1774 and 1778 respectively, the third volume only post mortem, in 1837. In the summer of 1778, Niebuhr settled down in the remote town of Meldorf (North-Germany) where he spent the remaining 35 years of his life as a clerk of the municipality.

Concentrating on Niebuhr's exploration of the Arabian Peninsula, one can say that he was the first exploring traveller in the Middle East to survey the areas he visited, and his surveys became the base for the cartography of a big part of the Middle East. Although he was not the first exploring traveller to Arabia yet his volume "Description of Arabia" contains more information than all previous works on the Arabian Peninsula put together. His map on Yemen was the first really precise one and remained valid until late 19th century. By his explorations of Yemen, the interest in the country started in Europe. He drew the first maps of Masqat and Oman and was the first European to collect material on the history and topography of the country, which was then completely unknown to Europe. Not less meritorious is his map on the Gulf which was much better than the already existing one and kept its importance until the further survey of the coast by the British in the 1820's. Of Basra, he gave the first topographical description and a ground plan of the city. Niebuhr was the first one who brought information about the Salafis and the Ibadhites to Europe.

When Niebuhr travelled in the countries of the Gulf, the region had already become a bone of contention between adjacent as well as European powers. The British had gradually replaced the Portuguese as the dominant power in the Gulf region since the

eight months in Yemen, and undertook ten excursions into the interior of the country, between Luhaiya in the North, Dhamar in the East and Mukha in the South. After the death of two of Niebuhr's companions, the others decided to leave for India. During the crossing, two more members of the expedition died and in Bombay another one and so, only Niebuhr remained alive.

In the course of his return voyage to Europe, which started in December 1762 from Bombay, Niebuhr crossed wide parts of the Middle East. He reached Masqat in Oman at the beginning of January 1765 and after a two week stay, left for Busheer, arriving there at the beginning of February. From Busheer he visited Sheeraz and Persepolis spending three weeks there. Back in Busheer, he proceeded to Basra, passing the island of Kharj on his way. From Basra he went to Baghdad passing Hilla, Najaf, and Karbala, and from Baghdad he travelled to Mossul and, via Mardin, Diyarbakir, and Urfa to Aleppo, arriving there in June 1766. After visits to Antiochia, Iskandarun, Cyprus, Jaffa, Jerusalem, and Damascus, in November 1766, he started for the last stage of his voyage in Aleppo going to Constantinople and from there back to Copenhagen by passing through Adrianople, Bucarest, Lemberg, Warsaw, Dresden, Leipzig Göttingen, Hannover, and Hamburg. He returned home in November 1767, after a voyage of approximately seven years. During the following years he prepared the publication of the results of his voyage. The first volume came out in 1772: "Description of Arabia". The volumes one and two of his "Description of the Journey to Arabia" were published in

traditional colonial power Great Britain in particular, and a menace to their colonial possessions and spheres of influence. So these colonial powers did their best to restrict the expanding force of that new-comer in the "Concert of Europe."

Concerning the Arab Gulf or, as it was previously called, the Persian Gulf the first German approach was in fact a non-colonial, non-political one; it was a purely scholarly one, and it took place about one hundred years before the German Reich was founded. It was the exploring traveller Carsten Niebuhr who went to Arabia as early as the 18th century and laid the foundation for the scholarly knowledge of the Arabian Peninsula in Europe. [1] Born in 1733 in Eastern Friesland (North-Germany), he studied Mathematics at Göttingen University where he was offered to join a team of expedition Arabia, financed by the King of Denmark. After a two years preparation, he went to Copenhagen where the team boarded a ship in January 1761. The other members of the team were a Danish philologist, a Swedish natural scientist, a Danish physician, a German painter and a Swedish servant; only one of the team, Niebuhr, was to see Europe again. Passing Marseilles, Malta, Smyrna (Izmir), and Constantinople, the expedition reached Alexandria. After a stay of approximately one year in Egypt, the expedition proceeded to Jidda, via Suez staying there from October to December 1762. Arriving in the Yemeni harbour of Luhaiya, end of December 1762, Niebuhr spent

GERMAN APPROACHES TO THE ARAB GULF - A PROVISIONAL SURVEY

By:
Dr. Wolfgang Köhler
University of Frankfurt

German interests in overseas territories did not emerge until the end of 19th century, after the foundation of the German Reich in 1871. At this time the overseas territories were already distributed among the traditional colonial powers: Great Britain, France, Spain, Portugal, and the Netherlands. Although the German Reich could grasp only a comparatively small overseas imperium in the following ten years, her growing military, political and economic power was considered a challenge by the

ENGLISH REFERENCES:

1. Al Mana, Mohd. Arabia Unified. A Portrait of Ibn Saud. London 1982.

2. Arabic Documents.

3. Arabic Sources Printed & Manuscript.

4. Lacey, Robert. The Kingdom-Great Britain. 1982.

5. Lorimer. Gazetteer of the Gulf. Historical Part 3. 1970.

6. Ottoman sources.

7. Philby, St. John. Saudi Arabia. New York. 1955.

8. Records of Personal Interviews with oldtimers.

9. Troeller Gary. The Birth of Saudi Arabia. London 1976.

10. Tuson, Penelope. The Records of the British Residency & Agencies in the Gulf.

11. Valentine. Paper entitled "The Independent State of Bahrain."

11. Ibn Sanad, Osman. Sabyik al Usjud. Bombay 1315 H.

12. Abdul Baqi. Mohd Fuad. Al Moajam al Mufahras li Alfazal Quran al Karim. Beirut.

13. Asa, Ahmed. Moajaza Fouq al Rimal, 1966.

14. Qasim, Jamal Zakaria. Al Khleej al Arabi. Dirasa li Tareekh al Imarat al Arabiyya min 1914 ila 1945. Cairo. 1973.

15. Lorimer, Gazetteer, Dowha.

16. Ibn Manzoor. Lisan al Arab Part 1, Beirut 1955.

17. Nabhani, Mohammed Khalifa. Al Tohfatal Nabhaniyya. Egypt 1342 H.

18. Wahba, Hafiz. Jazirat al Arab fil Qarn il Ishreen. Cairo 1961.

19. Yaqut al Hamawi. Mo'jam al Buldan. Part 1 Beirut 1955.

20. Arabic Documents.

21. British Documents.

22. Ottoman Documents.

23. British Sources.

24. Interviews & Voice recordings of old-timers.

ARABIC REFERENCES:

1. Al Ahsai, Mohd Bin Abdullah Bin Abdul Mohsin Al Ansari, Tohfat al Mustafeed bi Tareekh al Ahsa al Qadeem wal Jadeed. Damascus 1963.
2. Al Blazeri, Futooh al Buldan. Egypt.
3. Al Khusoosi, Dr Badruddin Abbas, Dirasat fi Tareekh il Khaleej al Arabi al Hadees wal Muasir, Part 1 1978, Kuwait.
4. Al Rumaihi, Dr. Mohammed. Al Taghirat al Siyasiyya fil Bahrain, Kuwait 1979.
5. Al Raihani, Amin. Mulook Arab. Part 2 Beirut 1967.
6. Al Zayid, Abdullah. Bahrain. 1939.
7. Al Zarkali, Khairuddin. Al Aalam. Beirut.
8. Al Zayyani, Dr Amal Ibrahim. Al Bahrain Bain al Istiqlal al Siyasi wal Intilaq il Dowli. Cairo. 1976.
9. Saeed, Amin. Tareekh al Dowlat al Saudiyya. Part 2. Darat al Malik Abdul Aziz. Riyadh.
10. Sinan, Mahmood Bahjat. Al Bahrain Durrat al Khaleej al Arabi. Baghdad. 1963.

1907. In it there is exchange of news about King Abdul Aziz's victory in Najd. Letter 27/1344 H about the merger of Hijaz.

53. Philby. p. 272. Wahba pp 253,254. Document 18/1331 H. From the King to Shaikh Isa Bin Ali. It has details of the King's gains in Ogair. See Philby pp 267 & 270 English Edn. Gary Troeller, The Birth of Saudi Arabia. p. 24 London 1976.

54. Al Raihani, Mulook al Arab, 2/278-280. Beirut 1967. Troeller p. 24. Wahba pp. 252-256. Philby pp. 267-272.

55. The Arab Gulf p. 233.
FO 371/16019 of 11 May 1932.
FO 371/16019 of 29 Jan 1932.

41. IOR. p. 110/38. Microfilm 215. Report dated 5 March 1930 from Prior to the Resident.

42. Letter appended to the paper.

43. Document 23/1335 from King Abdul Aziz Bin Abdur Rahman Al Saud to Capt Loch.

44. Document 24/1338.

45. Telegram 182/ Microfilm 217. p. 233 of 12 June 1928.

46. IOR Microfilm 214. pp 47/49. C 933-12/11. From the Pol Agent in Bahrain to the Resident. 25 dec 1937.

47. IOR Microfilm 214. pp 42/44. C 163/19. Letter dated 29 Sep 1937 from the Agent in Bahrain to Resident in Shiraz.

48. IOR 214/44/46/163/19

49. IOR Mic 214 telegram 123/122 from Agency to London. 2 May 1939 & teleg 126/127. Details of visit are on pp. 129/130/19/163 and pp. 124 to 150/19/163 from the Resident in Kuwait to London. See Zayed Abdullah, Saheefatul Bahrain which describes the visit on 11 Rabee al awwal 1358 H.

50. IOR 214/ p. 72/23/163/19 C. Letter from the Agent in Bahrain to the Resident in Bushire. 28 Mar 1939.

51. Gary Troeller, The Birth of Saudi Arabia. p. 12 London 1967.

52. See the photocopies of letters appended to this paper under 13/1325. From Imam Abdur Rahman Bin Feisal Al Saud to Shaikh Isa Bin Ali Al Khalifa dated 28 Shawwal 1325 H/9 Dec

advised the King not to visit. He accordingly informed Shaikh Hamad that the King had cancelled his visit. A reference to the list of Residents shows that Hugh Vincent Biscoe was the Resident from Nov 1929 to Jul 1932. There is no record of the texts of telegrams to Shaikh Isa and Shaikh Hamad. For the list of names of Residents see p. 185 of Tuson's Record etc. Al Mana p. 141. English edn. (Voice recording of Hasan Bin *Saleh al Ruwaii al Sha'ir who was the driver of the vehicle* carrying the King and Shaikh Hamad.)

35. Voice recording of Hasan Bin Saleh and Al Mana p. 141.

36. This is quoted by those who actually heard it or heard it from their parent and among them are Shaikh Abdullah Bin Khalid al Khalifa Hasan Bin Saleh al Ruwaii, Shaikh Khalid Bin Mohammed Bin Abdulla witness to this historic meeting between the King, Shaikh Isa and Shaikh Hamad. Shaikh Ahmed Bin Mohammed Bin Khalifa Al Khalifa has mentioned that Shaikh Salman Bin Hamad received his father Shaikh Hamad in Bombay on his return from Haj in 1357 H.

37. A voice-recording of Hasan Bin Saleh al Ruwaie who had listened to the historic dialogue between His Majesty, Shaikh Isa and Shaikh Hamad. Shaikh Ahmed Bin Mohammed Bin Khalifa has stated that Shaikh Salman Bin Hamad welcomed his father Shaikh Hamad in Bombay on his return from Haj in 1357 A.H.

38. IOR Microfilm 215 p. 110/18. Document dated 5 Mar 1930.

39. The telegram ended with an Arabic quotation: The one who provokes conflict is guilty. (The instigator is to blame). Al Mana 142.

40. ibid. p. 143.

6. Al Mana, ibid, 29-30.

7. ibid. p. 29. Lorimer says that Imam Abdur Rahman Bin Feisal entered Bahrain in 1891 after the Battle of Buraida. See the Family Tree No. 1 Vol 7

8. Asa op cit p. 45.

29. Lorimer 3/1694.

30. Philby J., Saudi Arabia, p. 235, Lebanon 1955 & Al Mana p. 139.

31 Amin Saeed, pp. 75, 76. Lorimer 2/1694. Nabhani, Tohfa Nabhaniyya p. 66.

32. Wahba 245. Amin Saeed 2/248. Al Mana p. 139.

33. IOR p.110/18 Microfilm. 215. Letter dated 5 Mar 1930. Wahba and Amin Saeed have said that the meeting took place on 22 and 23 Feb. Perhaps they mean 22 and 23 Ramadan and not Feb. Prior has stated that King Abdul Aziz arrived in Bahrain on 25 Feb which is contrary to Biscoe's telegram No 200 sent on 26 Feb. More correct is the date of meeting as mentioned by Mana i.e. 25 Feb and that the King arrived in Bahrain on 27 Feb 1930.

34. IOR p.110 of Microfilm 215 dated 5 Mar 1930. The Pol Agent in Bahrain was Capt Charles Geoffrey Prior from 1929 to 1932. Charles Belgrave was then the Advisor appointed as such in 1926. The telegram mentioned by Al Mana as from the British Consul does not mention his name. It was Prior who sent a letter from Bahrain to the Resident in the Gulf informing him of the receipt of two telegrams from the King one addressed to Shaikh Isa and the other to Shaikh Hamad about his visit to Bahrain. Prior says in his letter that the telegram from the Resident reached him a day late which

14. Telegram No 300 Mic 194 of 28 Aug 1871.

15. Shaikh Ali Bin Khalifa Bin Salman Bin Ahmed Al Khalif was killed on Monday, 21 Jumada al Oola 1286 H/1869 in th Battle of Riffa in Bahrain.

16. Lorimer. Family Tree of Al Saud. 4/3. English Edn. Amir Abdul Aziz Bin Saud Bin Feisal in Hail in 1322 H/1904 AD.

17. Lorimer 3/1385

18. Lorimer 3/1362 & 1385.

19. Al Mana Mohammed. Arabia Unified. A Portrait of Ibn Saud. p. 15 London 1982. King Abdul Aziz was born in Riyadh in 1297 H/1880.

20. Hafiz Wahba. p. 242

21. Lorimer. Family Tree Al Saud. (Imam Abdur Rahman, the father of King Abdul Aziz was born in 1273 H/1856 and died on 1 June 1928 i.e,. 11 Zul Hajja 1346 H. Letter No. 1747 of Zul Hajja 1347 contains the greetings of the father. See Telegram No 182 Microfilm 217, p. 233 of 12 June 1928. From the Agent in Bahrain to the Resident in Bushire. John Philby states that Imam Abdur Rahman died at the age of 78. See Philby. Saudi Arabia. p. 239 English edn 1955 AD.

22. Voice Recording of the grandson of Mohammed Bin Khatir Al Bu Aynain by the Historical Documents Centre. Bahrain.

23. Ottoman Document. No 4699 of 20 Jumada al Oola 1307 H. It is a memorandum sent by the Prime Minister to the archivist.

24. Asa Ahmed. Mo'jaza Fouq al Rimal. p. 45. 2nd Edn 1966.

25. Hafiz wahba, p. 245.

Abdulla Bin Saud Bin Feisal, Amir Abdul Aziz Bin Saud Bin Feisal, Imam Abdur Rahman Bin Feisal and King Abdul Aziz Bin Abdur Rahman Aal Saud.

Shaikh Hamad succeeed his father Shaikh Isa in 1351H/1932 AD and he was a contemporary of King Abdul Aziz until Shaikh Hamad passed away in 1361 H/1942 AD and was succeeded by Shaikh Salman who was also a contemporary of King Abdul Aziz.

7. Wahba, Hafiz. Jazirat al Arab fil Qarn il Ishreen, p. 238 Imam Feisal Bin Turki passed away in Rajab 1282H/June 1865. See Amin Saeed & Tareekh Al Doula al Saudiyya. 2/172.

8. Amin Saeed. Tareekh al Daula al Saudiyya. 2/172. Al Ansari. Tohfat al Mustafeed. p. 168

9. See telegram No 318 Mic 194. From Shaikh Isa Bin Ali to Col Pelly, Resident in the Gulf dated 6 Feb 1871. Tohfat il Mustafeed. p. 168. Amir Saud Bin Feisal left Bahrain in Rajab 1287H for Al Hasa along with a number of Bahrainis.

Lorimer, Gazetteer Vol 7/4/13. (Amir Saud Bin Feisal died of small pox in 1876 AD/1293 H.)

10. Al Saud Family Tree. (Lorimer) Vol 7/4/13. Zarkali, Al Aalam 2/84. Tohfat al Mustafeed. p. 168.

11. IOR No 295 Mic 194 dated 5 Jumada Tania 1288 H/26 Aug 1871.

12. No 334/Mic dated 13 Jumada al Oola 1288 H/1 August 1871.

13. Document No 299. From Bahrain. Mic 194 dated 28 Aug 1871.

NOTES:

1. Ibn Sanad, Osman. Sabayik al Usjud. p. 18 It is said that Shaikh Osman Bin Sanad died in 1250 H/1834 AD. See document 1/82 (p.18 of Sabayik al Usjud & the Ottoman Document)

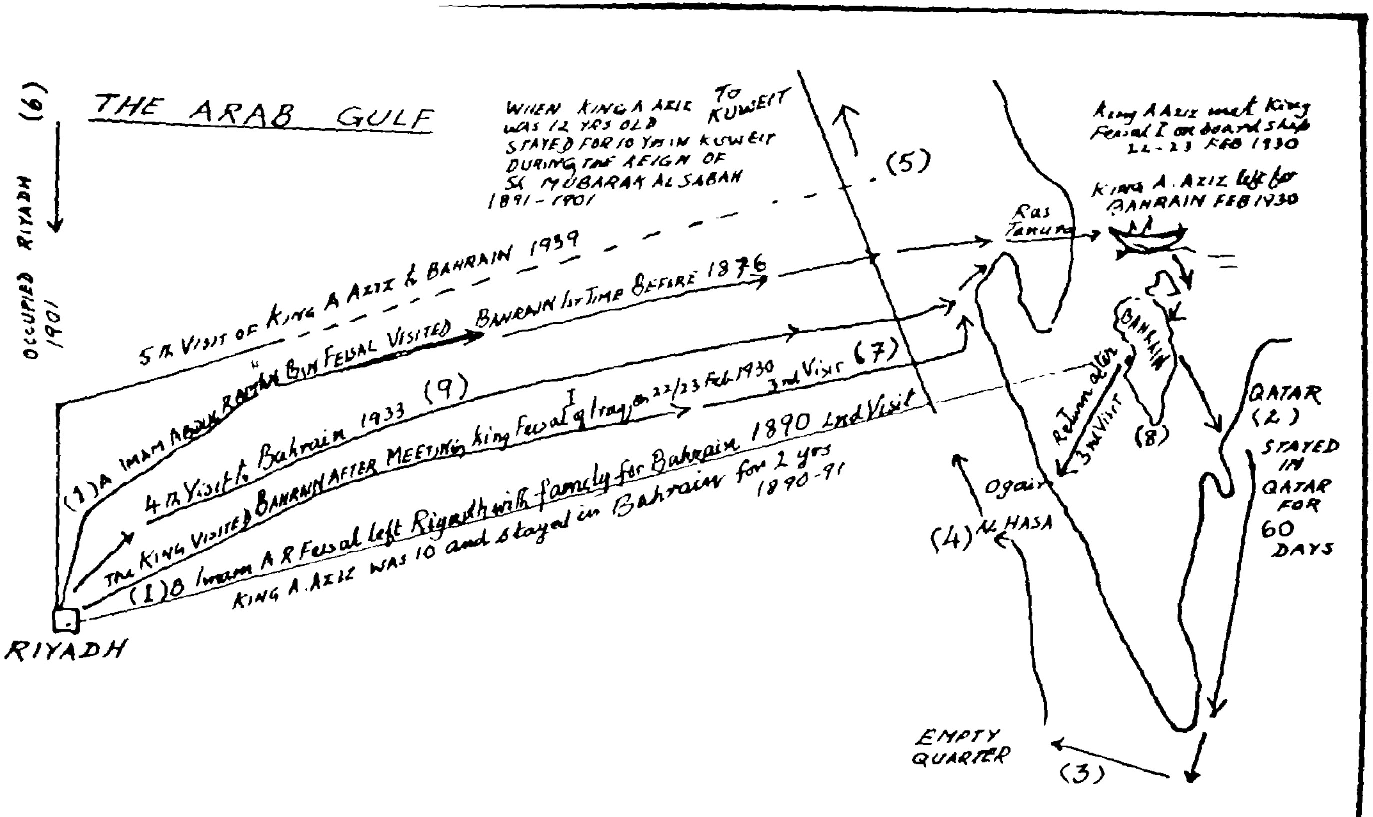
2. Lisan al Arab. 1/579. Dixon, Kuwait & Her Neighbours, p. 26. Dr. Al Khusoosi, Dirasat fi Tareekh il Khaleejil Arabi al Hadees al Mu'asir 1/99.

3. Al Yamama. No. 20, Ist Year, (One who bears illwill is not the leader of his people.) by poet Mohammed Bin Zafar Bin Omair al-Kindi who was called "The Masked" as he used to mask his face as it was extremely beautiful. He was one of the Omayyed poets.

4. Abdul Baqi. Mohammed Fuad. Al Mo'ajam al Mufahras li Alfaz il Quran il Kareem. p. 541. Beirut. Sura Baqara 83/2, 177/2 & Sura al Nisa 8/4 & 36/4 and Sura al Shora 23/42.

5. Al Blazeri. Futooh al Buldan. p. 89. Yaqut, Mo'jam al Buldan. Vol. 1/347.

6. Shaikh Isa Bin Ali Bin Khalifa Bin Salman Bin Ahmed (Al Fateh) was born in 1265H/1848 AD and assumed rule over Bahrain in 1286H/1869 AD at the age of 21 on the death of his father. He died on 10 Shaban 1351H/1932 AD at the age of 68 Hijri years. Shaikh Isa Bin Ali Al Khalifa was a contemporary of Amir Faisal Bin Turki, Amir Saud Bin Faisal, Amir



SKETCH SHOWING KING ABDUL AZIZ'S VISITS TO BAHRAIN

THE NAMES OF AMIRS & KINGS WHO VISITED BAHRAIN & THEIR DATES

Name	Date of Rule	Dates of Visit to Bahrain
Amir Saud bin Feisal bin Turki	1288 - 1291H/ 1871-75 AD	14 Zil Qada 287/6 Feb 1871
Amir Abdulla Bin Saud bin Feisal	1282 - 1288H/ 1865-1871 AD	1304 H/1886 AD
Amir Abdul Aziz bin Saud bin Feisal	1288H/1871 AD	9 Jumada Tania 1288/26 Aug 1871
Imam Abdur Rahman Bin Feisal Bin Turki	1291-1292H/ 1875 AD 1307-1308/1891/1891AD	1293 AD/1876 AD 1307/8-1889/1890 AD
King Abdul Aziz Bin Abdur Rahman	1319-1373 H/1902-1953/ 1902-1953 AD	With his father in the years 1307 & 1308 H & then in Ramadan of 1348 H/1930 AD Then in 1351 H/1933 AD & again in 1358 H/ 1939 AD.

No problems erupted between King Abdul Aziz and Bahrain in the next phase.

On the contrary, Ibn Saud proposed the strengthening of relations with Bahrain by opening a wireless link between Bahrain and Riyadh in addition to signing an economic agreement with her. [55] The Jedda Agreement signed between the British and King Abdul Aziz in 1927 had a great influence in strengthening relations between the Ruler of Bahrain and the rulers of the Gulf.

of the First World War.

Philby has mentioned that Amir Abdul Aziz obtained all facilities to buy ammunition requirements from Bahrain.[53] On 8 May 1913 Amir Abdul Aziz gained control of Hofuf, the capital of Al Hasa. The Turkish garrison withdrew to the mosque of Imam Ibrahim Pasha and then surrendered. Amir Abdul Aziz despatched the Turkish prisoners to the coast in all safety. The British Resident in Bahrain went to visit Ibn Saud in Ogair to pay his respect after he had entered Al Hasa. Thereafter Ibn Saud continued his advance towards Qatif and Ogair. The Turks withdrew to Bahrain where reinforcements reached them. They attacked Ibn Saud in Ogair who defeated them thoroughly.

The situation between Bahrain and the Kingdom stabilised thus thwarting the Political Agent's designs in following the policy of 'divide & rule'. The Resident exploited the simple and trustful nature of Shaikh Isa Bin ali Al Khalifa who genuinely imagined that Britain wanted no more than pursuance of its trade. Hence he sincerely adhered to the terms of all agreements never for once breaking faith. He even refused the assistance of the Ottomans offered by Midhat Pasha saying that he was the friend and ally of the British

When the Germans approached him through their Trade Agent in Bahrain his reply was that he would not help anyone against the British.[54] Shaikh Isa was noted in his time for his generosity, sense of justice and ability to command the allegiance of his people. Thus he earned the appreciation of his contemporaries and among them was king Abdul Aziz.

dul Aziz to Shaikh Isa e addressed somewhat as ows: (From Abdul Aziz Abdur Rahman Al Faisal he honourable, glorious, gnificent, gracious and erous father Shaikh Isa Bin Ali Al Khalifa Aal Khali-, May God Almighty Pro-ect him.) In this manner he laced Shaikh Isa in the posi-on of his father and advisor. he King sent a message and milarly I came across a let-r dated 8 Rajab 1331 H in hich King Abdul Aziz in-rmed Shaikh Isa of the vic-ry he gained in Ogair. Most ausibly the messenger came seek Shaikh Isa's advice in gard to the steps needed to erge the Eastern Province.

When we look at the visits ade by King Abdul Aziz to ihrain we find that there ere political aims requiring nsultation with the fatherly ture of Shaikh Isa aimed at fending the independence the two neighbouring brotherly Arab countries, preventing foreign interven-tion in their internal affairs and preserving the freedom of action over affairs concern-ing their own subjects. The Political Agent in Bahrain or the Resident, however, saw in the King's visits to Bahrain a threat to British interests. Hence the Political Resident strived to achieve two goals as follows:–

Firstly: To impose hege-mony over Bahrain through interference in its internal affairs, exploitation of its re-sources and make use of its geographical and strategic location.

Secondly: To induct the greatest possible number of British officials in administra-tion, courts of law and cus-toms. Relations between Amir Abdul Aziz and the Shaikh of Bahrain were natu-ral and they did not attract attention until the outbreak

Ministry was routed through Bahrain, Bushire or the India Office. The Political Agent in Bahrain acted as a link between the British Government and King Abdul Aziz as there was no Resident or Political Agent representing the Government of India in the eastern Arabian Peninsula.[51] Moreover whatever was written was written from the British point of view. We shall review some of these letters and reports in the light of what was written by contemporary Arab writers in their books and what is contained in the correspondence of King Abdul Aziz, his fatherImam Abdur Rahman or what was contained in the correspondence that passed between the King and the shaikhs of Bahrain and others.

My conclusion is that the nature of relations between Aal Saud and Aal Khalifa is characterised by sincerity, mutual affection and courtesy as reflected in the correspondence exchanged between the rulers of Bahrain (Shaikh Isa Bin Ali Al Khalifa, his son Shaikh Hamad and his grandson Shaikh Salman) and King Abdul Aziz and his father. There is no letter, report or document even in British Archives to contradict this conclusion.

Similarly the visits between the King and his father on the one hand and the Aal Khalifa on the other were exchanged against the background of political and economic issues which required constant consultation and coordination between the two Arab kings. Similarly the letters which bear a stamp of friendship, brotherhood and consultation are marked by a detailed description of events in Najd, Hijaz and Asir.[52]

The letters sent by Imam Abdur Rahman and King

idence Amir Saud Bin sal Bin Turki had expressa wish to visit Bahrain and aikh Ali Bin Khalifa Al alifa in his reply had reonded to it with great pleasure. When Shaikh Ali Bin Khalifa passed away and Shaikh Isa, his son, succeeded him Saud wrote to him saying he had dealings with his father. He came down to Bahrain. Shaikh Isa Bin Ali welcomed him with open arms and responded to his call for help. It was then that Shaikh Isa received the gift of the sword (Ajrab) which had belonged to Saud's grandfather. They were the initial years of Shaikh Isa's rule.

Around the year 1345 H and thereafter a particularly friendly spell governed relations between King Abdul Aziz and Shaikh Isa Bin Ali and his son Shaikh Hamad extending to leading family members in both countries as is indicated in the exchange of letters. Many letters contain descriptions of political developments, the war situation in Najd and Hijaz, the battle-zones etc. Shaikh Isa Bin Ali Al Khalifa was the first to receive the news from King Abdul Aziz covering various matters in great detail. These letters are in the nature of a historical record which is authentic as the events were being described as they were occurring and carried the seal of no less than H M King Abdul Aziz.

POLITICAL RELATIONS BETWEEN BAHRAIN & THE KINGDOM DURING THE REIGN OF KING ABDUL AZIZ.

A scholar searching for documents (correspondence & reports) which throw light on these relations during the reign of King Abdul Aziz will find that correspondence to and from the British Foreign

Shaikh Hamad was very keen that the meeting should take place.[47] The Resident had previously telegraphed the Foreign Ministry in London to obtain their approval for the visit of Amir Saud to Bahrain. The approval was accorded provided the Political Agent in Bahrain attended the reception and other functions and held a reception at the Political Agency himself in honour of the Amir.[48]

KING ABDUL AZIZ'S VISIT TO BAHRAIN ON 2 MAY 1939

On this occasion the King was accompanied by Amir Saud, Amir Faisal and other members of the Saudi family. The King was greatly pleased by the warmth of reception accorded to him. The visit lasted seven days and the King departed from Bahrain on 7 May. The Political Agent has described this visit and given the details of ta[lks] held by Shaikh Hamad [B]in Isa Al Khalifa and H M [th]e King.[49]

It was customary for the Shaikhs of Bahrain to pay respect to King Abdul Aziz whenever the latter visited the Eastern District. Shaikh Hamad Bin Isa Bin Ali Al Khalifa accordingly visited Dhahran where he was received by H M the King. The aim of this visit was to extend an invitation to His Majesty to visit Bahrain & he accepted it.[50] Shaikh Hamad presented the sword of Amir Bin Turki Bin Abdullah (d.1249H/1834 AD), known as Al Ajrab, to the King. King Abdul Aziz, thereupon said: (This is our memento to you so keep it yourself.) This sword had previously been presented by Amir Saud Bin Faisal Bin Turki to Shaikh Isa Bin Ali on the occasion of the former's visit to Bahrain. In the course of their corres-

ns in Al Washam, Sudair and Qaseem and the need for a doctor at these places. He asked for the services of Dr. Harrison urgently and if he couldn't make it, to send a colleague of his so that he could treat the medical and surgical cases. It is to be noted that whenever the King desired the services of a doctor in his Kingdom he wrote to the British Political Agent in Bahrain. This was because the doctors were American and thus they had to be addressed through the British Agency. The King's letter states that Imam Abdur Rahman was still alive.[44] There is a document which shows the date of death of Imam Abdur Rahman as 1928.[45]

TH VISIT OF AMIR SAUD ON 15 DEC. 1937/10 Shawwal 1356

This visit took place during the reign of Shaikh Hamad Bin Isa Bin Ali Al Khalifa. The Political Agent in Bahrain describes the visit of Amir Saud to Manama. When the ship reached Bahrain it was greeted by Mohammed Bin Isa Al Khalifa, his elder son Shaikh Salman, some members of the ruling family and 40 escort who accompanied the guest to HH Shaikh Hamad who was waiting for him along with the Political Agent and officials of the Bahrain administration. As the Amir got down he was given a hearty welcome at the harbour. A large crowd had gathered outside the harbour to watch the procession. The Amir stayed in the Manama Palace. HH Shaikh Hamad held a banquet for the guest.[46]

This visit did not have any political significance in the opinion of the Political Agent and hence not objectionable.

He had consulted the Advisor (Belgrave) who felt that

Riyadh 8 Shaban 1350 H.

From Abdul Aziz Bin Abdur Rahman al Faisal to Mr. Frank Holmes.

I have received your letter of 1 Dec. 1931 and noted its contents. I thank you for your expressions of friendship and the information you have sent about the great work you are doing. I wish you success in extracting oil in Bahrain. As for your wanting to meet me I welcome it. I do not know if I will be able to visit Al Hasa where you could meet me but let us look forward to it whenever an occasion presents itself. Regards.[42]

CORPERATION BETWEEN BAHRAIN & THE KINGDOM IN THE FIELD OF HEALTH:

The appended documents indicate the extent of cooperation between the two countries as also some of the endemic diseases in certain villages. As per document dated 1335 H / 24 June 1917[43] HM King Abdul aziz asked for some specialists to discover the reason for the spread of these diseases and how to control them.

The American doctor in Bahrain (possibly Dr. Harrison) expressed his desire to visit the Kingdom and the King asked the Amir of Al Hasa to facilitate his arrival in Najd. The King's letter dated 3 Rabi al Tani 1339/26 Dec. 1919 refers to the arrival of the American doctor from Bahrain. The doctor treated the sick and performed several operations with considerable success. The King's health had taken a turn for the worse because of the humidity of Al Hasa. He received due treatment which restored his health. He thanked God and the efforts of Dr. Harrison for it. His letter describes health condi-

HM King Abdul Aziz did not forget the false telegram sent by the Resident or the Political Agent in Bahrain. In the following year the King got an opportunity to pay in similar coin. He received a request from the British Government through its Ambassador in Jeddah for permission to the Earl of Arthlone and Princess Alice to visit him and travel from Jedda to Ogair. The King refused and Al Mana says in this regard: The King instructed me to send a telegram refusing permission.[39] It was to inform Britain that the cause of the refusal of permission was the Resident's telegram to the King at the time of his visit to Bahrain. The matter was finally settled by the British tendering an apology to the King and thus the British realised the need for observing proper decorum in dealing with HM King Abdul Aziz.[40]

It is worthy of mention that Captain Prior wrote to the Resident describing the results of the visit of King Abdul Aziz to Bahrain saying that the visit had promoted nationalist feelings in Bahrain and that it also showed how weak the British hold was on Bahrain quite plainly.[41]

The King constantly kept in touch with developments in Bahrain in the economic field and on 8 Shaban 1350/1930 wrote to Frank Holmes, the director of the oil company in Bahrain showing his interest in the company's exploratory activities. It seems that the Director of the company wrote back to the King and sought an interview with him. The King agreed that a visit could be arranged in due course perhaps at the time of the King's visit to Al Hasa. The text of the letter is as follows: In the name of God, the most gracious, the most merciful No: 44-1-24

several hours during which the King reviewed the problems he was facing and how he desired to establish a unified kingdom wherein all could live in security and peace. The King dined with Shaikh Hamad. They were accompanied by the King's representative in Bahrain Al Qusaibi. Shaikh Hamad Bin Isa Al Khalifa bade farewell to the King at the Zallaq beach. Shaikh Hamad was truly a worthy Shaikh. HM the King asked him to perform the obligation o: Haj and said:" I shall no. be happy until I see you in Makka."[37] Shaikh Hamad accepted the invitation and performed the Haj ceremony in 1357 H by the sea-route.

From what Captain Prior wrote to the Resident in the Gulf it seems that a telegram originated from the Resident expressing disapproval of the visit. Accordingly he informed Shaikh Hamad that the King had cancelled his visit. At about the same time Shaikh Hamad was on the deck of the ship Patrick Stewart which was carrying the King and his entourage. At that early hour in the morning neither the Political Agent nor the Advisor had been informed. Captain Prior went on to say: "Ibn Saud has a strong influence on the personality of Shaikh Hamad like that of Kaiser on several German princelings in his time."[38]

This opinion of Captain Prior is not strange. As a westerner he was unaware of Arab customs particularly of the kind of relationship that showed itself in intimate friendship, a sense of common destiny and close kinship in this case. The overwhelming reception accorded to the King beyond the requirements of protocol was something beyond the ken of the Westerners.

out to reach Manama. The British Resident advised against the visit and at the same time informed Shaikh Hamad that the King had cancelled his visit.[34]

HM King Abdul Aziz was constrained to remain on board the ship until he returned to Ogair later but the telegram from the British Consulate was false. When early in the morning the sons of Shaikh Isa heard that the King did not intend to alight at the port and remain aboard they came as a group in small boats and pleaded with him to alight as their father was waiting for him. They told His Majesty:" Either you get down and meet our father or else we shall go to Riyadh with you." On their insistence the King agreed to alight at the port but made it clear that he would not meet the British Consul in Bahrain. The King was angry with the trick played by the British consul and the motive behind it.[35] Capt. Prior, the British Political Agent in Bahrain has described the grand reception accorded to King Abdul Aziz in Bahrain by about 5000 people, most of them Arabs and Najdis. Even the guard of honour joined the crowds in their enthusiastic reception. It was with difficulty that the King could get into the car. He drove to the palace where Shaikh Isa was waiting to greet him. He was absolutely thrilled to see his distinguished guest after so many years. Shaikh Isa told his royal guest that he was anxious lest he die without seeing the King once again. Now he said, he could die in peace after this honoured visit. Ibn Saud replied saying that after the death of his father there was none he could turn to for advice except Shaikh Isa.[36]

An intimate conversation ensued between them lasting

ing. The meeting did not take place aboard the ship Lupin[32] as mentioned by Hafiz Wahba and Amin Saeed. Thus the Saudis played host to this meeting. A letter was issued by Capt. Prior, the Political Agent in Bahrain to the Resident in the Gulf saying that King Abdul Aziz reached Bahrain on 25 Feb. and left for Ogair the same day.[33]

Thus it seems that these letters which are termed as documents today are not particularly accurate. Trevor has quoted a date for the meeting earlier than it was actually held and said that the King returned on the same day via Bahrain to Ogair. We shall therefore, rely on the date mentioned by Mana who was acting as an interpreter and secretary who maintained the minutes of the meeting. He has recorded these meetings as three in number during which the two Kings expressed mutual friendship and goodwill. HM King Abdul Aziz thereafter departed for Al Hasa and on his way back decided to meet his old friend Shaikh Isa Bin Ali Al Khalifa, the Ruler of Bahrain who was always favourably disposed to the King's projections. The King therefore, ordered the captain of the ship to proceed to Manama in Bahrain. Mr. Mana is dependable since he accompanied the King and was an eyewitness to these happenings. He says:" The King instructed me to send two telegrams, one to Shaikh Isa himself and the other to the British Consulate informing them of his intention to visit the Ruler of British Consulate informing them of his intention to visit the Ruler of Bahrain. But he received a reply from the British Consul Humphrys at midnight saying that Shaikh Isa was ill and not available in Manama. This happened when the ship was

H ' when he came alongwith h family. He then left his t. ily in Bahrain and went to Q tar for 60 days[28] for a spot of recovery. Then he went to the Empty Quarter and then to Al Hasa where his family joined him. Thus the Al Saud family stayed in Bahrain from 1890 AD/1308 H to Jumada al Oola 1309 H / Nov. 1892.[29] But Philby says that Imam Abdur Rahman left his family in Bahrain after Jan. 1891 A D It appears that the family of Imam Abdur Rahman including King Abdul Aziz remained in Bahrain for more than a year.[30] since Imam Abdur Rahman stayed in Qatar from Safar to Jumada al Oola 1309 H. i.e., from August to November 1892 A D. and had left his family there in 1890. Therefore his family had joined him in Al Hasa in Saudi Arabia where he stayed for a short time and left for Kuwait in 1309 H.

THE VISIT OF KING ABDUL AZIZ TO BAHRAIN IN 1930

HM King Abdul Aziz was invited to have a meeting with King Feisal I of Iraq with a view to strengthening friendly relations between the two brotherly states. King Abdul Aziz accepted the invitation and proceeded to Ras Tanura from where he boarded a wireless ship Patrick Stewart. He was accompanied by his interpreter who states as follows:

King Feisal came aboard the ship Nearchus and the British Consul General Sir Humphrys came in a sloop named Lupin. The meeting took place on 27 February 1930 AD / 21 Ramadan 1348 H.[31] on the Cable & Wireless Ship as mentioned by Mana who was present aboard the ship and was acting as interpreter/secretary for this meet-

Imam accompanied by another person. The two arrived at night in Bahrain and proceeded to Moharruq and next morning called on Shaikh Isa Bin Ali Al Khalifa.[22]

It was the second visit to which Al Mana has referred as having taken place in 1890 AD/1307-1308 H.

It was the first visit by H.M. King Abdul Aziz to Bahrain in the company of his father and members of his family. This visit coincides with the Ottoman designs to strengthen the administration of the coasts of Bahrain, Najd and Al Hasa and to promote relations between the people of this region and the Ottoman State.[23] Al Mana goes on to say that Shaikh Isa greatly appreciated the young prince Abdul Aziz who was barely ten years old. Shaikh Isa remained his sincere friend and advisor as long as he lived. Although Shaikh Isa welcomed Imam Abdur Rahman Al Saud heartily he was in no position to offer any help to Al Saud in reclaiming their throne then. So Imam Abdur Rahman left the country and perhaps went with his family and followers to Qatar where they spent 60 days.[24]

They left Qatar as well because of unfavourable circumstances as he could not use that place as a launching pad. It is said that Imam Abdur Rahman tarried near Al Hasa for about 7 months.[25] There is no doubt that King Abdul Aziz benefited from the desert surroundings of the Empty Quarter and the severity of life-conditions sincne it taught him many desert skills which stood him in good stead in later life.[26]

It appears that Imam Abdur Rahman reached Bahrain in 1890 / 1307-1308

! 26 for a period of 9 years. It i said that he accompanied t e King in all his travels for 1 years and also during his campaigns. He then wrote a book under the title ARABIA UNIFIED. He says in a passage:

"King Abdul Aziz accompanied his father Imam Abdur Rahman Bin Feisal Al Saud and some other family members when they left Riyadh in 1890 AD / 1307-1308 H. They received a warm welcome from the Ruler of Bahrain, Shaikh Isa Bin Ali Al Khalifa.[19]

Shaikh Hafiz Wahba states that when Imam Abdur Rahman Bin Feisal left Baghdad in 1291 H. / 1874 AD and went to Al Hasa to recover it, he was not successful. So he went to Riyadh. When his brother Amir Saud died in 1291 H / 1874 AD the people of Riyadh pledged their allegiance to him. (Imam Abdur Rahman Bin Feisal). A year later he proceeded to Bahrain from Riyadh.[20]

It is well-known that Amir Saud Bin Feisal was not killed as claimed by Hafiz Wahba but died of illness in 1293 H / 1876 AD after he became the Amir and ruled from 1871 to 1875.[21]

He has also not mentioned when was it that Imam Abdur Rahman went from Riyadh to Bahrain. However, it appears from the context that he went to Bahrain after the death of his brother Amir Saud in 1293 H / 1876 AD. If this is correct then Imam Abdur Rahman Bin Feisal paid his first visit to Bahrain in 1293 H / 1876 AD. i.e., after 7 years of Shaikh Isa Bin Ali assuming rule in Bahrain. That would be 4 years before the birth of King Abdul Aziz. There are still many aged persons in Bahrain who remember this visit by the

Khalifa.[16]

The visit of Amir Abdul Aziz Bin Saud to Bahrain and his meeting with Shaikh Isa Bin Ali Al Khalifa a year and a few months after he had assumed rule in Bahrain and before he returned to Hayil was for the purpose of consulting the Shaikh of Bahrain. At that time the whole region was in a disturbed state because of Ottoman expansioism in Al Hasa, adjacent to Bahrain.

The Ottoman occupation of Al Hasa had taken place only two months before the visit of Amir Abdul Aziz to Bahrain and his meeting with Shaikh Isa on 21 May 1871 AD / 1287 H. It was also probable that the Ottomans would advance to Bahrain. Perhaps Amir Abdul Aziz discussed with Shaikh Isa Bin Ali Al Khalifa the question of the ambition of some states to capture Bahrain. The Shaikh of Bahrain, in his turn assured him that the Ottomans had never made any attempt to occupy Bahrain

In December 1871 the Turkish Qaimuqam in Qatif asked the Shaikh of Bahrain to retun the two boats which Amir Saud had presented to some Bahrainis before the Turks had reached Al Hasa. The Shaikh of Bahrain had agreed to return them.[18]

From among the contemporaries of Shaikh Isa Bin Ali Al Khalifa was Imam Abdur Rahman Bin Feisal Al Saud. There are many who have written about them having heard about them either from King Abdul Aziz or from Shaikh Isa Bin Ali Al Khalifa.

Among these was Mohammed Al Mana who is over 80 years old now. He was the interpreter and escort for H M. King Abdul Aziz from

is visit was described by rza Abul Qasim, the ..swriter at the British Re- ..ency in the Gulf when the ..ttleship Hugh Rose re- turned to Bahrain. The Munshi wrote:" I attached myself to the ship as a spy. I used to go ashore every morning to collect information and return at the sunset to report to Captain Guthrie." He goes on to say: "As usual when I got ashore I saw a crowd around the house of the late Shaikh Ali Bin Khalifa Al Khalifa [15] at Manama where the present ruler resides (Shaikh Isa Bin Ali Al Khalifa). I made enquiries and learnt that a visit by Abdul Aziz Bin Saud was expected. I waited at some distance until Abdul Aziz arrived riding a horse accompanied by a retinue of 10 attendants. Four out of them were walking in front. There was a group of Beduins with him. Abdul Aziz was a tall youth with a handsome face and personality. They say that he is actually older than he looks unlike I informed you earlier. His personality reflects grandeur. Abdul Aziz Bin Saud entered the house of Shaikh Isa Bin Ali Al Khalifa. As far as my knowledge goes Abdul Aziz is paying his own expenses. The writer ended by saying: If I get an opportunity I shall send you a memorandum.

Amir Abdul Aziz whose visit to Bahrain has been described by the writer in that year (Mirza Abul Qasim) is not King Abdul Aziz Bin Abdur Rahman Al Saud because the date of the letter is 1288 H whereas King Abdul Aziz was born in 1297 H. Again Abdul Aziz Bin Saud Bin Feisal Bin Turki as mentioned in the document was held a prisoner in Dammam when the Turks invaded Al Hasa. He was saved incarceration in 1288 H / 1871 AD. Then he went to Bahrain to visit Shaikh Isa Bin Ali Al

was an impressive meeting according to William Guthrie, the captain of the ship Hugh Rose. There were four mounted men two on either side of the castle of Shaikh Isa Bin Ali Al Khalifa at Manama. There was an escort of about a 100 men for Amir Abdul Aziz Bin Saud Bin Feisal. The document goes on to say: The Amir has come of age and understands his responsibilities. This is contrary to the statement of Mirza that he was very young in age. The report concludes by saying that Bahrain had a large number of Beduins.[13]

The meeting between Shaikh Isa Bin Ali and Amir Abdul Aziz Bin Saud was in consequence of the passage of some ships through Bahrain on their way to Ogair from Qatif carrying some supplies for the Ottoman Turks. After the supplies left Al Hasa they were being protected by 30 Ottoman horsemen. The caravan was attacked by the Beduins and in the ensuing skirmish between the Beduins and the guards 30 Beduins were killed. The eyewitnesses who were with the Caravan said that Farrukh Pasha sent for Amir Ibn Saud so that he could arrive at an understanding with him in regard to the situation prevailing in that area. The Ottoman Governor who had occupied Al Hasa on 28 July 1971 did not receive any response from the Amir. In the wake of the Beduin attack on Ogair the Turks sent reinforcements to Al Hasa and Qatif as they feared Ibn Saud. However, the attitude of Shaikh Isa Bin Ali to these developments in the region of Al Hasa and Qatif was one of noninterference since these were outside his domain.[14]

Amir Abdul Aziz frequently visited Bahrain. He paid a visit to it on 9 Jumada al Tania 1288 H / 26 Aug. 1871

proved by subsequent developments.

Amir Saud Bin Faisal Bin Turki visited Bahrain many times and after short visits to Bahrain proceeded to Qatar only to return to Bahrain.[8] He then proceeded to Al Hasa and Qatif. This happened on 6 Feb. 1871/14 Zil Qada 1287 H. He had with him many Bahrainis. At Oqair a group from Ajman and Al Murra joined him before he entered Al Hasa. The inhabitants of Seihat who had settled in Bahrain were invited by him to return to their original home as they were his former subjects. They responded and became his subjects. This lasted from 1871 to 1875 i.e., for 5 years. Thus during the reign of Amir Saud Bin Feisal, Bahrain had become a centre for consultation and coordination of work. He presented the sword of his grandfather (Turki) which was known as Arab to Shaikh Isa Bin Ali Al Khalifa.[9]

Amir Abdullah Bin Feisal visited Bahrain in 1304 H. / 1886 AD.[10]. The appended documents speak of the visits of Amir Abdul Aziz Bin Saud Bin Feisal. One of his visits has been described by Mirza Abul Qasim Al Munshi in his letter to the British Resident in the Gulf saying: "Shaikh Isa Bin Ali Al Khalifa says that Amir Abdul Aziz Bin Saud would like to stay in Bahrain.[11] The letter goes on to say that the Amir was not accompanied by anyone but that he would like to settle down and pursue trade.

The report of Mirza Abil Qasim from Bahrain states that the Shaikhs of Al Murra were with Amir Abdul Aziz Bin Saud.[12]

On 27 August 1871 Amir Abdul Aziz held a meeting with the Ruler of Bahrain. It

sectarianism and racial discord so that they could intervene and sow disruption at the level of the rulers and their people. This terminated when by the grace of God the announcement was made on behalf of the Cooperation Council of the Arab Gulf States.

However, the period of history with which this study is concerned is restricted to three rulers and they are Shaikh Isa Bin Ali Bin Khalifa (d.1351 H), his son Shaikh Hamad Bin Isa Al Khalifa (1361 H) and his grandson Shaikh Salman Bin Hamad Al Khalifa (d. 1381 H).[6]

The late King Abdul Aziz had long innings and his life spanned the lives of three rulers of Bahrain and it is an aspect of sustained relations between the Kingdom of Saudi Arabia and Bahrain. We should therefore, cast a quick glance on the history of the period which preceded the rule of King Abdul Aziz while reviewing the mutual visits which the rulers of the two countries paid to each other. This is relevant in the context of the reign of Shaikh Isa Bin Ali Al Khalifa who was a contemporary of King Abdul Aziz, his father Imam Abdul Rahman and his grandfather Amir Feisal Bin Turki.[7]

There is no doubt that these mutual visits between brotherly princes and shaikhs of the two countries are an expression of their intimate relationship. Every visit had its own raison d' etre whether open or secret against the background of a difficult political situation wherein the foreign forces were busy sowing the seeds of disruption and discord to establish their own domination. These mutual visits between the two brotherly states thwarted the designs of the foreigners as is

ıbha etc. Sabha was the ame of the fort built by aisal al Jumaili in Haddar. one of his grandsons Shaikh Mohammed Bin Khalifa Al Khalifa similarly built a fort in Zubara in 1762 A.D./1176 H and named it Sabha. The new generation often feels attached to the names in vogue with the ancestors and imparts these names to people, places and battles in the new locale. This shows the depth of the spiritual attachment one feels towards his original home.

HISTORY AND COMMON DESTINY

A student of the history of Bahrain will note that Bahrain comprised a vast territory once to include the eastern coast from Kazima to Oman. The Governorate of Bahrain included Al Hasa and Qatif in addition to the Bahrain Islands. It appointed a Governor over them. A large area with Yamama comprising vast regions of the Arabian peninsula came under the Governor. This was during the reigns of the Rashid, the Omayyed and the Abbasid caliphates.[5] It was so until the period of the Ayounis and the Jaboors. The political conditions which were confronted by Bahrain due to its vast territories were also similar. After it entered the folds of Islam it retracted later and then reentered it. It faced the Zenj and Carmathian movements. It confronted foreign influences in more recent times particularly of the Portuguese and the British until it was ordained by God that the country should be ruled by its Arab owners. It was subjected to alien powers who wanted to impose themselves on the Arab rulers and prevent them from promoting unity, closeness and affection among themselves. They encouraged sedition and strife.

traced to Arab tribes migrating from the Arabian peninsula. Some of them settled down in the eastern coasts of the Arab Gulf and then moved over to Bahrain such as the Houla while some of them settled in Bahrain after migrating from Najd and continue to do so till this day. Thus the relations between the two people date back to a very remote past.

There is another factor which binds Bahrain and the Kingdom of Saudi Arabia. It is the link of a common home country. The Al Khalifa and their followers from Bahrain migrated along with the Utoob in the 11th century of Hijra / 18th Century A.D. from their homeland of Haddar and Aflaj in Nejd. It was a rich country with plentiful water, running springs and rivulets. These places still sport names indicating abundance of water resources, running water, surface water, springs, gurgling water etc. Sahab is a valley over which is situated in the town of Laila. This is a region of rivulets whose length extends over 200 km with over 18 valleys in it. The flow from the valley of Haddar gathers in the Wadi Jadwal east of the village Al Budayya which was inhabited by Jamila of the Unza tribe. Budayya is about 32 km away from Laila. The Al Haddar Wadi irrigates the historical village of Sada.

From this environ of abundant water, springs and wells and agriculture the Al Khalifa and the migrants from Al Utoob migrated to Bahrain which also abounded in springs and date-palm. In a short period of time they struck roots in their new surroundings.

It is worth mentioning that some of the names to which we alluded with reference to Najd are also prevalent in Bahrain, such as Budayya.

tween me and my brothers and cousins, there may be many differences but even then;

If they devoured my flesh I shall willingly sustain them; If they destroyed my glory I shall build up for them their glory.

I shall not bear against them any old grudges, the leaders of people do not bear grudge and ill-will.

Another has said:

My clan says: my people, my country are my treasure even in times of adversity;

I take pride in them or else there is no glory in me[3].

It is in this sense that the links have to be seen between Bahrain and the Kingdom of Saudi Arabia, at the level of the rulers and the people. The ruling families of the two countries belong to the same tribe. Their relationship is that of close kinsmen. This is what has been extolled by our orthodox religion on several occasions.[4] One result of it is to be seen in the tradition of mutual consultations and cooperation between the Al Khalifa and Al Saud in the interests of the welfare, security and stability of their people and their countries and to protect their sovereignty and independence as proved by the documents which have been included in the body of this paper. They also include copies of correspondence exchanged between H.M. King Abdul Aziz Al Saud and Shaikh Isa Bin Ali Al Khalifa.

The roots of this close kinship go to the people of Bahrain and the people of Saudi Arabia. Over a period of history in most cases the people of Bahrain can be

when several tribes migrated from Najd and settled down on the shores of the Arab Gulf. Intimate alliances sprang up among them and this mingling was represented in the Utoob tribe. The earliest mention of them is to be found in the writings of Shaikh Osman Bin Sanad al Wayili who died in 1242 H./1826 AD. He has dwelt on Bani Ataba in his writings.)

It appears that the Bani Ataba were drawn from different stocks and lineages and hence cannot be traced to a single matrilineal or patrilineal family tree. However they were intimately bound up by family ties.[1] Such closeness imparts authenticity to a well based supposition.

History is somewhat miserly in providing clues to the beginnings of these alliances and on how they came to acquire the name Utoob. Perhaps they chose this name after they migrated northwards since the Arabic word ATABA means (moved) or (migrated).[2] We apply the term Utoob to those who belong to the tribe Unza and include the Al Saud, Al Khalifa, Al Sabah etc. A student of Arab history finds tribal links and their clear influences even today particularly among the people of Najd or those who descended from Najd. They innately have a sense of belonging to a single parentage. They feel they are cousins and should help one-another and stand by one another in the face of aggression against them despite any differences between them. An ancient Arab poet has said:

HISTORICAL LINKS BETWEEN BAHRAIN AND THE KINGDOM OF SAUDI ARABIA DURING THE REIGN OF KING ABDUL AZIZ.

by
Dr. Ali Abdul Rahman Aba Hussain

(These links indicate an intimate blood relationship since the family of Al Khalifa of Bahrain and that of Al Saud of the Kingdom of Saudi Arabia belong to the tribe of Unza. In his discourse on the Bani Ataba (Al Khalifa are a part of them) Shaikh Osman Bin Sanad says: They are related to Unza Bin Asad Bin Rabee'a. The Utoob are a confederation of various tribes in which various ancestries and lineages are mingled

understanding of the traditions prevailing in an area and the circumstances which exist there.

Wars have taken place in the region on account of blood-relationships, hurt prestige or in defence of the given word. These are reasons which a European mind can never fathom. They seek an explanation in terms which are intelligible to them. Such erroneous conclusions and inferences when adopted and given currency by the modern scholar would only compound the error. We do not wish to chastise anyone and all that we want is to warn that the writing of history is an onerous task particularly in an area where local reference material is scarce. We also wish to sound a note of caution that history-writing has never been the pursuit of a hobby but the task of specialists who were wellversed in its rules and bases; nor should it become today a matter to be trifled with. Actually our libraries complain of paucity of historical writings by local writers. While it is so, we do not wish to see them collect spurious material which can do more harm than good and be misleading to most. At the same time we do not wish that the efforts of certain genuine scholars should get lost in the heaps of superficial writings which could well be dispensed with. We want that the competitive interest which we witness today in the study of history proceeds on correct lines or else it will be a fruitless endeavour like a skip in the air without registering a step forward. Such matter as finds its way to the market should be characterised by greater caution and a higher regard for accuracy and authenticity in the printed word. History is unremitting in its verdict and the product of today will receive its evaluation and verdict in times to come.

May God Grant success.

Abdullah Bin Khalid Al Khalifah.

period which the study covers. The scholar goes on to draw his inferences and formulate his judgements on the basis of these texts. Such conclusions could be acceptable provided the source-material itself was free from defects and self-aggrandizement. Many have started questioning the validity of the source-material itself and subjecting it to scrutiny and rectification where there are obvious errors in it which are by no means few.

We have had occasion formerly to cite a few examples of how foreign writers have committed errors of judgement because of environmental, temperamental, circumstantial and conventional differences. For instance, we have referred to how a few foreign writers have pronounced judgement on a person calling him profligate merely because he took four wives. Obviously they did not realise that the Islamic code permitted the taking of four wives and that the institution of marriage in the region had other objects in view, the least of them being sexual gratification. Marital ties promoted political alliances with other tribes, provided social protection and cover to widows and fulfilled many other needs. They called a person a reckless spendthrift because he slaughtered a number of sheep to dole out hospitality to a guest and attributed it to his subservience to the state which the guest represented. It does not occur to them that generous hospitality is a traditional characteristic of the region. An Arab would sacrifice the most precious of his possessions to honour his guest without even knowing him or knowing the purpose of his visit. It also does not occur to them that hospitality is not so much an expression of the importance of the guest as the value of the host. These writers cannot appreciate this system of values as they are used to quite the reverse in Europe. This and similar instances lead the scholars to paint quite an erroneous picture of the personality concerned based on wrong presumptions and faulty inferences drawn from a lack of

IN THE NAME OF GOD THE BENEFICENT, THE MERCIFUL

A WORD ABOUT THIS ISSUE

By H.E. SHAIKH ABDULLAH BIN KHALID AL KHALIFAH

Lately there has been an influx of writers dealing with the history of the region. It is a trend which is desirable and which we have been advocating repeatedly since a long time. These writings are either university theses, studies appearing in periodicals or articles published by newspapers and magazines. While such interest is commendable and is in the right direction nevertheless, the studies need to be guided and channelised to a greater degree. This is because most of these writings if not all, are inclined to be reproductions and not a critique, mere recordings without being analytical. This is particularly so in the case of source-material on which these scholars depend because these historians have many reservations and objections. It has been noticed that even in some university theses the scholar begins his presentation of each chapter with extensive quotations from these writers rarely challenging them. At the forefront of these authorities stands Lorimer and then come the reports of British and non-British Agents functioning in the region during the

ENGLISH SECTION

CONTENTS

AL WATHEEKAH

A Half-Yearly Journal Published by

The Historical Documents Centre

The State of Bahrain

Devoted to The Heritage, Thought and History of

Bahrain And The Gulf

Editor-in-Chief

H.E. SHAIKH ABDULLAH BIN KHALID AL KHALIFAH

Issue No: 16 – 8th Year
Jumada Al Thania 1410 A.H. – January 1990 A.D.

Bahrain P.B. 28882

Telephone — Historical Documents Centre — **664854**

All Correspondence to be Addressed to The Editor-in-Chief

IN THE NAME OF GOD,

THE BENEFICENT,

THE MERCIFUL

بسم الله الرحمن الرحيم

الوثيقة

دورية نصف سنوية
تصدر عن

مركز الوثائق التاريخية
بدولة البحرين

العدد السابع عشر - السنة التاسعة

ذو الحجة ١٤١٠ هـ - يوليو ١٩٩٠م

الوثيقة

العنوان مركز الوثائق التاريخية ص ب ٢٨٨٨٢

تليفون ٦٦٤٨٥٤

جميع المكاتبات ترسل باسم رئيس التحرير

الفهرس

القسم الانجليزي

صورة الغلاف :

راشد العريفي - قرية/زيت

جميع الابحاث المنشورة في هذا العدد تمثل وجهة نظر كاتبها

(الوثيقة)

كلمة العدد

بقلم : الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

في ١٧ مارس الماضي نظم مركز الدراسات والوثائق برأس الخيمة ندوة عن العلاقات التاريخية بين الخليج العربي وشبه القارة الهنديه وقد شارك في هذه الندوة عدد كبير من الأساتذة العرب والهنود وقدموا خلالها عددا من الأبحاث والدراسات التي تناولت كل ابعاد هذه العلاقة عبر مساحة زمنية عريضة بدأت منذ فجر التاريخ هده الندوة - في اعتقادي - تعتبر واحدة من أهم الندوات المماثلة التي شهدتها المنطقة . ذلك لأنها تضع امام المهتمين بالعلاقات الخليجية/ الهندية او العلاقات الخليجية/ الجنوب شرق اسيوية مجموعة من الحقائق التي تحتاج الى تفهم واع . وتحليل دقيق . وتقييم موضوعي ، ونظرة جدية يمكن ان تحدد ملامح علاقات جديدة للمستقبل المليء بالمتغيرات والمحوط بالتوقعات

الحقيقة الأولى :

هي أن العلاقات بين الخليج وشبه القارة الهندية أقدم مما يمكن ان يتصوره البعض ، فهي توغل في القدم حتى الألف الثالث قبل الميلاد ، وقد انتعشت على مر التاريخ فكانت الهند سوقا رائجة لانتاج الخليج من اللؤلؤ والتمور كما كانت مصدرا هاما لواردات دول منطقة الخليج في كثير من البضائع والسلع . هذا التبادل التجاري الذى كان ينمو باطراد اخذاً وعطاء ، أثمر انتعاشا ونماء ورخاء تمتعت به المنطقتان وقد ساعدت على ذلك عوامل كثيرة منها قرب المسافة وتوافر خطوط المواصلات ثم طبيعة السلع نفسها وحاجة الأسواق بالمنطقة وقد ظل هذا الانتعاش قائما حتى بدأ عصر الهجمات الأوروبية الذى بدأ

بالبرتغاليين ليتبعهم الهولنديون فالانجليز هذه الهجمات أخذت صورا مختلفة عبر التاريخ . تمثلت في الحرب البحرية ثم الاستعمار العسكري ثم الاستعمار الاقتصادي وكانت النتيجة هي اقامة الحواجز بين المنطقتين ثم السيطرة على الأسواق ثم تحويل الخليج وشبه القارة معا الى أسواق لمنتجات الغرب وسلعه وبضائعه .

الحقيقة الثانية :

هي أنه على الرغم من أن العلاقات بين الخليج وشبه القارة الهندية قديمة جدا كما قلنا إلا أن هذه العلاقات وكما ظهر من أبحاث ندوة رأس الخيمة أخذت شكلا اخر مع ظهور الاسلام . فقد تفتحت مع الدعوة الجديدة أبواب كثيرة على شبه القارة وامتدت جسور متينة وحمل التجار المسلمون مع مختلف البضائع روحا جديدا طالعه الهنود لأول مرة وكانت النتيجة أن زحف الاسلام ووصلت أنواره الى كثير من أصقاع هذه المنطقة المترامية وتكونت ممالك اسلامية عديدة ونظرة واحدة على تعداد المسلمين في المنطقة اليوم تدعو للعجب ففي الهند مائة مليون مسلم فإذا أضفنا اليهم ٧٠ مليونا في باكستان و ٨٠ مليونا في بنجلاديش وهي الدول الثلاث التى كان يتكون منها شبه القارة القديمة فإن المحصلة هي ٢٥٠ مليون مسلم مقابل ١٦ مليون مسيحي على الرغم من الجهود الخارقة التى بذلها المبشرون الذين كانوا يعتمدون ولقرون طويلة على الأساطيل الشرسة والجيوش الاستعمارية الجرارة والمتتابعة والمساعدات الغذائية المشبوهة وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الدعوة العظيمة إنما هي أقرب ما يكون الى الوجدان الهندي وأن هذا التقارب في النظرة الى الكون والحياة والمثل العليا يتطلب المزيد من الاستثمار بما يحقق صالح الشعوب العديدة التى تحيا فوق هذه الساحة العريضة وهو يؤكد المقولة الشهيرة أن الشرق شرق والغرب غرب .

الحقيقة الثالثة :

ان الدراسات والأبحاث التى قدمت كشفت وبصورة واضحة عن وجود الكثير من المصادر التاريخية والوثائق التى تمتلىء بها أرشيفات الهند وهي مصادر لم يحاول المؤرخون في الماضي الاعتماد عليها وإنما كان جل اعتمادهم على المصادر والمؤلفات الغربية وحدها وهي ليست

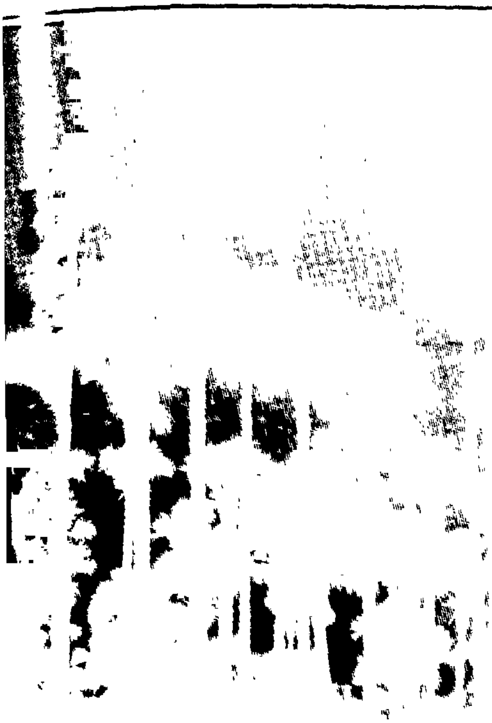
منزهة عن الهوى كما ذكرنا أكثر من مرة ، واذا كانت مجموعة الابحاث التى عرضت في الندوة ـ التى تقدم الوثيقة في هذا العدد مجموعة منها وتعرض لبقيتها في أعداد قادمة ان شاء الله ـ تقدم اضافة قيمة باعتبارها مصادر جديدة وموثقة لدارسي العلاقات الخليجية/ الهندية إلا أنها تدعو من جانب أخر الى ضرورة الاستفادة مما في الارشيفات الهندية ـ وهو كثير ـ لتأصيل البحث في هذا المجال ولتصحيح الكثير من المفاهيم التى قدمها مؤرخو الغرب ومصادره وهي في معظمها مليئة بالمآخذ والثغرات والتحيز .

الحقيقة الرابعة :

أن ندوة رأس الخيمة وهي واحدة من سلسلة ندوات سبقتها ندوة عن أحمد بن ماجد وأخرى عن العثمانيين والخليج هذه الندوات الثرية التى أعد لها إعدادا جيدا وبذل في سبيل تنظيمها جهد كبير لم تبخل به رأس الخيمة وإنما قدمته قيادتها بسخاء ووعى ولم يبخل به مركز الدراسات والوثائق بالديوان الأميري ومديره الأخ أحمد التدمري . هذه الندوة إنما تؤكد حرص هذا المركز وهو أحدث المراكز في المنطقة على ترسيخ أقدامه في مجال البحث التاريخي وعلى تقديم اضافات رائعة في هذا السبيل يشهد له بها الجميع

هذه بعض الحقائق أو الملاحظات أو الانطباعات التى تشير اليها مجموعة أبحاث ندوة رأس الخيمة الأخيرة وهي الى جانب الكثير غيرها ـ فيما نعتقد ـ تحتاج الى وقفة علمية أكثر شمولا وهو ما ننتظره من دارسينا وعلمائنا والله ولي التوفيق .

عبدالله بن خالد آل خليفة



قراءة نقدية

في مظاهر العلاق
وشبه القارة الهندية

الأستاذ الدكتور :

ابراهيم القادري بوتشيش

من الثابت أن العلاقات التاريخية بين بلدان الخليج العربي وشبه القارة الهندية تضرب بجذورها في عمق التاريخ القديم غير أنها زادت تجذرا وترسخا منذ أن أشرقت شمس الاسلام على ربوع الخليج . ومن الأكيد أن منطقة الامارات وغيرها من دول الخليج لعبت دورا رياديا في هذا الترابط . مصداق ذلك ما ذكره البلاذري



تاريخيّة بين الخليج العربي
قرن الأول إلى نهاية الثالث الهجري

وغيره من المؤرخين الثقاة ، من أن والي المنطقة . كان أول من وجه
سطاره ـ في الفترة الاسلامية الأولى ـ الى شبه الجزيرة الهندية (١)
فكان للخليج بذلك شرف السبق لحمل الرسالة الاسلامية اليها ،
ومد جسور العلاقات والتبادل الحضاري بين المنطقتين .

والجدير بالذكر ، أن هدف هذه الدراسة لن ينحصر في ابراز عمق هذه العلاقات التاريخية محسب ، بل تسعى - في تواضع - الى محاولة تفسير كنهها ، وتشريحها من خلال قراءة نقدية تستهدف تحليل العوامل التي دفعت بها الى الوجود والثبات والنماء ، وذلك عن طريق استنطاق النصوص استنطاقا جديدا ، وطرح تساؤلات تستمد مشروعيتها من اهمية الموقع الذي تحتله هذه العلاقات في الخارطة التاريخية للخليج العربي ، وما أفرزته بعض الدراسات من أحكام نعتقد أنها في حاجة الى تصويب

ويمكن اختزال هذه التساؤلات في تساؤلين محوريين وهما

١ - ما هي الدوافع التي حتمت التواصل والترابط بين الخليج العربي وشبه الجزيرة الهندية ؟ وهذا تساؤل تفرضه طبيعة الدراسات السابقة التي لم تهتم بالاجابة عن ذلك ، مع ما للموضوع من أهمية قصوى .

٢ - ما هي الكيفية أو الأسلوب الذي تشكلت به هذه العلاقات ؟ وهو تساؤل تفرضه بعض التخريجات التي إبتكرتها بعض الدراسات الهندية التي زعمت - إفتراء - أنها علاقات صيغت عن طريق القوة والعنف ، وهو ما تسعى هذه الورقة الى دحضه والرد عليه .

ونحن في غنى عن القول أن المصادر التاريخية لا تجيب عن هذه التساؤلات بما يشفي الغليل ، ذلك أن مؤلفيها اهتموا بتسجيل بعض الوقائع والأحداث بطريقة سردية كرونولوجية دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن الأسرار العميقة التي كانت وراء ذلك [٢] وحتى ابن خلدون المؤرخ الفذ الذي عرف بتقصيه للحقائق وسبر غور الأحداث التاريخية ، لم يسلم من هذه الآفة ، بل لم يخصص للموضوع سوى صفحات هزيلة لا تروي ظمأ [٣] ساهيك عن التغرات الكبيرة التي يلاحظها أي دارس متتبع لسياق الموضوع ، الشيء الذي يجعل مهمته شاقة وعسيرة

وإذا كانت المصادر الجغرافية وأدب الرحلات تكشف لنا النقاب عن جانب من هذه العلاقات ، فالملاحظ أنها لا تعطي في الغالب الأعم سوى إشارات متناثرة متقطعة ومجزأة ، مما يزيد الأمر صعوبة وتعقيدا

ومع ذلك فمن انصاف القول أن هذا النوع من المصادر يقدم لنا مادة تساعد على التفسير والتحليل ، خاصة كتب الرحالة الذين وقفوا بالعيان على احوال شبه القارة الهندية ، مثل سليمان التاجر السيرافي الذي كان تاجرا معروفا بالبصرة ومنها رحل أكثر من مرة الى بلاد الصين مرورا بالهند ، ودون رحلته [٤] وكذلك المسعودي . على أننا للأسف ، نفتقر الى تراث محلي ، فإذا كانت المصادر العربية قد أمدتنا ببعض الأخبار والإشارات حول العلاقات الخليجية - الهندية في

لعصور الاسلامية الأولى ، فإننا لا نجد ن المصادر الهندية ما يكمل أخبار وقائع تلك الفترة الغابرة . وبالتالي فإن ذه ثغرة أخرى تضاف الى مجموع لتبطات التي تحول دون تكوين فكرة ـاملة عن الموضوع .

وعلى الرغم من هذه الصعوبات المصدرية والمنهجية ، يمكن في ضوء المعلومات المتاحة معالجة الموضوع المدروس من خلال جمع شتات النصوص المبعثرة في أمهات الكتب ، والاسترشاد بالظرفية التاريخية الدولية آنذاك ، وتقييم كل ذلك وفق ملاحظات تتماشى مع السياق العام لأحداث الفترة .

فبالنسبة للتساؤل الأول الذي طرحناه حول الدوافع التي حتمت مد جسور الصلات بين الخليج العربي وشبه القارة الهندية ، يمكن الوقوف عند بعض الملاحظات التي تفسر سر نشأة العلاقات بين المنطقتين كما يلي .

١ ـ من المسلم به أن العلاقات التاريخية بين بلدان الخليج العربي وشبه القارة الهندية ليست وليدة الفترة موضوع الدراسة ، فقد أثبتت الأبحاث التاريخية مدى قدمها ، ويمكن إرجاعها الى الألف الثالث قبل الميلاد [٥] . ومما زاد في تعميق هذا التواصل ، الهجرات القديمة التي حدثت على مستوى موجات بشرية متتالية بين العرب والجاليات الهندية كالزط والأساورة والسيابجة والبياسرة الذين استقروا بشواطىء الخليج العربي [٦] . ولما جاء الاسلام ، وجد في هذا الإرث قاعدة مؤسسة وتربة خصبة لزرع بذرة التواصل ، وبما أنه كان دينا يدعو الى التسامح والتعاون بين أبناء البشرية جمعاء ، فليس من الغريب أن تزداد الرغبة من الجانبين في تعميق أواصر هذا التعاون ، وخلق علاقات تخدم مصالح شعوب المنطقتين .

٢ ـ ومن المعلوم أن المد الاسلامي كان قد بلغ ذروته في العصر الراشدي ، وكانت جحافل الجيش العربي تلتهم كل أوكار الوثنية ، وبما أن شبه القارة الهندية كانت لا تزال معقلا للعبادة الوثنية كما يؤكد ذلك ابن خلدون [٧] . فقد كان من الطبيعي أن تتطلع أنظار الجيش العربي بمبادرة من قادة الجيوش الخليجية [٨] الى تصفية هذه الجيوب وتطهيرها من دنس الوثنية . وبذلك أصبح الالتقاء بين المنطقتين حتميا توجهه العقيدة الاسلامية السمحاء .

٣ ـ ثمة قاسم مشترك بين الخليج وشبه القارة الهندية ساهم في تقاربهما ويتجلى ذلك في طبيعتهما البحرية ، فمنذ أقدم العصور كانت الشعوب البحرية هى السباقة الى الابحار والاتصال بحضارات العالم . ولم تشذ المنطقتان عن هذه القاعدة . فوضعيتهما البحرية جعلتهما غير منكفئتين أو متقوقعتين على نفسيهما بل حتمت عليهما الانفتاح على الخارج والاتصال بشعوب المعمورة . ولما كانت بلدان الخليج آنذاك تسيطر على

زمام البحار ، وخاصة الخليج العربي والمحيط الهندي [٩] ولما كانت شبه القارة الهندية تعد محطة رئيسية في التجارة العالمية ، فقد كان من البديهي أن تنفتح المنطقتان على بعضهما البعض ، بحيث لا نبالغ إذا قلنا أن كلاً منهما كان مكملا للطرف الآخر .

٤ ـ يضاف الى ذلك الموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي تحتله المنطقتان على السواء فالخليج العربي يعد حلقة وصل بين الشرق وأوربا ، كما أن شبه القارة الهندية تعتبر موقعا حيويا استراتيجيا هاما في المحيط ، وكما أن أوروبا كانت تفتقر الى توابل الهند ، فإن المرور بالخليج العربي كان أمرا لابد منه فموقع هذا الأخير جعله يلعب دور الوساطة التجارية ، وهو ما أهله ليكون طرفا أساسيا في المبادلات العالمية لذلك اتجهت اليه انظار اوروبا من الغرب والهند من الشرق . وإذا أضفنا الى ذلك تقارب المنطقتين أمكن دون عناء فهم سر العلاقات التاريخية التي نشأت بينهما .

٥ ـ كما يجب عدم إغفال مميزات الفترة موضوع الدراسة في تفسير هذه العلاقات ، فالفترة هذه كانت تمثل عصر الملاحة الكبرى ، وقد لاحظ الباحثون المتخصصون أن المواصلات بالطرق البرية في هذه المرحلة فقدت دورها وأصبحت ضئيلة بالمقارنة مع حركة الملاحة الواسعة [١٠] . ولما كان الخليج العربي وشبه القارة الهندية يسيطران على شرايين الملاحة البحرية كما سبق الذكر ، فمن الطبيعي أن تتكاثف جهودهما البحرية ، وأن يصبح الالتقاء والتعاون بين القوتين البحريتين مسألة حتمية .

٦ ـ ومن نافلة القول أن الظروف المناخية قد ساهمت بدورها في هذا التقارب بين المنطقتين ، إذ حتمت على بلدان الخليج الاعتماد على التجارة دون الزراعة . ولما كانت شبه الجزيرة الهندية أقرب المناطق المعروفة بالتجارة ، فليس من الغريب أن تمتد اليها أيادي تجار الخليج العربي صحيح أن المصادر الجغرافية تشير الى وجود بعض الأراضي الزراعية الخليجية ، غير أنها لا تفصح عن ثروة زراعية حقيقية شفيعنا في هذا الاستنتاج مقارنة بين النصوص التي أوردها ياقوت الحموي حول امارتي البحرين وعمان ومناطق أخرى مشهورة بثروتها الزراعية فهو يقول عن هجر قصبة البحرين [١١] بأن «فيها عيون ومياه وبلاد واسعة» بينما يذكر بثمار عمان أنها «ذات نخل وزروع ، إلا أن حرها يضرب به المثل [١٢] هذا في الوقت الذي نجده يصف مناطق أخرى زراعية من العالم الاسلامي وصفا أكثر ثراء [١٣] وان في مثل هذه المقارنة لدلالة كافية على أن الظروف المناخية في الخليج العربي لم تسمح بمنتوج زراعي وافر ، وهو ما حتم على الشعوب الخليجية استغلال البحر لربط صلات تجارية مع

خارجي ، وفي مقدمته شبه القارة
التي كانت قبلة التجارة العالمية

وإذا تصفحنا كتب الجغرافيا ،
المنتوجات التي كانت تجود بها
ـبه الجزيرة الهندية ، وهي
ـ التي تفتقر اليها بلدان
أمكن اعطاء الدليل على حتمية
ـسال ، فالصورة التي يقدمها لنا
ـن عن السند - وهي جزء من
ـد - تجعلنا نتأكد من توافر
هامة بها ، فضلا عن أسعارها
التي كانت تميز أغلب المدن
ـورة [١٤] والملتـان [١٥]

[١]وكيزكانان التي فضلا عن
ـعارها وجدت بها أصناف من
الخيرات [١٧] ، فمن الحتمي
تتطلع أنظار أهل المنطقة
الى هذه البقعة للاستفادة من
ـذا لا يعني أنها كانت تفتقر
ـه المواد ، لكن الأرجح هو انها
ـسد حاجياتها وخاصة بعض
ـي تحتاج اليها صناعتها ،
في شبه القارة الهندية السوق
ـها ، ولنا في هذا الصدد مثال
ـخشب الساج الذي كان محل
ـجيين لبناء سفنهم التجارية ،
ـ ملابار الهندي يمدهم بهذه
لهامة [١٨] ، ولذلك يمكن أن
القول بأن الحاجة الاقتصادية
فرضت على بلاد الخليج التعامل مع شبه القارة الهندية .

٨ - كما أن ازدهار المراكز التجارية سواء بالمدن الهندية أو الخليجية كان له الأثر الفعال في توجه المنطقتين نحو بعضهما البعض ، فمدينة الروز في الهند كما يصفها الجغرافيون «خصبة رفهة كثيرة التجارة» [١٩] والديبل وهى مدينة تقع شرقي نهر مهران ، وصفها ابن خلدون بأنها «متجر عظيم وتجارتها من وجوه كثيرة .. وليس لهم كثير شجر ولا نخيل ، وهو بلد قشف ، وانما مقامهم للتجارة» [٢٠] . ويزكي الجغرافي ابن سعيد هذا الوصف بقوله انها» أكبر فرض السند المشهورة ، وأنه يجلب منها المتاع الديبلي[٢١]

وفي نفس السياق يصف هذا الجغرافي جزائر الديباجات على ساحل البحر الهندي بأنها «منازع للمراكب» . [٢٢] .

أما بلاد الخليج ، فكانت بدورها منطقة تجارية ارتبطت بها طموحات التجار حتى أن ياقوت أورد حديث النبى (ﷺ) بأن من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان [٢٣]وكل هذه القرائن ، تنهض حجة على أن بلاد الخليج العربي عندما امتدت ببصرها نحو شبه الجزيرة الهندية ، فإنها لم تفعل ذلك اعتباطا ، وإنما لاقامة علاقات مع بلدان عرفت بقوتها وطول باعها في مضمار التجارة .

٩ - وإذا كانت التجارة قد جعلت من بلاد الهند قبلة للخليجيين الذين كانوا

يطمحون في تحقيق نهضة تجارية . فإن وجود الذهب بالمنطقة ازكى رغبتهم ، وجعلهم يولون أبصارهم شطرها ، ويهرعون للاستفادة من هذا المعدن النفيس .

ولدينا من النصوص والروايات ما يؤكد توفر المنطقة على الذهب : فالمؤرخ ابن خلدون يزودنا برواية مفادها أنه منذ الوهلة الأولى التي كانت فيها طلائع الفتح العربي تدشن أروع ملحمة في هذا البلد ، وجد الفاتحون في احدى المدن قدرا كبيرا من الذهب في بيت طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية (٢٤) كما أن الرحالة الادريسي يشير في مصنفه الجغرافي الى أن مدينة الملتان سميت «بفرج بيت الذهب» لكثرة ما اشتملت عليه (٢٥) . وذكر جغرافي آخر بصدد احدى المدن الهندية أنه كان يوجد بها ملك يقال أنه فرش قصره بالفضة (٢٦) . فإذا صدقنا هذه الروايات أمكن فهم الرغبة الجامحة في اقامة علاقات بين المنطقتين وهذا ما حدا بأحد الباحثين الى القول بأن «شبه القارة الهندية التي كان العرب يعرفون سعة أرجائها وثروتها الطائلة كانت مطمع الأنظار ، وقبلة الأحلام (٢٦) مكرر .

١٠ - كما لا يمكن انكار رغبة خلافة العراق - احدى بلدان الخليج العربي - في تمتين هذا الترابط . فحين استقرت الفتوحات ، وأصبحت الامبراطورية العباسية لا تغرب عن شمس نما في نفوس هؤلاء حب البذ والرخاء والرفاه في العيش ، والحاجة الى المنتجات الأجنبية ، ومواد الترف التي اختصت بنتاجها بلاد الهند مما جعلهم يشجعون التجارة معها (٢٧) .

١١ - ولا شك أن الترابط بين المنطقتين يفسر كذلك بمحاولة خلافة العراق قطع الطريق على الفرس فبعد الهزائم الأولى التي كبدوها اياهم ، أرادوا أن يبعدوهم من الابحار على طول الخليج وارسال سفنهم الى عمان والهند ، فشيدوا لهذا الغرض مدينة البصرة التي أصبحت نقطة انطلاق تجار الخليج نحو الهند والشرق (٢٨) .

١٢ - ولا يجب أن يغيب عن الأذهان كذلك أن فئة التجار في الهند والخليج على السواء كانوا يبحثون عن «فائض» لانجاز مشروعاتهم الطموحة ، لذلك عملوا على لعب دور الوساطة بين الوكالات التجارية الكبرى في الهند وبين الخلفاء وكبار التجار والأعيان المستقرين في الخليج ، فكانوا يجلبون مواد الترف مثل العطور والحرائر (٢٩) بالاضافة الى التوابل ، فيزودون بها بلاط العراق وأمراء البحرين وعمان ومسقط وغيرها من موانيء الخليج .

١٣ - وبالمثل ، فإن الهجرات

متبادلة سواء تلك التي تمت عن واعية أو بطريقة قسرية ساهمت بشكل أو بآخر في تقارب المنطقتين وانشاء علاقات بينهما . وبهذا الصدد تذكر احدى الروايات ان الحجاج بن يوسف الثقفي أجلى من العراق قبيلة بني هاشم ، فاستوطنت هذه الأخيرة غرب الهند وأقام بعضها بساحل بومباي [٣٠] . وان عملية من هذا القبيل لا يمكن إلا أن تؤدي الى تلاحم الشعوب ، وتمهيد الطريق لتأسيس علاقات متينة بواسطة اختلاط الدم والأجناس بين المنطقتين .

نخلص من كل ما تقدم الى أن العلاقات التاريخية التي نشأت بين بلدان الخليج العربي وشبه القارة الهندية لم تحدث بمحض الصدفة ، وإنما تحكمت فيها عوامل مختلفة ومتشابكة عملت على توجيهها ، وكانت كل هذه العوامل تقرب بين المنطقتين ، وتجعل اتصالاتهما مسألة حتمية .

يبقى علينا أن نجيب فى الشق الثانى من هذا البحث على التساؤل المحورى الآخر وهو : ما هي الكيفية التي تشكلت بها هذه العلاقات ؟ وهل كانت تطبعها الروح العدوانية والعنف والغلبة ، أم كانت تتميز بروح التسامح والتعايش السلمي والتكافؤ ؟ .

تذهب بعض الدراسات الهندية الى خطأ متعمد حين تحاول تصوير تاريخ العرب والمسلمين في الهند خلال العصور الوسطى على انه مجرد صراع بين المسلمين والهندوكيين ، زاعمه أن العرب استغلوا القوة فخربوا الحضارة الهندية [٣١] وهي نظرة تنم عن خلفية مسبقة تستلزم المراجعة واعادة النظر .

صحيح ان العلاقات بين العرب - بما فيهم عرب الخليج - من جهة وشعوب شبه الجزيرة الهندية من جهة أخرى شابتها أحيانا مظاهر القوة لكن ذلك لم يحل دون إتباع أسلوب السلم والموعظة الحسنة التي تنسمتها الشعوب الهندية فعبقت بشذاها . وحتى عمليات الفتح التي ربما يشم منها رائحة العنف والاكراه ، كثيرا ما صحبتها عمليات الاقناع والفتح بالصلح [٣٢] ، وفي ذلك أكبر دليل على الطابع السلمي لهذه العلاقات .

وعلى العموم وتمشيا مع الانصاف الذي تفرضه الموضوعية التاريخية ، يمكن أن نصنف العلاقات بين الخليج العربي وشبه القارة الهنديةفي صورتين مختلفتين .

١ - السمات العسكرية في العلاقات الثنائية :

بدأت الاتصالات الأولى بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية في الفترة الاسلامية بعمليات الفتح

الاسلامي التي ترجع بدايتها الى عهد عمر بن الخطاب . وقد لعبت دول الخليج دورا رئيسيا في هذا الاكتساح الاسلامي وضم بلاد الهند الى «دار الاسلام» وبهذا الخصوص أورد البلاذري [٣٣] رواية هامة مؤداها أن الخليفة المذكور ولي عثمان بن العاص الثقفي ولاية البحرين وعمان سنة ١٥ هـ (٦٣٦م) ، فوجه هذا الأخير اخاه الحكم الى البحرين ، ومضى الى عمان فأقطع جيشا الى تانة ، وعزم على تنفيذ خطة لفتح الجزء الأسفل من نهر السند ، غير أن الخليفة عمر لم يشجع هذه المبادرة لقساوة بلاد الهند .

ولما تسلم عثمان بن عفان سدة الخلافة ، وجه الى عامله بالعراق أمرا لاختبار أحوال ثغر الهند ، فأرسل اليها هذا الأخير مبعوثا . فلما رجع وصفها لعثمان بقوله : «ماؤها وشل ، وثمرها دقل ، ولصها بطل ، ان قل الجيش فيها ضاعوا ، وان كثروا جاعوا» [٣٤] .

ويقوم هذا النص حجة أن العرب لم يكونوا مغامرين غزاة نهابة ، بل كانوا يسيرون وفق هدى الخليفة ، وبعد التعرف على أحوال البلاد وجس النبض . ولو كانوا مولعين بالقوة واستعمال العنف لما تباطأوا في الدخول في مغامرة خاسرة .

ولم تبدأ أولى المواجهات العسكرية الحقيقية إلا في عهد الخليفة الرابع علي بن ابي طالب ، إذ خرج القائد الحارث بن مرة العبدي في سنة ٣٩هـ في حملة عسكرية خاطفة أسفرت عن بعض الغنائم لكنه لقي حتفه ثم جاء دور القائد العربي المهلب بن ابي صفرة الذي لم يحقق انتصارات تذكر [٣٥] ، إلا أن العزم على فتح الهند بدا واضحا خاصة في عهد الخليفة الأموي معاوية بن ابي سفيان . وقد علق المؤرخ GIBBON على وضعية الهند في عهد هذا الخليفة بقوله بأن بلاد الهند كانت ترتعش في أيامه [٣٦] وهو تصوير لا نرى انه صادق ، إذ يلوح من خلاله أن العرب كانوا يفضلون أسلوب العنف ، ولكنه تناسى أن بلدا مثل الهند الذي كانت تعشش فيه الفوضى والتجزئة ، لم يسعه إلا أن يرحب بفاتح موحد ومحرر .

وتكلف بهذه المهمة العسكرية عدة قادة منهم عبدالله بن سوار العبدي ، لكن الفضل يرجع الى القائد العربي الشاب المحنك محمد بن القاسم الثقفي في انجاز هذه المهمة التاريخية وربط مصير شبه الجزيرة الهندية بمصير الدولة العربية حيث تهاوت أمامه مدن السند [٣٧] وفق خطة محكمة خططها الحجاج بن يوسف

فإلى جانب جيش محمد بن القاسم المذكور [٣٨] بعث الحجاج بجيش ثان

قيادة قتيبة ، بالاضافة الى أسطول ـام من الخليج العربي لـدعم لجيشين ، وفي وقت قصير ، سقطت ـدن السند الرئيسية ، ولم يكد القرن الأول للهجرة يجنح الى نهايته حتى كانت الراية الاسلامية ترفرف على البلاد التي تمتد من جبال الهمالايا حتى المحيط الهندي ، فدخلت هذه الأخيرة في الحظيرة العربية ، وبالتالي مع منطقة الخليج في علاقة وترابط أبدي .

وإذا كان أحد الباحثين(٣٩) يرى علة هذا الانتصار في قيمة الخطط الاستراتيجية التي وضعها الحجاج ، فإن دور نشاط الأسطول البحري الذي انطلق من الخليج العربي هو الذي لعب في رأينا الدور الحاسم .

ومهما كان الأمر فقد أصبحت مناطق هامة من شبه القارة الهندية جزءاً من «دار الاسلام» مما جعلها تدخل في علاقة مع البلاد العربية وخاصة بلدان الخليج القريبة منها .

٢ - السمات السلمية في العلاقات الثنائية :

الى جانب السمة العسكرية التي طبعت العلاقات بين الخليج العربي ، وشبه القارة الهندية ، من الأكيد أنها تلونت كذلك بالطابع السلمي ، بل يمكن القول أن العلاقات السلمية سبقت نظيرتها العسكرية . وحسبنا ان سكان ساحل مالابار الهندي قد اعتنقوا الاسلام قبيل الفتح العربي للهند . فالمصادر الاسلامية تروي أن طائفة من التجار العرب دخلوا مالابار ، ومنها انتقلوا الى سرديب لزيارة أثر قدم أبي البشر ، وفيها لقيهم ملك مالابار فأكرم وفادتهم (٤٠) .

وعلى أية حال يمكن تلمس الطابع السلمي في العلاقات بين الخليج العربي وشبه القارة الهندية وفق المحاور التالية .

أ - **المحور التجاري** : فقد كان تجار الخليج الى جانب ممارسة أنشطتهم التجارية ، يحملون معهم رسالة نشر تعاليم الاسلام ، واضعين نصب أعينهم العلائق الاجتماعية المتينة التي أقاموها مع السكان . فبفتح الهند انفتح الطريق أمام الهجرة الجماعية للتجار نحو الشواطيء الهندية وشواطيء الخليج على السواء . ومع مضي الزمن ، أخذت البضائع والسلع تحل محل القوة والسيف ، وأخذت المنطقتان تتبادلان وفود التجار . وهكذا كانت العلاقات التجارية التي أصبحت قائمة بين شبه القارة الهندية من ناحية ، والبلاد العربية الواقعة على ضفاف الخليج العربي من ناحية أخرى سببا في الدفع بعلاقات المنطقتين الى الامام في جو يسوده الأمن والسلام .

ومما يشهد على هذا التعايش السلمي - عن طريق التجارة - ما ذكره ابن سعيد من أن كنبابية من بلاد الجزرات الهندية «مشهورة يقصدها تجار الهند ، وفيها المسلمون ولهم فيها مساجد (٤١) .كما أن مدينة جاليور كانت مدينة مشهورة عند تجار المسلمين الذين يمرون من كنبابية الى دلهي (٤٢) وقد وقف المسعودي بنفسه عندما زار مدينة صيمور من بلاد الهند سنة ٣٠٤هـ على خليط من الأجناس من بياسرة وسيرافيين وعمانيين وبصريين وبغداديين اختلطوا مع اهالى البلاد وكونوا لنفسهم نظاما خاصا يعرف بالهزمة» يراد بها رئاسة المسلمين يتولاها رجل منهم عظيم من رؤسائهم تكون احكامهم مصروفة اليه» كما التقى بمجموعة من التجار فعدد أسماءهم (٤٣) .

شكلت العلاقات التجارية إذن مظهرا من مظاهر التعايش السلمي والتعاون في العلاقات الخليجية الهندية ، ولعب التجار دورا هاما في هذا التواصل .

ب - **إختلاط الأجناس** : من المعلوم أن التجار الخليجيين الذين أبحروا الى الهند استوطنوا مع الأهالى وعاشوا معهم جنبا الى جنب ، كما أن جاليات هندية استقرت في مدن الخليج ، فتمت عمليات الزواج والمصاهرة ، مما أدى الى امتزاج اجتماعي قل نظيره ، وفي هذا الصدد ذكر المسعودي (٤٤) ان طائفة من الجنس الهندي تسمى البياسر ، وهم المولدون من أباء عرب وأمهات هنديات كانوا يتنقلون من شبه القارة الهندية وبلاد الخليج العربي ليشتغلوا في حراسة السفن (٤٥)وتم الزواج بين مختلف هذه العناصر الهندية والخليجية . وقد كان المسعودي شاهد عيان حيث قال عندما زار الهند : «وبها يومئذ من المسلمين نحو عشرة آلاف قاطنين بياسرة وسيرافيين وعمانيين وبصريين وبغداديين وغيرهم من سائر الأمصار ممن قد تأهل وقطن تلك البلاد (٤٦)

ج - **الرحلات** : ان الرحلات من بلاد الخليج الى الهند أو العكس شكلت معلما بارزا من معالم التواصل السلمي ، والعلاقات الانسانية بين المنطقتين . وقد احتفظت لنا أيادي القدر بمؤلفات كان أصحابها قد حطوا الرحال في بلاد الهند ، ومنهم سليمان التاجر السيرافي الذي زار هذا البلد سنة ٢٢٤هـ (٤٧) ، والتاجر برزك بن شهريار الذي وصل الى الهند قادما من العراق وصنف كتابه «عجائب الهند ، بره وبحره» (٤٨) .

د - **دور العلماء** : كان العلماء المسلمون من الخليج العربي يلقون بعصا التسيار في الهند ، ويتخذون من

عاليم الدين حرفة لهم احتسابا لله عالى [٤٩] كما اعتنوا بتشييد المساجد ، ووصل هذا التأثير الى حد نشأة فن خليجي ـ هندي . فالمبنى العظيم المسمى «البابن الأعظم» الذي بناه ملك مالابار في كوئل بجنوب الهند هو نموذج ناطق للطراز العربي ـ الهندي [٥٠] .

وكذلك يبرز هذا التعايش على الصعيد الثقافي في اعتناء خلافة العراق بالعلوم الهندية ، فقد كان الخليفة المنصور أول من أمر بترجمة الكتاب الهندي المعروف بالسند هانا [٥١] .

وعلى نفس المنوال استفاد علماء الهند بالثقافة العربية حين تمت ترجمة القرآن الكريم الى اللغة الهندية في عهد مهروك بن رائق ملك الوراهندوسي سنة ٢٠٧هـ [٥٢] .

وبذلك أصبحت مظاهر الثقافة المتبادلة بين بلدان الخليج العربي وشبه القارة الهندية احدى سمات التعايش السلمي والتفاعل الحضاري بين المنطقتين ولعل هذه القرائن التي اوردناها تنهض حجة على أن العلاقات الخليجية ـ الهندية لم تكن مؤسسة على القوة والغلبة كما تزعم بعض الدراسات المغرضة ، بل كانت تحمل رسالة سامية ، ويخيم عليها روح التفاهم والسلم والتواصل الحضاري .

صفوة القول هو أن العلاقات التاريخية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية علاقة عريقة زادها الاسلام قوة وتجذرا . ولم تتأسس كما أظهر ذلك البحث ـ بمحض الصدفة ، بل تحكمت فيها مجموعة من الآليات والعوامل المتشابكة التي قمنا بتحليلها فاستنتجنا حتمية تلك العلاقات بما يتماشى مع طبيعة الظرفية التاريخية في الفترة المدروسة . كما تبين من خلال هذه الدراسة أن العلاقات بين الجانبين لم تكن متسمة بالطابع العدواني والقوة والبطش كما ذهبت الى ذلك بعض الدراسات المتحاملة ، بل كانت مطبوعة بروح التعايش السلمي وتحمل خطابا وديا للشعوب التي اتصلت بها ، وهو ما يمكن أن نلمسه في تراث وآثار طرفي العلاقة والذي لا زال بعضه ماثلا للعيان الى اليوم ، وبإمكان علم الآثار والتنقيبات التي يقوم بها الباحثون المختصون أن يميط اللثام عن كثير من مظاهر تلك العلاقات ، وهو موضوع لا زال في حاجة الى البحث والتمحيص .

أ د ابراهيم القادري بوتشيش
استاذ التاريخ الاسلامي
كلية الاداب ـ جامعة المولى اسماعيل
مكناس ـ المغرب

المصادر والمراجع المستعملة في البحث

أولا : المصادر الأصلية :

١ ـ ابن الاثير عزالدين ابو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري (توفي سنة ٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ ج ٤. طبعة مصر ١٣٤٨هـ

٢ ـ ابن حوقل ، ابو القاسم محمد بن علي بن حوقل الموصلي (توفي سنة ٣٦٧هـ) صورة الارض طبعة بيروت ١٩٧٩ ـ دار الحياة .

٣ ـ ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد (توفي سنة ٨٠٨هـ) تاريخ ابن خلدون المعروف بكتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربرج ٣ طبعة بيروت ١٩٧٩ دار الكتب العلمية .

٤ ـ ابن سعيد ، ابو سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى بن عبدالملك الأندلسي (توفي سنة ٦٨٥هـ) كتاب الجغرافيا تحقيق وتعليق اسماعيل العربي طبعة بيروت ١٩٧٠ الطبعة الأولى ، المكتب التجاري للطباعة والنشر

٥ ـ الادريسي ، ابو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله الشريف (توفي سنة ٥٦٠هـ) وصف الهند ـ ماخوذ من كتاب نزهة المشتاق تحقيق احمد مقبول طبعة الهند ١٩٥٤ .

٦ ـ البلاذري ، ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي (توفي سنة ٢٧٩هـ(فتوح البلدان طبعة بيروت ١٩٧٨ ، دار الكتب العلمية

٧ ـ المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (توفي سنة ٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ طبعة مصر ١٩٤٦ (الطبعة ٤) السعادة

٨ ـ ياقوت الحموي ، ابو عبدالله بن عبدالله الرومي (توفي سنة ٦٢٦هـ) معجم البلدان الأجزاء الخمسة . طبعة بيروت (دون تاريخ) دار الكتاب العربي

ثانيا : المراجع والدراسات العربية الحديثة :

٩ ـ الألوسي ، عادل محيي الدين الصلات التجارية بين الخليج وجنوب شرقي آسيا في العصر العباسي الأول . مجلة الخليج العدد ٣ ـ ٤ سنة ١٩٨٤

١٠ـ شاخت وآخرون تراث الاسلام الترجمة العربية . طبعة الكويت (الثانية) ١٩٨٨ الجزء الأول . سلسلة عالم المعرفة ٨ .

١١ـ الشيخلي صباح ابراهيم والألوسي عادل محيي الدين تاريخ الاسلام في افريقيا وجنوب شرق آسيا . طبعة بغداد ١٩٨٩ .

١٢ـ ماجد عبد المنعم التاريخ السياسي للدولة العثمانية ، عصر الخلفاء الأمويين طبعة القاهرة ١٩٨٣ (ط ٧)

١٣- محمد كريم ابراهيم العلاقات التجارية بين عدن والهند خلال القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر الثالث عشر الميلاديين مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٣٣ سنة ١٩٨٧

١٤- المباركبوري رجال السند والهند طبعة الهند ١٩٥٨

١٥- مقبول أحمد العلاقات التجارية بين الهند والعرب مجلة ثقافة الهند مجلد ١٦ ، عدد ١ سنة ١٩٦٥ .

١٦- الندوي محمد اسماعيل تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية طبعة بيروت (دون تاريخ)

١٧- هايد تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى الترجمة العربية طبعة مصر ١٩٨٥

١٨- يعقوب بكر العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى . طبعة مصر ١٩٥٨

ثالثا : مراجع أجنبية :

19- Encyclopedie de l'Islam ed. Leyde 1913-1942, 2eme ed. Paris 1954.
20- GIBBON: The decline and fall of the Roman empire. Tome 5 London 1950.
21- Saint-Martin: Recherches sur l'histoir et la géographie de la mesene et de la characene. Paris 1833.

الهوامش

(١) فتوح البلدان طبعة بيروت ١٩٧٨ ص ٤٢٠ عبدالمنعم ماجد التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الأمويين طبعة القاهرة ١٩٨٣ ـ الطبعة السابعة ص ٢٣٣ .

(٢) انظر على سبيل المثال كتاب فتوح البلدان للبلاذري الآنف الذكر ص ٤٢٠ وما بعدها حيث نلاحظ انه يسرد الأحداث والوقائع الخاصة بفتح بلاد السند دون أن يحلل أسبابها وهذه طريقة كانت متبعة من طرف أغلب مؤرخي الفترة الوسيطية

(٣) خصص ابن خلدون لفتح السند فقرة غير طويلة ، وبنفس المقدار خصص رواية لاخبار محمد بن القاسم بالسند انظر تاريخ ابن خلدون طبعة بيروت ١٩٧٩ج ٣ ص ٦٠ وص ٦٦ .

(٤) نشر هذه الرحلة المستشرق فران سنة ١٨٨١ تحت عنوان «رحلة الى الصين والهند» ، كما نشرها المستشرق سوفاجيه تحت عنوان «اخبار الهند والصين» .

(٥) يعقوب بكر العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى . طبعة مصر ١٩٥٨ ص ٤٧ .

(٦) الشيخلي والآلوسي تاريخ الاسلام في افريقيا وجنوب شرق آسيا . طبعة بغداد ١٩٨٩ جـ ٢ ص ١٦١ .

(٧) يقول ابن خلدون بان مدينة الديبل في السند كان بها صنم كبير يعبده الأهالى ، وقد حطمه الفاتحون العرب . أنظر تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٠ .

(٨) البلاذري في فتوح ص ٤٢٠ . ابرز دور والى البحرين وعمان في التفكير في غزو السند

(٩) محمد كريم ابراهيم • العلاقات التجارية بين عدن والهند خلال القرنين السادس والسابع الهجريين (١٢ ـ ١٣م) مجلة المؤرخ العربي . ع ٣٣ سنة ١٩٨٧ ص ٢٢٥ .

(١٠) هايد تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى . طبعة القاهرة ١٩٣٥ . الترجمة العربية ص ٥٣ .

(١١) ياقوت معجم البلدان ، طبعة بيروت (دون تاريخ) ج ١ ص ٣٤٧ .
(١٢) معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٥٠ .
(١٣) انظر مثلا وصفه لاشبيليه · نفس المصدر حـ ١ ص ١٥٠ .
(١٤) ابن حوقل صورة الأرض . طبعة بيروت ١٩٧٩ ص ٢٧٧ .
(١٥) نفســـه ص ٢٧٨ .
(١٦) نفســـه ص ٢٧٩ .
(١٧) نفســـه ص ٢٨٠ .
(١٨) الندوي · تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية ، طبعة بيروت (دون تاريخ) ص ٤٣
(١٩) ابن حوقل م. س. ص ٢٧٩
(٢٠) نفس المصدر والصفحة .
(٢١) كتاب الجغرافيا المعروف ببسط الأرض طبعة بيروت ١٩٧٠ تحقيق اسماعيل العربي ص ١١٩ .
(٢٢) نفس المصدر والصفحة .
(٢٣) ياقوت م. س. ج ٤ ص ١٥٠ .
(٢٤) ابن خلدون م س ص ٦١
(٢٥) الادريسي وصف الهند وما يجاورها من البلاد تحقيق مقبول احمد طبعة الهند ١٩٥٤ ص ٤١

ابن الأثير الكامل في التاريخ . طبعة مصر ١٩٤٨ ج ٤ ص ١١٢ .
(٢٦) ابن سعيد م. س. ص ١٠٧
(٢٦) مكرر ن. م. هـ ٣٠ من مقدمة التحقيق
(٢٧) هـــايد : م س. ص ٤٣ .
(٢٨) Saint-Martin : Recherchessur l'histoire et la ge´ographie de la mecene et de la characene . Paris 1833. P 54.
(٢٩) هـــايد م. س. ص ٤٤
(٣٠) النـــدوي : م. س. ص ١٦٨ .
(٣١) الشيخلي والالوسي م. س. ص ١٦٩ . ويستثنى من هذا التعميم بعض الكتاب الهنديين من امثال الندوي المشار اليه في الهامش السابق وكذلك جواهر لال نهرو في كتابه لمحات من تاريخ العالم .
(٣٢) انظر عن بعض المدن التي فتحت صلحا بأرض السند عند البلاذري م. س. ص ٤٢٥ .
(٣٣) نفسه ص ٤٢٠ ـ عبدالمنعم ماجد م. س. ص ٢٣٣
(٣٤) نفســـه ص ٤٢١ .

(٣٥) الشيخلي والالوسي م. س. ص ١٦٣

(٣٦) GIBBON : The Decline and Fall of the Roman Empire London 1950. Tome 5 P 388.

(٣٧) شاخت تراث الاسلام طبعة الكويت ١٩٨٨ ص ١٩٦ .

(٣٨) هو احد اقرباء الحجاج بن يوسف ولم يكن يتجاوز السابعة عشرة من عمره انظر عنه
L'Encyclope'die del L'Islam . T : 3 P 717-718

(٣٩) اسماعيل العربي مقدمة كتاب الجغرافيا لابن سعيد ص ٣١

(٤٠) شاخت م. س ص ١٩٥

(٤١) ابن سعيد م س ص ١٢٠

(٤٢) نفس المصدر والصفحة

(٤٣) المسعودي مروج الذهب طبعة مصر ١٩٦٤ ج ١ ص ٢١٠

(٤٤) نفس المصدر والصفحة

(٤٥) احمد مقبول العلاقات التجارية بين الهند والعرب مجلة ثقافة الهند مجلة ١٦ عدد ١

(٤٦) المسعودي م س ص ٢١٣

(٤٧) اسماعيل العربي م س ص ٣٣

(٤٨) الشيخلي والالوسي م س ص ١٥٣

(٤٩) نفسه ص ١٤٦ .

(٥٠) المباركبوري رجال السند والهند في القرن السابع طبعة الهند ص ٢٩٥

(٥١) اسماعيل العربي م. س ص ٣٢

(٥٢) الشيخلي والالوسي م س ص ١٧٥

معارك البحرية العثمانية ضد البحرية البرتغالية في الخليج العربي

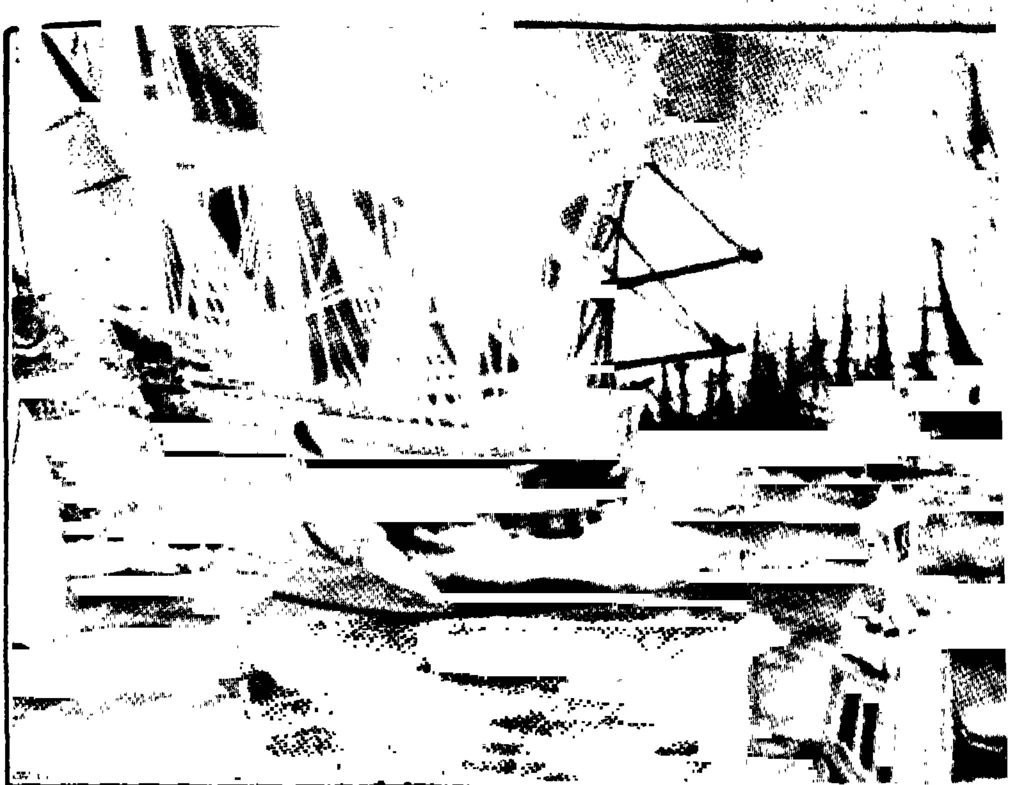


بقلم : الدكتور

فالح حنظل (الامارات)

لا تقتصر أهمية الخليج العربي على يومنا هذا ، أي عصر البترول المستخرج من مياهه وأراضيه ، ولكن أهميته ترجع الى قرون قديمة ، وهي بالدرجة الأولى أهميته التجارية والاقتصادية .

فالخليج العربي وسيلة من وسائل الاتصال الرئيسية بين الشرق والغرب ، وفيه امتزجت الحضارات وتبودلت التجارات فهو الذراع



البحرية للمحيط الهندي الذي تنقل تجارة الشرق إلى الغرب ، وتشاركه الذراع البحرية الأخرى وهي البحر الاحمر الذي يتساوى معه في الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية ، فهما وسيلتا الاتصال بين أوروبا والشرق .

لقد كانت طرق التجارة البحرية العالمية التي تنقل تجارة الشرق الى الغرب تمر من الممرين المائيين العربيين الكبيرين وهما طريق الخليج العربي ، فنهر الفرات ثم إلى سواحل البحر المتوسط أو طريق البحر الأحمر ثم خليج السويس ومنه إلى سواحل البحر المتوسط ، وقد تمثلت تجارة العالم القديم الرئيسية مع الشرق بالبضائع الهندية وخاصة التوابل التي كان الأوروبيون يستعملونها لتطييب الطعام وحفظه من التلف أيضا .

وإلى أوائل القرن السادس عشر للميلاد كانت الفعاليات التجارية وعمليات نقل البضائع الهندية من موانئها في سواحل الهند الغربية المواجهة للبلاد العربية ، وكذلك

عمليات التجارية كالبيع والشراء والمقايضة ومعاملات التسويق وغيرها من الشئون التجارية تقوم بها الدول العربية والاسلامية التي تطل سواحلها على الخليج العربي وجنوب شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر .

فبالنسبة لطريق الخليج العربي كانت حكومة جزيرة هرمز التي تقع في مدخل الخليج تحتل بعض الاجزاء الساحلية من عمان والبحرين وسواحل القطيف والأحساء ، وهي بذلك كانت تسيطر ايضا على خطوط الملاحة التجارية وحركة السفن وشئون الجمارك وغيرها من الامور التجارية للسفن التي تاتي بالبضائع الهندية من موانئها فتمر من مدخل الخليج العربي حيث تقع هرمز ، وتتوقف في (جلفار) رأس الخيمة والبحرين والأحساء ثم إلى البصرة التي كانت تشكل مركز تجارة الهند في شمال الخليج ، وكانت ايضا مركز تجمع للسفن لتدخل بعدها إلى نهر الفرات في الأراضي العراقية ثم نهر الفرات في الأراضي السورية ، حيث تنزل الأحمال هناك ، ويعاد تحميلها على ظهور الركائب إلى الموانىء العربية في ساحل البحر الأبيض المتوسط ، ليعاد بيعها هناك إلى السفن الأوروبية التي تنقلها إلى أوربا لتباع هناك .

أما الطريق البحري الأكثر أهمية من طريق الخليج العربي ، فهو الطريق الذي يمر بالقرب من سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية أي موانىء عمان واليمن الجنوبية ، ثم يدخل مضيق باب المندب حيث سواحل اليمن الشمالية ، ثم موانىء السودان والحجاز الى أن يصل الى خليج السويس حيث ترسو السفن هناك لتفرغ حمولتها وتنقلها على ظهور الركائب الى ميناء الاسكندرية لتقوم حكومة مصر ببيعها إلى تجار حكومة البندقية الأوربية .

أما الوضعية السياسية التي كانت عليها دول المنطقة قبل أن تتفتح أعين الدول الاوربية على انتزاع تلك التجارة من يد العرب والمسلمين ، أي قبل وصول البرتغاليين إلى الهند عام ١٥٠٢ م فقد كانت كما يلي :

كانت في هرمز حكومة محلية تخضع سياسيا إلى دولة فارس ، وكانت تسيطر على مدخل الخليج العربي وبعض سواحل عمان وبعض أجزاء الساحل العربي أيضا .

أما عمان ، فقد كانت الصورة السياسية لتلك الدولة غير واضحة ، إذ آن دخول البرتغاليين إلى مدن خورفكان ومطرح ومسقط وغيرها من مدن عمان وسقوطها بيد (أفونسو البوكيرك) القائد البرتغالي عام ١٥٠٣ ، هذا الحدث الكبير لم نجد له تاريخا في مصادر التاريخ العماني ،

إذ كل ما ذكره العمانيون ، هو أن عمان كان يحكمها الإمام محمد بن اسماعيل الاسماعيلي الذي تولى الإمامة من عام ٩٠٦ هـ - ١٥٠٠ م إلى عام ٩٢٤ هـ - ١٥٢٥ م .(١)

اما البحرين فقد كانت زعامتها بيد أمير عربي هو الامير مقرن بن أجود بن زامل الجبري، زعيم قبائل الجبور أو (بني جبر) وهي التي كانت تسود وتحكم في البحرين وساحل القطيف ويمتد نفوذها الى مسقط وخورفكان ، حيث يفهم من مذكرات القائد البرتغالي (أفونسو البوكيرك) أن الحكام العرب الذين تصدوا له وقاتلوه هناك كانوا من بني جبر .(٢)

أما العراق فقد كانت تحت سلطة (آق قوينلو) إلا أن البصرة كانت تحت حكم حكومات عشائرية محلية لآل المشعشع وآل عليان الى أن آل أمرها إلى الأمير راشد بن مغامس فيما بعد والذي امتد نفوذه إلى ساحل الأحساء أيضا .

أما الدول العربية التي كانت تسيطر على طريق البحر الأحمر ، فان اليمن بشطريه الشمالي والجنوبي كان تحت ظل الدولة الطاهرية التي كان آخر ملوكها السلطان عامر بن عبدالوهاب الطاهري والذي كان ينازعه على العرش والسلطة الامام شرف الدين يحيى بن شمس الدين الزيدي .(٣)

وكان ميناء عدن يشكل مركزا مهـ[ـما] تتوقف فيه السفن العربية وخاد[...] المصرية التي تنقل تجارة الهند [...] اوروبا .

أما الحجاز فقد شكل ميناء [جدة] مركزا تجاريا أيضا ، وكانت الحكو[مة] القائمة هناك برئاسة الشريف بركات بن محمد أمير مكة الذي كان خاضعا لحكومة مصر المملوكية .

أما مصر ، وهي الدولة الاولى المستفيدة من تجارة الهند ، فقد كانت تحت حكم دولة المماليك البحرية وكان الحاكم آنذاك هو السلطان قانصوه الغوري ، الذي كان يمتد نفوذ دولته إلى الشام والحجاز وكانت مصر قد دخلت في اتفاقيات تجارية مع دولة البندقية لتصريف البضائع الهندية في أوربا وخاصة تجارة التوابل الثمينة . كما كانت مصر قد تعاقدت أيضا مع أمراء ساحل الكجرات الهندي الشمالي وساحل المالبار الهندي الجنوبي ، وكلهم مسلمون ، على احتكار القسم الأكبر من تلك التجارة . إلا أن تمكن البرتغاليين من الوصول الى الهند ، فتح شهيتهم وحرك مطامعهم إلى غايتين

الاولى اقتصادية بحتة ، الا وهي السيطرة على مصادر ثروة العالم آنذاك وهي تجارة توابل الهند ، مما أدى الى أن تعمل على السيطرة على الممرين العربيين العظيمين : الخليج ،

و البحر الأحمر ، أما الغاية الثانية فقد كانت تبشيرية محضة ، ووسيلتها الاتصال بمملكة القديس يوحنا أي الحبشة والتنسيق معها لضرب القوى الاسلامية في المنطقة ، ويكاد المرء يعجز عن وصف مظاهر الحقد الهائل الذي حمله البرتغاليون في قلوبهم لكل ما هو عربي ومسلم وهو يفتحون ممالك العرب والمسلمين ابتداء من المغرب العربي وانتهاء بحكومات الأمراء الهنود لذلك ما إن حل عام ١٥٠٥ م حتى صارت البرتغال تجني الحاصل الطيب من وصولها إلى الهند ، فقد تمكنت من احتكار أغلب تجارة الهند بعد أن أخضعت حكامها بالقوة مما دفع بالملك البرتغالي (عمانويل الثاني) الى أن يقرر احتلال الساحل الغربي للهند ، فكانت الحملة العسكرية التي وصلت إلى الهند يوم ١٣/٩/١٥٠٥ م بقيادة (دوم فرانسيس دي الميدا) الذي أعلن نفسه نائبا لملك البرتغال هناك .[٤]

لذلك فقد انهالت رسائل ملوك الهند والعرب على سلطان مصر قانصوه الغوري لانقاذهم من هذا الخطر ، وانقاذ مصر أيضا التي تهددت في صميم اقتصادها واحتمال انهيار تجارتها وفقدان سمعتها التجارية والدولية ، لذلك فقد خرجت الحملة المصرية الأولى لقتال البرتغاليين في الهند بقيادة الأمير حسين الكردي ، الذي تمكن من إنزال هزيمة بالقوات البرتغالية في معركة (شول) عام ١٥٠٧ م .[٥]

وعلى إثر تلك الهزيمة ، قرر الملك البرتغالي إرسال حملة عسكرية كبرى إلى البلاد العربية لاخضاعها ، فكانت حملة (أفونسودي البوكيرك) التي تمكنت من احتلال هرمز ومدن الساحل العماني ، وقد أدى هذا الاحتلال إلى أن يقع الخليج العربي في قبضة البرتغاليين ، ولكي يتم (البوكيرك) أحكام الحصار والطوق العسكري على مصر التي كانت تتهيأ لحملة عسكرية ثانية ، فإنه قرر القيام بمغامرة عسكرية وهي احتلال عدن ، ثم التقدم بسفنه نحو باب المندب واحتلال جدة وبعد ذلك يقوم بشن هجوم على المدينة المنورة ويقوم بنبش الرفاة الطاهر للرسول الأعظم ﷺ ويأخذ التراب الشريف ، فاذا تم له هذا قايض به كنيسة القيامة في القدس وطلب مليون متطوع أوربي ليأتوا الى منابع النيل ويحولوا مجراه بحيث يصب في البحر الأحمر وبذلك تموت مصر .

لذلك فقد غادر (البوكيرك) الهند يوم ٢٨/٢/١٥١٣ م بحملة عسكرية كبرى لتنفيذ غرضه المجرم هذا ، الا أنه مني بهزيمة عسكرية كبرى أمام أسوار عدن أنزلها به حاكم المدينة الأمير مرجان الظافري ، وعندما توجه

الى الحجاز لتنفيذ غرضه الخبيث الثاني ، أنزلت به السماء هزيمة أكبر إذ حطمت الرياح سفنه على صخور جزيرة كمران بالقرب من سواحل اليمن الشمالي كما ظهر له لهب في السماء أرعب جنوده وأجبره على الانسحاب .(٦)

لذلك فقد قررت القياة العسكرية البرتغالية أن تتخذ استـراتيجية عسكرية جديدة في المنطقة وذلك بأن تقوم باحكام قبضتها على هرمـز ومناطق الخليج العربية الأخرى ، وأن تـراقب وتهـاجم السفن المصريـة واليمانية من قواعد بحرية تقيمها في جزيرة سقطرة وموانىء الحبشـة والساحل الأفريقي الشرقي ، وقد نجحت تلك الخطة إلى حد كبير في التأثير في الأوضاع الاقتصادية في كل من اليمن ومصر بحيث لم يبق مجال امام سلطان مصر قانصوه الغوري الا أن يأمر بتشكيل حملة عسكرية ثانية بقيادة الأمير حسين الكردي لقتال البـرتغاليـين وقد خـرجت الحملة المصرية الثانية من القاهـرة يوم ٢٠/٨/١٥١٥ م .(٧)

إلا أن أمورا جساما وقعت في العالم الاسلامي آنذاك بحيث غيرت الخارطة السيـاسية فيـه وخلطت الأوراق وقلبت المقاييس ، وذلك أن قوتين اسلاميتين كانتا قد ظهرتا على مسرح الأحداث في تلك الحقبة من التاريخ ، وهي قيام الدولة الصفوية ايران عام ١٥٠٢ م بقيادة مؤسس الشاه عباس الصفوي ، وامتداد تـ الدولة إلى العراق ، أما القوة الثا فقد تمثلت في اعتلاء السلطان سل بن السلطـان بايـزيـد العثما والمعروف باسم (ياووز سلطان) ا السلطان المهول ، للعرش العثماني عام ١٥١١ م .

وبدلا من آن تتوحد القوتان مع القوة الاسلامية الثالثة وهي قوة مصر المملوكية ، لمحاربة البرتغاليين الذين راحـوا يعيثون فسـادا في المياد الاقليمية العربية ويقاتلون السفن العـربيـة والاسـلاميـة ويحتلـون السواحل العربية والاسلامية ، فإن حـروبا نشبت بـين تلك الممـالك الاسلامية ، إذ أنزل السلطان سليم العثماني هزيمة بالشاه اسماعيل الصفوي في معركة (جالديران) عام ١٥١٤ م ودخل عاصمته (تبريز) وفي عام ١٥١٦ م أوقع هزيمة مماثلة بسلطان مصر قانصوه الغوري في معركة (مرج دابق) ودخل عاصمته القاهرة وقضى على دولة المماليك البحرية وأعلن قيام الدولة العثمانية في مصر .(٨)

فماذا كانت النتائج السياسية لتلك الحروب والخلافات الاسلامية ؟

كانت نتيجتها أن الشاه اسماعيل الصفـوي الذي كـان يتقرب من

برتغاليين سابقا لمساعدته في الوقوف ضد العثمانيين ، عقد معاهدة صلح وتعاون معهم ، مما أعطاهم حقا ثابتا في أن تكون هرمز قاعدة عسكرية وتجارية صرفة لهم ، بحيث قام البرتغاليون فيما بعد بمساعدة ملك هرمز ضد ثورة البحرين التي قام بها الأمير مقرن بن أجود ومصرعه على يد القائد البرتغالي (أنطونيو كوريا) عام ١٥٢١ م ، كما قاموا بإخضاع عرب عمان عندما ثارت مدن مسقط وقريات وصحار ضد التسلط الهرمزي - البرتغالي .

أما في مصر فقد أثر سقوطها بيد العثمانيين ، في الحملة المصرية الثانية التي كانت متوقفة آنذاك في عدن لتأخذ طريقها إلى الهند لمقاتلة البرتغاليين هناك ، إذ ما أن وصل خبر مقتل السلطان قانصوه الغوري وسقوط القاهرة بيد العثمانيين حتى غادر الامير حسين الكردي القائد العام للحملة المصرية الموجودة في اليمن مقره وقفل عائدا إلى القاهرة ، الا أنه أغتيل في الحجاز ، وكان مصير القوة المصرية أن انقسمت إلى قسمين ، قسم بقي يؤيد النظام المملوكي السابق ، وقسم أعلن الولاء والبيعة للنظام العثماني الجديد ، ثم لم يلبث أن تفاقم الأمر أكثر عندما انقسمت كتائب الحملة إلى قسمين أخرين واحد يؤيد سلطان اليمن عامر بن عبدالوهاب الطاهري ، وأخر يؤيد الامام الزيدي المنشق في اليمن الشمالي ، ثم آل الأمر في نهايته إلى أن انقلبت قوات تلك الحملة الى عصابات تعيث في اليمن فسادا فقتلت ملكها السلطان عامر بن عبدالوهاب الطاهري ، وقسمت اليمن الى قسمين شمالي يتمذهب بالمذهب الزيدي ، وجنوبي يتمذهب بالمذهب الشافعي . وإزاء تلك المصائب لم يكن امام الأمير عامر بن داود الطاهري وهو ابن أخ السلطان القتيل الا أن يعقد صلحا مع البرتغاليين .[٩]

وأمام فساد تلك الأوضاع في اليمن وانتشار الفوضى فيها وتفاقم الخطر البرتغالي في جنوب شبه الجزيرة العربية والتحالف الصفوي البرتغالي في الخليج ، علاوة على قيام شيخ البصرة راشد بن مغامس بالخضوع للبرتغاليين هناك ، فما كان من السلطان العثماني سليمان القانوني الذي كان منشغلا بقتال الدول الأوربية في أوربا ومقاتلة الاسبان في الجزائر ، ودعم الحركات الوطنية المغربية ، الا أن ينظر في امر البرتغاليين بجدية اكثر فقرر أن يقوم والي مصر سليمان باشا الخادم باحتلال عدن واعلان حكم السلطنة العثمانية في اليمن ، ثم الخروج إلى الهند لمقاتلة البرتغاليين هناك .

فقام سليمان باشا الخادم بتنفيذ

أوامر الباب العالي واحتل عدن عام ١٥٣٨ وقطع راس أميرها عامر بن داود الطاهري بحجة تعاونه مع البرتغاليين ، وأعلن ان اليمن بشماله وجنوبه خاضع للسلطان سليمان القانوني ، ثم ذهب إلى الهند وقاتل البرتغاليين هناك ولكن بدون أن يحرز عليهم نصرا حاسما وعاد الى القاهرة عـام ١٥٤٠ م ، وبعـدهـا اكتفت الحكومة العثمانية بأمور الدفاع عن اليمن والبحر الأحمر ضد احتمالات التدخل البرتغالي هناك .

اما بالنسبة للنشاطات العثمانية في العراق والخليج العربي فان بغداد كانت قد سقطت بيد العثمانيين قبل عشرة أعوام تقريبا ، إلا أن انشغال العثمانيين بساحات القتال في أوروبا وشمالي افريقيا جعلتهم غير مكترثين بولايات العراق النائية ومنها ولاية البصرة ، هذه الولاية التي كما اشرنا سابقا كانت بزعامة حكومة محلية يرأسها راشد بن مغامس الذي أعلن الولاء للبرتغاليين ثم لم يلبث أن أعلن ولاءه إلى الحكومة العثمانية ، إلا أن العثمـانيين ورغم أهميـة البصرة بالنسبة لأعدائهم الفرس الصفويين والبرتغاليين ، لم يضعوا في أول الامر الثقل الواجب وضعه في البصرة بل اكتفوا بالاعتراف بسلطة راشد بن مغامس هناك بشرط أن يقوم بسك النقود التركية ، وان يخطب بالجوامع للسلطان العثماني . لذلك فان شيوخ القبائل المتنفذة في منطقة البصرة استخفوا بحكومة السلطان العثماني في بغداد وعمدوا إلى قطع العلاقة به واتباع وسائلهم القبلية في معالجة أمورهم ، لذلك فقد أصبحت البصرة مـركزا للشيـوخ العصاة وقطـاع الطرق .

فلما بلغت الدولة العثمانية الأنباء المقلقة عن اضطراب الأمن في البصرة قرر اياس باشا والي بغداد أن يجهز حملة لتعيد هيبة الحكومة . فخرجت الحملـة عام ١٥٤٦ م وأخضعت القبائل المنتشرة بين بغداد والبصرة وفي عام ١٥٤٩ حاول الشيخ علي آل عليان شيخ مشايخ منطقة الجزائر ان يقوم بثورة لكن والي بغداد (تمرد على باشا) آرسل جيشا انكشاريا بقيادة (محمد باشا البلطجي) وتمكن من القضاء عليه .[١٠]

إلا أن المصادر العربية والعثمانية والبرتغالية لم تزودنا بتفاصيل دقيقة وجيدة عما حصل بعد ذلك من احداث ، إذ يبدو أن القوات العثمانية اندفعت من البصرة جنوبا واحتلت أيالات واسعة على ساحل الأحساء ووصلت الى قطر ، بحيث كونت ثماني أيالات أو سناجق .[١١]

إلا أن أحد حكام البصرة من الذين تضرروا من دخول الحملة التركية إلى المدينة ، ولعله علي آل عليان أو راشد بن مغامس كان يكاتب البرتغاليين

ءارضا عليهم مساعدته في انتزاع البصرة من العثمانيين وموافقته على بناء قاعدة بحرية برتغالية هناك ، واضعا مقاتليه في خدمتهم .(١٢)

كان حاكم الهند البرتغالي هو (دوم الفونسودي نورونها) قد استلم رسالة شيخ البصرة الذي يطلب مساعدته ، كما وصلته رسالة مماثلة من الأمير علي بن حسين الطوالقي وهو أحد أمراء اليمن الذى تمكن من الدخول إلى عدن وطرد الحامية التركية الموجودة هناك منها ، يطلب مساعدته لتثبيت ملكه هناك كما تواترت الأنباء أن الأتراك يحشدون حشدا عظيما لمقاتلة البرتغاليين في الخليج والبحر العربي لذلك فقد قرر (نورونها) ان يجهز حملتين عسكريتين . واحدة تذهب الى اليمن والثانية إلى الخليج وكانت حملة اليمن بقيادة (لويس فاغوريا) الذي التقى بسفن عربية تعود الى أهالي منطقة ظفار في عمان اشتبكت معه وقاتلته وأوقعت هزيمة بسفنه فهرب من المعركة الى الحبشة .

أما حملة الخليج العربي فقد كانت بقيادة ابن أخيه (دوم انطونيو دي نورونها) ويبلغ تعددا سفنها تسع عشرة سفينة ، على ظهرها ألف ومئتا جندي برتغالي ، وعندما وصلت السفن إلى هرمز قام الحاكم الهرمزي بتزويدها بثلاثة آلاف مقاتل هرمزي .

كانت حامية القطيف التركية مكونة من (٤٠٠) رجل فقط ، وقد قاتلوا بشجاعة وأهلكوا أربعين برتغاليا ، إلا أن الحصن العثماني استسلم في اليوم الثاني وتم دكه وتهديمه ، وتقول المصادر التركية إنه استسلم بعد ثمانية أيام . ثم اصدر (نورونها) أوامره إلى سفنه بالتوجه نحو البصرة ، وهناك وجد أن (باشا البصرة) لم يكن قد أجرى استعدادات لقتاله بل طلب عدم القتال والانسحاب من البصرة . أما ماذا دار بين القائدين من حديث وما هو سبب انسحاب نورونها .؟

فتقول المصادر البرتغالية . إن باشا البصرة الماكر خدع نورونها بأن أبلغه بأنه موجود في البصرة لغرض الاتفاق مع الشيخ المخلوع على صيغة تفاهم وتعاون وأنه لا يرغب بمقاتلته بل إعادته الى سلطته ... ولهذا عاد (نورونها) إلى هرمز .

أما المصادر التركية فتقول : إن (بيلربي البصرة) قد طبق خطة ذكية لتفادي هذا الهجوم بحيث جعل القائد البرتغالي يعتقد بأن الأتراك والعرب قد شكلوا حلفا ضد البرتغاليين الأمر الذي جعل (نورونها) يقرر الانسحاب الي هرمز .(١٣)

وبعد تلك الاحداث فإن كلتا قيادتي القوات البرتغالية والعثمانية راحت تعمل لترسيخ أقدامها أكثر في الخليج العربي فقد قامت السلطات

البرتغالية في هرمز بتقوية دفاعات مدينة مسقط وجلفار وغيرهما ، أما رد الفعل العثماني على هذه الحملة البرتغالية فقد تمثل في ان الباب العالي اصدر أوامره الى (قيودان مصر) أي قائد القوات البحرية التركية العاملة هناك ، وهو القائد المحنك (بيري بك) ويعرف ايضا باسم (بيري بك ريس) بالتوجه نحو الخليج العربي ومقاتلة البرتغاليين . وفي أوائل عام ١٥٥٢ م أقلع (بيري بك ريس) ومعه خمس وعشرون سفينة مدمرة كبيرة واربع سفن اسبانية من نوع الغالون ، وسفينة نقل جنود ضخمة ، أما عدد افراد القوة المقاتلة فقد كان ألفا وستمائة مقاتل ، وفي ٦/تشرين نوفمبر الثاني/١٥٥٢ علم (بيلربي البصرة قباد باشا) ان (بيري بك ريس) سيقوم باحتلال هرمز ، ثم البحرين بشكل يؤمن حماية البصرة .

ولما وصلت انباء حركة أسطول بيري بك إلى مسامع (دوم الفارو دي نورونها) الحاكم العسكري البرتغالي في هرمز ، قرر أن يتصدى له في عرض البحر ، أي قبل وصوله إلى مسقط أو هرمز فأوعز الى القائد (سايمو دي كوستا) أن يخرج بأسطوله للتفتيش عن الاسطول التركي وصد تقدمه .

ولما التقى الاسطولان تمكن بيري بك من تحطيم الاسطول البرتغالي وإغراقه ، فأصبح الطريق مفتوحا أمامه إلى مسقط .

وقفت سفن الاسطول العثماني أمام قلاع مسقط القوية وفتحت نيرانها الشديدة لمدة ثمانية عشر يوم إلى أن استسلم قائد القلعة الكابتن (جواو دي لزبو) فأخذه بيري بك ومعه ستون أسيرا برتغاليا ، ثم ترك مسقط بدون أن يترك فيها حامية تركية ، ولم يستثمر الفوز بتسليم حصونها الى أمراء عمان العرب ، بل اكتفى باخذ مدافع المدينة ثم توجه نحو هرمز لمقاتلة البرتغاليين هناك .

كان القائد البرتغالي في هرمز (دوم الفارو دي نورونها) ومعه حامية برتغالية يبلغ تعدادها تسعمائة جندي ، وعندما وصل (بيري بك) إلى الجزيرة فانه أمر جنوده بالنزول بعيدا عن القاعدة البرتغالية ، ثم أمر بانزال بطاريات مدافعه من السفن ، وبعد ان أحكم الحصار على القاعدة البرتغالية باشر باطلاق نيران مدافعه واستمر الحصار لمدة شهر ، الا أن المدافعين صمدوا في القلعة لذلك فقد قرر (بيري بك) فك الحصار والانسحاب الى (جزيرة القسم) حيث راح يتصل من هناك بتجار هرمز ليجمع منهم النقود والأتاوات ، ثم أبحر الى البصرة .

وعندما كانت تلك الأحداث دائرة فإن حاكم الهند (دوم أفونسو دي نورونها) قرر الاسراع لنجدة حامية هرمز ، وعندما وصل إلى مدينة (ديو) الهندية في شهر سبتمبر من عام

١٥٥ م وصلته معلومات تفيد ان
ري بك قد فك الحصار عن هرمز وانه
تحل إلى البصرة فقرر عدم الذهاب
فسه ، فأوكل المهمة إلى (أنطونيو
دي نورونها) الذي أسرع إلى هرمز
ثنتي عشرة سفينة ضخمة وثمان
وعشرين مدمرة خفيفة .

وفي البصرة التقى (بيري بك) بالوالي التركي (قباد باشا) فوقع خلاف بين الرجلين بسبب ما اشيع عن استيلاء (بيري بك) على أموال تجار هرمز ومقايضة الأسرى البرتغاليين بمبالغ كبيرة من المال ، لذلك فقد ترك(بيري بك) البصرة عائدا بثلاث سفن إلى السويس ، وهناك وجد ثلة من الجند في انتظاره ، وتم اعتقاله ووجهت اليه تهمة التلاعب بأموال الدولة وعدم تنفيذ الواجبات العسكرية التي عهدت اليه بصورة جدية وتم إعدامه عام ١٥٥٣ م .

لم تكن هذه الحادثة نهاية لمحاولة العثمانيين في السيطرة على الخليج العربي ، الا أن جهودهم حتى تلك الفترة لم تتجاوز سيطرتهم على الساحل الممتد من البصرة ، إلى القطيف ، لذلك فقد صدرت أوامر الباب العالي إلى القائد (مراد بك ريس ان يذهب الى الخليج العربي لاعادة سفن الاسطول التركي الذي تركه بيري بك هناك) ولا توجد لدينا تفاصيل دقيقة عن الحملة التركية هذه ، وهي على الاغلب حدثت عام ١٥٥٢ م ، لكن المصادر التركية والبرتغالية تقول إن الحملة التركية تكونت من خمس عشرة سفينة ، وتقول المصادر البرتغالية إن (مراد بك) هذا هو القائد الذي خسر منطقة القطيف في إحدى معاركه ضد البرتغاليين لذلك فقد كان متشوقا جدا للقتال ضدهم ، فلما شعرت السلطات البرتغالية بحركة الاسطول الذي خرج من البصرة اصدرت الأوامر الى القائد (دوم دييكو دي نورونها) بالتصدي له ، فالتقى الاسطولان قرب السواحل الفارسية ونشبت معركة بينهما ، وخلال المعركة هبت عاصفة بحرية شتت شمل الاسطول البرتغالي وأوشكت إحدى سفنه أن تقع فريسة للقوات العثمانية ، لذلك فقد قرر القائدان العثماني والبرتغالي العودة إلى قواعدها .

وصلت أنباء اخفاق (مراد بك) بانزال هزيمة بالبرتغاليين والخروج بالاسطول التركي المحاصر في البصرة ، إلى مسامع الباب العالي لذلك فقد أصدر أوامره إلى القائد التركي (سيدى على ريس) والمعروف أيضا باسم (علي بك شلبي) القائد العام للقوات البحرية العثمانية في مصر أن يذهب إلى البصرة عن طريق البر ، وعليه أن يقوم هناك بقيادة أسطول بيري بك ، والخروج به في الخليج

العربي وإعادته إلى مصر .

ويبدو من سير المعارك التي حدثت فيما بعد أن أوامر الباب العالي (لسيدي علي ريس بك شلبي) كانت تنص على عدم التعرض للقواعد العسكرية البرتغالية في الخليج ، أو مهاجمة هرمز أو الاصطدام بالاسطول البرتغالي ، بل يكون واجبه انقاذ سفن الاسطول المحاصرة في البصرة .

وصل القائد الجديد إلى البصرة في شهر شباط من عام ١٥٥٣ ، وكان والي البصرة مصطفى باشا يعاني من مشاكل وثورات داخلية يقودها شيوخ آل المشعشع وآل عليان ، فساعده على استتباب الأمن ، ثم أجرى صيانة عامة على الاسطول التركي وأجرى التدريبات اللازمة ، وفي أوائل شهر تموز من عام ١٥٥٣ غادر بأسطوله البصرة وتمكن من تفادي الاصطدام بالسفن البرتغالية وخرج من فم الخليج العربي .(١٤)

الا أن السلطات البرتغالية شعرت به ، وكان أسطول هرمز آنذاك بقيادة (دوم فرناندو دي نورونها) موجودا في منطقة ظفار العمانية ، فكمن هناك للاسطول العثماني والتقى به يوم ١٥٥٣/٨/٢٥ بالقرب من مسقط ، وهناك حدثت معركة شديدة بين الطرفين ، فقد فيها الطرفان عددا كبيرا من سفنهما ، واضطر الإثنان فيما بعد إلى التوقف عن القتال بـ[...] الخسائر الكبيرة فانسحب (د[...] نورونها) نحو مسقط أما سيدي [...] شلبي فقد قرر التوجه بما لديه [...] سفن نحو اليمن ، الا أن ريـ[...] شديدة هبت عليه ودفعت بسفنه [...] الساحل الفارسي في منطقة (سورا[...]) حيث تصدت له هناك عدة سفن برتغالية حطمت البقية الباقية من أسطوله ، بحيث لم يبق لديه إلا سفينة واحدة على ظهرها خمسون مقاتلا هرب بهم إلى ساحل (الكجرات) الهندي وهناك طلب حماية الحاكم المسلم ، ثم غادر البلاد على ظهور الخيل ومر بمعظم بلاد الهند ثم فارس وبغداد ولم يصل إلى إسطنبول الا في عام ١٥٥٧ م .

وعلى كل حال فان الخليج ظل مفتوحا للبرتغاليين ، لأن العثمانيين حتى هذه الفترة لم تكن لديهم قوة بحرية كافية في البصرة لمقاتلتهم ، ففي بعض المصادر جاء أن حملة قادها (دوم الفيرو دي سلفيرا) حاولت عام ١٥٥٦ م أن تحتل البصرة ، لكن العواصف دفعتها بعيدا عن شط العرب .(١٥)

الا أن عام ١٥٥٩ م شهد تحركا عثمانيا عسكريا جديدا في الخليج . إذ قام (بيلربي البصرة) مصطفى باشا باعداد حملة عسكرية ليهاجم بها القاعدة العسكرية البرتغالية في البحرين .

ويسود الغموض تفسير الدافع رئيسي لهذه الحملة ، بين قائل إنها نت رغبة شخصية من مصطفى شا لتوسيع نفوذه إلى البحرين ، بين قائل إنها كانت بأمر الباب العالي الذي لبى نداء حاكم البحرين لنجدته ، كما تختلط التعريفات في شخصية (مراد بك) الذي كان حاكما في البحرين هل هو ممثل لحكومة هرمز البرتغالية ، أم هو فارسي ، أم والٍ تركي..؟

إن المصادر البرتغالية تقول إنه فارسيٌ ويمثل حكومة هرمز في البحرين ، بينما تقول المصادر التركية إنه والٍ تركي على البحرين . وعلى كل حال فقدً تشكلت الحملة من أكثر من سبعين سفينة بين مقاتلة وناقلة جنود عليها (١٢٠٠) جندي ، وفي ١٣/ رمضان / ٩٦٦ هـ توقفت الحملة أمام قلعة البحرين وحاصرتها . وتقول المصادر البرتغالية إن (الريس مراد) والي البحرين الهرمزي أرسل نداء مستعجلا إلى (أنطونيو دي نورونها) حاكم هرمز ، الذي امر بتجهيز حملة بقيادة أخيه (دوم جوادي نورونها) لمقابلة الاتراك ويقول البرتغاليون إن عدد سفن الحملة كانت عشرا ، أما العثمانيون فيقولون إثنين وعشرين وقد وصلت القوة البرتغالية إلى مشارف البحرين يوم ٢٦/ رمضان وهناك اشتبك الطرفان في الحرب ، حيث قام (محمد بك) الذي كتب وثيقة الحرب هذه ، وكان رئيسا لسنجق تابع لأيالة الاحساء ، بقتال من حاول النزول برا من البحر من البرتغاليين ، أما مصطفى باشا فقد كان يدير المعركة البحرية من المنامة .

وبعد سلسلة من المعارك التي شارك فيها (مراد بك) بثلاثمائة جندي ايراني لمساعدة البرتغاليين ، فان البرتغاليين أوشكوا على الانكسار ، وقد قتل في إحدى المعارك (دوم جوادي نورونها) نفسه ، وهو الأمر الذي لم يشعر به العثمانيون لانه غير موجود في تقاريرهم لذلك فقد قام حاكم هرمز بارسال القائد (بيروبيشوتو) ليحل محل القائد القتيل ، ثم لم يلبث أن تبعه بنفسه ، وبذلك فقد طوقت القوة العثمانية بين دفاعات البحرين الارضية والاسطول البرتغالي القادم من هرمز ، كما أن مصطفى باشا مات أو قتل أثناء المعارك فانهارت معنويات الجيش التركي ودبت المجاعة بين صفوفه لذلك فقد قرر الاتراك إجراء مفاوضات مع البرتغاليين للانسحاب الى البصرة ، وعليه فقد جرت المفاوضات التي اشترك فيها (محمد بك) و(سلطان على بك) قائد سنجق القطيف وانتهت المفاوضات بأن أعاد الاتراك الاسرى البرتغاليين ومعهم غنائم الحرب التي كسبوها كما دفعوا مبلغ مائة الف (دوكات) أو (أقجه)

وانسحبوا الى البصرة .

بلغ عدد قتلى البرتغاليين حسب ادعائهم أكثر من سبعين قتيلا ، وعدد الاسرى أكثر أما الاتراك الذين عادوا الى البصرة فكانوا (٢٠٠) من أصل (١٢٠٠) ، وقد استمرت تلك الحركات العسكرية ستة أشهر تقريبا .

وعلى كل حال فان ماحدث بعد ذلك من أمور بين العثمانيين والبرتغاليين في الخليج يسوده الغموض الشديد ، كما أن اخبار الفعاليات التركية في الخليج تعوزها المصادر التوثيقية المفصلة ، الا أنه وكما بدا واضحا فإن الارتجال وعدم وجود تكتيك عسكري وسياسي جيد كان يسود التحركات العثمانية منذ بداية أمرها في الخليج العربي ، وعموما يمكن القول إنه منذ الاحتلال العثماني للبصرة عام ١٥٤٦ إلى ذلك التاريخ فان الخليج العربي انقسم بين النفوذ العثماني الذي امتد من البصرة إلى سواحل القطيف ونفوذ البرتغاليين الذين سيطروا على هرمز وعمان ، وكانت البحرين تشكل الحدود التي تفصل بين مناطق نفوذ البلدين وفي رواية أخرى إن البحرين أعلنت خضوعها للعثمانيين وأن السلطان العثماني أعاد تثبيت جلال الدين مراد خان على ولاية البحرين .

ويبدو أيضا أن كلا الطرفين أدرك استحالة تحقيق نصر حاسم على الطرف الآخر وأن نتائج التصادم تكون في غير صالح العثمانيين ، لذا وانطلاقا من الفوائد الكثيرة في تشجي[ع] التجارة بين الهند وتركيا عبر الخلي[ج] العربي ، فقد قام والى البص[رة] بمفاتحة حاكم هرمز البرتغالي ع[لى] وضع أسس لصلح دائم وعلاقا[ت] تجارية بين البلدين وقام حاكم هرم[ز] بارسال موفد منه هو (أنطونيو تاكسيرا) الذي قابل الباب العالي عارضا عليه مقترحات هرمز ، الا ان الباب العالي رفض الحديث مع (تاكسيرا) باعتباره ممثلا لهرمز فقط وطلب مقابلة شخصية تمثل البلاط الملكي البرتغالي .

وكان آخر صدام عسكري بين العثمانيين والاتراك قد جرى عام ١٥٨١ م ، أي بعد انهيار الامبراطورية البرتغالية النهائي وتدميرها على يد القوة العربية الجبارة يومذاك وهي الدولة السعدية في المغرب العربي .

ففي معركة (وادي المخازن) التي وقعت في الرابع من شهر آب عام ١٥٧٨ م ، أنزل السلطان المغربي مولاى عبدالمالك سلطان الدولة السعدية هزيمة كبرى بجيش برتغالي يبلغ تعداده خمسين الف مقاتل بقيادة الملك (سيباستيان) ملك البرتغال الذي عبر المضيق بجيشه لاحتلال المغرب . مما أدى الى تمزق الجيش البرتغالي ومقتل ملكه (سيباستيان) وكانت

ا تيجة أن قام ملك اسبانيا (الملك
ف يب) باستغلال الفرصة فاحتل
(سبونه) العاصمة البرتغالية ، وبذلك
ـ قطت دولة البرتغال وصارت دولة
مـ ستعمرة بعد أن كانت مستعمرة ،
وحقق عرب المغرب أعظم انتصار
عسكري في وقته بأن حطموا احدى
الركيزتين الاستعماريتين اللتين كانتا
يومذاك ، مثل روسيا وأمريكا في يومنا
هذا .

أما ما حصل بعد ذلك بالنسبة
لعلاقات العثمانيين بالبرتغاليين
بصورة عامة والخليج العربي بصورة
خاصة فان اهتمام العثمانيين كان
منصبا على ساحة البحر المتوسط
وساحة شرقي افريقيا ، وكان أمير
البحر التركي (علي بك شلبي) على
رأس قواته التي كانت تقاتل
البرتغاليين أمام السواحل الافريقية
ومدخل البحر الاحمر ، وفي عام
١٥٨٠ م قام (على بك) هذا بحملة
عسكرية خاطفة على مدينة مسقط
العمانية وتمكن من احتلالها لفترة
قصيرة ، إلا أنه غادرها وانسحب منها
دون تحقيق فائدة عسكرية أو
سياسية من حملته هذه .

وكان آخر المطاف بالنسبة لقصة
التواجد البرتغالي في الخليج العربي
يوم قام شاه ايران عباس طهماسب
بن اسماعيل الصفوي ، بمعاونة
اسطول بريطاني في عام ١٦٢٢ م
بانزال هزيمة بالبرتغاليين الموجودين
في هرمز وسواحل فارس الجنوبية
أجبرتهم على الفرار إلى عمان وبعض
اجزاء الساحل العربي وبحلول عام
١٦٢٤ م ظهر على مسرح التاريخ
الخليجي الإمام ناصر بن مرشد
اليعربي مؤسس دولة اليعاربة في
عمان ، وقد تمكنت تلك الدولة من
إنهاء قصة التواجد البرتغالي في عمان
والخليج العربي وبعض سواحل
أفريقيا بصورة نهائية فيما بعد .

الخلاصـــة

لقد بدا واضحا أن اهتمام الاتراك
العثمانيين بالخليج العربي لم يكن
بالدرجة الكافية اي ليس بقدر
اهتمامهم بمناطق العالم الاخرى التي
كانوا فيها ، وهم لذلك لم يحاولوا أن
يمدوا نفوذهم إلى أكثر من مساحة
الاحساء والبحرين ، بينما بقي
البرتغاليون يهيمنون على مدخل
الخليج العربي وهم يتمتعون بمعاهدة
صلح وسلام مع الدولة الصفوية في
إيران ، لذلك لا يمكن أن يقال إنه كان
هناك مجهود اسلامي مشترك بين
الفرس والاتراك والعرب لتجميع قوات
وموارد الثغور الاسلامية البحرية
وتنسيق جهودها في عمل عسكري
فعال كما يبدو أن اهتمام الاتراك
بولاية الاحساء والانتشار فيها لم يكن
حسب خطة عسكرية أو سياسة تؤدي
بهم بالتالي إلى الوصول الى مناطق

الخليج الاخرى وتخليصها من البرتغاليين لذلك فقد بدا وكأن جل اهتمامهم كان المحافظة على البصرة ، بل إنه وفي تاريخ لاحق ، أي عندما بدأ الانجليز يظهرون على مسرح الاحداث في الخليج فان مكاتبات قد جرت بين الاتراك والبرتغاليين لمنعهم من احتلال البحرين والوصول الى البصرة .

ولكن ، وكما قلنا سابقا فإن انعدام الرغبة العثمانية الجادة في السيطرة سيطرة كاملة على الخليج ، ومساعدة العرب في تحرير بلادهم كان واضحا رغم إن العثمانيين كانوا على راس الكماشة اللذين كانا يشكلان قواعد عسكرية مثالية للاطباق على البرتغاليين وهما قاعدتا عدن والبصرة ، الا أن روح الارتجال والتسرع وعدم وجود خطط سياسية وعسكرية مدروسة عند الاتراك كانت الميزة الظاهرة في علاقاتهم بالخليج العربي والدول العربية ما عدا العراق إلى تاريخ قريب من يومنا هذا .

الهوامش

(١) سرحان بن سعيد الأزكوي   كشف الغمة الجامع لأخبار الامة ـ ص ٩١ .

(٢) AFONSO DE ALBUQUERQUE-OSONHO DA INDIA

(٣) عفيف الدين بامخرمه ـ قلادة النحر وكذلك عيسى بن لطف الله ـ مخطوطة روح الروح

(٤) F.C. DANVERS - THE PORTUGUESE IN INDIA - VOL. ONE - P 117

(٥) DANVER المصدر نفسه ص ١٢٠ . وكذلك كتاب تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين الفقيه التسيخ زين الدين ـ ص ٤٠

(٦) ص ٢٧٨ ـ المصدر نفسه ـ AFFONSO DE ALBUQUERQUE

(٧) إبن اياس الحنفي ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور ـ ص ٤٣٦

(٨) محمد فريد وجدي ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية ـ ص ١٩٢

(٩) قطب الدين النهروالي ـ البرق اليماني في الفتح العثماني ـ ص ٨٠ ـ ومصادر يمانية اخرى أيضا

(١٠) العراق في التاريخ الحديث ـ الفصل الأول ـ ص ٥٧٦ .

(١١) الدكتور صالح اوزبران ـ الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربى ـ ص ٣٨

(١٢) أوزبران ـ المصدر نفسه وكذلك DANVER ـ المصدر نفسه

(١٣) DANVER المصدر نفسه ص ٤٩٢ وكذلك اوزبران ـ المصدر نفسه ص ٤٢

(١٤) جعفر الخياط ـ تاريخ العراق في العصور المظلمة ـ ص ٣٥ .

(١٥) د   أوزبران ـ المصدر نفسه ص ٥١

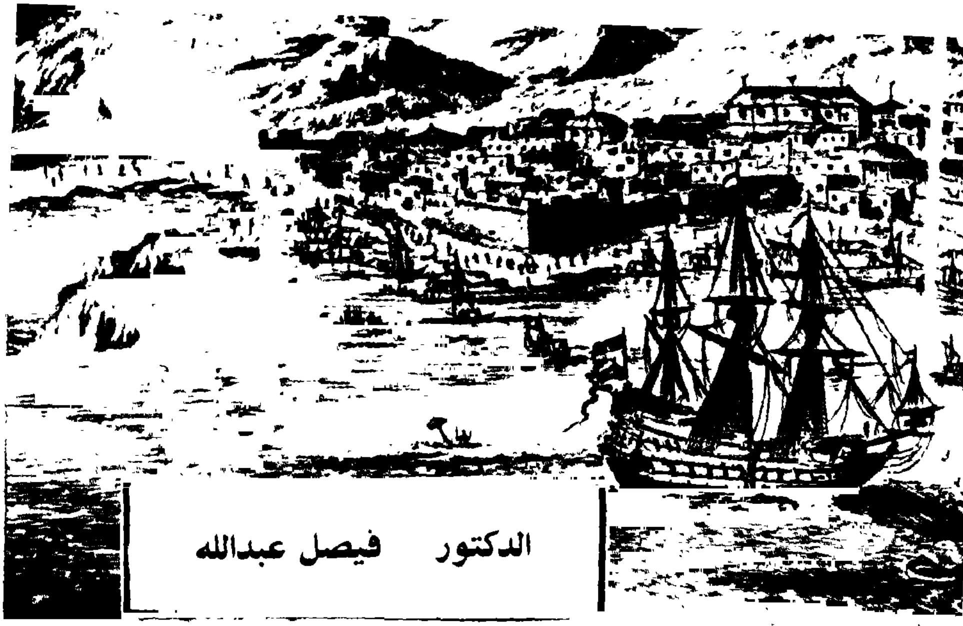


الخليج العربي ووادي الهندوس في الأدبيات والحوليات المسمارية

طرق التجارة القدي

كانت بلاد الرافدين خلال ثلاثة الاف سنة سبقت الميلاد على صلة وطيدة مع الحضارات المجاورة التى زامنتها أو التى لحقت ركبها فيما بعد .

لقد ازدهرت تلك العلاقات مع تطور الزراعة واليتها التى ظهرت فى الالف الرابع قبل الميلاد . وعندما ظهر السومريون والاكاديون من خلال وثائقهم وكتاباتهم على مسرح الرافدين نجد ان لهم صلات تجارية مع بلاد بعيدة . حيث وصلت تجارتهم الى وادى الهندوس عن طريق ايران والى ارمينيا عن طريق الأناضول كما وصلوا الى مصر عن طريق بلاد الشام والبحر المتوسط [1] وقادتهم حركتهم التجارية الى شواطىء الجزيرة العربية البعيدة حيث كانت تضم حضارات هامة ماتزال مكتنفة بالغموض نتيجة نقص فى البحث والتنقيب ، نستطيع القول وفق ليون اوبنهايم (ص ٧٦) ان الشرق اى ماوراء ايران والهند ، كان يشكل ضغطا



الدكتور فيصل عبدالله

ة والرقعة الجغرافية

على الغرب اى بلاد الرافدين والخليج العربى . ظهر هذا الضغط من خلال تسرب وانتقال المزروعات والحيوانات المؤهلة وبعض المعارف الى بلاد الرافدين . ويعتقد اوبنهايم ان مركز هذا التسرب هو خليج البنغال فى شبه القارة الهندية (٣) .

لقد ثبت بما لايدع مجالا للشك انه منذ فجر التاريخ ، وجدت اتصالات عن طريق البحر بين بلاد الرافدين السفلى وخاصة اور وتلك المناطق الشرقية البعيدة فى شبه القارة الهندية والتى سماها السومريون والاكاديون القدماء فى كتاباتهم ماجان وملوخا ، ولقد نقلت البضائع من مواد أولية كالنحاس والعاج واللازورد والعقيق والتوابل ، انطلاقا من موانىء لم تعرف بالضبط ولكنها وجدت على خليج عمان وماوراءه اى الهندوس مرورا بميناء وسيط هو تلمون او دلمون كما دعاها السومريون والاكاديون من بعدهم . هذه الاتصالات وجدت ولاشك بأشكالها المختلفة منها معلومات كتابية مسمارية عن وجودمترجم خاص للغة بلاد ملوخا

كان يعيش فى عهد الامبراطورية الاكادية [٣] . وعندما تختفى النصوص التى تدل على واقع هذه العلاقة نجد ان الاسمين ماجان وملوخا يعبران عن مفهوم دينى جغرافى ، ويستخدمان اعتبارا من النصف الثانى للألف الثانى ق . م للدلالة على أطراف البحر المتوسط والبحر الاحمر اى بلاد مصر ، وربما الحجاز فى الوقت الذى كانت فيه مصر تخضع لسيطرة سلالة اثيوبية واعتبرت ملوخا كبلاد للاقوام . ذات الجلد الا سود [٤] .

لقد عرفت تلك العلاقات شدتها فى بدايات الالف الثالث قبل الميلاد وخبت فيما بعد ولم تعد الى سابق عهدها الا فى العصر الفارسي والسلوقى . وربما يمكن تفسير هذا الانقطاع بتبدلات سياسية وتجارية سواء فى بلاد المنشأ أي شبه القارة الهندية او فى البلد الوسيط اى الخليج العربى . كما يمكن ان يكون هنالك تبدل فى موقف بلاد الرافدين من التجارة الخارجية فى غضون الالف الثانى ق .م حيث كانت الحروب كثيرة فى عصر السلالة البابلية الامورية الاولى . وبعد زوال هذه السلالة فقد ضاق الافق السياسى والاقتصادى نتيجة الحروب وهجمات الهندواوربين والعيلاميين المتكررة على مراكز الحضارة الرافدية ، مما شكل جمودا فى ميدان التجارة الخارجية واقتصرت فيما يلى على المستوى الملكى او الرسمي ، حيث حل تبادل المواد والهدايا بين الملوك بدل التبادل التجارى الخاص السابق ، وقد سمح هذا النظام الجديد بمراقبة الاتجار بالمواد الاولية وكذلك انتشار الافكار لقد مثل هذا الواقع عصر الركود فى مجال التجارة والابداع اليدوى والالى [٥] .

سومريون ـ أكاديون ـ اسلاف العرب اقدم التجار

بعد حكم الملك السومرى لوجال زاجيزى القرن الرابع والعشرين ق م الذى دام حوالى خمسة وعشرين عاما جنوبى الرافدين ، فقد انقلبت عليه قوة جديدة بقيادة شروكين المعروف بسرجون ناطقة بالاكادية اقدم لغة من عائلة العربيات الساميات . لقد اطاح شروكين بحكام المدن السومرية فى الجنوب وعلى راسها كيش وأسس عاصمة لهم اكاد/ أجاد . وقد نقل الينا هذا الفاتح الكبير أخبار فتوحاته التى تعتبر الاولى من نوعها فى تاريخ البشرية وتاريخ اسلاف العرب الرافديين . اذ قال انه قهر عيلام جنوب غربى ايران ، ووصل الى بلاد دلمون/ تلمون وهى البحرين ومن جهة الشمال وصل الى آشور وربما المتوسط وأسيه الصغرى . هذه الفتوحات

سمحت له بأن يحمل لقب ملك الجهات لاربع أى ملك المعمورة (٦) .

من جهة أخرى تحولت القوة لاقتصادية الى هؤلاء الحكام لاكاديين الجدد واحتلوا مساحات واسعة مما جعل منهم مالكين لثروات طائلة اضافة الى نظام ادارتهم الامبريالى . ولقد ترجم شغف ملوك اكاد بالفتوح والتجارة بالحفاظ على تقاليد السومريين الذين اقاموا علاقات تجارية مع الخليج العربى ووادى الهندوس ، وذلك من خلال اعلان ملوك اكاد وصول نفوذهم العسكرى والاقتصادى الى تلمون / البحرين كمحطة متوسطة بين خليج عمان حيث مناجم النحاس ووادى الهندوس حيث تتوفر احجار كريمة وذهب بشكل خاص ، وأخشاب ، ومن جهة الشمال بنى الملك الاكادى نارام سين الذى اله نفسه بنى أكبر قصر معروف انذاك فى تل براك شمال سورية ووادى الفرات على الخابور وكان محطة الشمال باتجاه مناجم الأناضول المعدنية وجبال الساحل السورى وأخشابه .

وبذلك افتتحت للمرة الاولى فى تاريخ المشرق القديم الخطوط التجارية الرسمية التى خضعت لسيطرة ادارة امبراطورية . تعرف تماما كيف تخدم اهدافها التجارية وتكدس الثروات فى قصورها . وتدل النصوص والاثار المادية على ان هذا التبدل الاقتصادى الاستراتيجى . جاء استجابة لحاجات العصر واستمرارية المؤسسات الاقتصادية السومرية القديمة . ان اعلان ملوك اكاد عن وضع يدهم على جزيرة تلمون يكشف عن دورها كوسيط تجارى هام بين بلاد الرافدين من جهة ووادى الهندوس ومناجم النحاس فى جبال عمان من جهة اخرى (٧) .

وثائق اقدم تجارة دولية

منذ ان وصلتنا وثائق التجارة الدولية بين ارجاء المشرق العربى القديم ، فاننا نلاحظ ارتباطها الرسمى ببلاط الملوك والامراء ، وظل الحال هكذا حتى عصور متأخرة . وقد كانت مواد هذه التجارة الرسمية الاحجار الكريمة وخاصة اللازورد فقد كانت مناجمه قليلة وتقع فى بلاد افغانستان حاليا ، وكان السومريون اول من قام بنقل هذه المادة عن طريق قوافل برية ، كما تشهد على ذلك بعض مقابر اور الملكية ، ومع تراجع قليل فى تجارة اللازورد فى العصر الاكادى . فاننا نشهد طلبا عليه اعتبارا من عصر اور الثالثة مع تبدل فى طرق النقل اذ تحول الى مراكب تتجمع فى محطة بحرية قريبة هى دلمون (البحرين) وقام ملوك اور باستيراد العقيق من الهند والنحاس من عمان من خلال ذات الطريق كما ان التوابل هى

الاخرى قد استوردت من مناطق بعيدة فى الهند [٨] .

لقد أوضح ليمنس فى كتابه عن التجارة فى بلاد بابل القديمة ان تجارة بلاد الرافدين مع دلمون الهند قد ازدهرت نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني في عهد ابيسين ملك اور وريمسين ملك لارسا[٩]

وكانت الطرق البحرية تقود من دلمون الى ميناء لوتال الرئيسى على مصب نهر الهندوس والى شواطىء عمان ومناجمها الغنية بالنحاس .

لقد تقلصت تجارة بلاد الرافدين عبر الخليج العربى قبيل سقوط السلالة البابلية ـ الامورية القديمة (حوالى ١٥٩٥ ق.م) عندما فقد سمسوايلونا خليفة حمورابى منافذه الى البحر [١٠] .

لقد بينت بعض الاختام التى وجدت فى المدن السومرية والتى نقلت من وادى الهندوس ان طريق تجارة الخليج العربى نحو دلمون ، كان مزدهرا منذ العصر السومرى واستمر فيما بعد العصر الاكادى حيث جهد ملوك اكاد على تطوير التجارة ، وكان من نتيجة ذلك ان أعلن سرجون (شروكين) الاكادى فى كتاباته ان فتوحه قد سمحت لمراكب ملوخا وماجان ودلمون ان تصل الى ميناء اكاد (النهرى) حيث كانت تنقل مواد وبضاعة الجنوب العربى والهند ، وخاصة الذهب والاحجار الكريمة الى بلاد الرافدين والشام الموحدة تحت سلطة أكاد [١١] . وقد دفع مانيشتوسو حفيد شروكين نفوذه الى عيلام وليس من المستبعد انه وصل الى الهندوس واصطدم ببعض سكانها (وهى بلاد شيريخوم احد اسماء ملوخا) .

اما فى عصر امبراطورية اور فكما هى العادة فى بلاد الرافدين فقد برزت مشكلة المواد الاولية النادرة فيها . ولهذا فان تجارة دلمون وماجان قد أصبحت تقليدا لاينسى منذ ذلك الزمن وبقيت الطرق البحرية التجارية حرة ومفتوحة . ومرت عبر الخليج العربى مواد النحاس والذهب والعاج وأحجار كريمة وأحجار البناء .

لقد سيطرت اور على تجارة دلمون بقوة ولكن لارسا المجاورة قد حولت اليها هذا الغنى التجارى وتابعت المسيرة ذاتها ، ويذكر أحد النصوص الرقم (١٣٠٠٠) ثلاثة عشر ألف منجم للنحاس تم احصاؤها فى منطقة دلمون [١٢] .

ونعلم من كتابات جوديا التأسيسية المذكورة فى دراستنا هذه انه استحضر الاخشاب من الامانوس على ساحل سورية والحجارة المنحوتة من بلاد ماجان وملوخا أى شواطىء عمان ووادى الهندوس كما استخرج منها الذهب والنحاس والرخام

والعقيق وعصارات الاشجار .

بعد فترة الازدهار هذه على يد الدولة فقد تحولت تجارة الخليج الى أيد رأسمالية خاصة التى استخدمت رأسمالها كقروض لدفع قيمة الاستيرادات الهامة . فقد كانت تحدد سلفا قيمة ربح رأس المال دون تحمل أية خسارة ! التى كان يتحملها التجار المرتحلون . وكانت الدولة تستفيد من مشاريع الرأسمالية الخاصة حيث ان ضرائبها فى بلاد الرافدين قد وصلت الى المناصفة في الربح (١٣) .

اما فى القرن الثامن عشر عصر ازدهار الممالك الامورية فى سورية والبابلية القديمة فى العراق فقد ذكرت نصوص مارى اسماء مدن تم التعامل التجارى معها تقع فى مناطق تبدأ من البحرين ـ دلمون وتنتهى فى حاصور ـ فلسطين مرورا بحوض الفرات الاسفل والاوسط وجنوبى بلاد الشام . وكان قصرها الذى يعتبر اكبر قصر مكتشف حتى الان يضم اكثر من ٢٠٠ مخزن مكدسة بالبضائع من تلك البلاد (١٤) .

الوثائق الرسمية السومرية والاكادية الخاصة بالخليج العربى ووادى الهندوس :

١ ـ (٢٥٧٠ ـ ٢٣٤٢ ق.م لاجاش . Lagas

IC3c

نقش باللغة السومرية والكتابة المسمارية

(10-11)«اور نانشة، ملك لاجاش ، ابن جونيدو ابن جورسار ، قد بنى معبد نينجرسو ، وبنى معبد نانشه ، وبنى ابسوباندا (12-17) ، وقد نقلت له الاخشاب فى مراكب تلمون تلك البلاد البعيدة» .

IC3b

رقم من الحجر بالسومرية :

(I1-III2) «اور نانشه ، ملك لاجاش ، ابن جونيدا ، ابن جورسار ، قد بنى معبد نانشه وصنع (نصب) نانشه ، وحفر القناة . وجعل المياه تجرى فيها وحملت اليه الاخشاب من بلاد تلمون البعيدة » .

IC3e

مقطع حجرى بالسومرية

(I 1-III6) «اور نانشه ، ملك لاجاش ، ابن جونيدو ، قد بنى معبد نينجرسو وبنى الـ « ابجال » ، وبنى معبد نانشه ، وبنى الـ « كيرنير » وبنى باجارا وبنى .. الخ » .

« وحملت اليه الاخشاب من بلاد تلمون البعيدة » (١٥) .

٢ـ العصـر الشـروكيني/ الصرجوني والجوتي (٢٣٣٤ ـ ٢١١١ ق.م) .

السلالة الاكادية (٢٣٣٤ ـ ٢١٥٤ ق.م) .

شروكين/ صرجون (٢٣٣٤ - ٢٢٧٩) .

II A1b : رقم فخاري مزدوج اللغة (سـومري ـ اكـادي) VI 1-16 شروكين ملك كيش ، قد انتصر في اربعة وثلاثين معركة ، وقام بهدم المعاقل حتى شاطيء البحر ، وقد ارسى على ضفة اكاد مراكب ملوخا ومراكب ماجان ومراكب تلمون (١٦) .

يقصد الكاتب الشروكيني من ذكر هذه المواقع الجغرافية ابراز اتساع العلاقات التجارية بمملكة شروكين الاكادي . تلمون هي ولاشك جزيرة البحرين في الخليج العربي ، اما ماجان وملوخا ، فالنقاش مايزال قائما بالنسبة لتحديد موقعهما . ولكن غالبا ما تعتبر انها شواطيء عمان ووادي الهندوس (١٧) .

٣ـ العصر السومري الجديد (الاحياء السومري) (٢١١٢ ـ ٢٠٠٤ ق.م) .

سـلالة اور الثـالثـة (٢١١٢ - ٢٠٠٤) .

اورنامو (٢١١٢ ـ ٢٠٩٥) .

III A1f :

مسمار فخاري سومري : « من اجل نانا الابن الاكبر لانليل ، مولاه ، فان اورنامو الرجل القوي ملك اور ، ملك سومر واكاد ، الذي بني معبد نانا ووضع الاشياء في موضعها على طول الشاطيء .. قد اعاد حركة التجارة البحرية على .. قد اصلح (من أجل نانا) مراكب ماجان (١٨) .

مفاد هذه الكتابة ان الملك قد نظم الادارة التجارية القديمة وراء البحار وازدهرت في عهده كما كانت الحال في عهد اورنانشه ، حيث فترت هذه التجارة في العصر الجوتي .

ايبسين (٢٠٠٤ ـ ٢٠٢٨) ابن او شقيق شوسين ملك اور السابق (٢٠٣٧ ـ ٢٠٢٩) .

III A5d .

« رقم فخاري (نسخة كتابة نذرية سومرية » .

« من أجل نانا (القمر) الدعامة المندفعة لآن اله السماء الابن الاكبر لانليل ، سيده ايبسين (نادي القمر) اله بلاده الملك القوي ، ملك اور ، ملك الجهـات الاربع (المعمـورة) قد صنع ، ومن أجل حياته ، قد كرس له صورة كلب اصهب من ملوخا حيث احضرله من مرخش كجزية واسم هذا الكلب : « السريع ! » .

لقد عثر في مواقع الرافدين على كثير من المشخصات التي تمثل كلابا ملونة وتحمل القابا . من بين ما عثر عليه في

مدينة نينوى تمثال كلب صغير ملون بالاحمر ملقب بالسريع اللاقط . مما يوضح ان هنالك تقليدا قديما يتعلق باقتناء الكلاب ـ والكلاب النادرة التى ترسل من اماكن بعيدة كما هى الحال هنا ، من ملوخا [١٩] .

دلمون : الاسم القديم لجزيرة البحرين على الخليج العربى تدل الادبيات البابلية على انها كانت بلاد شجرة النخيل ، مما يدل على عمق الصلات التجارية بين بلاد بابل وهذه الجزيرة منذ العصور القديمة اذ ان دلمون هي الوسيط التجارى لتصدير منتجات وادى الهندوس ونحاس عمان التى استوردت من قبل بلاد سومر

لقد ازدهرت هذه العلاقات التجارية منذ عصور السلالات الباكرة ، وحتى عصر لارسا وبابل . وقد لعبت مدينة اور فى الجنوب دورا مركزيا فى ازدهار هذه العلاقات [٢٠] .

لقد كشفت حفريات دانمركية حديثة عن مدرسة للنحت والنقش على الاحجار الكريمة تعود الى الالف الثالث ق .م وبداية الالف الثانى وكشفت عن تأثر هذه المدرسة الفنية بالتقاليد الفنية لحفر الاختام الهندوسية .

لقد فقدت دلمون أهميتها عندما زال نفوذ الدول الرافدية عن الخليج العربى فى نهاية النصف الاول من الالف الثانى اى بعد زوال النفوذ السياسي لدول السلالات البابلية ـ الامورية فى سورية والعراق فى اعقاب الغزو الحثى ـ الهندو ـ اوربى . ومن جهة اخرى استمر ذكر دلمون يتردد فى كتابات بعض العواهل الرافديين وخاصة اثر حملة اسرحدون ٦٧٦ ق .م لاستعادة النفوذ فى الخليج العربى وشواطىء الجزيرة العربية الشمالية الشرقية [٢١] .

دلمون في الأدب الملحمى السومرى

مخطوط فخارى لملحمة انكي ونينخور ساج

هذه اللوحة محفوظة فى متحف جامعة فيلادلفيا وتحمل المرموز CBS4567 Eaki وهى اكمل مخطوط من بين ثلاث ملاحم بعنوان انكى ونينخور ساج ـ Ninhursag Knki . كانت البعثة الامريكية فى نيبور ـ جنوب العراق (١٨٨٩ ـ ١٩٥٠) قد عثرت عليها بين عشرات النصوص الدينية ـ والادارية والاقتصادية والمذرية الخ .. [٢٢] .

تبدو اشارات المخطوط متلاصقة ، وليست سهلة القراءة ، ولكن الناسخ قد اجاد تصويرها وكتابتها ، ولذا جاء النص نقيا واضحا ومرتبا ، من جهة اخرى لا نجد اى دليل على هوية مؤلفه او ناسخة ، او الظروف التى كتب فيها ، ولكن يسمح اختيار الاشارات وشكلها ولغتها والدلائل

الآثارية بتاريخ هذه الوثيقة فى حوالى ١٩٠٠ ق . م .

نلاحظ ، صورة المخطوط ، وقد اصابه كسر مائل وبعض التهشيم ، ولكن ابعاده هى ١٩.٧ × ١٣.٦ × ٣سم ، ولا نستطيع رؤية قفاه المهشم اما لغته فهي سومرية موزعة على ثلاثة اعمدة ، وعلى ٤٥ سطرا فى كل منها ونستطيع ان نميز الفاصل بين كل عمود واخر قام عالم الاشوريات كافينيو A.Cavigneaux بنسخ اشارات النص يدويا ، وهو العمل الاساسى بعد العثور على النص .

نلاحظ السطور من ٥ ـ ١١ وقد اصاب اشاراتها بعض التهشيم . نقدم فيما بعد قراءة الاشارات المسمارية بالحرف اللاتيني ، وهو ما يسمى فى مصطلح الاكاديات transcription اى التدوين والنسخ . يلي ذلك ترجمة الى لغة حية ولنعلم ان هذا النص ترجم الى الانكليزية اولا ونجد هنا احدث ترجمة له من قبل بوتيرو وكريمر بالفرنسية والانكليزية ، حيث نقدمها لقارىء العربية مستعينين بالنص الاصلى السومرى ، ونظرا لكثرة الاسانيد والحواشي المتعلقة بترجمة النص من لغته الاصلية الى اللغات الاوربية (الانكليزية ، والفرنسية والألمانية خاصة) فاننا نحيل الزملاء المتخصصين الى الكتاب المذكور للاستزادة ، والعودة الى الاصول .

نلاحظ استخدام النقطة بين اشارات الكلمة ولواحقها الاعرابية ومسافة بيضاء بين الكلمات كما فى السطر الخامس .Ku. ga. am sikil am اما الاشارات المائلة فهى مجرد ترقيم للقيم الصوتية كما وضحنا سابقا .

تكتب الاشارات ، هنا فقط بحرف كبير وعند الشك بقيمة نطقها يضع المتخصصون اشارة ! امامها .

وتبدأ اسماء العلم بحرف كبير مثل دلمون Dilmun (سطر ٥ وهكذا) و Nin-sikil-la (11) . تكتب اللواحق بحرف لاتيني صغير ومائل او بين قوسين : (kur) Dilmun (Ki) اى بلاد دلمون علما بأن kur بمعنى بلاد و Ki مجرد اشارة لصنف الكلمة اى ماله علاقة بالارض والتراب والمكان (ن اعلاه مبادىء الكتابة المسمارية) . كما نلاحظ الكلمة دينجير Dingir ونرمز لها بـ (d) وتستخدم اشارتها ki بعد En لتعنى الاله Enki اى اله الارض و Nin لتعنى صفة القدسية .

الحاصرتان (XX) تدلان على الجزء المهشم من الاشارة او فقدانها كاملة ، وان قراءة الاشارة (X) بداخلها هى اجتهاد الباحث المعاصر اما تلك التى توضح بين زاويتين (XXX) فهي ما غفل عنه الناسخ وتم تصحيحه بالرجوع الى نسخ اخرى او قدرت نتيجة الشيوع والاستعمال

قراءة الاشارات المسمارية السومرية بالحرف اللاتيني وترجمة الى العربية

5. Ku [r] i Kù.ga. [à]ml Kur. Dilmun Sikil. àm.

دلمون مقدسة . دلمون . طاهرة

Kur .Dilmun sikil .ga .àm

am Kur. Dilmun dadag`ga. a`m.

دلمون طاهرة . دلمون ساطعة

مع وحيدته استقر في دلمون .

As. ni .dè Dilmunki . ù bi .in nú.

الأرض التي استقر فيها انكي برفقة زوجته .

Ki n .Ki dam .a .ni. da ba

.an. da. nu .a. ba

هذه الأرض طاهرة . هذه الأرض مقدسة .

Ki .bi sikil .am Ki dadag. ga. a

مع وحيدته استقر في دلمون .

10 . Aš. ni. dè [Dilmunki . ù. bi in. nú].

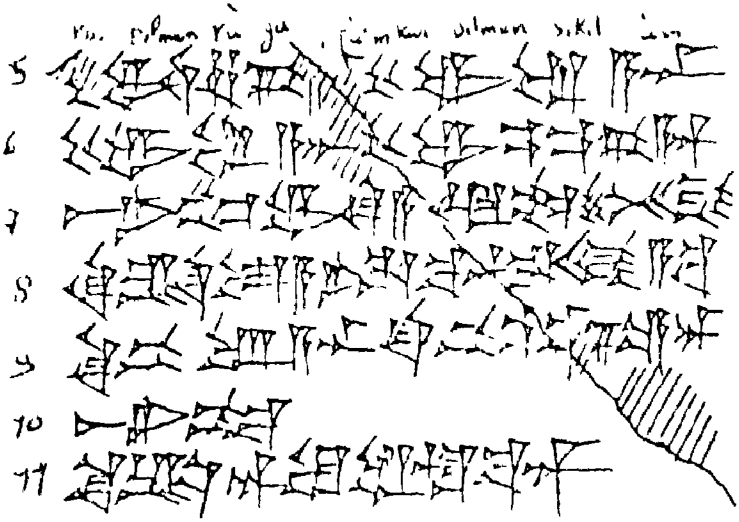
هذه هي الأرض حيث استقر انكي ورفيقته نين سبكيلا

Ki a. Ki m. sikil. la ba. an [da. nú. a. ba]

- دلمون أرض البحرين حاليا
- سيكيل . طاهر بالسومرية
- نين. المؤنث بالسومرية
- انكي. اله الأرض

ان = اله

كي = الأرض



- مطلع القصيدة بعد نسخه بالخط الحديث للكتابة المسمارية



● القصيدة كاملة وهى مخطوط من الفخار ويبدو الجزء الأعلى منه الذى قدمنا ترجمة له .

يصف مطلع القصيدة بلاد دلمون وصفا طبيعيا بدائيا ، فهى بلاد الشمس الساطعة والمياه المالحة ، حيث تبدأ المغامرة السومرية المحلية ، التى رافقت بلاشك الاتصال التجارى البحرى بين الرافدين والبحرين اى دلمون .

تتألف القصيدة من قرابة ثلاثمائة بيت ، تدور حول استقرار البطل الملحمي انكي وزوجته نين سيكيلا في هذه البلاد الجديدة حيث يغامران ويتحابان ويحولانها الى جنة حقيقية فيها من كل اصناف الزرع والضرع والمياه العذبة النقية .

وخلاصة القول :

ان الوثائق الكتابية والدلائل الاثرية الرافدية قد أشارت الى اسماء ثلاثة بلدان هي دلمون . ماجان ، ملوخا . ومن المؤكد، ان دلمون هي البحرين اما ماجان فيظن . وعلى الاغلب أنها واقعة على شواطىء عمان ، اما ملوخا فيظن انها واقعة فى وادى الهندوس . ولابد من دلائل مباشرة على موقع البلدين الاخيرين .

ان الاشارات التى وردت فى كتابات بلاد الرافدين وخاصة فى العصرين السومرى . والاكادى تعكس لنا أهمية كبرى على المستويين الادبى والتجاري لابل فان دلمون هي مثل جنة عدن « بالنسبة للادب السومرى » .

ان الاهمية الكبرى لهذه البلدان والتى عكستها لنا تلك الاشارات التجارية والادبية غير كافية لمعرفة المزيد من تفاصيل تلك العلاقات المغرقة فى القدم ، ولهذا لابد من مضاعفة جهود التنقيب الاثرى فى الخليج العربى خاصة والمنطقة العربية عامة للكشف عما تخبئه كثير من المواقع الاثرية التى تنام تحت التراب منذ الاف السنين والتي تعكس لنا ولاشك وحدة التجارة فى العالم العربى منذ ذلك الزمن .

د فيصل عبدالله
جامعة دمشق ـ كلية الآداب
قسم التاريخ

الحواشي والأسانيد

1. L. Oppenheim. La Mesopotamie, "portrait d'une civilisations" Chicago, 1964, p. 77.
2. CAHI, 2 (The Chambridge Ancient History) volume 1, part 2 Early History of the Middle East, Cambridge, 1971, p. 117, 131, 132. volume II/1, History of the Middle East and the Aegean Region, 1800-1380 Cambridge, 1973, p. 13.
3. Oppenheim, Ibid; E.F. Weidner, Afo, 13 (1939-1941), 308.
4. CAHI, 2, Meluha, City of (Location doubtful), 132, n. 2, 439-40, n.n2 and 4, 453, 454, 600.
5. Oppenheim, p. 106, 163, 417.
6. Jean Deshayes, Les civilisations de l'Orient Ancient, Paris, 1969, p.76.
7. Ibid.
8. Ibid, p. 187.
9. Leemans, W.F.; Foreign trade in the Old Babylonian period, Leiden, 1960; The trade relations of Babylonia and the question of relations with Egypt JESHO, p.21-37.
10. Deshayes, Ibid. CAHI, 2,453, 631.
11. Paul Garelli, Le proche-Orient Asiatique, Paris, 1969, p. 70; G.J. Gadd, CAHI/19 (1963), 25.
12. Ibid, p. 92, 103.
13. Ibid, p. 110.
14. F. Abdallah, Les relations internationales entre le royaume d'Alep/ Yamhad et les villes de Syrie du Nord, 1800 A 1595 avant J. - C., These pour doctorat, 1985 Uni. de Paris., p. 67.
15. E. Salberger; J. R. Kupper; IRSA . Inscriptions Royales Soumeriennes et akkadiennes, Paris, 1971; p. 44.

16. Ibid. p. 98.

17. Ibid. Gadd, CAH I/2, p. 439; Landsberger, WdO 3, p. 247; Gelb RA 64, p. 1.

18. IRSA, p. 136.

19. Ibid.

20. De´shayes, p. 193; G. Bibby, The Ancient Indian Style, Seals from Bahrain, Antiquity, XXXII, 1958, pp. 243-246; S. N. Kremer, The Indus Civilisation and Dilmun, "The Sumerian Pardise Land" Epedition, VI, 3, 1964, pp. 44-52.

21. Georges Roux, La Mesopotamie, Essai d'histoire politique, e´conomique et culturelle, Paris, 1985. p. 103-104, 207.

22. Jean Bottero et Samuel Noah Kramer, Lorsque les dieux faisaient l'homme, Paris, 1989, p. 3ss.

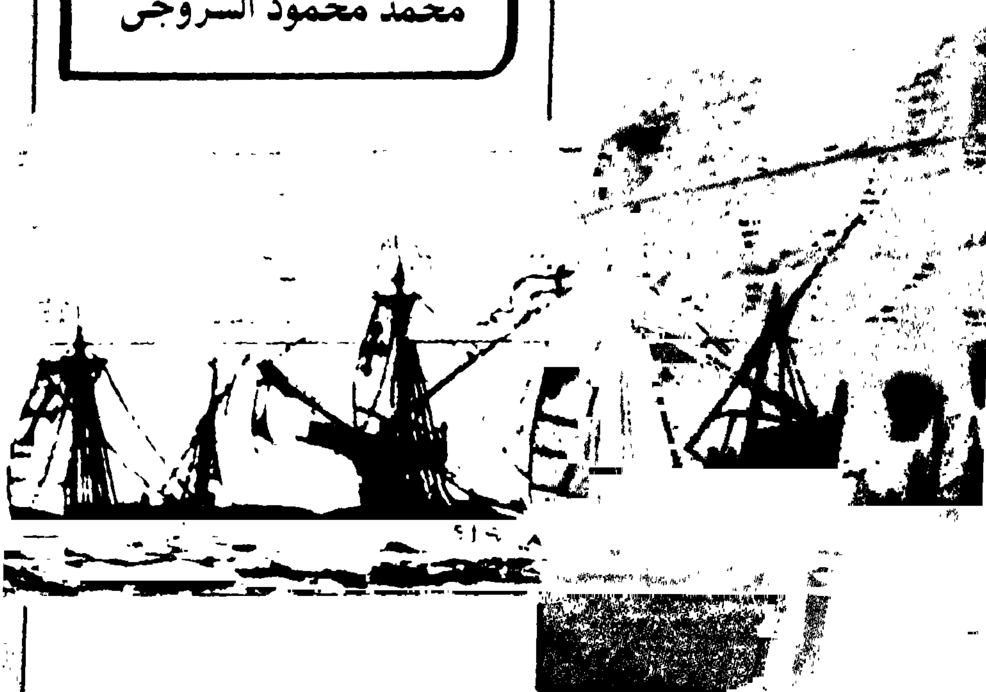
المقاومة العربية



اندفعت الموجة البرتغالية الصليبية من الاندلس في اعقاب العرب بعد طردهم منها في أواخر القرن الخامس عشر . تتعقبهم في شمال افريقية لابادتهم والقضاء عليهم ، بل بلغت بهم الحمية الى حد محاولة تتبعهم في عقر دارهم في شبه الجزيرة العربية ومن ثم بدأ الدوران حول افريقية للوصول الى الهند ، لانتزاع تجارة الأفاوية من يد العرب عن طريق السيطرة على مياة المحيط الهندى وبحر العرب ، والثغور المطلة عليهما . فهى في نظرهم الطريقة المثلى لإضعاف العرب ، والقضاء عليهم[1] . أي محاولة الالتفاف حول قوة الاسلام البرية الجارفة في الشرق الاوسط[2] ، والاحاطة بالجناح الغربي للعالم الاسلامي الذي يمتد في شمال افريقية ويسد كل الطرق الموصلة بين أوربا والهند .

للاستاذ الدكتور

محمد محمود السروجى



فأهداف البرتغاليين كانت اقتصادية في المقام الاول ، ضرب الاقتصاد العربي الاسلامي . وهذا بدوره سيؤدى الى نتائج سياسية تتمثل في إضعاف العرب والسيطرة عليهم ، وإنشاء امبراطورية برتغالية[٣] . وصبغة هذه الأهداف بالصبغة الدينية ، مبعثها الكره للعرب والاسلام والحقد على معتنقيه . ويدل على ذلك ماورد برسالة الملك عما نويل ملك البرتغال الى البابا يوليوس الثاني عام ١٥٠٥ حيث يقول : « إنه ليس عازما على المضى في قتل التجارة المملوكية فقط ، بل إنه سيجاهد في سبيل المسيحية حتى يجعل من مكة هدفا لمدافعة وجنوده »[٤] .

كانت سياسة الشدة والبطش هى السياسة المقررة لفاسكود اجاما إزاء العرب لإلقاء الرعب في قلوبهم وشل حركتهم ، فكان يهاجم كل سفينة عربية ويقوم بتدميرها دون أي إنذار . بل ذهبت به الوحشية الى حد أنه كان

إذا ماستولى على سفينة عربية ، أمر بتفريغ حمولتها من البضائع ، ثم يقوم بإحراقها بمن فيها من بحارة ومسافرين .

وعندما وصل البرتغاليون الى الهند نزلوا في قاليقوت ، وكان يحكمها ملك يدعى الزامورين ، وهي المركز الأساسي لتجارة الأفاوية سواء الصادرة من الهند او الوافدة اليها من جزر المحيط الهادى ، حيث يقوم التجار العرب بنقلها عن طريق الخليج العربي الى ميناء البصرة ومنها الى موانيء الشام فأوربا أو الى البحر الاحمر فميناء السويس الى الاسكندرية ودمياط حيث تنقلها سفن البندقية وجنوه الى أوربا . وكانت البيوتات العربية التجارية تتحكم في تلك التجارة ، ومن ثم كان لتلك البيوت العربية علاقة خاصة بهذا الملك . كما كان لتجار قاليقوت العرب مستودعات لتجارتهم بالقاهرة والاسكندرية ، بل امتدت الى مدينة فاس بالمغرب[٥] .

ولذا كان اختيار البرتغاليين ميناء قاليقوت للاستيلاء عليه مقصودا لذاته ، ليتمكنوا من ضرب التجار العرب والقضاء على تجارتهم .

كانت الهند اذن على علاقة تجارية وثيقة مع العرب في الجزيرة العربية بعامة والخليج العربي بخاصة قبل مجيء البرتغاليين بآماد طويلة . فانتشار الاسلام في جنوب وجنوب شرقي آسيا قد تم على يد التجار العرب المسلمين الذين وجد فيهم أهالى تلك البلاد الخلق الاسلامي الرفيع ، فكانوا خير دعاة للاسلام[٦] .

بعد وصول البرتغاليين الى الهند أخذوا يد رسون طبيعة المنطقة المطلة على بحر العرب والمحيط الهندى ووضعوا استراتيجية قائمة على تطويق الجزيرة العربية عن طريق ذراعيها الممثلين في الخليج العربي والبحر الأحمر ، فكلا الطريقين كان يستخدم من قبل التجار العرب لنقل تجارة الشرق الى اوربا ، فالسيطرة عليها ، والاستيلاء على الموانيء المطلة على شواطئها يمكن البرتغاليين من سد طريق التجارة ومنافذها في وجوههم .

أما الجزء الثاني من المخطط البرتغالى فهو السيطرة على منافذ تجارة الشرق الأقصى ببسط نفوذهم على ملقا والجزر الأندونيسية لحرمان التجار العرب المسلمين من تلك الاسواق بعد حرمانهم من تجارتهم مع الهند . وبذلك يحكمون سد جميع المنافذ أمامهم ، ولتخلوا لهم وحدهم تجارة الشرق والهند .

وفي حقيقة الأمر فإن ظهور البرتغاليين في البحار العربية في مطلع القرن العاشر / السادس عشر الميلادى كان ملائما لهم ، فالدول الاسلامية كانت في حالة تفكك

وانقسام ، فالهند كانت منقسمة على نفسها ، فملوك (فيجاياناجار) الهندوكيين كانوا في عداء مستمر وحروب تكاد لاتنقطع مع حكام الدكن المسلمين . فلاغرابة إذا ما ارتبط البرتغاليون بصلات مودة مع هؤلاء الهندوكيين ، لأنه يجمعهم هدف واحد وهو كراهيتهم للعرب والاسلام .

كذلك كانت إمارات الخليج مفككة . أما الدول الاسلامية الكبرى في ذلك الوقت ، فكانت دولة المماليك في مصر تشغلها الانقسامات الداخلية بين البيوتات المملوكية ، إضافة الى نقص مواردها المالية نتيجة تحول التجارة الى طريق رأس الرجاء الصالح أما الدولتان الاسلاميتان الأخريان وهما الدولة العثمانية والدولة الصفوية في فارس ، فكانت بينهما علاقات عدائية أدت الى قيام الحروب بينهما ، بسبب اختلاف المذهب الدينى وتعارض المصالح .

وفي البداية تحرك فاسكودا جاما من البرتغال في ١٠ فبراير ١٥٠٢ في طريقه الى المحيط الهندى ، وكان عليه في هذه الرحلة أن يبقى خمس سفن من اسطوله في مياه المحيط الهندى لحماية المحطات التجارية البرتغالية في الهند ولمحاولة غلق مدخل البحر الاحمر الجنوبى عند باب المندب في وجه التجار العرب[٧] .

وعندما عجز البوكيرك في احتلال عدن ، وجه اهتمامه شطر الخليج العربي وهو - كما ذكرنا - أحد الطريقين اللذين كانت تسلكهما تجارة الهند والملايو الى موانىء الشام ، لضرب القوى العربية وإضعافها ، وخصوصا عمان التي كان لها التفوق البحرى والتجارى في المحيط الهندى[٨] إضافة الى الخليج العربي والبحار الشرقية بصفة عامة[٩] .

كان على البوكيرك قبل أن يقتحم الخليج العربي أن يحتل جزيرة هرمز في عام ١٥٠٧ ، تلك الجزيرة التي تتحكم في مدخل الخليج ، والتي كانت خاضعة لحكم صبي عربي يبلغ الثانية عشرة من عمره ، ويتولى الوصاية عليه خوجه عطار[١٠] ، وكان على درجة كبيرة من الحنكة . قاومت الجزيرة مقاومة شديدة رغم عدم تكافؤ القوى واضطرت الى الاستسلام في نهاية الأمر ، فخضعت لسيادة البرتغال ، وتعهدت بدفع ضريبة سنوية للسلطات البرتغالية[١١] . ويرجع السبب في سقوطها الى تقاعس البلدان الاسلامية المجاورة لها عن نجدتها ، وذلك للأسباب التي أشرنا اليها آنفا من تفكك العالم الاسلامي . وقتذاك . وبهذا تمكن البرتغاليون من اغلاق الخليج العربي والقضاء على التجارة العربية مع الهند والملايو[١٢] .

خشى البوكيرك من إدراك الشاه

اسماعيل الصفوى لأهمية جزيرة هرمز ، وتطلعه للاستيلاء عليها لما لموقعها من خطورة على الملاحة في الخليج ، لاسيما وأن حاكم الجزيرة كانت تربطه علاقات ودية بالشاه . فحاول البوكيرك من جانبه أن يخطب ود الشاه ، وأن يتقرب اليه ليأمن جانبه ، وليخيف بهذا التقرب القوى العربية بالخليج فأرسل اليه مبعوثا برسالة يقول فيها : « إنى أقدر لك احترامك للمسيحيين في بلادك وأعرض عليك الاسطول والجند والاسلحة لا ستخدامها ضد قلاع الترك في الهند .

وإذا اردت أن تنقض على بلاد العرب أو أن تهاجم مكة فستجدنى بجانبك في البحر الأحمر أمام جده أو في عدن أو في البحرين أو في القطيف أو في البصرة ، وسيجدنى الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسى ، وسأنفذ له كل مايريد[١٣] .

وقد حدث بالفعل ماكان يخشاه ، ففي عام ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م اعترفت هرمز بالسيادة الفارسية تخلصا من البرتغاليين ، ورفضت دفع الضريبة السنوية لهم[١٤] فعاود البوكيرك غزوه للجزيرة مرة ثانية وقضى تماما على سيطرة حكامها على مياه المحيط الهندى والبحر الأحمر التي استمرت زهاء قرنين ونصف قرن من الزمان[١٥] .

بعد الاستيلاء على هرمز والتحكم في الخليج العربي اتجه البرتغاليون في عام ١٥٠٧ الى سائر المدن العمانية مثل صور ، وقلهات ، ومسقط وصحار وقد تم الاستيلاء على صحار بمساعدة الشيخ عمير بن حمير مستغلا ضعف النبهانيين وقتذاك . وسقطت جميع منطقة خورفكان في أيديهم[١٦] . ثم أخذ البرتغاليون في تحصين البلاد بإقامة سلسلة من القلاع والحصون التي مازال بعضها قائما الى اليوم

وقد اشتد تسلط البرتغاليين على جزيرة هرمز في عهد الحاكم محمود بن سيف الدين ، فأرغموه في عام ٩٣١هـ/ ١٥٢٤م على عقد معاهدة معهم تولى فاسكود داجاما بمقتضاها حكم الجزيرة على أن تبقى خاضعة للسيادة البرتغالية مدة قرن من الزمان[١٧]

وعند احتلال البرتغاليين مسقط « قبضوا على عدد كبير من أعياء المدينة ووجهائها ، فجدعوا أنوفهم ، وقطعوا آذانهم ، ونهبوا المدينة وحرقوها بالنار كما أحرقوا قلها (قلهات) وطيوى ، ودارشيت[١٨] ومدينة جلفار[١٩] .

واصل البرتغاليون تقدمهم على الساحل الغربي للخليج العربي حيث تم لهم التعرف على البحرين في عام ١٥١٤ ، ولكنهم لم يقدموا على غزوها إلا بعد سبع سنوات ، حيث أعدوا لها قوة بحرية كبيرة بقيادة انطونيو كوريا

Antonio Corre: استطاعت خضاعها لهم[٢٠] .

ومما يدعو الى الدهشة عدم اهتمام المؤرخين العمانيين بذكر تفصيلات حركة المقاومة العمانية للغزو البرتغالي للخليج العربي . فمما لاشك فيه أن البرتغاليين وجدوا مقاومة من قبل السكان المحليين رغم تفاوت القوى من ناحية الاعداد والتسليح والتدريب . في الوقت نفسه الذي نجد هؤلاء المؤرخين يهتمون بذكر تفصيلات المعارك القبلية المحلية بكل دقة . ولو وجدت المقاومة العربية نفس الاهتمام من هؤلاء المؤرخين ، لتوفر لدينا مادة علمية غزيرة توضح لنا مابذله الأجداد من جهود دفاعا عن ديارهم وحماية لاعراضهم واموالهم .

ويمكننا القول بان الاحتلال البرتغالي للبلدان العربية ظل يعاني من الانتفاضات التي قامت ضده في مختلف المناطق[٢١] .

واذا كانت الأمور قد سارت وفق هوى البرتغاليين – رغم المقاومة العربية لهم في الخليج العربي – إلا أن الأمور لم تسر على هذا النحو بالنسبة للذراع الثاني للجزيرة العربية ، ألا وهو البحر الاحمر ، فالسيطرة عليه واحتواء موانيه هدف استراتيجي للبرتغاليين ، للقضاء على التجارة العربية ، وليمنعوا كل مساعدة تأتي من دولة المماليك وهي أكبر دولة تطل بسواحلها الطويلة على هذا البحر ، ومن بعدها الدولة العثمانية ، وذلك للحيلولة دون إنقاذ اخوانهم في الدين والعروبة في منطقة الخليج العربي بخاصة والجزيرة العربية بعامة .

ففي عام ١٥٠٥ استطاع البرتغاليون دخول البحر الاحمر وتهديد ميناء جده ، بل استطاع نفر منهم أن يتسلل الى مكة[٢٢] . ولهذا السبب ، إضافة الى مالحق بالمماليك من أضرار اقتصادية ، ولاستنجاد العرب بالهند والخليج العربي ، قام المماليك بإعداد حملة مكونة من سبع عشرة سفينة ، تقل ألفا وخمسمائة محارب تحت قيادة حسين الكردى ، وتقابل مع البرتغاليين في شول Chaul بالقرب من الساحل الغربي للهند في عام ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م ، وانتصر عليهم . ولكن حسين الكردى لم يعزز نصره هذا بملاحقة الاسطول البرتغالى الذى تمكن من لم شتاته ، وتعزيز قوته وإنزال الهزيمة بالاسطول المملوكي في معركة ديو البحرية[٢٣] ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م . وبعد هذا الفشل الذي منى به المماليك بدأ البرتغاليون يضيقون الخناق على التجارة العربية ، فمنعوا السفن المحملة بالبضائع من الوصول الى ميناء البصرة مما كان له أكبر الأثر في الحاق الضرر بالطريق التجارى البرى

عبر العراق وسوريا(٢٤) .

وعندما حاول المماليك الاستعانة بالبنادقة لتعزيز قوتهم البحرية للتصدى للبرتغاليين مرة ثانية ، وفشلت محاولتهم يمموا وجوههم شطر الدولة العثمانية التي لم تتردد في تقديم العون لهم(٢٥) . وبالرغم من عدم وصول هذا العون فقد أرسل الغورى في عام ٩١٦هـ / ١٥١٤م حملة ثانية تحت قيادة مشتركة من حسين الكردى ، وسليمان العثمانى ، اتجهت أولا الى جدة ، ومنها الى اليمن فالهند ، ولكنها أخفقت في أداء مهمتها لنشوب الحرب بين العثمانيين والمماليك وسقوط مصر في قبضة العثمانيين في عام ١٥١٧ .

حاول البرتغاليون الاستيلاء على عدن أكثر من مرة ولكنهم فشلوا في ذلك فشلا ذريعا ، وإن كانوا قد نجحوا في احتلال جزيرة سقطرة عام ١٥٠٦ ، التي تتحكم في مدخل البحر الأحمر عند باب المندب وبذلك قطعوا الطريق البحرى المباشر بين مصر والهند(٢٦) .

وفي عام ٩١٩هـ / ١٥١٣م حاول البوكيرك غزو عدن ، فامتنعت عليه لمناعة تحصيناتها ، ولمساعدة آل طاهر والمماليك لها ، فتركها واتجه شمالا لغزو مدينتى مخا والحديدة ، فقوبل بمقاومة شديدة ردته على أعقابه الى جزيرة كمران حيث أعاد الكرة مرة ثانية على عدن ولكنه فشل في هذه المحاولة أيضا فقفل راجعا الى الهند(٢٧) .

وبعد أن احتل العثمانيون مصر وجدوا أنفسهم يسيرون في الطريق نفسه الذي رسمه المماليك من قبل في كفاحهم ضد البرتغاليين ، ألا وهو تحصين سواحل البحر الاحمر ولاسيما سواحل الحجاز ، وإغلاق هذا البحر في وجه السفن البرتغالية حماية للاراضى المقدسة المستهدفة وإن كانوا قد نجحوا في ذلك ، إلا أنهم لم يوفقوا في تحرير البلدان العربية في الخليج من الحكم البرتغالى .

وباستيلاء العثمانيين على العراق بعد انتصارهم على الفرس حلفاء البرتغاليين(٢٨) وقتذاك ، تمكنوا من الوصول الى مياه الخليج العربي في يوليو ١٥٣٤ ، والاقتراب من قواعد البرتغاليين في الخليج والمحيط الهندى ، مما كان يتيح لهم اتخاذ قواعد عسكرية في الخليج لاستخدامها كنقط انطلاق ضد هم إلا أنهم لم يغيروا من استراتيجيتهم الثابتة التي ورثوها عن المماليك في اتخاذ السويس القاعدة الأساسية لعملياتهم الحربية ضد البرتغاليين بالتعاون مع القواعد العسكرية المساعدة في الطور(٢٩) ، والعقبة ، والقصير ، وجدة ، وزيلع ، وسواكن ومصوع ، وعدن .

أما الخطوة الثالثة التي أقدم عليها البرتغاليون لضرب التجارة العربية الاسلامية فهى إغلاق آخر منفذ لها في الشرق الاقصى بالاستيلاء على ملقا في عام ١٥١١ ، والسيطرة على الملايو والجزر الاندونيسية حيث كان التجار العرب يحملون تجارة تلك المناطق الى موانىء الخليج العربي ولاسيما البصرة ، أو الى البحر الأحمر لإنزالها في جدة أو السويس ، « ولم يكن في الإمكان السيطرة التامة على تجارة المحيط الهندى مالم تتوطد الهيمنة على مضيق ملقا »[٣٠] .

وفي خلال عملية الغزو خطب البوكيرك في جنوده يستحثهم على القتال قائلا « الخدمة الجليلة التي سنقدمها لله هي بطردنا العرب من هذه البلاد باطفائنا شعلة شيعة محمد ، بحيث لايندلع لها هنا بعد ذلك لهيب ... وذلك لأنى على يقين اننا لو انتزعنا تجارة ملقا هذه من أيديهم لأصبحت كل من القاهرة ومكة أثرا بعد عين »[٣١] .

ولاتحسبن أن تعرضنا لنشاط البرتغاليين في جنوب شرقى آسيا سيبعدنا عن منطقة الخليج العربى ، بل العكس هو الصحيح فارتباط تلك المناطق بالخليج العربى بخاصة والجزيرة العربية بعامة قديم ، إذ كانت السفن العربية الاسلامية تفد من الخليج العربي ومن الشحر وجده ، ومصر وتتنافس مع السفن التجارية الآتية من الصين والهند في جاوه والملايو . وعندما تمكن البرتغاليون من السيطرة على تجارة اندونيسيا نتيجة الصراع المرير والعداوة المستحكمة ، والحروب التي لاتنقطع بين حكام جاوه من المسلمين حديثى العهد بالاسلام ، وبين الممالك الهندوكية القديمة لم يتعرض البرتغاليون للتجار الصينيين والهنود ، ولكنهم تعقبوا التجار العرب المسلمين حتى خلت الساحة منهم .

وقد استنزفت قوة البرتغاليين لكثرة الحروب التي خاضوها[٣٢] ، ولتعدد الانتفاضات العربية التي قامت ضد هم ، بحيث بدأ نجمهم في الأفول في الخليج العربى في عام ١٦٢٤ بسقوط هرمز نتيجة التعاون مع الفرس وبمساعدة العمانيين ، وبذلك فقد البرتغاليون أهم وأقوى نقطة استراتيجية لهم في الخليج العربى[٣٣] .

وقد استغل العمانيون الذين كانوا يخضعون لسلطة البرتغاليين في جزيرة هرمز فرصة خروج الجزيرة من قبضتهم وأعلنوا استقلالهم[٣٤] عن البرتغال ، واخذوا يعدون العدة لطردهم ايضا من عمان . وكانت هذه مهمة دولة اليعاربة[٣٥] (١٠٣٤ - ١٥١١هـ/ ١٦٢٤ - ١٧٣٨م) ، وعلى وجه الخصوص الامام ناصر بن

مرشد بن سلطان (١٠٣٤ - ١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م) الذي أدرك أن تخليص عمان من الحكم البرتغالى لن يتم إلا بعد توحيد بلاده التي مزقتها صراعات الحكام على السلطة . وقد تم له ما أراد .

هذا من الناحية الداخلية ، أما من الناحية الخارجية ، فقد كانت الأوضاع الدولية في الخليج العربي تتجه لصالحه ، فظهور هولندا كمنافس خطير للبرتغاليين في الخليج ، ثم لحق بها البريطانيون ، قد خلق مجالا للمنافسة الشديدة بين القوى الأوربية الثلاث للسيطرة على الخليج العربي[٣٦] شغل البرتغاليين عن التفرغ لمواجهة حركة التحرير في عمان .

وقد أدرك الامام ناصر منذ البداية ان الصراع بينه وبين البرتغاليين هو صراع بحرى في المقام الأول[٣٧] ، ويستوجب هذا الاهتمام بناء أسطول عربى جديد يعتبر «أول أسطول منظم أصبح في نهاية القرن السابع عشر القوة البحرية الأولى في مياه الخليج العربى والمحيط الهندى[٣٨] .

بدأ الامام ناصر باستعادة صحار ، وجلفار من أيدي البرتغاليين[٣٩] واتجه بعد ذلك الى مسقط في عام ١٦٤٣ ، وتعد أقوى المعاقل المنيعة ، فاستعصت عليه ، نظرا لقوة حصونها ، ولامداد الأسطول البرتغالى لها بالمؤن والذخائر عن طريق البحر ، وكذلك الحال بالنسبة لمطرح . وبالرغم من عدم استطاعة العمانيين استرجاع المدينتين إلا أن ضعف قوة البرتغاليين أجبرتهم على طلب الصلح ، وقبولهم دفع جزية سنوية للامام ، مع هدم الحصون التي شيدوها في قريات وسمد ، وتعهدهم بعدم التعرض للنشاط التجارى العمانى . وكان التسليم بهذا الشرط أول انهيار لأهم هدف جاء البرتغاليون من أجله الى البحار العربية ألا وهو القضاء على النشاط التجارى العربي الاسلامى

وفي عهد خلفه الامام سلطان بن سيف تم له تحرير مسقط من الحكم البرتغالى في عام ١٦٥٨ لتنطوى بذلك صفحات من أول موجه استعمارية شرسة في التاريخ الحديث ، لتبدأ اخرى جديدة مليئة بتنافس قوى اوربية أكبر وأشد ، ممثلة في هولندة وبريطانيا وفرنسا .

واذا تأملنا الأسباب التي عجلت بنهاية النفوذ البرتغالى في الخليج ، نجد أنه يمكن ارجاعها الى النقاط الاتية :

أولا : إدراك العمانيين منذ البداية أن قوة البرتغاليين تكمن في قوتهم البحرية وأن عليهم إذا ماأرادوا طردهم من الخليج العربى أن يحاربوهم بنفس سلاحهم . ومن ثم لم

يدخروا وسعا في إعداد أسطول بحرى مدرب ومنظم ، ومزود بأقوى الأسلحة والعتاد . وقد مكنهم ذلك من التغلب على أهم نقاط القوة لدى البرتغاليين .

ثانيا – اختيار العمانيين للأوضاع الدولية المناسبة لإنزال ضربتهم القاضية ضد الوجود العمانى في عمان . فالتنافس الذى نشب بين البرتغاليين من جهة ، وبين الفرس والهولنديين والبريطانيين من جهة اخرى ، قد ساعد العمانيين على إنزال الهزيمة بالبرتغاليين .

ثالثا – إنه نظرا لقلة عدد سكان البرتغال ، ولاتساع امبراطوريتهم أكثر من قدراتهم جعل ذلك استعمارهم للمناطق العربية الاسلامية يرتكز على سلسلة من القواعد العسكرية البحرية دون أن يجرؤا على التوغل داخل البلاد . ومن ثم كان بقاء تلك القواعد وحمايتها مرهونا بقوتهم البحرية ، فلما ضعفت تلك القوة ودخلت حلبة المنافسة قوى أخرى أعظم شأنا ، وأصلب عودا ، انهارت تلك الامبراطورية ، ولم تقم لها قائمة .

رابعا – إن اتباع البرتغاليين سياسة الشدة والبطش في حكمهم لتلك البلاد إضافة الى استنزافهم لمواردها الطبيعية والبشرية ، قد زاد في كراهية الشعوب الخاضعة لحكمهم لهم ، وجعلهم دائمي الانتفاضات ، يتحينون الفرص المناسبة للخلاص من نيرهم .

خامسا – إن زوال الوجود البرتغالى من الخليج العربى ، قد أتاح للقوى العربية أن تؤكد لنفسها زعامة الخليج[٤٠] . وهذا ماسنجده بشكل واضح في القرن الثامن عشر .

وخلاصة القول فإن مقاومة الخليجيين ومن ساندهم من القوى العربية الاسلامية طوال فترة الاحتلال البرتغالى ، ومحاولاتهم المتكررة للخلاص منه ، قد منحتهم خبرة ودراية ، مكنتهم من الوقوف على نقاط القوة والضعف في عدوهم ، فتجنبوا نقاط القوة ، واستغلوا نقاط الضعف . فلم يهنوا ولا استكانوا الى ان قيض الله لهم القيادة الحكيمة الواعية التي اخذت بيدهم الى طريق النصر .

د . محمد محمود السروجي
استاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الاداب ـ جامعة الاسكندرية

الهوامش

١ ـ بانيكار . اسيا والسيطرة الغربية . ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد . دار المعارف القاهرة ، ١٩٦٢ ص ١٠

٢ ـ نفسه ص ١٥

٣ ـ عبدالعزيز عبدالغنى ابراهيم . علاقة ساحل عمان ببريطانيا - دراسة وثائقية . مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز . الرياض . ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ ص٢٥

٤ ـ محمد مصطفى زيادة . مصر والحروب الصليبية ص ١٦

٥ ـ بانيكار . المرجع السابق ص ٣٧

٦ ـ Fisher, S.N, The Middle East - A history, N.Y. Alfreda Knop, Inc, 2nd ed. 1968, p. 143.

٧ ـ Strand, J, Portuguese Period in East Africa, P. 39

٨ ـ Philips, Wendell, Oman, A history, London. 1967

٩ ـ جمال زكريا قاسم . الادعاءات الايرانية في الخليج العربى . أصول المشكلة وتطورها التاريخى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد العشرون ١٩٧٣م

١٠ـ ويلسون ارنولد . الخليج العربى . ترجمة عبدالقادر يوسف . مؤسسة فهد المرزوق الصحفية . الكويت ص ٢٠٨

١١ـ سيد نوفل . الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربى وجنوب الجزيرة طـ٢ . معهد الدراسات العربية العالية . القاهرة ١٩٦١ ص ٤٢

١٢ـ صلاح العقاد . التيارات السياسية في الخليج العربى . القاهرة ١٩٤٧ ص١٦

١٣ـ نفسه ص ١٧ .

١٤ـ ويلسون . المرجع السابق ص ٢١٣ .

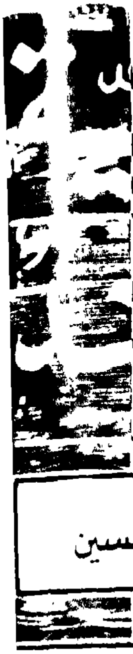
١٥ـ سيد نوفل . المرجع السابق ص ٤٢ .

١٦ـ محمود على الداود . محاضرات عن التطور السياسى الحديث لقضية عمان معهد الدراسات العربية العالية . القاهرة ١٩٦٤ ص ١٨

١٧ـ ويلسون . المرجع السابق ص ٢١٨ .

١٨ـ صحتها (ريسوت) كما وردت بكتاب محمد السالمى . وناجى عساف . عمان تاريخ يتكلم . ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م ص ٨٨ .

١٩- عبدالله بن صالح المطوع ، عقود الجمان في ايام ال سعود في عمان ، مخطوط ورقة ١٧
٢٠- سيد نوفل ، المرجع السابق ص ٤٢
٢١- نفسه .
٢٢- ابن إياس ، محمد بن احمد ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، مطابع الشعب القاهرة ١٩٦٠ ٤ / ١٩١
٢٣- نفسه ٤ / ٣٠٨
٢٤- محمد عبدالمنعم الراقد ، الغزو العثمانى لمصر ونتائجه على الوطن العربى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ص ١٢٢
٢٥- Kammerer, La Mer Rouge, L,Abyssinie et L,Arabie depuis L,Antiquite´, 2 Vols. le Caire 1920, T.2 P. 144.
٢٦- Stripling, The Ottoman Turks and the Arabs, Urbana Oxford, 1942, P. 28
٢٧- غسان محمد الرمال ، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الاحمر مطابع دار العلم ، جدة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥ ص ١٤٢
٢٨- صلاح العقاد ، المرجع السابق ص ١٨
٢٩- وثائق دير سانت كاترين بسيناء ، وثيقة رقم ١٧٠ بتاريخ ٢٠ رجب ١١١٢هـ / ١٧٠٨
٣٠- بانيكار ، المرجع السابق ص٤٨
٣١- نفسـه
٣٢- محمود على الداود ، المرجع السابق ص ١٩
٣٣- Foster, England's Question in the Eastern Trade, London, 1933, P. 79 .
٢٤- جمال زكريا قاسم ، الادعاءات الايرانية ٠٠٠ص ١٦٥
٣٥- حميد بن محمد بن رزيق ، الفتح المبين المبرهن سيرة البوسعيديين ، تحقيق عبدالمنعم عامر محمد مرسى ، ص ٢٥٠
٣٦- لوريمر ، دليل الخليج ، ترجمة مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر ، الدوحة ١٩٦٧ - ١٩٦٨ ، ١ / ١٦ .
٣٧- جمال زكريا ، المرجع السابق ص ١٦٥ .
٣٨- محمود على الداود ، المرجع السابق ص ١٨ ، ١٩
٣٩- Badger, G.P. History of the Imams and Sayyids of Oman, by Salil bin Razek from A.D. 661 - 1856, P.
٤٠- جمال زكريا ، المرجع السابق ص ١٦٨ .



العلاقات التاريخ

بين البحرين والهـ

الدكتور علي أبا حسين

ان الباحث في تاريخ العلاقات بين البحرين والهند يجد انها ترجع الى فترات سحيقة في القدم ويؤكد بعض علماء الاثار على ان تلك العلاقات تعود الى الالف الخامس قبل الميلاد [1] بدليل ما عثروا عليه من اثار للفخار المزخرف والاصداف في كل من حضارة (هارابا) في الهند وحضارة دلمون المعاصرة لها والتي كانت لها علاقة تاريخية معها اذ اوردت الوثائق السومرية والاكدية ان سفن دلمون ومجان كانت ترسو ببلاد اكد في وادي الرافدين وهي محملة بالسلع التجارية كالنحاس المنقول من مجان (عمان) والاحجار الكريمة والعاج والخشب والعطور والاقمشة ونحوها المنقولة من الهند في حوالى منتصف الالف الثالث قبل الميلاد .

وأشار جفري بيبي الذي نقب في البحرين عام ١٩٥٣ الى أن الأختام التي عثر عليها في البحرين كانت من الطراز الهندي القديم . ومثله ذكر (راو) حينما عثر على ختم خليجي بالقرب من (لوتال) القريبة من أحمد اباد في ولاية كجرات وهو موضع في وادي السند (الاندس) على ضفة



نهر سابرماتى بالقرب من الساحل الغربى للهند . ويصف (راو) ذلك الختم بانه دائرى الشكل ويشبه تماما الاختام التى عثر عليها فى حفريات باربار وبقرب قلعة البحرين . واكتشف اخيرا ختم بحرينى فى (لوتال) وعليه نقوش لافعى وبجانبه غزلان مما يؤكد حتمية العلاقات بين الهند ودلمون وذلك فى الربع الاخير من الالف الثالث قبل الميلاد . وعثر على ستة اختام من وادى الاندس فى كل من البحرين وعمان ممايجعلنا نستنتج على ان بعض الهنود كانوا يعملون فى التجارة بارض دلمون وعمان وجنوب وادى الرافدين فاستخدموا هذه الاختام لختم بضائعهم . ومثلها عثر فى (باربار) وهو موضع اثرى قديم بالبحرين على اختام يتضح فيها وجه الشبه الفنى مع اختام حضارة (هارابا) بالهند وقد ارخها علماء الاثار بالعصر الاكدى اى فى حوالى منتصف الالف الثالث قبل الميلاد (٢) مما يؤكد العلاقات الحضارية العريقة بين البحرين والهند منذ العصور القديمة .

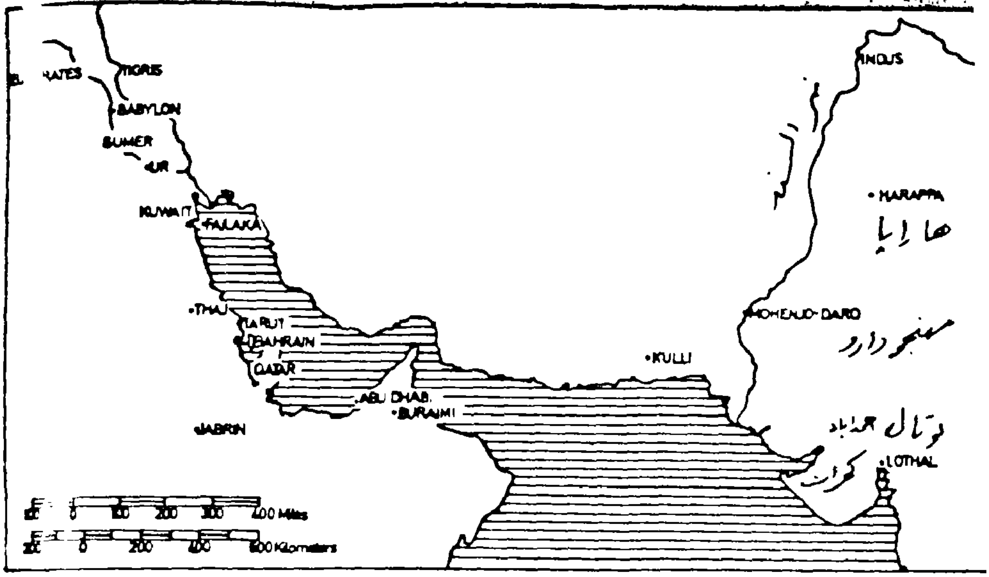
وتذكر الكتابات المسمارية أن الملك سرجون الاكدى قد وصل بفتوحاته الى بلاد دلمون تلمون وهى البحرين . وكان يصاحب تلك الفتوحات نشاط اقتصادى اذ اقام الحكام الاكديون

علاقات تجارية مع سكان الخليج العربى ومع وادى السند واصبحت والحالة هذه (دلمون) محطة متوسطة بين مناجم نحاس عمان (مجان) والذهب والاحجار الكريمة والتوابل والاخشاب المنقولة من ديار السند اذ كانت تتزود السفن بالماء والغذاء فى دلمون وهى قادمة من (لوتال) الى بلاد الرافدين او ذاهبه اليها وهذا ما اوضحته الاختام الهندية التى عثر عليها فى المدن السومرية والاكدية . كما بنى (اور نانشه) ملك لجش معبدا نقلت اخشابه فى مراكب (دلمون) التى اطلقت عليها الوثائق الاكدية (بلاد شجرة النخيل) وسطرت الاساطير البابليه انها الوسيط لنقل سلع الهند ونحاس عمان الى وادى الرافدين هكذا اصبحت دلمون مركزا للترانزيت بين الهند وأور فى جنوب وادى الرافدين حتى اواخر الالف الثانى ق . م بدليل ورود اسم تاجر يدعى (ايا ناصر نصير) كانت له معاملات تجارية فى (دلمون) فيستورد النحاس من (مجان) ثم يعيد تصديره الى (اور) وفق ما دلت عليه الاختام التى عثر عليها فى البحرين وهى من النموذج الهندى والاوانى الفخارية التى يرجح انها مستوردة من الهند [٣] وهكذا استمرت الطرق التجارية الاتيه من الهند والشرق الاقصى تمر عبر البحرين (دلمون) الى بلاد وادى الرافدين وبالعكس . وكان سبب ازدهار التجارة فى الالف الثالث والثانى ق . م ما تتمتع به البحرين من (موقع جغرافى) و (وفرة المحاصيل الزراعية) و (المياه العذبه) والتى لا تستغنى عنها السفن التجارية التى تحتاج لتزويدها بالماء والزاد وكان للتجارة دور هام فى تبادل الثقافات بين بلاد الهند ووادى الرافدين عبر البحرين كأساليب رصف الطرق ونظام المقاييس والاوزان كما وجد الاثاريون فى (باربار) وهو موضع اثرى فى البحرين اماكن لتقديم القرابين للالهة ومثلها تلك التى وجدت فى (لوتال) و (هارابا) بالهند ومما يذكر ان معبد الالهة (انزاك) فى دلمون شيده جماعة من الهنود الذين قدموا من (سوراسترا) والذين استقروا لعدة اجيال فى دلمون ونتيجة اخرى للاتصال بين الهند ومنطقة الخليج العربى فقد حدث تجانس فى طرق الصيد والادوات التى يستخدمها صيادو السمك او حتى السفن والاجهزة المزودة بها تلك السفن تكاد تتشابه لدى الملاحين فى كل من المنطقتين هذا بالاضافة الى تبادل السلع بين البحرين والهند منذ الالف الثالث والثانى . ق . م كالنحاس والعاج والاحجار الكريمة والاخشاب والخرز . [٤] والمتتبع للعلاقات التجارية بين الهند ودلمون

يجد انها تكاد تنقطع او انها لم تكن بالنشاط الذى شهدته فى عهد الملك البابلى (حمورابى) فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد وذلك نتيجة لقلة الاتصال التجارى بين بابل والهند ايام (الكشيين) حيث دلت على ذلك نصوص العمارنه فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد الا ان التبادل التجارى بين وادى الرافدين والهند عاد للنشاط من جديد ايام (الاشوريين) فى الالف الاول قبل الميلاد عبر (دلمون) (٥) .

وجدير بالذكر فقد ناقشت الباحثه الهندية (روميلا ثابير) مواقع (دلمون) و (مجان) و (ملوخا) فذكرت اصل تسمية هذه المواقع من وجهة نظر المصادر الهندية وخرجت باستنتاج هو ان اصل التسميات هذه شبه درافيديه اى ما قبل الدرافيدية مستدله على ذلك بوجود الاثار والاختام والتماثيل فجعلت كلمة (دلمون) او (تلمون) مشتقه من مقطعين هما : (تيل وتعنى (النقى او النظيف او الطاهر) ومعنى (مان) فى نفس اللغة (ارض) فتصبح تلمون او (تلمان) حسب تصريفها للتسميه (الارض الطهور او الارض الطاهرة او النقية) وهذا ما تؤكده الكتابات المسمارية السومرية والاكدية . اما اصل تسمية (مجان) او (ملوخا) فهو خارج عن موضوع بحثنا الذى يؤكد على العلاقات التاريخية بين (دلمون) او البحرين والهند

وفى صدر الاسلام تطورت العلاقات التاريخية بين سكان الخليج العربى وشبه القارة الهندية خاصة البحرين اذ ان المنطقتين تتمتعان بطبيعة مشتركة ساعدت على تقارب الشعبين الا وهى موقعهما على سواحل البحر فكان لابد من انفتاح احدهما على الاخر واستمرت البحرين كحلقه وصل بين الهند من جهة ووادى الرافدين وشبه الجزيرة العربية من جهة اخرى فتستورد من الهند الاخشاب والتوابل ونحوها مما تحتاجه تلك البلاد فتصدره الى البلاد المجاوره كما تصدر الى الهند اللؤلؤ الذى اشتهرت به عبر التاريخ . ومن البحرين كانت أولى الحملات الاستطلاعية للفتح العربى الاسلامى للهند وذلك ايام الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ اورد البلاذرى ان الخليفة الثانى ولى (عثمان بن ابى العاص) ولاية البحرين وعمان عام ١٥هـ ٦٣٦م فوجه (عثمان اخاه (الحكم) الى البحرين ومضى الى عمان فأقطع جيشا الى (تانه) وعزم على تنفيذ خطة لفتح الجزء الاسفل من نهر السند غير ان الخليفة عمر لم يشجع هذه المبادرة لقساوة بلاد الهند ولبعد المسافة . ولما تولى الخلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وجه من يكتشف ويتعرف له



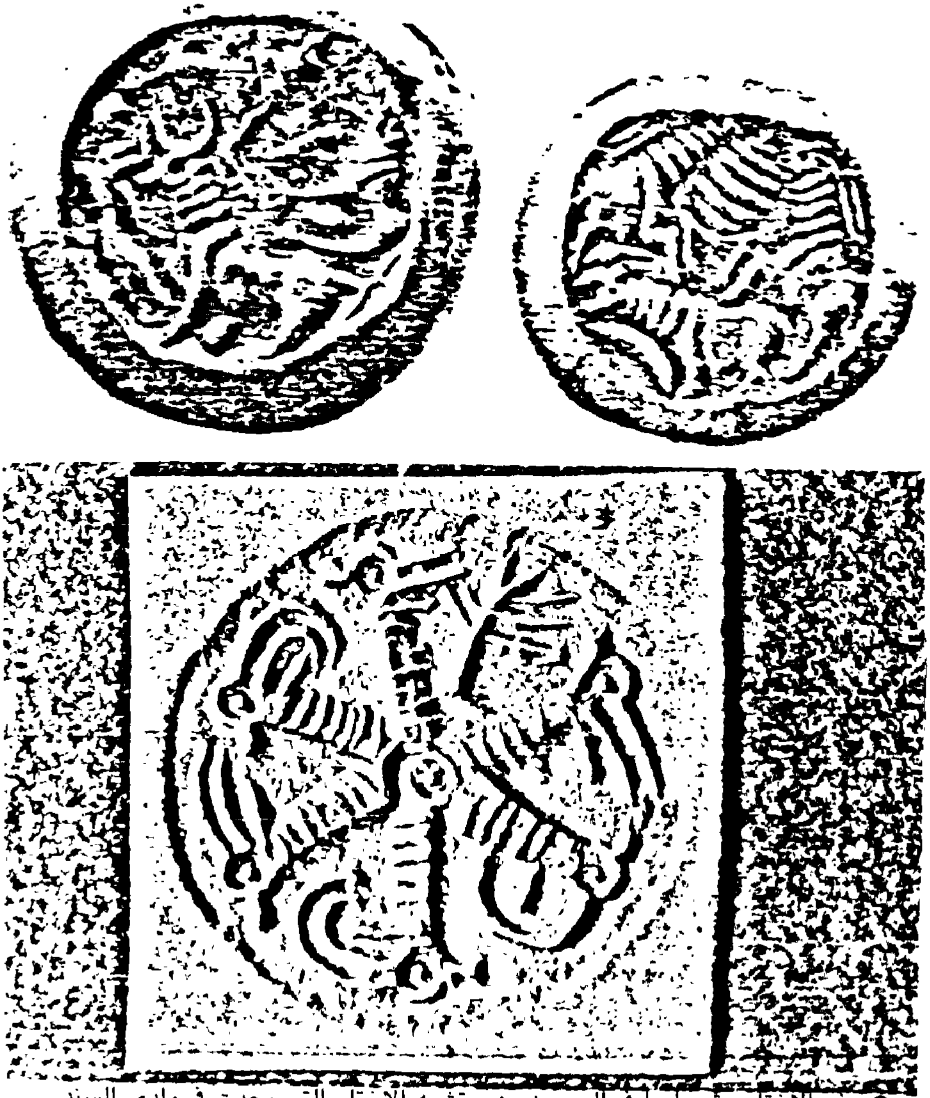
● يلاحظ ان حضارة (دلمون) في موقع وسط بين حضارتي وادى الرافدين ووادى السند

انظر البحث عن دلمون (جوفرى بيبي)

احوال بلاد الهند حتى اذا عرف ذلك بدأت المحاولات العسكرية في عهد الخليفة الرابع على بن ابي طالب كرم الله وجهه اذ خرج (الحارث بن مرة العبدى) من عبدالقيس وهم من سكان البحرين وذلك عام ٣٩هـ وفي حملة خاطفه حصلت على غنائم الا ان القائد لقي حتفه . وجاء دور (المهلب بن ابي صفره) الذى حاول هو الاخر دون ان يحقق انتصارات تذكر . كل ذلك يدل على ان المسلمين لم يكونوا غزاة مغامرين بل كانوا يسيرون وفق خطة مرسومة من دار الخلافة . واستمرت المحاولات ففي عهد معاوية قاد (عبدالله بن سوار العبدى) مهمات عسكرية كانت طلائع الفتح

الاسلامى للهند على يد (محمد بن القاسم الثقفى) وفق مخطط عسكرى وضعه الحجاج بن يوسف وأتبعه بحملة اخرى يقودها (قتيبه بن مسلم الباهلى) ثم اسندهما باسطول لدعم الجيشين فسقطت الديبل (كراجى) بفضل قوة العقيدة والخطط الحكيمة والاسطول الذى توجه عبر الخليج العربى من البحرين وعمان وكان يطلق اسم (البحرين) على الاقليم الساحلى الممتد من كاظمة شمالا الى عمان جنوبا . وجدير بالذكر فان الاسلام دخل الهند سلما بدليل العلاقات التجارية والاتصالات التى سبقت الحركات العسكرية فان سكان المليبار اسلموا قبل الفتح العسكرى

اذ يورد البعض من علماء الهند والعرب ان تجارا من العرب ذهبوا الى سيلان عبر ساحل المليبار لزيارة اثر قدم آدم وهناك لقيهم ملك المليبار فاكرم وفادتهم ونتيجة للمصاهرة فقد نشأ جيل من المسلمين المعروفين فى ساحل المليبار باسم (مابلا) او (موبالا) اى الصهر لانهم تزوجوا من النساء المسلمات المحليات وكان هناك جماعة يسمون (نوايات) اى الجدد وهم من العرب الذين حافظوا على عاداتهم العربية وازيائهم وفنونهم وعلى لغتهم العربية ومثلهم (الكنبابية) وهى من بلاد الجزرات الهندية وفيها للمسلمين مساجد ويقصدها تجار الهند وكذا مدينة (جاليور) و (صيمور) وقد زارها المسعودى المتوفى ٣٠٤هـ فوجد فيها خليطا من بياسره وسيرافيين وعمانيين وبحرينيين وبصريين وبغداديين وقد اختلطوا مع اهالي البلاد وللمسلمين رئاسة فيهم يتولاها واحد من رؤسائهم والبياسرة الذين ذكرهم المسعودى هم الذين نزحوا من اباء عرب يشتغلون فى حراسة السفن ومن امهات هنديات وعددهم نحو عشرة الاف وسكنوا فى كاليكوت وكوايلون . وللعلماء والرحالة كبير الاثر فى نشر الاسلام وبناء المساجد فاصبح هناك تراث عمرانى خليجى يتضح اثره فى بناء ملك مالابار اذ بنى (البابن الاعظم) فاصبح نموذجا للطراز الهندى العربى . كما ترجمت معانى القرآن الكريم للهندية فى عهد (مهروك بن رائق) ملك الورا هندوسى ٢٠٧هـ كل ذلك يدل على ان مظاهر الحضارة الثقافية المتبادلة لم تحدث نتيجة القوة العسكرية بل بسبب التعايش السلمى والتفاعل الحضارى . فانتشرت اللغة العربية والخط العربى وترجمت الكتب الكثيرة من اللغة الهندية للعربية وقد اورد ابن النديم قائمة لبعض الكتب المترجمة واستخدم العرب الارقام الهندية . وانتقل كثير من التجار والرحالة والعلماء العرب الى ساحل مليبار والى حيدر اباد الدكن وغيرهما ولا زالوا يعيشون كجاليات محافظة على عاداتها ولغتها متمسكة بعقيدتها الاسلامية ، وعثر على بعض النقود العربية الفضية التى تعود الى العصر العباسى فى (بهابور) و (مينامتى) فى البنغال [٦] وشهد القرن التاسع والعاشر نشاطا تجاريا عبر البحرين اذ تحولت التجارة القادمة من الصين والهند والمتجهة الى مركز الخلافة العباسية عبر الخليج العربى الى البحرين نتيجة للاحداث المضطربة فى ذلك العصر فضعفت اهمية (سيراف والابلة) وحلت محلهما البحرين . ويشير الملاح (سليمان التاجر) الى الاساليب البحرية السائدة لدى



● هذه الأختام عثر عليها فى البحرين وهى تشبه الأختام التى وجدت فى وادى السند ووادى الرافدين وفيها يبدو (الثور) و (الماعز) و (العقرب)

انظر حفريات البعثة العربية فى موقع (سار) الجسر ١٩٧٧ ـ ١٩٧٩ الدكتور معاوية ابراهيم ص ٢٢٣

● انظر صور من البحرين جون لورنس ص ١٧٩ أختام دلمون التى تربط بين حضارة وادى الرافدين ووادى السند فى الألف الثالث ق . م .

الملاحين في الخليج العربي والتي تشبه الى حد كبير اساليب الملاحين الهنود . ويؤكد الملاح (احمد بن ماجد) على ان السفن العربية كانت تضطر للرسو في الموانيء الهندية والسيلانية حين تبحر الى الصين وتعود اليها وذلك لبعد المسافة والمعروف ان ابن ماجد هو الذي اكتشف الطريق الى كاليكوت في الهند [٧] واستخدم كل من الهنود والعرب نفس الاساليب الفنية والادوات في الملاحة كالا سطرلاب والكمال وألة السدس للرؤية ليلا ونهارا تفاديا للنظر مباشرة لاشعة الشمس .

والدارس لاساليب الملاحة وفنون البحرية يجد اختلافا بين اساليب الاوربيين من جهة والعرب والهنود من جهة اخرى خاصة في حساب خطوط الطول والعرض [٨] اما القياسات لبعض عروض البلدان البحرية فهي تختلف عند البحارة العرب عنها عند البحارة الهنود الا ان الاختلاف لا يزيد على اصبع واحدة وغالبا ما يكون الاختلاف بينهما نصف اصبع ويرجح الملاح سليمان المهري سبب الاختلاف في القياسات بوجه عام الى الاختلاف في حجم عود القياس من حيث الطول والقصر والى النقل الفاسد كالنقل عن شخص قليل المعرفة بعلم البحر وفساد القياس المنقول عنه والغلط في فهم اللغة كنقل العربي عن الهندي او العكس .

ويوجد اختلافات بين الاوربيين من جهة والعرب والهنود من جهة اخرى في حساب خطوط الطول للبلاد . اما عن خطوط العرض فيوجد لكل شخص استعمال خاص في علم البحار لكل من العرب والهنود والبحريين الآخرين كما هو ايضا عند الاوربيين وهذه تكون الطريقة التي استعملت بواسطة رجال البحر (البحارة) في البحرين وهناك تشابه في (المصطلحات) عند البحارة الهنود وهي تشابه المصطلحات الشائعة عند البحارة في البحرين فمثلا (ونجي) وهي سفينه باللهجة المليبارية وكانها قريبة من لفظ (الغنجة) التي هي احدى سفن الغوص في الخليج العربي وقد اوردها ابن بطوطه ويرجح البعض ان اصل الكلمة هندي تشبه اسم النهر المقدس (كنجه اوكنجا) الذي هو حسب اعتقادهم مصدر كل ثروة . وشعار (الكوتية) الهندية يشبه شعار (الغنجة) الخليجية وهو رأس طائر ملتف الى الخلف ولفظ (كوتية) وهي كلمة سنسكريتية وتعني القلعة او السفينة التي تحمل الجنود والمدافع فهي اشبه بالقلعة و (دنكي) وهي تعني السفينة الكبيرة من سفن القتال . وجمن : تعني المركب . وعند اهل البحرين (الجمنتي) هو من يتولى افراغ السفينة من الماء في

قاعها . وكلمة (بيرجه) و (هورى) وهو مركب للنقل . و (بنجرى) او (فنجرى) وهو المراقب الذى يجلس على الصارى ليرى الارض ويرقب الاحوال الجويه . و (السرهنك) وهو نائب القبطان و(الزام) ويعادل مسيرة ثلاث ساعات بالشراع وهى وحدة قياس المساحة التى شاع استعمالها و (بهندارى) : وهو متولى التموين على المركب . و (قران او (كران) وهو كاتب الحسابات و (الخاروه) وهم البحارة ويسمون ايضا (البانيانية) ومفردها بانيانى وهو التاجر فى الهند والملاح عند بعض سكان الخليج (٩) .

واستوردت البحرين التوابل والسيوف والرماح والعطور والحرير من ديار الهند بينما صدرت البحرين اللؤلؤ والتمور وقد لا يختلف اثنان فى ان السفن الشراعية السريعة كانت تصنع من الواح الساج او شجر جوز الهند المستورد من الهند والتى لاتستخدم المسامير لتثبيتها . بل كانت تنظم الالواح بطريقة ذات انحناء ثم تخاط مع بعضها البعض بدلا من استعمال المسامير ويعلوها شراع مثلث الشكل وللسفينة نهاية مزدوجه ومجدافان جانبيان ثم استعملت دفة واحدة . وسرعة السفينة تسمى (تاك) ولعلها مشتقة من الاصل العربى (إتكأ) . وتصف النصوص الهندية ابوابا مزخرفة بنتوءات مائلة كانت مصدرة الى البنجاب فى النصف الثانى من القرن ١٢ الميلادى ولا نؤيد ما ذكره الاستاذ (كارسويل) حول ازدهار التجارة فى القرن الثالث عشر الميلادى بين الهند والخليج العربى لان هذا القرن قد شهد سقوط الدولة العباسية على يد التتار ولكن بدأت الحياة الاقتصادية فى الانتعاش فى القرن الرابع عشر مستدلين على ذلك بما اورده (ماركوبولو) حين وصف بالتفصيل ميناء (كايال) الهندى وكيف كانت تستقبل السفن الشراعية وهى تحمل الخيول العربية ويستطرد بقوله ان تغير طعامها ادى الى موت كثير منها وكان العرب يمتلكون اسطولا تجاريا يسير بين الهند والخليج العربى كما يملك الهنود ذلك ويسيرون الرحلات التجارية وفقا للرياح الموسيمة وشهد القرن الخامس عشر تعاونا مزدوجا بين العرب والهنود فى مجال بناء السفن وملاحتها وان كان العرب لهم تسيير السفن من سواحل الهند الى موانىء الخليج العربى بينما اقتصر نشاط ملاحى الهند على سواحل الهند فقط (١٠) .

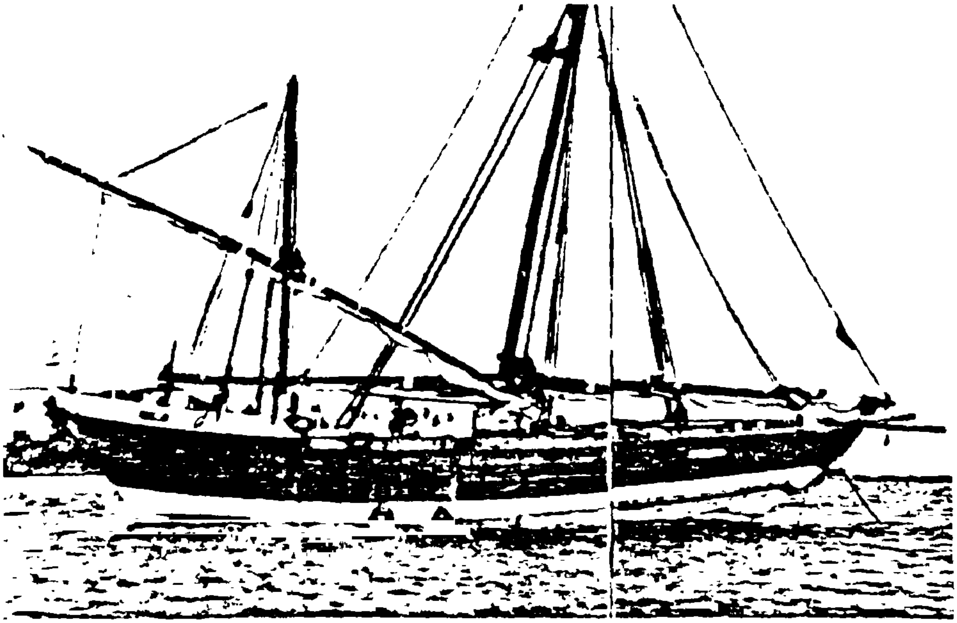
وتعرضت كل من البحرين والهند للهجوم البرتغالي فتدهورت التجارة وتعطلت الملاحة وذلك فى القرنين السادس عشر والسابع عشر وكابدت

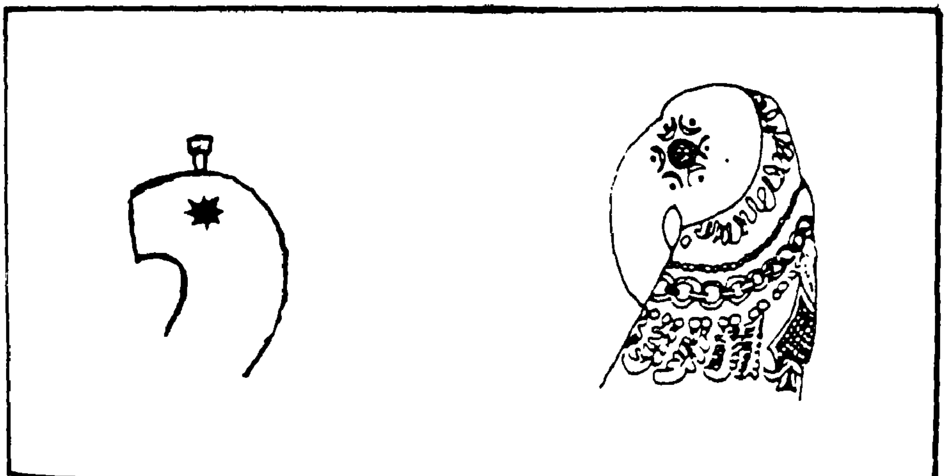
شعوب المنطقة الساحلية الممتدة من شمال الخليج العربى الى اقصى جنوب الهند من الاستبداد البرتغالي حتى استطاع عرب الخليج والبحر الاحمر وبالتعاون مع الهنود والعثمانيين والمماليك وعرب المغرب الاقصى دحر البرتغاليين فى الخليج العربى والمحيط الهندى والبحر المتوسط الى حيث لا رجعة

وفى العصر الحديث

كان لشركة الهند الشرقية البريطانية دور فى مجال التجارة والاقتصاد ثم كان الطريق منها الى التدخل فى السياسة لدول الخليج العربى ومنها البحرين ومثل ذلك فى بلاد الهند فمنذ ان منحت الملكة اليزابث الاولى عام ١٦٠٠م امتيازا لشركة الهند الشرقية للقيام بالتجارة الانجليزية فى الهند وما جاورها كان الهدف الاساسى للشركة حين تاسيسها هدفاً اقتصاديا فهي تأمل ان تحصل على جزء من خيرات الشرق وثرواته وتنقل السلع الهندية خاصة والشرقية عامة كالتوابل والجواهر والعطور والبخور والحرير والقطن والانسجة الشرقية النفيسة والشاى والقهوة للاسواق الانجليزية دون الاعتماد على بقية الشعوب الاوربية فى ذلك وحافظت شركة الهند الشرقية على طابعها التجارى الى حد ما منذ ١٦١٦م ولمدة مائة وخمسين عاما فأصبحت لها مديريات منها (مديرية بومباى) التى تشرف على شئون الشركة ومصالحها فى جميع المناطق الواقعة الى الغرب من شبه القارة الهندية ومنها منطقتى الخليج العربى والبحر الاحمر .

وعلى اثر ضعف امبراطورية المغول فى الهند وتدهورها اخذت شركة الهند الشرقية تتبع سياسة توسعية مكنتها فى غضون سنوات قليلة من بسط نفوذها على اقاليم شاسعة فى شبه القارة الهندية فتحول دور الشركة فى اواخر القرن الثامن عشر الميلادى الى دور سياسى اذ انشأت شبكه واسعة من الوكالات والمقيميات لتنفيذ هذا الدور اعتبارا من ١٧٦٣ ـ ١٩٤٧م فى كل من بوشهر ومسقط والبصرة والبحرين والشارقة والكويت وكانت ادارة هذه الوكالات والمقيميات منوطة بحكومة الهند وحكومة بومباى تحت اشراف دائرة الهند فى لندن ودام ذلك حتى عام ١٩٤٧م [١١] وفى خلال هذه الفترة الطويلة حصلت شركة الهند الشرقية على ثروات كثيرة وارباح هائلة خاصة بعد ان حصلت على اسواق تجارية لصادراتها فى منطقة الخليج العربى ونشطت تجارة بيع الانسجة الصوفية المصنوعة فى بريطانية والمشهورة بمتانتها وجودتها حيث وجدت لها اسواقا رائجة فى شمال فارس وبلاد الشام والاناضول وشمال





● الكلمة السنسكريتية الهندية (كونيه) وتعني القلعة وتطلق على السفن التى تحمل شعار راس طائر يشبه (الغنجه) وهي السفينة المعروفة في الخليج العربي والتى كانت تستخدم في الغوص

العراق تلك البلاد التى تتميز بمناخ شتوى بارد طويل يحتاج الى الانسجة الصوفية وهكذا اصبحت هذه المنطقة فى الخليج العربى وما حولها منطقة رئيسية لتصريف السلع البريطانية .

ثم اخذت شركة الهند الشرقية تحاول السيطرة على جرز الخليج العربى وموانية كهرمز والبحرين وقشم وخرج وبندريق ولكن محاولاتها باءت بالفشل وذلك لمقاومة القبائل العربية لها وعرقلة مساعيها لتحقيق اهدافها السياسية كان ذلك فى الفترة ما بين ١٧٥٠ ـ ١٧٧٠م [١٢] .

وهكذا كان الخليج العربى تحت ادارة دائرة الهند (بلندن) وكان الوكلاء والمقيمون فيه من افراد السلك السياسى الهندى على رأس هيئة من الموظفين الهنود المجتهدين والمتفانين ولم تواجههم وقتئذ مشاكل معقدة كالتى واجهوها فى النصف الاول من القرن العشرين . [١٣] ولكن تعرضت كل من الهند والبحرين الى ضغوط سياسية اجنبية من القرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن العشرين . ونظرا لاهمية الخليج العربى فى المواصلات الى الهند فقد اصبحت السيطرة على الخليج جزءاً من السياسة البريطانية تجاه الهند وواصلت الهند والبحرين وسائر دول الخليج الكفاح ضد النفوذ الاجنبي ولما كانت البحرين تتمتع بموقع جغرافى مناسب وقريب من البصرة فقد اسست مقيمية انجليزية فى البحرين فى فبراير من عام ١٩٠٠م واصبح امن الخليج وادارته فيما بعد هذا التاريخ من اختصاص الحكومة الهندية بواسطة محافظ بومباى والمقيم فى الخليج وواصلت الهند والبحرين دعمهما للقضايا العربية وعلى راسها القضية الفلسطينية فقد ايدت الهند هذه القضية بينما قدمت البحرين الدعم المادى والمعنوى بصورة متواصلة منذ البداية وجاء فى تصريح للمهاتما غاندى فى ١٢ نوفمبر ١٩٣٨ قوله . وعلى الرغم من عطفى على اليهود الا اننى لا اغمض عينى الى مقتضيات العدالة . اننى لم اتأثر بمطالبة اليهود بوطن مستقل لهم ان فلسطين للعرب كما ان انجلترا للانجليز وفرنسا للفرنسيين ومن الخطأ ان نضع اليهود كعبء على العرب .

دور الوثائق الهندية والبحرين

لما كانت بومباى احدى المديريات الثلاث لشركة الهند الشرقية فقد حوت سجلات بومباى الوثائق والمراسلات والتقارير والاحصائيات الاقتصادية ثم السياسية لبلدان الخليج العربى بما فيها العراق واصبحت مصدراً مهما لتاريخ هذه المنطقة وذلك لان لمديرية بومباى الاشراف المباشر على جميع الوكالات السياسية والمقيميات

التجارية والممثليات البريطانية التى اوجدتها شركة الهند الشرقية فى منطقة الخليج العربى والعراق والجنوب العربى بالاضافة الى بلاد فارس كما ان مديرية بومباى مسئولة عن رعاية مصالح الحكومة البريطانية علاوة على مسئوليتها الاساسية لرعاية مصالح الشركة (شركة الهند الشرقية) والباحث فى ارشيف بومباى يجد سبعة مجلدات فيها معلومات متنوعة عن البحرين وتقع تحت الارقام التالية :

١٣/٤١ و ٥/٢٩٩ و ١/٣٠٠ و ١/٣٠٧ و ١٤/٤٣١ و ١٢/٤٣٢ و ٦/٤٣٩ (١٤) اما الفترة مابين ١٨٩٩ ـ ١٩٥١ فقد نقلت هذه الارشيفات الى لندن عام ١٩٥٧ فى (دائرة تسجيلات الهند) وحتى عام ١٧٧٨م كان المقيم فى بوشهر يعمل تحت اشراف حكومة بومباى عن طريق الوكيل فى البصره ثم مباشرة تحت حكومة بومباى حتى عام ١٨٧٣م . ثم نقلت السلطة بشأن تسيير امور الخليج الى حكومة الهند فى ينـايـر ١٨٧٣م لان الاتصـالات اللاسلكية جعلت الاتصال السريع بكافة المناطق فى متناول يد الحكومة الهنـدية فـاستغنت عن المكـاتب الخارجية لتنفيذ سياستها وفى يناير ١٩٢١م تم تشكيل قسم لمعالجة شئون الشرق الاوسط تحت اشراف وزارة المستعمـرات ونقلت بعض المسئوليات لحكومة الهند عن الشرق الاوسط من دائرة اختصاصها (١٥) وتطورت العلاقات الاقتصادية بين البلدين الهند والبحرين وهناك جداول تجارية تعود الى ١٨٧٣م وما بعدها وفيها كميات الصادرات من الهند الى البحرين وهي تحتل الصداره بين المواد المستوردة للبحرين بالنسبة للدول الاخرى فقد بلغ مجموع ما استوردته البحرين من الهند ١,١٦٧,٣٧٥ ربيه وهو يكون اكثر من ثلث الواردات عموما (١٦) .

وكان التجار الهنود فى البحرين يقومون بتصـدير (التمـور) من القطيف الى الهند وقد واجهتهم مصاعب من الدولة العثمانية ١٨٩٣م حين طلب منهم دفع رسوم اضافية بنسبة واحد بالمائة كما ان الهند من اكبر الاسواق لتجـارة (اللؤلو) المصدر من البحرين وذلك لجودته وكان التجار الهنود حريصين على شراء اللؤلؤ باسعار مرتفعه بقدر ٤٠ ـ ٦٠ بالمائة وذلك فى عام ١٨٩٩م نظرا لقيام معرض باريس الذى كان فى نظرهم يرفع الطلب الى حد كبير الا ان توقعاتهم لم تتحقق وخسر معظمهم مبالغ ضخمه كما افلس بعضهم ورغم ان التجار عرفوا بان موسم الصيد فى عام ١٩٠٠م قصير الا انهم تحمسوا لشراء اللؤلؤ مع تراجع الاسعار الى معدل عام ١٨٩٨م فقد انخفض حجم

التجارة الى ٥,٤٠٠,٠٠٠ ربية ويرجع سبب هذا الانخفاض الى التخفيض فى استيراد الأرز من الهند وتصدير اللؤلؤ لها . واخيرا وصل الخبر بان سوق بومباى يطلب كميات من اللآلىء الصغيرة مما رفع السعر لهذا النوع من ٢٠ ـ ٤٠ بالمائة مقارنه بالاسعار المعتادة وهذا التحسن فى سعر اللؤلؤ فى بومباى يوفر لتجار البحرين فرصة استيراد البضائع وتنشيط التجارة خاصة تجارة الأرز . كما زاد الطلب فى البحرين على الملابس القطنيه مما اثار انتباه اصحاب المصانع فى الهند وبريطانية .

وفى عام ١٩٠٠ انخفضت واردات البحرين بقدر ٢,٨٠٠,٠٠٠ ربيه بالمقارنه مع العام السابق ويرجع السبب الى تكديس كميات من الأرز المتبقية من العام السابق من جهة وقلة الاموال المتوفرة لدى الناس من جهة اخرى مما ادى الى اقتراض التجار الهنود لشراء اللؤلؤ وبالتالى ظلت فى اسواق بومباى غير مباعة مما ادى الى ازمة النقود فى البحرين ولم يحصل الغواصون على اجورهم من اصحابهم وبلغت قيمة البضائع المصدرة من الهند للبحرين ثلاثة اخماس مجموع واردات البحرين [١٧] . وكانت تستخدم (الربيات الهندية) و (دولارات ماريا تريزا) فى الصفقات التجارية ويزداد الطلب على دولار ماريا تريزا فى موسم اللؤلؤ من مايو الى سبتمبر فيصل الى ١٥٠ ربيه للدولار الواحد وفقا لحجم استيراد اللؤلؤ من البحرين فاذا قل الطلب على لؤلؤ البحرين انخفض سعر النقود [١٨] . وكانت اجور الشحن تؤخذ بنسبة نصف بالمائة من قيمة البضاعة المشحونة او ١٢,٥ ربيه لكل طن اذا بلغت الشحنه سبعمائة طن سواء على السفن العربية او الهندية والتى تبلغ حمولتها نحو ١٤٥٠ طنا من التمور و ٧٤٠ طنا من القمح الى كراتشى باجرة جوالى عشر ربيات للطن الواحد وبلغت كميات التمور التى تنقل الى الهند بواسطة السفن حوالى ستة الاف طن [١٩] .

واعدت حكومة الهند تقريرا ارسلته الى بريطانية وفيه بحث عن وضع مغاصات اللؤلؤ العربية ومنها مغاصات البحرين [٢٠] واستوطن بعض التجار العرب فى الهند وزاولوا مهنة التجارة مع تجار البحرين خاصة فى تجارة اللؤلؤ والخيول التى تصدرها البحرين الى الهند كما استقر بعض الهنود فى البحرين لمزاولة التجارة وعمل البعض الاخر فى المرافق العامة كالبناء والخدمات واستمرت تجارة اللؤلؤ مع بومباى التى ظلت تعتبر من اكبر مستوردى اللؤلؤ من البحرين حتى تدهورت تجارة اللؤلؤ فى ١٩٣٤ م ١٩٣٥م بسبب ظهور النفط وتوجه

الايدى العاملة الى العمل فى النفط ثم ظهور اللؤلؤ الصناعى اليابانى وقد حرم تجار اللؤلؤ من طبقة المهراجا فى الهند وهم من اكبر عملاء تجارة اللؤلؤ الطبيعى خاصة بعد الاستقلال عام ١٩٤٧م ففقدت اكبر سوق للؤلؤ البحرين فى الهند (٢١) .

الضرائب الجمركية

حاولت بريطانيا منذ عام ١٩٠١م ادخال ما تسميه بالاصلاحات فى ادارة الجمارك فى البحرين وذلك فى سبيل توطيد سلطة حكومة الهند البريطانية على البحرين وتعيين مدير للجمارك بريطاني او هندى لان مثل هذا التعيين يؤكد للعثمانيين السلطة على البحرين واكد وزير الخارجية البريطانية على ضرورة البت فى الامر سريعا من قبل حكومة الهند ورغم اعتراضات شيخ البحرين حاول المعتمد السياسى اقناعة تحت ستار الاصلاحات فى ادارة الجمارك وقد اكد الكولونيل (كامبل) تلك المحاولة وعرض على الشيخ الاقتراح مع استعداد حكومة الهند لتقديم مساعدة ماليه له ليغير النظام الجمركى ولكنه رفض على اساس ان مستشاريه يعارضون هذا المشروع . واخيرا فقد اتصل بتاجر هندى الجنسية فى مسقط هو (رتنسى بر شوتام) بقصد عقد اتفاقية معه لادارة الجمرك مقابل مبلغ اكبر كان ذلك فى ٢٥ مايو ١٩٠٦ وتم تجديدها حتى يناير ١٩٠٨م على الرغم من ان هذا الترتيب لم ينفع حاكم البحرين (٢٢) واخيرا انتدبت بريطانيا المستربور Bower من قسم الجمارك بالهند لتنظيم جمارك البحرين (٢٣) وكانت تهدف الى الهيمنة على البحرين بفرض سياسة التدخل فى شئونها الداخلية بادخال اكبر عدد ممكن من الموظفين الاجانب كالهنود وغيرهم فى الادارة والمحاكم والجمارك تحت ستار الاصلاحات . ولقد ظلت الشئون الجمركية فى أيدى الهنود وكان يساعدهم ممثل شخصى لحاكم البحرين ولا يكسب شيخ البحرين اكثر من مائة الف ربيه من عائدات الجمرك وهو راض بهذا المبلغ ويعتقد بان سبب قلة الوارد الجمركى يرجع الى الكساد فى التجارة (٢٤) .

وشهدت الاعوام التالية لعام ١٩١١ زيادة ملحوظة فى السكان حيث بلغ عدد سكان البحرين ١١٥ الف نسمة نتيجة لما تتمتع به البحرين من ميزات جغرافية وتجارية وسياسية اذ أقبل التجار الاجانب فى العمل بالبحرين . وكانت الدائرة الجمركية تنقصها الكفاءة ويجرى العمل فيها بصورة عشوائية وبدون نظام . على حد قول الوكيل السياسى فى تقريرة وفى ١٩١٨م اتجه الوكيل السياسى فى البحرين الى كلكتا ليستشير مدير

المخابرات التجارية حول امكانية استيراد السلع المصنوعة في الهند الى الاسواق البحرينية لأن عامي ١٩١٦ و ١٩١٧ شهدا تدهور التجارة وقلة حصيلة اللؤلؤ فتأثرت البحرين بسبب الحظر الذى فرضته حكومة الهند على تصدير العملة المعدنية الى البحرين وتصدير اللآلىء الى أوربا من الهند وان التجار العرب في الهند الذين يمتلكون كميات كبيرة من الذهب قد اشتروا نصف كمية اللؤلؤ وعقب انتهاء الحرب العالمية الاولى ارتفع الطلب على اللؤلؤ فارتفعت اسعاره بنسبة ٥٠٪ عن العام السابق وغادر قسم من التجار العرب والهنود الى بومباى ومعهم اللؤلؤ بما قيمته ٤٥٠,٠٠٠ جنيه استرلينى كما شحنوا ايضا ما قيمته ١٦٥,٠٠٠ جنيه من اللؤلؤ وفي عام ١٩١٩م واجهت التجارة نقصاً في الشحنات البحرية وفي النقود مما اثر في توزيع الاجور بين الغواصين . ولم تتحقق الرحلات البحرية الى الهند مما ادى الى خسارة للتجار في البحرين وفي هذا العام توفي (تيرات داس) مدير كمرك البحرين السابق في كراجي بسبب مرض السكر وكان تيرات داس الهندى متعاوناً مع الوكالة البريطانية في منع تهريب الحبوب والمواد الغذائية ونال تقدير الكولونيل (تريفور) وحزن سيح البحرين على وفاة رجل مخلص ذى كفاءة في عمله [٣٥] .

وفي ١٩٢٠ انشىء فرع للبنك الشرقي في البحرين وواجه صعوبة كبيرة في البداية بسبب فرض حظر على تصدير الفضة من الهند الا ان حكومة الهند الغت الحظر في اواخر هذا العام فاستقر البنك اثر ذلك حيث اتخذت اجراءات احتياطية في ادخال كميات من الفضة لتزويد الغواصين بها حين الطلب رغم ان تجار اللؤلؤ في البحرين خسروا كثيرا في السنتين التاليتين لنفس السبب وهو الحظر الذى فرضته . حكومة الهند على تصدير الفضة من الهند فقد استمرت حكومة البحرين في سياستها بتوزيع كمية الأرز المخصصة لهذا العام وشهد عام ١٩٢٠ زيادة في كمية الأرز المخصصة للبحرين من الهند لكن ادخال نظام المزاد في كراتشى ادى الى ارتفاع اسعاره فى البحرين وبموجب هذا النظام لا يجوز لاى تاجر شراء الأرز الا اذا اشترى حق الشراء اولا ويباع حق الشراء بالمزاد العلنى مما ادى الى ارتفاع اسعار الأرز الى ١١ ربيه فى الكيس الواحد ولم يكن اهل البحرين قد رضوا بهذا النظام . واستمرت الصلات التجارية بين التجار الهنود وتجار البحرين على ماهى عليه منذ اكثر من قرن ونصف وكانت نسبة كبيرة من الصادرات والواردات تعود الى الهند وشركة بريطانية وقد عين

قنصل تجاري في البحرين على اثر توصية قدمتها حكومة كلكتا الهندية ومهمة القنصل الاتصال بالبيوت التجارية فى انجلترة وتقديم التوصيات للاطراف المعنية وهذه الخطوة تدل على اهمية البحرين المتزايدة كمركز لتوزيع السلع الى جيرانها فى الجزيرة العربية واطرافها وقد استخدمت موانىء البحرين لا ستيراد البضائع التى يطلبها تجار الجزيرة العربية وفرضت البحرين رسوما جمركية بواقع ٥٪ على قيمة البضائع المستوردة ووفقا لقرار اصدرته الحكومة الهندية فى يونيو ١٩٢٠ خفضت الضريبة الجمركية على بضائع الترانزيت من ٥٪ الى ٢٪ وحددت ضريبة التصدير بواقع ١٠ ربيات لكل رزمه من الجلود وربيتان لسلة التمر . وتقوم شركة هندية بمهام دائرة الجمارك كما يعمل احد افرادها كمدير للجمرك .

وكان الوكيل السياسى فى البحرين يرد على الاستفسارات التجارية من تجار انجلتره على ان توجه كافة الاستفسارات فى الهند الى مكتب المدير العام للاستخبارات التجارية فى كلكتا مباشرة للردود السريعة . وقد ارسل مدير عام الاستخبارات التجارية عينات من السلع الهندية فى عام ١٩٢٢م وقد عرضت امام الناس فلم تجد رواجا لعدم التوافق بين المعروضات والقوائم وعدم ذكر اسماء الشركات وسوء تنظيم المعروضات وسجلت واردات البحرين تحسنا فى عام ١٩٢٠م فى حين سجلت الصادرات الى الهند انخفاضا بسبب نقل المسافرين كميات من اللؤلؤ دون الاعلان عنها لدى دائرة الجمارك [٢٦] ونظرا للحاجه الملحة وبسبب التدهور فى المدخول التجارى للبحرين عام ١٩٢١ فقد تم سحب ١٧٠٫٠٠٠ ربية لاستثمارها فى بومباى [٢٧] .

وقد قام الوكيل السياسى فى البحرين ١٩٢٠ بتعيين بعض التجار الهنود لجباية الضرائب من التجار الاخرين وكان معظم الوارد يدخل فى جيوب هؤلاء الجباة من الهنود المتعاقدين الملتزمين للضرائب الجمركية فاضطر الشيخ لرفع نسبة الضرائب الجمركية من ٤ ـ ٥٪ [٢٨] دون استشارة الوكيل السياسى مسبقا فاعترض المقيم فى بوشهر وهو تاجر من البحرين اسمه (أغا محمد رحيم) الذى لم يكن بريئا من استغلال مكانته وتوالت الخلافات بين الوكيل السياسى والشيخ [٢٩] حتى عين الميجر (ديلى) فى يناير ١٩٢١ خلفا (لديكسن) ولم يكن على وئام من الشيخ عيسى بن علي فاثار الاضطرابات الطائفية والعنصرية لغرض فرض مزيد من السيطرة وادخال اكبر عدد ممكن من الموظفين

بسم الله الرحمن الرحيم

من عيسى بن علي الخليفه الى جناب الاجل الافخم نارندس المدبر متولي القمرق المحترم

بعد السوال الشريف خاطركم ثم بينت كتابنا المورخ في ٢٤
جماد الاول ١٣٢٨ فيخصوص الاموال الوارده الى البحرين بان يكون تاخذ
عليها رسم القمرق بموجب مايته المربية خمس ربيات ولا يكون
تاخذ زياده ولا نقصان فمعرفتك بان يكون رسم القمرق على
موجب قايمة خريد المال ومصاريفه الى ان ركب الى المركب و
صل البحرين ومتى صار عندكم شك على التجار فيكون تفتشون
وتثمنون المال واذا رايتم احداً عمل الحيلة بالقايمة ترفعون
الامر لنا لاجل اجراء ما يلزم عليه وفيخصوص قمرق التنباك
فيكون تاخذ عليه على حسب الاصطلاح البندر التتن
العماني اربع ربيات سوى ثمنها مايه روبيه ام عشر ربيات
وتتن الاصفهاني من البحرين فعليه قرانين عباره انه
٢ ،
سوى كان ثمن المن اربعة عشر ربيه ام ثمان ربيات
وتتن العمايدي من البحرين عليه ثلاث ربيات سوى
كان المن ثمنه ثمانين روبيه ام اربعين روبيه هذا
ما لزم بيانه ودمتم سالمين حرر في ٩ رمضان ١٣٢٩
١٩١١م

السواد مطابق الاصل

الاجانب . وفى ديسمبر ١٩٢١ ارسل المقيم البريطاني في الخليج الكولونيل (تريفور) وفدا من سكان البحرين الى حكومة الهند بعريضه ضد الحاكم واقترح لدى حكومته منح الوكيل السياسي صلاحيات تامه وان يكون من حقه منح الحماية لكل من يلجأ اليه من السكان (٣٠) ولفت الكولونيل (نوكس) انتباه الحكومة الهندية بان تكون ادارة البلاد تحت امرة المعتمد السياسي ويرى (برايور) المعتمد السياسي في البحرين بان الرجل المناسب لادارة الجمارك من المواطنين هو خريج جامعة بيروت الامريكية على ان يحضر دورة تدريبية في دائرة الجمارك الهندية (٣١) .

المسح البحرى : اعدت البحرية الهندية وقبلها (مارين بومباى) رسوما وخرائط لمنطقة الخليج في النصف الاول من القرن التاسع عشر وتم تحويل (مارين بومباى) الاسطول البحرى الهندى في عام ١٧٩٨م بهدف الحفاظ على الطريق البحرى الى الهند وسمى (البحرية الهندية) في اول مايو ١٨٣٠م وجهزت بخمسة طرادات لمراقبة الخليج بين ١٨٣٥ ـ ١٨٥٣م وهنا شعرت بضرورة المسح البحرى لمياهه فاهتمت بعمل خرائط دقيقة للخليج العربى واول دليل نشرته شركة الهند الشرقية نتيجة هذا المسح البحرى سمى (الدليل الهندى) (٣٢) كما قام القبطان بروكس في البحرية الهندية بمسح بحرى لسواحل الخليج العربى في ١٨٢٥م وكتب تقريرا بعث به الى بومباى واشاد بالمساعدة التى قدمها له حاكم البحرين اثناء عمليات المسح واثنى على كرم ضيافة الشيخ خليفة بن سلمان بن احمد الفاتح الذى كان يرسل التمر واللبن والخبز لفريق المسح البحرى (٣٣) وفى تقرير القبطان بروكس معلومات طريفه عن سكان البحرين ومدنها وتجارتها وزراعتها وصناعة اللؤلؤ وتاريخها وكذا عن سواحل قطر والكويت . ثم بدأت الشركة البريطانية الهندية للملاحة رحلاتها الى البحرين في عام ١٩٢٤م وتلتها شركة هانسا (٣٤) .

وفى مجال الخطوط الجوية عبر سواحل الخليج العربى فقد تطورت في عام ١٩٢٨م مما جعل اعادة النظر في (التنظيم الادارى) في الخليج امرا لابد منه وفى نفس الوقت شعرت الحكومة الهندية بانه يجب عليها ان تستعيد بعض السلطات التى انتزعت منها في سنة ١٩٢١ بحجة ان معالجة الشئون العربية يجب ان ينظر اليها من ناحية ردود فعلها بين مسلمى الهند وتم تشكيل لجنة فرعية لتقديم توصياتها واخيرا قررت وزارة الخارجية البريطانية ان تكون (دائرة الهند بلندن) مسئوله عن الخليج

لخبرتها الواسعة فى هذا المجال كان ذلك القرار فى يوليو ١٩٣٣م كما طالبت المقيمين فى الخليج ان يرسلوا صوراً لرسائلهم الموجهه الى دائرة الهند الى كل من حكومة الهند ووزارة المستعمرات ايضا ، وبعد استقلال الهند ١٩٤٧م تقرر ان تعود شئون الخليج العربى الى وزارة الخارجية بلندن مباشرة اعتبارا من ابريل ١٩٤٨م (٣٥) وتم اختيار وتعيين الوكلاء السياسيين فى البحرين من السلك السياسى الهندى من ١٩٠٠ - ١٩٤٧ ومنهم من الهنود بدرجة مساعد المعتمد او المقيم السيد صديق حسن بين ١٩١٩ - ١٩٢٠م وخان بهادر عبدالحى الهاشمى وهو الذى عمل مساعداً للمقيم فى ١٩٣٣م ثم طالبت الهند بعد نيلها الاستقلال بانشاء قنصليه لها فى البحرين فاعترضت الحكومة البريطانية ثم طلبت ان تفتح لها وكالة تجارية فى البحرين ووافق حاكم البحرين على ذلك فى يونيو ١٩٥٠م وفق تقييد من بريطانية حين طلبت موافقة لزيارة ممثل الهند التجارى فى بغداد للبحرين فاشترطت بريطانية ان الممثل التجارى الهندى لن يكون له حرية الاتصال بحاكم البحرين او بافراد حكومته مباشرة ويتم الاتصال عن طريق الوكيل السياسى البريطانى فالغت الحكومة الهندية هذا الاقتراح وكان القائم بالاعمال فى السفارة الهندية ببغداد يزور البحرين مرة أو مرتين فى كل عام ويهتم بمصالح الرعايا الهنود فى البحرين فقط . وفى ديسمبر ١٩٤٨م اوفدت حكومة الهند (بعثة حسن النيه) لمشاهدة احوال العمال الهنود فى شركة نفط البحرين فوجدت ظروفهم حسنه وزارت شيخ البحرين للسلام عليه فقابلهم شيخ البحرين بحماس وقدم لافراد الوفد الهدايا . وكان يرسل اللؤلؤ الى بومباى لثقبة وتلميعه وفى ١٩٤١ فرضت حكومة الهند حظرا على استيراد اللؤلؤ مما سبب قلقا شديدا فى البحرين الا ان حكومة الهند الغت ذلك الحظر عقب احتجاج اهل البحرين ثم فرضت رسوما على استيراد اللؤلؤ بنسبة ٢٠٪ (٣٦) فاستمر ارسال اللؤلؤ من البحرين الى بومباى لثقبه وتلميعه. أما تأسيس البريد فى البحرين خاصة والمنطقة الخليجية بصورة عامة فهو تأكيد للعمل الاقتصادى والسياسى والعسكرى الذى تميزت به مراحل التغلغل فى المنطقة من قبل وكالات شركة الهند الشرقية ففى ١٨٦٢م اقرت حكومة الهند انشاء خط بواخر للاغراض البريديه بين بومباى والخليج العربى . وكانت دائرة البريد فى البحرين تابعة للنظام الداخلى للبريد العمومى الهندى فى بومباى وقد

عرضت الطوابع الهندية التى تحمل صورة للملكة فيكتوريا واختاما (خالصة الاجرة) منذ عام ١٨٨٢م . واستخدمت ايضا طوابع (الخدمة) الهندية الا انها كانت مخصصة لمراسلات دائرة المعتمد السياسى والموظفين الحكوميين وتم تأسيس مكاتب بريد فى البحرين فى ١٨٨٤م وكان البريد يرسل الى الهند فى كل اسبوعين والى البحرين من الهند فى كل اسبوع [٣٧] .

أما فى القضاء فقد قامت حركة عام ١٩١٩م لمواجهة تطبيق الانظمة والقوانين المدنية والجنائية المعمول بها فى الهند على سكان البحرين وهى التى تضمنت الامر التنفيذى الذى عرف باسم (مجلس البحرين التنفيذى) وكانت الحكومة البريطانية قد حاولت تطبيق القانون منذ صدوره فى عام ١٩١٣ على سكان ساحل الخليج العربى ولكن ظروف الحرب العالمية الاولى أجلت العمل به . وجدير بالذكر فقد سبق للهنود ان اعترضوا على تطبيق الانظمة الانجليزية فى بلادهم شأن اهل البحرين . وقد جاء فى هذا القانون . انه يطبق على سكان البحرين اى قانون يتم تشريعة فى المستقبل من قبل الحاكم العام او حاكم بومباى وفقا للوائح الملكية ويمكن تطبيق اى قانون فى البحرين قد يتم تشريعة فى الهند ولو قبل تنفيذ هذا القانون . وان (القانون الجنائى) السارى المفعول فى الهند يطبق على البحرين ويراس المقيم محكمة التمييز فى البحرين ويتمتع الوكيل السياسى بصلاحيات قاضى الولاية وله الحق فى اعادة حكم القاضى ولن يكون لحكم القاضى اى تأثير الا اذا صادق عليه الوكيل السياسى . ويحق للمقيم النفى للهند ويرسل تقريرا عن المنفى للحاكم الهندى . كما يطبق فى البحرين (القانون التجارى) السارى المفعول فى الهند ويطبق (القانون المدنى) السارى فى الهند على البحرينيين وكان البحرين جزء من ولاية بومباى ويكون للوكيل السياسى صلاحيات قاضى الولاية هذا كله ورد فى قانون ما يسمى (مجلس البحرين التنفيذى) وعلى اثر ذلك فقد رفض سكان البحرين تطبيق هذه القوانين لمنافاتها للاعراف والعادات والقيم الاجتماعية واجتمع اثنا عشر شخصا بشيخ البحرين وطلبوا منه ان يضع حدا لتطبيق هذه الانظمة الدخيله فى شئون القضاء وان ينشىء مجلسا يضم ذوى الرأى ويخول لهم حق انتخاب القضاة الشرعيين ورؤساء الدوائر وعزل الاجانب فاجابهم شيخ البحرين بينما ابى المعتمد السياسى ومن هنا بدأت وسائل المقيم (الميجر ديلى) لا حباط خطط الوطنيين وشيخ البحرين فما كان منهم الا ان عقدوا

مؤتمرا وطنيا واتخذوا قرارات لم ترض المعتمد وعلى اثرها اعتقل بعض الوطنيين ونفاهم المقيم السياسى الى الهند [٣٨] .

وكانت الخصومات التى تقع بين البحرينيين من جهة والاجانب من جهة اخرى تحال الى جلسة مشتركة بين شيخ البحرين والوكيل السياسى وينفذ فيها القانون الجنائى والمدنى الهندى المطبق فى البحرين باسم (مجلس البحرين التنفيذى) . اما القضايا التجارية بين البحرينيين والاجانب فتعالج بمجلس عرفى [٣٩] .

ولما كان هذا القانون يجيز للمقيم النفى الى الهند وان يرسل تقريرا عن لنفى للحاكم الهندى فقد كان ذلك لقانون فى عام ١٩١٣هـ ولكن الهند كانت مكانا لنفى السياسيين قبل ذلك ن قبل الوكالة البريطانية فى البحرين قد شهد عام ١٨٦٩م اضطرابات فى لبحرين ادت الى القبض على حاكمى لبحرين الشيخ محمد بن خليفة الشيخ محمد بن عبدالله من قبل الكولونيل بيلى) ونفيا الى الهند على تن سفينة (دفنى) يرافقهما الكابتن دوجلاس) الى بومباى ثم لى سجن جنار فى قلعة (اسيرجره) ، ١٧ مارس ١٨٧١م وكان معهما سعة من المرافقين والخدم وقد توفى لشيخ محمد بن عبدالله فى سجن جنار) بالهند فى ٢٠ ديسمبر ١٨٧٧م وكتب (الرائد انجيلو) مدير السجن الى وزارة خارجية حكومة الهند بكلكتا رسالة جاء فيها : ان ظروف الوفاة كانت طبيعية وقد اخترت له موقعا مناسبا لقبرة وهو فى صومعة الشيخ قاسم سليمانى بجانب ضريح لا حدى الاميرات من سلالة المغول السلالة التى حكمت دلهى وان هذا الموقع يكون متمشيا مع مكانة الفقيد وملائم لبناء نصب تذكارى له باعتباره احد الامراء العرب المسجوبين ولا ادرى كم يتكلف هذا النصب لكن التكاليف قد لا تتجاوز المعاش الذى كان الفقيد يتقاضاه والمصرح له لبقية السنة المالية وهى تكفى للنحات الذى قام بتبليط قبرة اما نفقات الجنازة فقد صرفت فعلا وتبلغ تسعين ربيه [٤٠] .

والمعروف ان الشيخ محمد بن عبدالله تولى الحكم لثلاثة اشهر فى وقت اضطربت فيه الاحوال بالبحرين اما الشيخ محمد بن خليفة فقد اعتقله الكولونيل بيلي وبدون محاكمة ارسله الى الهند ووضعه فى السجن وقدم ابنه طلبا الى نائب الملك فى الهند لاطلاق سراح والده ولكن نائب الملك لم يستجب للطلب وسافر على بن محمد بن خليفة الى بومباى وقدم طلبا اخر الى سكرتير الملك فى الهند بعد سبع سنوات قضاها والده فى الاسر بقلعة اسير غره [٤١] وبقى الاسرى منذ يونيو ١٨٧٠ ثم صدر الامر بنقل

الشيخ محمد بن خليفة الى عدن بتوصية من حاكم بومباى فى الرابع من ديسمبر ١٨٧٨م وفى شهر فبراير من عام ١٨٧٩م اطلق سراح علي بن ناصر بن مبارك فى عدن وهو ممن قبض عليهم سابقا وتم ترحيلهم الى الهند عام ١٨٧٠م واقترح المقيم فى عدن الافراج عن الشيـخ محمد بن خليفة ولكن بتوسط من الدولة العثمانية افرج عنه على ان يعيش بمكة المكرمة وكان ذلـك فى عام ١٣٠٤هـ وبقى فيها حتى توفى هناك بعد ثلاث سنوات [٤٢] وجاء فى تقرير عام ١٩٠٤م ان حكومة الهند طالبت حاكم البحرين تسفير اربعة اشخاص الى الهند لاعتدائهم على عامل يعمل فى شركة المانية بالبحرين على حد زعم المقيم فى البحرين وقد تم تسفيرهم على متن السفينة (سفينكس) فى ٣١ يوليو ١٩٠٥م حيث بقى احدهم فى بومباى ثـلاث سنوات . وارسـل الآخرون الى ولاية السند لمدة ستة شهور وكان شيخ البحرين يرسل مخصصات سكن للمنفيين لان حكومة الهند رفضت دفع المخصصات [٤٣] .

كما قررت حكومة الهند نفى احد البحرينيين الى (احمد نفر) بالقرب من بومباى فاسكن فى فندق حين وصوله ومعه اخران اما الخادمان اللذان معه فقد ارسلا الى سجن كراجى كما حجز على خادم اخر فى سجن كراجى لمدة ثلاث سنوات [٤٤] كل ذلك تم بامر من (الرائد ديلى) الوكيل السياسى فى البحرين وكان يخاطب رئيس قسم الشرطة فى بومباى تنفيذا للامر الصادر من الحكومة الهندية [٤٥] وقد كان شيخ البحرين يـدفع عـلاوة شهريـة الى هؤلاء المسجونين . ووافقت حكومة الهند ايضا على ترحيل الشيخ عبدالوهاب الزيانى الى الهند وبقى فيها حتى توفى هناك [٤٦] وقد قدم طلبا الى المحكمة العليا فى بومباى لمعرفـة الصيغة القانونية التى بموجبها تم نقله الى الهند ووضعه تحت الرقابة وتقييد حرية حركته فى بومباى . وبخصوص الاحكام الصادرة بحق البحرينيين الذى اودعوا سجـون الهند ليست قانونية . وطلب محمد علي جناح ممثل شركة المحاماة (باش شنكر كانجا وجـردرلال) والتى عينهـا شيـخ البحرين فى بومباى طلب من الحاكم العام فى الهند ونائب الملك اللورد ريدنج تفسيرا لذلك واعترض على تصرفات الميجر ديلى ورفضت حكومة الهند اعادة النظر فى القضايا التى اثارها الميجر ديلى فى البحرين والتى كـانت السبب فى ايجـاد الفتن والاضطرابات وبالتالى نفي بعض المواطنين للهند . وطالبت المحاماة بانه ليس للمقيم او المعتمد السياسى الحق فى ان يجعل من الهند مكانا لنفى او

ابعاد احد من البحرين او من اى مكان آخر (٤٧) .

العلاقات في مجال الشرطة :

لقد عرفت البحرين منذ القديم والى وقت قريب باعتمادها بالدرجة الاولى على الغوص وصيد اللؤلؤ وكان اكثر المواطنين يعملون في هذه المهنة تاركين أمر الامن والشرطة الى (افداوية) شيخ البحرين وهؤلاء الفداوية يأتمرون بأمره . وشهدت السنوات الاولى لتولى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة الحكم الامن والازدهار فلم تحدث اى شكاوى من الرعايا عموما ولم يرد في التقارير اية اجراءات امنية ذات اهمية (٤٨) . ويظهر ان هناك حرساً يعملون مع فداويه الشيخ وجلهم من البلوش والهنود واول ذكر للحرس الهندى في البحرين كان عام ١٩٠٧م اذ وصل ٢٦ جندى من وحدة مشاة هندية لتحل محل حرس مماثل بالتناوب ووصل حرس جديد من الهند ايضا في اكتوبر ١٩٠٨ ليقوم بدوره هناك (٤٩) وجدير بالذكر فقد زودت حكومة الهند شيخ البحرين بست قطع من مدافع عيار ٩ رطل من اجل استخدامها للتحية في المراسم الرسمية وذلك في عام ١٩١٨م وكان القائمون عليها من الهنود (٥٠) .

وفي عام ١٩٢٦م خصصت الحكومة للشرطة مهام خاصة وكانوا تابعين للبلدية ودفعت لهم رواتب وجلهم من البلوش الذين كانوا من رعايا الهند قبل التقسيم (اى قبل تقسيم الهند والباكستان) وكان استخدام البلوش تقليدا قديما لدى شيوخ البحرين كحرس لهم ولا يزال يسكن أخلافهم البحرين الى الان ويحدثنا التاريخ ان (الميجر ديلى) اهان احد الحراس من البلوش فاطلق على ديلى النار وجرحه فقتل البلوشى وعاد (ديلى) الى بلاده على اثر هذه الحادثة وسرحت الفصيلة وابدلت بشرطة من البنجاب المتقاعدين في الجيش الهندى والتى استمرت حتى عام ١٩٣٢م (٥١) وبدا الاهتمام بالاعتماد على العناصر الوطنية في الشرطة فارسلت حاجى سلمان الى الهند للتدريب على الاجراءات القضائية وكسب خبرة عملية هناك (٥٢) وهكذا انهيت خدمة ٤٤ من افراد الشرطة الهندية وحل محلهم افراد محليون (٥٣) لانهم فشلوا في تعلم اللغة المحلية ولم يرض المواطنون عن تواجدهم وبدأت محاولات تعبئة شرطة من السكان المحليين ولكن المقيم اقترح لاسباب تتعلق بالامن ان يكون ثلث القوة من الهنود (٥٤) . ونتيجة للتدريب الجيد فقد اكتسبت قوة الشرطة من السكان المحليين كفاءة جيدة ولياقة ممتازه واصبح عددهم ١٢٢ جنديا واتخذت الدولة وسيلة تدريب المتطوعين من الشرطة المحليين

في كراتشي ثم جلبت عددا من المدربين لهذه الكتيبة وعقدت دورة تدريب على استخدام العصا على يد معلم هندى من (كراتشي) وقد تخرج من هذه الدورة عشرون شخصا وكانت قوة الشرطة تشمل علاوة على هؤلاء المدربين عددا قليلا مما يشبه (الفداوية) وكان رئيس الشرطة من اهل البحرين يدعى الحاج سلمان بن جاسم الذى توفى ١٩٣٥م . واستخدم قائد فرقة موسيقية متقاعد من الجيش الهندى لتدريب الموسيقيين في البحرين وفي عام ١٩٣٧م عاد من الهند اثنا عشر عضوا من ضباط الصف من شرطة البحرين بعد ان تلقوا تدريباتهم في كراتشي وفي ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩ عاد (الشيخ خليفة بن محمد آل خليفة) من الهند بعد ان تلقى التدريب في مدرسة تدريب الشرطة في (ناسك) بالقرب من بومباى وعين مشرفا على شرطة البحرين ثم ارسل الرقيب عبدالكريم ابن المشرف السابق الحاج سليمان الى (ناسك) للتدريب وعين مساعدا للمفتش في وقت لاحق .

العلاقات في المجال الصحي :

لقد ساهم الهنود في المجالات الصحية للعمل كاطباء او ممرضين وممرضات كما قام بعض الاطباء الهنود بممارسة الطب اليوناني الشعبي القديم مع وجود المستشفيات الحديثة ففى عام ١٩٣١م عينت قابلة هندية مدربه في مستشفى الولادة بمدينة المحرق واخرى في المنامة في ١٩٣٣م وعين الطبيب (لاكره) طبيبا في مستشفى الخميس . وكلف الرائد (افريدى) في ١٩٣٧م وهو من سلك الخدمات الطبية الهندية ومعهد الملاريا بدلهى كلف بالقيام بمسح عام لمرض الملاريا في البحرين وجاء في تقريره : ان نسبة الاصابة بالملاريا في هذا العام ٢٠٪ وان مصادر توالد البعوض كالمستنقعات والعيون والابار تحتاج لمكافحة برش النفط وتنظيف المجارى ثم وصل ثلاثة من المعنيين بمكافحة الملاريا من الهند . وفي عام ١٩٤٠ تعاقدت الحكومة مع ثلاث ممرضات لمستشفى الولادة وفي العام التالى قدمت سبع عشرة ممرضة هندية مدربة واربعة اطباء هنود منهم الدكتور (باترجى) والدكتور محسن وبعد الحرب تولى الدكتور (نامبيار) الاشراف على مكافحة الملاريا واحيل الدكتور (باندركار) الذى خدم في البحرين ثلاثين سنة من ١٩٢٥ ويصف باندركار المستشفى العائم وهو مركب ابيض يخرج مع سفن الغوص ومجهز باللوازم الطبية والادوية وتدوم السفرة نحو ستة اسابيع في كل موسم ويستطرد الدكتور بندركار بقوله : ولقد زرت المغاصات والجرز الواقعة حول

البحرين بما فيها (حوار وبوسواد وفشت الديبل وخور فشت) وغيرها تلك التى تلجأ لها سفينتنا وسفن الغوص البحرينية اثناء العواصف او للحصول على الماء العذب وكانت تعمل فى الغوص نحو سبعمائة سفينه بحرينية . وهكذا كتب الدكتور بندركار تقريرا ممتعا لرحلاته مع سفن الغوص بسفينته الحكومية لعلاج المصابين والمرضى فى اثناء موسم الغوص ولمدة نحو ثلاثين سنة من عام ١٩٢٥م (٥٥) وفى مجال الطباعة كانت تجربة البحرين قد بدات منذ عام ١٩١٢م حين استقدمت مطبعة حجرية الى البحرين وكانت تطبع فيها الكراسات الدينية والسجلات التجارية . ثم جلبت مطبعة حجرية عام ١٩٣٢ وقد طبع فيها جريدة (البحرين) للاستاذ عبدالله الزايد (٥٦) . ولعل تلك المطابع الحجرية مستوردة من الهند . وكانت البحرين ترسل ما تحتاج لطبعه من مطبوعات رسمية وغير رسمية الى المطابع الحجرية فى الهند . وقد وجدت فى البحرين نسخ مزخرفة من الكتب الدينية المطبوعة فى مطابع هندية .

د . علي ابا حسين
مدير مركز الوثائق التاريخية
بالبحرين

تاريخ تطور العلاقات الاقتصادية
بين الهند والبحرين

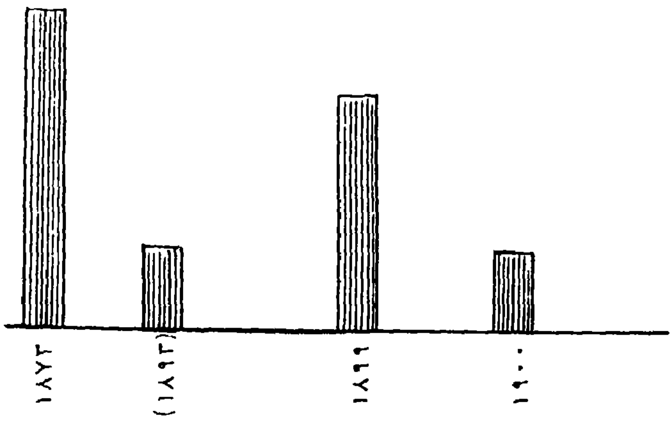
السنة

● (١٨٧٣) زادت صادرات الهند للبحرين فاحتلت اكثر من ثلث وارداتها .

● (١٨٩٣) انخفضت صادرات البحرين للهند بسبب فرض ضريبة عثمانية بنسبة ١٪ على التمور التى يصدرها تجار البحرين من القطيف الى الهند .

● (١٨٩٩) ارتفع سعر اللؤلؤ فى اسواق بومباى فزاد تصديره الى الهند ومنها قام التجار الهنود بتصديره الى معرض باريس لكنهم خسروا نتيجة الخطأ فى توقعاتهم .

● (١٩٠٠) قل تصدير اللؤلؤ للهند لانخفاض سعره فى بومباى فاصبحت ازمة نقود فى البحرين فلم يحصل الغواصون على اجورهم . وانخفضت واردات البحرين بسبب انخفاض استيراد الأرز من الهند الذى تكدس لدى تجار البحرين من العام الماضى فانخفض سعر النقود (الروبية ودولار ماريا تريزا) لقلة الطلب على اللؤلؤ وتكون صادرات الهند ٢/٣ واردات البحرين



● (١٩٠١) حدثت محاولة لاصلاح نظام الجمارك بغية توطيد سلطة حكومة الهند البريطانية بتعيين مدير جمارك هندى وبريطانى رغم اعتراض شيخ البحرين على ذلك .

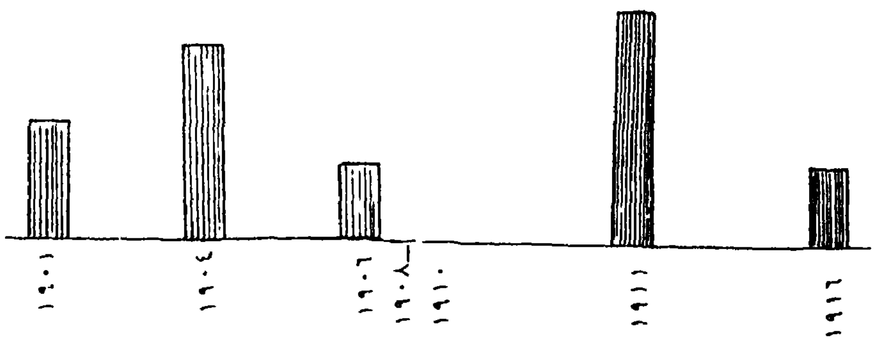
● (١٩٠٤) استقر بعض تجار العرب في الهند لمزاولة مهنة تجارة اللؤلؤ والخيول العربية المصدرة من البحرين كما استقر بعض الهنود بالبحرين .

● (١٩٠٦ ـ ١٩٠٨) عقد شيخ البحرين اتفاقية مع مدير للجمارك هندى اسمه (رتنسي برشوتام) من ١٩٠٦ الى ١٩٠٨م . ثم انتدبت بريطانيا المستر (بور) من الهند مديرا للجمارك ، لفرض سيطرتها والتدخل في الشئون الداخلية . فكسدت التجارة لاسباب منها تلاعب موظفى الجمارك الهنود وتهريب اللؤلؤ فقل الوارد الجمركي .

● (١٩١٠) تم اختيار وتعيين الوكلاء السياسيين في البحرين من السلك الهندى من ١٩٠٠ ـ ١٩٤٧ ومنهم من الهنود السيد صديق حسن مساعد المقيم في ١٩١٩ و ١٩٢٠ وخان بهادر عبدالحي الهاشمي مساعد المقيم في ١٩٣٣م .

● (١٩١١) بلغ سكان البحرين ١١٥ الف نسمة بسبب تمتع البحرين بميزات جغرافية وتجارية وسياسية واقبال التجار الاجانب للعمل في البحرين الا ان الادارة الجمركية ينقصها الكفاءة والنظام .

● (١٩١٦م) تدهورت التجارة (١) لقلة محصول اللؤلؤ (٢) وللحظر الذى فرضته الهند على تصدير العملة . (٣) وقيام التجار الهنود والعرب بشراء اللؤلؤ وتهريبه الى الهند ثم تصديره الى اوربا بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى فارتفع سعره الى ٥٠٪ .



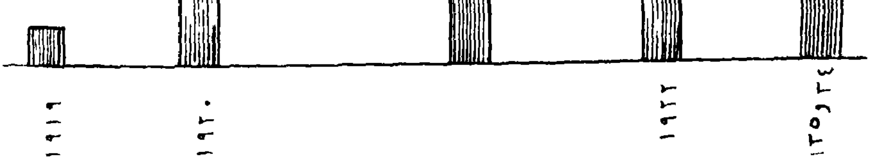
● (١٩١٩م) قلت واردات البحرين من الهند بسبب تهريب اللؤلؤ وتم سحب ١٧،٠٠٠ روبية من البحرين لاستثمارها فى بومباى وكان الوارد الجمركى يدخل جيوب الهنود الجباة فى الجمارك

● (١٩٢٠م) انشيء فرع للبنك الشرقى بالبحرين فواجه صعوبة بسبب فرض حظر على تصدير الفضه من الهند الا ان الهند الغت الحظر فاستقر البنك حيث جمع كميات كبيرة من الفضة لتزويد الغواصين بها حين الطلب وقد زادت كميات الأرز المستورد من الهند ولكن نظام المزاد فى كراجى ادى لارتفاع اسعاره بالبحرين لانه يتوجب شراء حق الشراء بالمزاد مما يكلف كثيرا . وفرضت البحرين ضريبة ترانزيت جمركية ٥٪ ثم ٢٪

● عين قنصل تجاري فى البحرين بتوصية من حكومة كلكتا واجهت البحرين نقصا فى الشحنات البحرية ونقصا فى النقود فقل دفع الاجور للغواصين توفى مدير الجمرك الهندى (تيرات داس) وكان مخلصا كفئا بمكافحة التهريب

● (١٩٢٢م) اقيم معرض للسلع الهندية فى البحرين بعد ان ارسل مدير عام الاستخبارات التجارية عينات من السلع الهندية لكنها لم تجد رواجا لعدم التنظيم والتوافق بين المعروضات مع القوائم وعدم ذكر اسماء الشركات .

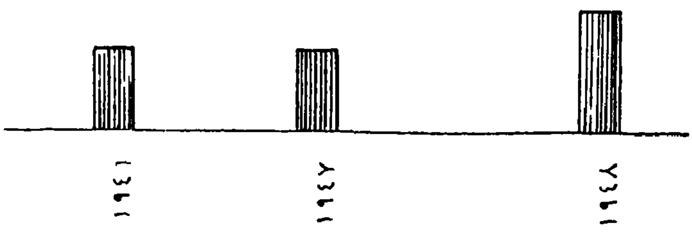
● (١٩٣٤و١٩٣٥م) تدهورت تجارة اللؤلؤ فى البحرين بسبب ظهور النفط وتحول عمال الغوص الى العمل فى النفط وظهور اللؤلؤ اليابانى الصناعي وزوال طبقة المهراجا المستوردة للؤلؤ .



● (١٩٤١م) فرضت الهند حظرا على استيراد اللؤلؤ الذى يرسله التجار لثقبة وتلميعه مما سبب قلقا لهم فألغت الحظر وفرضت رسوما على اللؤلؤ بنسبة ٢٠٪ .

● (١٩٤٧م) تقرر ان تعود شئون الخليج الى وزارة الخارجية بلندن مباشرة اعتبارا من ابريل ١٩٤٨ وطلبت الهند انشاء قنصلية لها فى البحرين فاعترضت بريطانية ثم طلبت فتح وكالة بدلا من القنصلية فوافق حاكم البحرين فى ١٩٥٠م ولكن قيدت بريطانية تلك الموافقة فالغت الهند اقتراحها واكتفت بزيارة القائم بالسفارة الهندية ببغداد الى البحرين مرة او مرتين فى كل عام للاهتمام بمصالح الرعايا الهنود فقط

● (١٩٤٨م) أوفدت حكومة الهند (بعثة حسن النيه) لمشاهدة احوال العمال الهنود العاملين فى النفط ووجدوا ظروفهم حسنه وزاروا شيخ البحرين فرحب بهم واكرمهم وقدم لهم الهدايا



الهوامش

(١) موريزيو توسى النقافات البحرية المبكرة فى الخليج العربى والمحيط الهندى ص ٣ و ٩

(٢) اس ار راو العلاقات التجاريه والنقافيه بين البحرين والهند فى الالفين النالث والنانى ق م ص ١ ، ٣ و/د محمد حرب العلاقات الحضاريه بين بلاد الخليج العربى وشبه القارة الهنديه حتى الالف الاول ق م ص ١ ـ ٨ والدكتور معاويه ابراهيم تنقيبات البعثه العربيه فى (سار) بالبحرين ص ٢٢٣ والدكتور رشيد الناضورى دور الحضارة فى فجر التاريخ (العصر الاكدى) ١٤٧/ص ٦ و (مجان) او (مكان) هى عمان . ويوجد اليوم موضع يطلق عليه (مجان) فى ساحل الباطنه قرب (نساص) بارض عمان وهناك موضع اخر يدعى (الوجن) فى الامارات العربية المتحدة ويبعد عن (العين) بنحو سبعين كيلومترا باتجاه الربع الخالى

(٣) راو ن م س ص ٣ وانظر د محمد حرب ن م س ص ٧ ، ٨ ود فيصل عبدالله الخليج العربى ووادى الهندوس فى الادبيات والحوليات المسمارية ص ٢ ـ ٥

(٤) جيه بى جونى الهند والبحرين ص ٣ ، ٥ ود سامى الاحمد تاريخ الخليج العربى ص ٢٣ ـ ٢٦

(٥) د محمد حرب ن م س ص ١٠ وانظر د سامى الاحمد ن م س ص ٢٣ و ٢٦

(٦) البلاذرى فتوح البلدان ص ٤٢٠ وانظر د ابراهيم القادرى . قراءة نقديه فى مظاهر العلاقات التاريخية بين الخليج العربى وشبه القارة الهنديه ص ١١ ـ ١٥ وابن سعيد كتاب الجغرافيا ص ٤١ والمسعودى مروج الذهب جـ ١/ص ٢١٠ و ٢١٣ والمباركوى رجال السند والهند فى القرن السابع ص ٢٩٥ / د النسيخلى تاريخ الاسلام فى افريقيه وشرقى اسيا ج ٢ ص ١٦١ و ١٧٥ /د عبدالعزيز المنقادى تاريخ ظهور الاسلام فى ساحل مليبار ص ٧ صلاح الدين احمد الاتصالات المبكره بين العرب وبنكلادش ص ٥ ود صادق نقوى العلاقات الهندية العربيه بعد ظهور

الاسلام ص ٧ ومن اصحاب العرب بالهند فقد اطلقوا على بناتهم اسم (هند) ومنهن (هند بنت الحرث الكندى) عمة امرو القيس الشاعر المعروف ووالدة (عمرو بن المندر الكندى) ملك العرب في الحيرة قبل الاسلام والمعروف (بعمرو بن هند) بنت هند بنت سهل المخزومية احدى زوجات الرسول (ص) اما هند بن ابى هالة فهو ربيب رسول الله (ص) وامه ام المومنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها

(٧) كارسول التجارة القديمة في المحيط الهندى ص ٢٠١ واحمد حسن دانى البحرين وحضارة الاندس ص ١

(٨) وليام سي برايس الاساليب الفنيه البحريه التقليديه في بحار البحرين الوثيقه ٩ ١٩٠، ١٩١ ١٩٨ وانظر ص ١١٠ من مخطوطه بعنوان اخبار الصين والهند لسليمان التاجر ومخطوطه الفوائد في اصول علم البحر والقواعد لاحمد بن ماجد (صور المخطوطين في مركز الوثائق التاريخيه بالبحرين)

(٩) حسن صالح شهاب الاهتداء بالنجوم في ظلمات البحر الوثيقه ١٤/ ٧٠ ٧٤ ٧٥ وانظر وليم بربك اساليب بحريه فنيه تقليديه والتجارة القديمة في المحيط الهندى ١٦٩، ص ١٥٠٥ والدكتور انور عبدالعليم الملاحه وعلوم البحار عند العرب ص ٢٩و٣٠

(١٠) جون كارسول البحرين والخليج والاتصالات التجاريه بجنوب الهند والشرق الاقصى ص ٣٠٢ وكابال ميناء في اقصى جنوب الهند وانظر رونالد لوكوك عمارة البحرين التقليديه ص ١٤ ،١٠١ وابوظفر الندوى اسطول كجرات مجله ثقافه الهند م ١٦ العدد ٤ ص ٩٥ / ١٩٦٥م والدكتور مقبول احمد العلاقات التجاريه بين الهند والعرب مجله ثقافه الهند م ١٧ / ص ٤٣ العدد الاول ١٩٦٥م

(١١) توسون تسجيلات المعتمديات البريطانيه في الخليج ص ١٣ و د عبدالامير محمد امين والدكتور البحار دور السجلات الهنديه . ص١١ و١٢ طبع ١٩٧٨ م

(١٢) دور السجلات الهنديه ص ١٥و١٧

(١٣) تشالز بلكريف العمود الشخصي ص ٢٢٣ ١٩٥٥م

(١٤) دور السجلات الهندية ص ١٥ و ١٧ و ٤١ ،٤٢

(١٥) توسون . المقدمة ١ و ٥

(١٦) التقارير الادارية الخليجيه لسنه ١٨٧٣ / ١٨٧٤م جدول (او)

(١٧) التقرير التجارى لعام ١٩٠٠م

(١٨) تقرير عن تجارة البحرين لعام ١٩٠١م

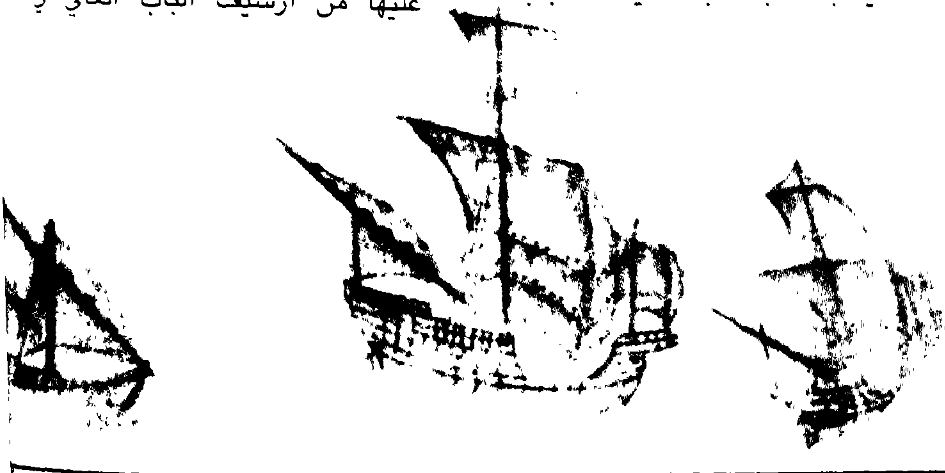
(١٩) جاكسين التقرير التجارى لعام ١٩٠١م
(٢٠) لوريمر ص ٢٢٤٨ بتاريخ ٨ مارس ١٩٠٤م
(٢١) الخليج العربي ص ٢٢٣
(٢٢) سالدنها ملخص احداث البحرين . ص ١٤١ . و ١٤٢ في ٦ مايو ١٩٠١م ـ ١٩٠٤م التقرير التجاري لعام ١٩٠٦
(٢٣) الخليج العربي ص ٢١٤
(٢٤) التقرير التجارى لعام ١٩٠٧/١٩٠٨م
(٢٥) تقرير كتبه الكابتن (براى) الوكيل السياسى في البحرين عام ١٩١٨ و ١٩١٩
(٢٦) التقرير التجارى لدول الخليج/ البحرين مجلد ٢ عام ١٩٢٠ عن الوكيل السياسى في البحرين الرائد ديكسن
(٢٧) التقرير السنوى لعام ١٩٣١م ـ ص ٢١١
(٢٨) مرفق اعلان من الشيخ عيسى بن علي حاكم البحرين مؤرخ في ٩ رمضان ١٣٢٨هـ يامر بان رسم الكمرك لا يزيد على ٥/
(٢٩) لوريمر جـ ١/ص ٥٦٤ و جـ ٣/ ١٣٩٨
(٣٠) جمال زكريا قاسم الخليج العربى ص ٢٠٨
(٣١) ال بى اس /١٨/ بى ٤٢٠/ بى ٦٢٥٨/ ١٩٢٩م/ والتقرير السنوى لعام ١٩٣٠/٣١/ص ٢١١
(٣٢) الوثيقه العدد ٥/ ص ٢٣ (توسون)
(٣٣) بروكس المسح البحرى لعام ١٨٣٢/ الوثيقة ص ٢٣و٣٥
(٣٤) التقرير السنوى لعام ١٩٣٠/ ص ١٦
(٣٥) توسن ص ٦،٥
(٣٦) ملخص الاحداث التاريخية مجلد ٣ ص ٢٤١ / منشورات الارشيف بلندن عام ١٩٨٧م
(٣٧) الوثيقة العدد ٦/ ص ١٩٢و١٩٣/ والتقرير السنوى العام ٨١و٨٢و١٨٨٣م
(٣٨) د جمال زكريا قاسم الخليج العربى ص ٢٠٣ ود امل الزيانى ص ١١٧ و ١٢٠ والريحانى ٢/ ٨٣ و ٩٠/ار/ ١٥/ الوكالة السياسيه في البحرين/ اى/او/ ار ـ ال/بى/ اس/ ١٠/ ٢٤٨ في ١٢ اغسطس ١٩١٣م
(٣٩) سى/ او/ ١٩٣٢/٧/٧٢٧ في ١٠ نوفمبر ١٩٣٢ والخليج العربى ٢١٩ والتقرير الادارى الخليجى لعام ١٩١٩م/ ١٧
(٤٠) ٢٤ ب ر/٤/٤٥ من الرائد انجيلو قائد سجن شونار الى خارجيه الهند بكلكتا بتاريخ ٢١/ ديسمبر ١٩٧٧م وانظر رسالة رقم ١١٤ حول التكاليف مورخة في ٥ ديسمبر ١٨٧٨

(٤١) ٢٤ ب ر- ٢ / مايو ١٨٧٧م/ و ٧ يوليو ١٨٧٧م
(٤٢) التقرير السنوى لعام ٧٩ و٨٤و٨٦و١٨٨٨م
(٤٣) التقرير السنوى لعام ١٩٠٤ و ١٩٠٦ و ١٩٠٧م
(٤٤) ال بى/ اس/١٠/ ١٠٣٩ ق ٢٣ اكتوبر ١٩٢٣م
(٤٥) ال بى اس/١٠/١٠٣٩ ق ٢٩ اكتوبر ١٩٢٣م وبرقيه رقم ١٠٤٣ ق ١٨ نوفمبر ١٩٢٣م
(٤٦) مولى ازارد كتاب الخليج ص ٥٩
(٤٧) اف او/٣٧١/٨٩٤٢ ق ٤ نوفمبر ١٩٢٣/ ال بى اس/ ١٠/ ١٠٣٩ ٩-ب ر/ ١/ال بى اس/١٠ ١٠٤٢ ص٣٠٣ ق ١٣/٢/١٩٢٤ واف/ او/ار/٣٧١/١٠٠٤/٩ ب ر-١/ ال بى اس/١٠/١٠٤٢ ص ٢٧٤ ق ٥/١٠/١٩٢٤ وص ٣٦٨ - ٣٧٠ ق ٣٠/٣/١٩٢٥م/ ص ١٩٤ - ١٩٥ ق ١٨/٢/١٩٢٤م وص ٣٧٨ ق ١٠/٢/١٩٢٦م/ وص ٤٤٦ ق ١٦/٥/١٩٢٨م
(٤٨) التقرير السنوى لعامى ١٨٧٥و١٨٧٧م
(٤٩) التقرير السنوى لعام ١٩٠٧م ١٩٠٨
(٥٠) التقرير الادارى للخليج عام ١٩١٨م
(٥١) التقرير السنوى ١٩١٤م البحرين حضارة وتاريخ ص ٢٢٣
(٥٢) ال / بى/ اس/١٢/ ٣١٥١ ق ٢٣ سبتمبر ١٩٢٩
(٥٣) تقرير عام ١٩٣١م
(٥٤) اف/ او/٣٧١/١٦٠٠٤ من مساعد المقيم الى سكرتير حكومه الهند ق ٩ مارس ١٩٣٢م/ وانظر الخليج العربى /ص ٢١٤
(٥٥) انظر المحاضرة التى القاها الدكتور بندركار ق الجمعيه الهنديه ق البحرين ق نوفمبر ١٩٥٥ بمناسبة تقاعده ونشرت ق مجله الوثيقه العدد ١٣/ص ٢١٥
(٥٦) التحفه النبهانيه ص ٥٣ والوثيقة ٥/٦٠و٦١

وثائق عثمانية غير…
عن البصرة واسطولها وصلاتها

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل جوانب من احوال مدينة البصرة ومحاولات اصلاحها ، لا سيما اوضاع الاسطول، والدور الذي قام به متصرف البصرة معشوق باشا بخصوص ايجاد صلات متينة وعلاقات وطيدة ومستمرة مع الكيانات العربية القائمة في الخليج العربي اواسط القرن التاسع عشر ، ومدى النجاح المتحقق في هذا المجال ، واسباب ذلك ، لما لهذا الموضوع من اهمية بالغة بالنسبة لسياسة الباب العالي في اسطنبول الرامية الى امتداد السيادة العثمانية في الخليج العربي والجزيرة العربية في وقت اشتد فيه الصراع وازداد التنافس بين القوى الدولية والمحلية لايجاد مواطىء قدم ومصالح اقتصادية وسياسية دائمة في هذه المنطقة الحساسة والمهمة من عالم القرن التاسع عشر .

ولا بد من الايضاح بدءا ان اطار هذا البحث واتجاهاته محدد بحدود المعلومات التي امدتني بها الوثائق العثمانية المتوافرة لدي والتي حصلت عليها من ارشيف الباب العالي في





بقلم : الدكتور مهدي جواد حبيب البستاني (العراق)

اسطنبول (المديرية العامة لارشيف رئاسة الوزراء ـ الصدارة) ، وهذه الوثائق ـ وهي باللغة التركية القديمة وتنشر لاول مرة ـ تمثل المراسلات المتبادلة بين متصرف البصرة والصدارة ، والتقارير المرفوعة للصدارة من المتصرف المذكور ومن المندوب العثماني في لجنة تحديد الحدود مع ايران درويش باشا ، ورسالتين باللغة العربية موجهتين من سلطان مسقط وعمان سعيد بن سلطان وابنه ثويني الى معشوق باشا ، اضافة لما يتطلبه البحث من معلومات توضيحية ومكملة للنقص الحاصل في معلومات الوثائق المذكورة مما تضمنته الكتب والدراسات المنشورة المتخصصة في شئون الخليج العربي ، آملا ان تتضح جوانب اخرى من خلال الابحاث المطروحة ، ومما سوف انشره من وثائق اخرى في البحوث القادمة بعون الله وتوفيقه .

نظرة في احوال البصرة واسطولها :

شهد الخليج العربي ، بحكم موقعه الجغرافي المتميز واهميته التجارية والستراتيجية (1) في القرنين السابع عشر والثامن عشر

صراعا حادا وتنافسا بين القوى البحرية البرتغالية والهولندية والانجليزية والفرنسية . وقد تنازعت السيادة على المنطقة قوى عربية متعددة : كالعمانيين (اليعاربة والبوعلي والبوسعيد) والقواسم والوهابيين وبني كعب . وحاول الايرانيون منذ عهد نادر شاه (١٧٣٦ ـ ١٧٤٧) تأسيس قوة بحرية فعالة في الخليج لغرض هيمنة ايرانية على المنطقة والتوسع باتجاه الحدود الشرقية للوطن العربي ، بيد انهم فشلوا فشلا ذريعا في هذا الميدان .

اما القوة البحرية العثمانية في البصرة فقد كانت متخلفة وضعيفة ، ولم تقم بدور يذكر في التأثير على مجريات الصراع الدائر وتوجيه مساراته . وترتب على ذلك انحسار نفوذ ولاة بغداد والبصرة عن منطقة الخليج العربي وتعرض الامن الوطني للعراق لمخاطر عديدة ، لا سيما منطقة البصرة التي تعرضت للحصار والاحتلال الأجنبي عدة مرات نتيجة لاهمال القوة البحرية وضعف القوات البرية .

واستمر الوجود العثماني في الخليج العربي حتى اواسط القرن التاسع عشر ضعيفا وهامشيا ، بل لا يكاد يذكر في خضم صراع الستراتيجيات الدولية المحتدم حينذاك . وذلك يعود لعدة اسباب ، منها : ضعف الاسطول العثماني بوجه عام وضعف اسطول البصرة بوجه خاص ، وانشغال الدولة العثمانية بمشاكلها الداخلية المستعصية كمشكلة محمد علي باشا والي مصر واندلاع الانتفاضات القومية في ولايات البلقان والوطن العربي ، وحروبها الخارجية مع روسيا وايران . وقد جرت عدة محاولات للتوجه العثماني نحو منطقة الخليج العربي ، الا ان ضعف القدرات المالية والعسكرية للدولة العثمانية ، ونجاح السياسة البريطانية في ابعاد العثمانيين عن المنطقة المذكورة ، باشغالهم في الصراع مع ايران والوهابيين وقوات محمد علي باشا حال دون انجاح ذلك التوجه .

كانت البصرة من مراكز التجارة المهمة في الشرق ، حيث تكدست في اسواقها ومخازنها مختلف السلع والبضائع الهندية والصينية والاوروبية المتدفقة عن طريق الخليج العربي والبحر المتوسط ، والمنقولة منها الى بغداد والموصل وبلاد الشام وشبه جزيرة العرب والاناضول وايران عن طريق نهري دجلة والفرات ، او القوافل البرية وصولا الى سواحل البحر المتوسط فاوربا ، عن طريق وادي الفرات الى بيروت وموانىء الساحل الفينيقي مرورا بدمشق وطريق وادي دجلة الى انطاكية والاسكندرية مرورا بحلب

كما ان صادرات تلك الاقطار كانت تتجمع في مخازن البصرة لتنقل منها الى الهند . وهكذا كانت التجارة تشكل موردا اساسيا لخزينة بغداد واقتصاديات الولاية .

وكان الاسطول العثماني في البصرة يتولى مهمة الدفاع عن المدينة وحماية الملاحة في الخليج وشط العرب ونهري دجلة والفرات وانيطت مهمة قيادته الى ضابط يلقب بـ (قبودان باشا) اي قائد الاسطول ، ويأتي بالمرتبة الثانية بعد متصرف البصرة من حيث التسلسل الاداري ، وكانت له دار خاصة تقع على شط العرب في قرية المناوي ، تصطف امامها قطعات الاسطول ، وهي سفن صغيرة مسلحة تعرف بـ (الثكنات) . تتميز بقعرها المسطح المطلي بالقار . وكانت هذه السفن تشكل العمود الفقري لاسطول البصرة حتى سنة ١٧٦٥ ، وتم استبدالها بعد ذلك بالغلافات وبانواع اخرى من السفن ، لمواجهة التطورات البحرية الجديدة في شط العرب والخليج العربي(٢) .

وفي اواخر عام ١٧٧٣ انضمت الى اسطول البصرة سفينتان كبيرتان نسبيا تم بناؤهما في الهند ، تحمل كل منهما اربعة عشر مدفعا ، واطلق عليهما اسما دجلة والفرات . ومع ذلك فان هذا الاسطول ظل دون مستوى الاهداف المطلوبة منه بسبب النقص في عدد السفن التي يتألف منها ، وتدني نوعيتها ، ونقص الاعداد والكوادر الفنية والعسكرية المستخدمة على ظهر هذه السفن وقلة خبرتها كما حاول والي بغداد سليمان باشا الكبير (١٧٧٩ - ١٨٠٢) في بداية حكمه تعزيز اسطول البصرة فطلب من شركة الهند الشرقية البريطانية في بومباي بناء ست غلافات كبيرة تحمل كل واحدة منها ستة مدافع ، بيد ان تلك المحاولة كانت بدون جدوى لان الانجليز لم تكن من مصلحتهم في ذلك الوقت تعزيز القدرات العسكرية لولاة بغداد وذلك لاخضاعهم لمشيئتهم وابتزازهم ، فادعوا انهم يخشون وقوع تلك الغلافات بأيدي اعداء والي بغداد واعداء الانجليز من القواسم وكعب .(٣)

تقرير معشوق باشا :

بدءا من منتصف القرن التاسع عشر اخذ العثمانيون يبدون اهتماما وان كان سطحيا بشئون الخليج العربي ، ويرقبون تطورات الاحداث فيه ، وقاموا بجمع المعلومات عن القوى السياسية المحلية والاجنبية المتواجدة في هذه المنطقة الحساسة من عالم القرن التاسع عشر . فشرعوا بارسال المبعوثين الى مشايخ العشائر العربية المتنفذة لجس نبضهم ومعرفة ميولهم واتجاهاتهم ومدى استعدادهم لتقبل السيادة العثمانية حتى ولو

إسميا أو التعاون مع الدولة العثمانية على اقل تقدير بصفتها دولة اسلامية . وانطلاقا من هذا الموقف الجديد في السياسة العثمانية كلّف الباب العالى متصرف البصرة معشوق باشا للقيام بهذه المهمة ، فبادر الاخير الى ارسال عدة اشخاص الى كل من الكويت والحسا والقطيف ومسقط واتصل بعدد من التجار وذوي المصالح مع البلدان المذكورة بهدف جمع المعلومات المتيسرة واستقصاء الحقائق واستكشاف ردود فعل الامراء والمشايخ العرب .

فورد في تقرير معشوق باشا المرفوع الى الصدارة في اواخر عام ١٨٥٠ م معلومات مبتسرة عن كيفية نشأة امارة الكويت ، حيث يشير الى ان بعض عربان نجد كانوا يأتون الى الكويت لاجل صيد الاسماك واثناء راحتهم وبغية الوقاية من ضربة الشمس وحرارتها الشديدة شيدوا لهم بيوتا صغيرة من القصب ، تحولت بمرور الزمن الى بيوت مبنية باللبن . وكان منشأ هذه الامارة في اواخر القرن السابع عشر ، ولكونها كانت حرة ومستقلة فقد اصبحت ملجأ ومسكنا أمنا للهاربين من جور حكام البصرة وغيرها ، وبلغ عدد بيوتها ستة آلاف بيت ، وكان اهالي الامارة غير مكلفين بدفع اي نوع من الضرائب ، عدا الجمرك المفروض على الامتعة والبضائع الواردة عن طريق البحر . وبمعدل ريالين عن كل نوع ، وبلغ وارد الجمرك مائة الف ريال سنويا .

ونظرا لكون الضريبة الجمركية المفروضة على البضائع التجارية المطروحة في ميناء الكويت تعد خفيفة نسبيا ، لذا كان اغلب التجار يفضلون انزال تجارتهم في الميناء المذكور ونقلها برا الى العراق وبلاد نجد والحجاز والحسا والقطيف وغيرها . وكان امير الكويت الشيخ جابر يبادر الى تقديم الامدادات والمساعدات الى اهالي البصرة برا وبحرا عندما يحل الخطب بهم وتتعرض مدينتهم لحصار العمانيين او تسلط الكعبيين . ومقابل هذه الخدمة كان امير الكويت يحصل على مائة واربعين كارة[٤] من التمور سنويا من حكومة البصرة .

وذكر معشوق باشا ان مسألة ربط الكويت بادارة البصرة واستثمار موارده الاقتصادية لحساب خزينة البصرة وقطع عطية التمور السنوية رهين بتقوية اسطول البصرة وتعزيز قوتها العسكرية بفرقة نظامية كاملة على اقل تقدير . واضاف الى ان اهالي الكويت يبدون وكأنهم تابعين للبصرة . الا ان موارد هذا البلد وحاصلاته ترجع الى مشايخه الذين لا يراجعون ادارة البصرة باي موضوع او مادة . واذا كان لا بد من وضع الكويت والبحرين تحت الحماية على الرغم من

اظهارهم الميل الى جانب الدولة العثمانية بحكم العاملين الجغرافي والديني ، فان واقع الحال يقتضي اظهار سطوة السلطنة السنية وجانب من قدراتها العسكرية ، لكي لا يعطوا اذنا صاغية لدسائس بعض الاطراف الدولية والمحلية .

وبخصوص مقاطعتي الحسا والقطيف اللتين كانتا خاضعتين لحكم ابن سعود تشير معلومات معشوق باشا ان الامير السعودي يستوفي منهما سنويا مائة الف ريال (اربعة آلاف كيس) باسم بدل جمرك وميري ، مقابل مبلغ زهيد يدفعه الى خزينة جدة وانه يحتفظ بقوة عسكرية رمزية تقدر بمائتي عسكري في كل منهما . واستنادا الى افادة عدد من ابناء الحسا والقطيف القادمين الى البصرة فإن الاهالي هناك مستاءون ومتنفرون وراغبون بالانضواء ، تحت الحكم العثماني ولتحقيق هذا الهدف أكد معشوق باشا على اهمية وضرورة بناء الاسطول وتعزيز القوات البرية لمنطقة البصرة حتى يتسنى لها التحرك لفرض السيادة العثمانية على تلك الجهات .

وقد تضمن تقرير معشوق باشا ، زيادة على ما تقدم ، عدة مقترحات لاصلاح احوال مدينة البصرة وانتشالها من حال التردي الذي اصابها والعمل على تطويرها حسب الامكانات المتاحة ومما يذكر ان اهالي البصرة والعاملين فيها من أتراك واجانب كانوا يعانون من وخامة الهواء وارتفاع نسبة الرطوبة بسبب احاطة المدينة بالمستنقعات والبحيرات الناتجة من طغيان نهر الفرات وانهيار بعض السدود التي كانت تتحكم بتوزيع فائض مياهه ، لدرجة ساد فيها التفكير بضرورة نقل البصرة الى موقع اخر فقد ارسلت الصدارة بناء على طلب والي بغداد السابق لجنة مكونة من قائم مقام مكتب الحربية علي بك ، والخواجه الثاني للمكتب المذكور أمين افندي . وقد تضمن تقريرهما تحديد سبب وخامة طقس البصرة بوجود المقبرة العامة بين محلات المدينة ، وجريان المياه الآسنة والثقيلة في ازقة المدينة وعدم تطهير مضيق العشار منذ مدة طويلة ، وتجمع المياه داخل الحدائق الموجودة بالمدينة وعدم تصريفها ، وتعفنها ، ووجود سوق الاسماك وسط المدينة وما يبعثه من عفونة وروائح كريهة تزكم الانوف ، وانهدام السدود القريبة من البصرة والمعروفة بإسم (سلحة) وتحول مجري نهر الفرات عن مجراه القديم مما ادى الى انتشار المستنقعات والبحيرات وتعرض المدينة الى وباء الكوليرا الذي اهلك وشرد عددا كبيرا من اهاليها وتحولت بيوتهم الى خرائب ومزابل ، وحدوث ظاهرة المد والجزر باستمرار .

لذا تقرر في الصدارة اختيار موقع العشار لبناء المدينة الجديدة عليه بصورة تدريجية وكمرحلة اولى تقرر بناء جامع يحمل اسم السلطان العثماني ، ودائرة للجمرك ، ومقر القائمقام ، وعدد مناسب من المغازات والدكاكين . وحمام يوقف لحساب الجامع . على ان تتم تسوية تكاليف هذه المنشآت ، البالغة بصورة تخمينية ثلاثة آلاف كيس أقجة من الحاصلات الجديدة للمدينة .

ولكن معشوق باشا ، بعد توليه لمهام منصبه ومطالعته لجميع التقارير المكتوبة حول اصلاح احوال البصرة واطلاعه ميدانيا على واقع المدينة اقنع الصدارة بامكانية معالجة مشاكل المدينة دون الحاجة الى نقلها الى مكان آخر . فعمل على ازالة الاسباب المؤدية الى وخامة الجو . وطلب من الصدارة ارسال طبيب وصيدلي لمعالجة المرضى ، حيث ينعدم وجود الطبيب في المدينة وقتذاك ، كما قام ببناء دوائر للحجر الصحي «تحفظ خانه» والجمرك وخان وعدد من الدكاكين في العشار ، وابدى مساعدته لكل راغب من الأهالي في بناء دور لهم في الموقع المذكور . وتعهد معشوق باشا للصدارة بانه سيعمل على اتخاذ التدابير والاجراءات المؤدية الى عودة المهاجرين من اهالي البصرة الذين تركوها في الازمان السابقة وسكنوا في الكويت والمحمرة وغيرهما . وحدد اسباب هجرة الاهالي بما يلي :

١ ـ الظلم والتعدى الذي لحق بهم
٢ ـ عدم تمكن حكام البصرة السابقين من انقاذ الأهالي من تعديات العشائر .
٣ ـ وجود ادارة حرة ومستقلة في كل من الكويت والمحمرة جذب اهل البصرة اليهما .
٤ ـ تعرض البصرة الى الوباء عام ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م ، والكوليرا عام ١٢٦٢ هـ ١٨٤٦ م .
٥ ـ وخامة جو البصرة الزائد عن التحمل بسبب انتشار المستنقعات والبحيرات وامتلاء الأزقه بالمياه الآسنه والثقيله وانتشار الخرائب والمزابل وما شابه .

وبذل معشوق باشا مجهودات كبيرة ـ حسب ما ذكر في تقريره من اجل اعادة النازحين والمقيمين في الكويت والمحمرة من اهالي البصرة اليها ، فاتصل سرا بهم ورغبهم على العودة الى بيوتهم واستخدم اقاربهم واصدقاءهم لتحقيق هذا الغرض كما عمل على منع تعدي عشائر المنتفق على الحاصلات الزراعية العائدة الى اصحاب بساتين النخيل في منطقة البصرة (٥).

بيد ان الباب العالي ـ الذي كان

مشغولا بحرب القرم مع روسيا ـ وجد نفسه عاجزا عن تلبية مطالب متصرف البصرة ولم يجد بدا من التوصية باتخاذ التدابير الممكنة لاستمالة اهالي الخليج العربي وترغيبهم بقبول التابعية للدولة العثمانية (السلطنة السنية).[٦]

تقرير درويش باشا :

من خلال قيام المندوب العثماني في اللجنة الدولية لتحديد الحدود مع ايران بمهام عمله الذي يتطلب التجوال والمشاهدة الشخصية للمناطق المتنازع عليها من اجل اعادة ترسيم الحدود العراقية ـ الايرانية اطلع درويش باشا عن كثب على الاوضاع المزرية لاسطول البصرة وقواتها العسكرية البرية والبحرية فبادر الى تسجيل ملاحظاته ورفعها بتقرير مستعجل الى الصدارة في ٢١ ربيع الثاني ١٢٦٦ هـ / ٦ مارس ١٨٥٠ م بناء على التعليمات السرية التي زودته بها الاجهزة الخاصة في الباب العالي عند تكليفه بهذه المهمة والتي كانت تقتضي جمع المعلومات وتقصي الحقائق عن احوال واوضاع ايالات العراق زيادة على مهمته الاساسية .

ابتدأ درويش باشا تقريره بتبيان اهمية موقع البصرة ، فذكر ان البصرة من المواقع التي تتطلب العناية الكبيرة والاهتمام الاستثنائي نظرا لاشرافها على عدد كبير من القرى والمقاطعات وديار العشائر ولمجاورتها ايران وعشائر عربية غير منقادة (كعب والمنتفق وبني لام) ، مما يتطلب وجود قوات برية وبحرية قادرة على تحقيق الامن الداخلي وحماية الحدود البرية ومياه شط العرب وخليج البصرة . بيد ان واقع الحال يشير الى خلاف المطلوب ، اذ ان موجود القوات العسكرية في البصرة لا يتعدى ٧٠ ـ ٨٠ جنديا من صنف المدفعية و٢٥٠ جندي مشاة (باشبوزق بيادة) ، علما ان اكثر من نصف صنف المدفعية المذكورين اعداد غير صالحة للخدمة العسكرية لكونهم مرضى ومعوقين اما المدافع فهي على قلتها فانها من النوع القديم وينقصها بعض قطع الغيار (المواد الاحتياطية) .

وتناول في تقريره واقع اسطول البصرة ، فذكر انه يتألف من ست قطع بحرية كبيرة الا ان احداها غير صالحة للخدمة على الاطلاق وقد سحبت الى البر في مضيق العشار لاجل تعميرها فاهملت ، وهي الآن معرضة للتلف يوما بعد يوم ، والسفينة الاخرى يمكن استعمالها بعد اجراء صيانة واسعة عليها . اما السفن الاربع الباقية فهي ايضا غير صالحة ليس لركوب البحر فحسب وانما غير صالحة للاستخدام حتى في

مياه شط العرب ، وينقص اشرعتها جميع الادوات اللازمة لتشغيلها لذلك وضعت كل واحدة من هذه السفن الاربع في موضع معين لتحصيل الرسوم الجمركية .

في حين يتجول في خليج البصرة اسطول انجليزي يتألف من ٥ ـ ٦ قطع بحرية نوع «بريق» و«قروت» بحجة ملاحقة القراصنة ومنع تجارة الرقيق وحماية صيادي اللؤلؤ . وكان قائد الاسطول الانجليزي يقيم في البصرة او في ميناء بوشهر او البحرين خلال تجوال سفنه في مياه الخليج وشط العرب حتى ان القائد المذكور يرابط قبل عدة ايام من تاريخ كتابة هذا التقرير بسفينة القيادة التابعة للأسطول الانجليزي امام ميناء المحمرة .

واستنادا للمعلومات المتجمعة لدى درويش باشا فان النفوذ الانجليزي امتد الى عدة جزر في سواحل خليج البصرة ومنها جزيرة «قشم» الواقعة في مضيق هرمز ، والتي اقام الانجليز على الجانب الشمالي منها ابنية ومنشآت عديدة وحتى لو لم تحصل هذه التطورات فان من اهم مهام السلطنة السنيَّة ازاء موقع مهم كالبصرة ، التي تعتبر من المناطق الحدودية الرئيسية والموانىء الكبيرة تهيئة اربع سفن حربية على الأقل ، نوع «فرقتين وقروت وبريق» وسفينة بحرية تجارية كبيرة ، وباخرتين للنقل النهري في دجلة والفرات تعملان بين بغداد والبصرة ومدخل الخليج «مضيق خليج البصرة» واعادة تنظيم وتشغيل ترسانة البصرة القديمة .

واضاف درويش باشا انه في حال تعزيز القوات البرية والبحرية في هذه المنطقة فان كل امور واوضاع ايالة البصرة سوف تسير في الاتجاه الصحيح ويتحقق الاصلاح المطلوب والرقي المنشود وسوف تعود الحسا والقطيف اللتان كانتا تعدان قديما من مضافات البصرة ثم خرجتا من التابعية العثمانية بسبب تسيب وضعف الادارة في العراق ، الى السيادة العثمانية ، وانه لامر واضح ان يبادر سلطان مسقط الذي يخشى الانجليز ويخافهم الى طلب حماية هكذا دولة اسلامية عظيمة .

وبقصد تسهيل اعادة تنظيم اسطول البصرة اقترح درويش باشا تعيين «مباشر» للاشراف على ذلك وعند صدور الامر السامي ببناء السفن والبواخر المذكورة في بومباي وحين اكمالها يصار الى تعيين قائد مناسب لقيادة الاسطول من ضباط قيادة البحرية في اسطنبول مع عدد مناسب من الضباط المختصين بفنون البحر لتعليمهم وتدريب العساكر والسفانة المحليين . ولما كان تحقيق هذا الامر يحتاج الى وقت ليس بالقصير فان

المصلحة العامة للدولة تتطلب الايعاز الى قائد فيلق الحجاز والعراق ليقوم بارسال طابورين مشاة من القوات النظامية ، ومقدار مناسب من جنود الفرسان والمدفعية ، مع عدد من المدافع الى البصرة كتعزيز سريع لقدراتها الدفاعية .[٧]

وفي مذكرته المرفوعة الى متصرف البصرة معشوق باشا في غرة شعبان ١٢٦٦ هـ / ١٢ حزيران ١٨٥٠ م اشار درويش باشا الى وجود سفينتين من اسطول البصرة وهما فتحعلي وصالحي ، ترابطان امام المحمرة وفي نهر الكارون وامام مضيق نهر بهمشير .[٨]

صلات البصرة بسلطنة مسقط وعمان :

في عام ١٢٦٧ هـ / ١٨٥١ كلف الباب العالي متصرف ايالة البصرة معشوق باشا بدراسة احوال منطقة الخليج العربي ، ومعرفة مدى امكانية مد جسور التعاون والالتقاء مع الكيانات المحلية القائمة هناك ، لا سيما مع سلطان مسقط وعمان السيد سعيد بن سلطان (١٧٩١ ـ ١٨٥٦) ، والعمل على جذبها الى حظيرة الدولة العثمانية . وكان الباب العالي يرصد حينذاك دخول سعيد بن سلطان في دائرة واسعة من العلاقات والمصالح مع سائر الدول ، على الرغم من تظاهره بالميل نحو الدولة العثمانية ، لذا طلب من متصرف البصرة مراسلته سرا من اجل استمالته الى الصف العثماني ، ومعرفة حقيقة الاخبار الواردة الى مسامع الخارجية العثمانية حول حدوث نزاع بين سلطان مسقط والانجليز بسبب عدم ايفاء الاولى بالاتفاق المعقود معه من جانب بريطانيا بخصوص منع تجارة العبيد [٩].

افاد معشوق باشا في مذكرته الجوابية المرسلة الى الباب العالى بتاريخ ١٥ شوال ١٢٦٧ هـ / ١٥ حزيران ١٨٥١ ، استنادا الى المعلومات المتجمعة لديه من التجار العاملين بين البصرة ومسقط ، ان علاقات سلطان مسقط مع الدول الاجنبية متأتية من الصلات والمعاملات التجارية القائمة بين سلطنة عمان والموانىء الهندية القريبة من سواحل بلاد العرب الجنوبية الشرقية . وبحكم خضوع بلاد الهند للهيمنة البريطانية ، فان الضرورة تقتضي عقد العلاقات الاقتصادية والسياسية مع بريطانيا كذلك واحتمال ميل سلطان مسقط للدولة العثمانية يقع في اطار السياق السابق نفسه الذي تحتمه المصالح التجارية التي تقوم وترتكز عليها سلطنة مسقط وعمان وبغية الوقوف جليا على هذا الحال ومد جسور الاتصال مع السلطنة المذكورة ارسل

معشوق باشا رسالتين احداهما الى السلطان سعيد الموجود حينذاك في عمان ، والاخرى الى ابنه ثويني وكيله في مسقط ، تضمنتا عبارات المودة والاستفسار عن الخاطر ، وكيفية وصوله الى البصرة ومباشرته مهام منصبه .

يلاحظ هنا ابتعاد متصرف البصرة معشوق باشا ، بناء على توجيهات الباب العالي عن الاشارة الى المسائل المتعلقة بمصالح الدولة العثمانية في الخليج العربي في رسالتيه المذكورتين وذلك تجنبا من وقوع الطرف الآخر في دائرة سوء الفهم او الشكوك في المقاصد العثمانية التي تنطوي عليها سياستهم الجديدة في المنطقة المذكورة . كما يلاحظ في هذه الوثيقة وفي الادبيات العثمانية كافة ورود اسم سعيد بن سلطان مقترنا بلقب «الامام» بينما المعروف ان لقب الأمامة لم يحمله من اسرة البوسعيد الا مؤسس هذه الأسرة الامام احمد بن سعيد (١٧٤٤ ـ ١٧٨٣) الذي قضى على حكم اسرة اليعاربة في عام ١٧٤٤ وورث اللقب من بعده سعيد (١٧٨٣ ـ ١٨٠٣) دون انتخاب او مبايعة او اعتراف . وقد اتخذ حكام البوسعيد المتأخرون لقب «السيد» [١٠] «كما شاع استخدام لقب «السلطان» لا سيما في الادبيات والكتابات والتقارير الاوروبية ، ويبدو ان الاتراك العثمانيين فضلوا استخدام لقب «امام» لانهم لا يعترفون بالسلطنة والقاب السلطان الا لملوكهم من آل عثمان .

وفي الوقت والسياق ذاته ارسل معشوق باشا رسالة ثالثة الى احد تجار البصرة البارزين ، يدعى عبدالله جمال الجلبي كان مقيما منذ فترة طويلة في سلطنة مسقط وعمان وبالرغم من وصول رسالة ثويني الجوابية المؤرخة في الرابع عشر من شوال ١٢٦٦ هـ / ٢٣ آب ١٨٥٠ م الى البصرة في شهر رمضان ١٢٦٧ هـ / حزيران ١٨٥١ م الا ان معشوق باشا آثر تعليق ارسالها الى الصدارة لحين ورود رسالة والده الجوابية وعندما عاد السيد سعيد بن سلطان من عمان الى مسقط في ٩ رجب ١٢٦٧ هـ / ١٠ مايو ١٨٥١ م بادر الى تحرير رسالة جوابية الى متصرف البصرة مؤرخة في ٢٩ رجب ١٢٦٧ هـ/ ٣٠ مايو ١٨٥١م وصلت الى البصرة في الشهر التالي لتحريرها ، وفيما يلي نصها الحرفي مع نص رسالة ثويني :

الجناب المستطاب ذو الشوكة والاجلال العالي جاه الافخم الاحتشم الاخ معشوق باشا المكرم دام اجلاله وحرسه الله سبحانه من شر الاشرار وامنه من عواصف الاكدار ورواجف الاخطار بحق محمد سيد الابرار امين

رب العالمين

اما بعد ، فالغرض الاهم والمطلب الاتم من تحرير رقيمة الوداد وتأنيق انيقة الاتحاد هو السؤال عن احوال سلامة تلك الذات الجامعة لمكارم الاخلاق والصفات حرسها رب الارضين والسموات وفي ابرك الاوقات واشرف الساعات ورد علينا كتابكم الكريم المنبيء عن الود القويم والاتحاد المستقيم فآسر الخاطر واقر الناظر وجمع ما اشتمل عليه من غرر المعاني ودرر البيان فقد ارتسم في الخاطر والجنان ونحن قد وصلنا مسقط في ٩ من رجب وان شاء الله المحبة من الطرفين ثابتة الاركان مشيدة البنيان ، لا يغيرها غير ، ولا يشوبها كدر والمأمول ادرار المراسلات مع شرح احوال سلامة تلك الذات وبما يبدو من المهمات بعون الله ليقضي بمجرد الاعلام والسلام خير مبدأ وختام .(١١)

هذا من المحب

الواثق بالله عبده سعيد بن سلطان

تحرير ٢٩ في رجب الاصم سنة ١٢٦٧

الجناب المستطاب ، مركز كرة الأبهة والرأي ، ثمرة شجرة العزة والسياسة نتيجة الاشراف من آل عبد مناف ، الافخم المحترم معشوق باشا المكرم والي حكومة البصرة ونواحيها دام اجلاله وحرسه الله سبحانه وتعالى من شر الاشرار وامنه من عواصف الاكدار ورواجف الاخطار بحق محمد سيد الابرار آمين رب العالمين .

اما بعد ، فالغرض الاهم والمطلب الأوفى الأتم من تحرير رقيمة الوداد وانيقة المودة والاتحاد هو السؤال عن احوال سلامة تلك الذات الجامعة لمكارم الاخلاق والصفات ، حرسها رب الارضين والسموات ، وفي ابرك الاوقات واشرف الساعات ورد علينا كتابكم الكريم المنبيء عن الود القويم والاتحاد المستقيم فكان اعز واصل واجل نازل ، وجميع ما اشتمل عليه من درر المعاني وغرر البيان فقد ارتسم في الخاطر والجنان ، لا سيما من طرف وصولكم الى البصرة وتفويضكم أمر ايالتها وحكومتها مع جميع ملحقاتها وعشيرة المنتفك ، فقد استبشرنا بذلك غاية البشارة وسررنا بذلك كثيرا ، فكذلك من طرف اثبات المحبة والمودة فنحن من جانبنا ثابتة الاركان لا يغيرها غير ولا يشوبها كدر ما دامت الارواح في الصور . والكتاب الذي بأسم جناب سيدنا الوالد حفظه الله وصلنا حال تحريره لنرسله لجنابه ان شاء الله ليكون معلوما .. هذا والمأمول ادرار المراسلات مع شرح احوال سلامة تلك الذات وبما يبدو لكم من المهمات في هذه النواحي

والجهات ليقضي بعون الله بمجرد الاعـلام . والسـلام خـير مبـدا وختام .[١٢]

هذا من المحب

الواثق بالله عبده ثويني بن سعيد بن سلطان

تحرير ١٤ في شوال المكرم سنة ١٢٦٦

لقد تضمنت مذكرة معشوق باشا ، زيادة على ما تقدم ، معلومات مهمة عن احوال الاسرة الحاكمة للسلطنة العمانية ، منها ان السلطان سعيد كان يميل الى اشراك ابنه الصغير ثويني في تدبير شئون الادارة في مسقط اثناء غيابه فجعله وكيلا عنه مما أثار حفيظة ابنه الكبير هلال واوغر صدره فهرب الى مصر ، ومكث هناك مدة من الزمن بأمل تحقيق مطالبه الشخصية ولكن بدون جدوى ، اذ انه لم يجد اذنا صاغية لمطالبه ، فشدّ الرحال الى انجلترا ، وبعد مرور سنتين على مكوثه في انجلترا عاد الى مسقط بوساطة الحكومة البريطانية ، بيد ان والده لم يغير موقفه منه ولم يسند اليه اي عمل اداري او رسمي .[١٣]

ومن الجدير بالذكر هنا ان السيد سعيد بن سلطان كان له عدد كبير من الابناء من بينهم هلال وخالد وثويني وتركي وبرغش ، وانه كان على خلاف عميق مع ابنه البكر هلال تسبب في حرمانه من ولاية العهد . اما اسباب الخصام العائلي فتعود على ما يبدو الى ان الابن الاكبر يعتبر في قصور الملوك والسلاطين موضع ريبة ابيه وشكه ، وخصوصا اذا امتلك الابن قدرا من الشجاعة وعلو الهمة وسعة الطموح وكانت ام خالد الاخ الاصغر لهلال ذات حظوة ونفوذ لدى زوجها السلطان فاستغلت منزلتها لتحصل لأبنها على ولاية العهد ، بالرغم من كونه غير محبوب من الناس لانهماكه في التجارة وجمع المال ، في حين اتصف هلال بالشجاعة والفروسية ، فحظي بحب الناس واحترامهم ، الا ان ميل ابيه الى اخيه خالد وتفضيله عليه دفعه الى الشكوى ثم المعارضة فالتمرد .

وزاد الطين بلة اكتشاف السلطان سعيد قيام صلات وثيقة بين ابنه هلال والقنصل الفرنسي في زنجبار . فازدادت مخاوفه من ابنه الاكبر وشكوكه فيه . وكان السيد سعيد يشعر بالشك والريبة في نوايا الفرنسيين تجاهه . تلك النوايا المتمثلة بسعيهم الى الاستحواذ على املاكه في افريقيا الشرقية ، لذا اقدم في عام ١٨٤٤ على استشارة الحكومة البريطانية برغبته في ان يرثه على ملكه في عمان ابنه ثويني ، وعلى ملكه في افريقيا الشرقية ابنه خالد . وكان جواب الحكومة البريطانية انها لا تتدخل في الشئون الداخلية للسلطنة .

ولكنها نصحت السلطان سعيد بصورة غير مباشرة بضرورة المصالحة والتفاهم مع ابنه .

ويبدو ان سيل غضب الأب على ابنه قد بلغ الزبى عندما قام هلال في شهر ايلول من عام ١٨٤٥ بزيارة سرية مفاجئة الى لندن ، فصمم على حرمان هلال من حقوقه ، وتعيين ابنية تويني وخالد وكيلين له في مسقط وزنجبار وعند عودة هلال الى زنجبار على ظهر باخرة بريطانية في شباط ١٨٤٦ ازداد والده حنقا عليه وضاق منه ذرعا ، فنفاه عام ١٨٤٩ الى جزيرة لامو حيث مكث فيها ولم يغادرها الا لأداء فريضة الحج ، فوافته المنية في ٢٢ ايلول ١٨٥١ في مدينة عدن في طريقه الى مكة المكرمة .(١٤)

نعود الى مذكرة معشوق باشا لنستعرض بعض الجوانب الخفية من الصراع الدائر بين النفوذين البريطاني والامريكي في المحيط الهندي وبحر العرب والخليج العربي . فقد ذكر معشوق باشا ان احدى السفن الامريكية جاءت الى سواحل عمان واخذت أعدادا كبيرة من العبيد ، وان هذا العمل اثار استياء وعدم رضا قائد الوحدة البحرية البريطانية المتواجدة في هذه المياه ، والمؤلفة من سفينتين من نوع «بيلك» وطلب القائد المذكور من سلطان مسقط منع الامريكان واهالي السلطنة الذين يتعاطون هذه التجارة ، استنادا الى الاتفاقية المعقودة بين الطرفين بخصوص العمل المشترك من اجل منع ممارسة تجارة العبيد في سواحل الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية

وقد اجاب السلطان سعيد بعدم امكانية منع هذه التجارة داخل سلطنته ، وعدم اقتداره على منع الامريكان من ممارستها .

وبالفعل اخذ الامريكان ما يشاؤون من العبيد ، واثناء مغادرتهم السواحل المذكورة لم يفعل القائد البريطاني سوى الادعاء بانه سوف يتعقب السفن الامريكية ويمنع نشاطها ، بيد انه لم يصنع شيئا ، بل استمر الامريكان بمزاولة تجارة العبيد في السواحل المذكورة وداخل السلطنة ، مما اثار الجدل المستمر بين الحكومة البريطانية وسلطان مسقط (١٥)

والمعروف ان مسقط كانت تعتبر سوقا كبيرة من اسواق بيع الرقيق وتصديره الى اوربا وامريكا ومدن الخليج العربي والبصرة وبغداد . وكان حكام عمان يمارسون هذه التجارة لحسابهم الخاص ، ويحصلون على دخل سنوي يقدر بثلاثة عشر الف باون . ذكر كرزن (Curzon) ان ايراد السلطان سعيد

من تجارة الرقيق قبل الغائها كان يشكل ربع ايراده الاجمالي البالغ ثمانين الف باون سنويا . واستنادا الى معلومات شركة الهند الشرقية عام ١٨١٢ فان عدد الرقيق المصدر من زنجبار الى مسقط والهند وجزر موريشيوس يتراح بين ٦٠٠٠ - ١٠٠٠٠ نفر سنويا ، وان عدد السكان الاحرار في هذه الاماكن لا يتجاوز ٢٥٪ من التعداد العام للسكان ، ومن المألوف هناك ان يمتلك بعض الاشخاص من الاثرياء حوالي ٨٠٠ - ٩٠٠ نفر من العبيد .(١٦)

لذلك خسر السلطان سعيد موردا ضخما عند توقيعه معاهدة ١٨٢٢ مع بريطانيا لمكافحة تجارة الرقيق ، واصبح لسفن الأسطول البريطاني الحق في تفتيش السفن المشتبه بتعاطيها هذه التجارة المحرمة دوليا . كما اثارت هذه المعاهدة استياء التجار العمانيين الذين كانت تجارة الرقيق تشكل مهنتهم الرئيسية ، ومعارضة رجال الدين المتعاطفين مع التجار ، ولذا فان حجما واسعا من هذه التجارة ظل مستمرا ، مما تطلب التأكيد على تحريم تجارة الرقيق بالمعاهدات المبرمة في اعوام ١٨٣٩ و١٨٤٥ و١٨٧٣ .

ولكن نجاح الفرنسيين في ابرام معاهدة مع السيد سعيد عام ١٨٤٤ منحتهم الحصانة الدبلوماسية ، وامنت لهم ولتابعيهم الحماية من المتابعة والتفتيش ، مما ادى الى استمرار تجارة الرقيق تحت العلم الفرنسي ، ولم تستطع صرامة معاهدة ١٨٤٥ مع انجلترا مكافحتها والقضاء عليها نهائيا .(١٧) ومما يجدر ذكره هنا ان الفرنسيين كانت لهم علاقات تجارية مبكرة مع عمان واثناء الحملة الفرنسية على مصر وخشية بريطانيا من سيطرة الفرنسيين على طريق الهند سارعت الى عقد معاهدة مع عمان في ١٢ تشرين الاول ١٧٩٨ حصلت بموجبها على حق فتح وكالة لها في بندر عباس تكفلت بحمايتها ذاتيا . وبعد عامين عقدت معاهدة ثانية تضمنت وجوب وجود وكيل بريطاني مقيم في مسقط ، الا ان هذا البند من المعاهدة لم يدخل حيز التنفيذ الا بعد مرور اربعين عاما .

ويبدو ان الحكومة البريطانية ، حتى عام ١٨١٦ ، كانت غير راغبة في التدخل المباشر بشئون عمان ، ليس عزوفا عن مبدأ التدخل بشئون الغير ، وانما لخوفها من مغبة التورط ولقصور رؤيتها عن ادراك نطاق مصالحها الحقيقية في تلك المنطقة الحيوية ، ومقدار الفوائد المتحققة نتيجة هذا التدخل . وقد تصدت سفن بعض المواطنين من العمانيين والقواسم للسفن الانجليزية وانزلوا بسفن اعدائهم خسائر جسيمة ، سواء

اكانت تجارية او حربية .[١٨] لذلك اطلق الانجليز على ساحل عمان الذي يمتد غربا الى شبه جزيرة قطر اسم «ساحل القرصنة» ، وبعد اخضاع العمانيين والقواسم لمشيئتهم وتقييدهم باتفاقيات غير متكافئة اطلقوا على الساحل نفسه اسم «ساحل عمان المهادن» او «ساحل عمان المتصالح» .[١٩]

وعندما اقتنع سلطان عمان بعدم جدية الانجليز والايرانيين في تحالفهم معه ، لكون كل واحد منهم كان يبحث عن تأمين مصالحه الذاتية في ميدان الصراع ، عاد مجددا لمغازلة الفرنسيين ، وعقد اتفاقا معهم في ٣٠ اذار ١٨١٧ ظل معمولا به حتى توقيع المعاهدة التجارية الفرنسية ـ العمانية عام ١٨٤٤ .[٢٠]

وبعد نجاح قوات محمد علي باشا في احتلال الدرعية واسر عبدالله بن سعود (١٨١٨ ـ ١٨١٩) وجد السيد سعيد بن سلطان ان الوقت قد حان للقضاء على القواسم بمعاونة القوة البحرية البريطانية [٢١] فتم له ما اراد هذه المرة بالرغم من المقاومة الضارية للقواسم الذين اجبروا على توقيع معاهدة في ٨ كانون الثاني ١٨٢٠ تعهدوا بموجبها بعدم ممارسة اعمال الغزو في البر والقرصنة في البحر مستقبلا .[٢٢] وفي تموز ١٨٢٦ حاول السلطان سعيد محاصرة بوشهر والاستيلاء عليها ولكنه عدل عن ذلك بناء على طلب من المقيم البريطاني ، وقد تمكن من اسر حاكمها الايراني الذي كان مبحرا الى بلاده ، ومكث في الاسر عدة اشهر كما ارسل في تشرين الثاني من السنة ذاتها حملة بحرية الى البصرة لارغام الوالي العثماني على دفع المنحة السنوية التي قررها السلطان مصطفى الثالث عام ١٧٥٦ الى الأمام احمد بن سعيد مقابل نصرته للبصرة عند حصار الايرانيين لها [٢٣]

وخلال السنوات الممتدة بين ١٨٢٨ ـ ١٨٣٨ تمكن سلطان عمان من بسط نفوذه على ساحل افريقيا الشرقي فاستولى على ممباسة وزنجبار .

ومن الجدير بالذكر ان بريطانيا كانت تعتمد على سعيد بن سلطان للحفاظ على الوضع الراهن في الخليج العربي بما يؤمن استمرار المصالح البريطانية الاقتصادية والسياسية ، لذلك قدمت اليه الدعم والاسناد المباشر وغير المباشر في صراعه مع القواسم وآل سعود ، ومع الطامعين في السلطة من ابناء اسرته وغيرهم من زعماء القبائل في السلطنة .[٢٤]

وازاء تصاعد نشاط محمد علي باشا ونزوعه نحو تكوين دولة كبيرة تضم شبه جزيرة العرب والهلال الخصيب ، اضافة لمصر والسودان ،

اقتنعت حكومة الهند البريطانية بضرورة اقامة علاقات اوثق بين سلطنة عمان وبومباي ، فقررت ارسال وكيل بريطاني الى مسقط ، وبناء على ذلك فقد عين الكابتن همرتون قنصلا بريطانيا في عمان عام ١٨٤٠ ، ولكن اتخاذ السلطان سعيد زنجبار مقرا لحكومته في ذلك الوقت جعل القنصل المذكور يتجه اليها ويتخذها هو الآخر مقرا له .(٢٥) .

اسطول البصرة ومحاولات تطويره

ذكرنا في بداية البحث ، ومن خلال عرض ما ورد في تقرير درويش باشا ، ان اسطول البصرة لم يقم بدور مؤثر في مياه الخليج العربي من النواحي السياسية والعسكرية والتجارية ، وانه كان عاجزا حتى عن تأمين الحماية للبصرة ذاتها بسبب تدهوره وتردي احواله فنيا ونوعيا ، كما وكيفا ، وقد اشرنا الى اسباب هذا التدهور والتردي ، ولا نجد ضرورة لتكرار ذلك .

كان يوجد في ترسانة البصرة اواخر النصف الاول من القرن التاسع عشر سبع سفن احداها تصلح للتجارة البحرية بعد صيانتها وتسمى «فتح علي» والست الاخرى تصلح للتجارة النهرية ، وهي : بتار وفتح خيبر وتكبير وبغداد وعطية الرحمن وصالحي . وبناء على طلب كل من والي بغداد وقائد اسطول البصرة من الصدارة الموافقة على شراء خمس سفن صغيرة إحداها من نوع «قروت» ، واثنتين من نوع «بريق» . واثنتين من نوع «اوسقونة» وكذلك سفينتين كبيرتين نهرية وبحرية ، فقد تمت مفاتحة الجهات المعنية في لندن لبناء السفينتين الاخيرتين ، وتقرر تصنيع السفن الخمس الاخرى في ترسانة اسطنبول (٢٦)

وبناء على مقترحات مجلس البحرية في الباب العالي الواردة في المذكرة المرفوعة الى الصدارة بتاريخ ٥ جمادى الثانية ١٢٦٥هـ / ٢٨ نيسان ١٨٤٩ م من قائد (قيودان) البحرية العثمانية سليمان باشا والمقترنة بموافقة الصدارة في السابع من جمادى الثانية ، ومصادقة السلطان في الثامن منه تقرر ما يلي

١ ـ تعيين قائد السفينة الحربية «مسعودية» ميرالاى بيربك قائدا لاسطول البصرة ، ومنحه صلاحية اعادة تنظيم القوات البرية وتعمير السفن الموجودة في ترسانة البصرة ، ومنحه كذلك رتبة «رياسة همايون» .

٢ ـ تعيين رستم اغا ، وهو احد ضباط البحرية في اسطنبول ، مساعدا لقبطان البصرة ، ومنحه رتبة «بكباشي» .

٣ ـ ارسال مجموعة من الضباط والمراتب من صنف البحرية الحربي والفني وكما مبين ادناه

الرتبة	الصنف	العدد
قول اغاسى	حربي	١
يوزباشى	حربي	١
ملازم	حربي	١
جاوش	حربي	٥
اونباشي	حربي	٥
قول اغاسى	حربي	١
يوزباشى	انشأت	١

جنود فنيين حدادة نجارة بناء عدد مناسب[٢٧]

تم تعاقد مجلس البحرية مع احد التجار الاجانب المدعو «قره ين» لاستيراد اربع بواخر من انجلترا لاستخدامها في البصرة وجدة ونهر الطونة ، مع آلاتها وادواتها ولوازمها الأساسية والاحتياطية كافة ، مقابل ١٥٦٥٠ كيس [٢٨] وقد تضمنت المقاولة المعقودة بين الطرفين في ١٧ رمضان ١٢٦٧ هـ / ١٦ تموز ١٨٥١ م تعهد الطرف العثماني بقيام خزينة الدولة المركزية بدفع ١٢٠٠٠ كيس من اصل المبلغ المذكور على شكل اقساط شهرية اعتبارا من شهر تموز ، وبمعدل ٧٥٠ كيسا للقسط الواحد ، اما المبلغ المتبقي فيدفع بنسبة الأقساط ذاتها من قبل خزينة ترسانة اسطنبول ، على ان لا يطلب الطرف الثاني اي شيء كتعويض للضرر والخسائر التي قد يدعي حصولها عند تسديد مستحقاته عن طريق النقد او القوائم او اي وسيلة اخرى . كما نصت المقاولة على وجوب تسليم الباخرتين لأسطول البصرة بعد مرور ثمانية شهور من تاريخ ابرامها .[٢٩]

ولكن الطرف العثماني لم يتمكن من الوفاء بالتزاماته المالية حسب المواعيد المقررة بين الطرفين ، ففي ظرف ثمانية شهور سددت وزارة المالية ٢٢٥٠ كيسا من اصل ستة آلاف كيس واجبة الدفع خلال المدة المذكورة ، مما ادى الى تأخير تسليم الباخرتين .[٣٠]

واستمر الحال على هذه الشاكلة لعدة سنوات ، بسبب العجز المالي الذي كانت تعاني منه الدولة العثمانية ، ولانشغالها بحرب القرم وغيرها من الحروب الخارجية والفتن والاضطرابات الداخلية ، وما تعرضت له من مصاعب وعقبات ومعوقات مقصودة من جانب انجلترا وغيرها من القوى البحرية التي كانت لها مصلحة في ابقاء الأسطول العثماني في البصرة على تخلفه وترديه ، لكي تتحرك في مياه شط العرب والخليج العربي بحرية تامة ودون مضايقة او رقابة او منافسة عثمانية .

وعند ورود رسالة سلطان عمان جدد والي بغداد مطالبته بارسال عدد من السفن من ترسانة اسطنبول ، او بالشراء من انجلترا وبومباي لتعزيز اسطول البصرة ، واستمالة السيد سعيد بن سلطان . كما اعلم الصدارة بأن من مقتضيات المصلحة العامة للدولة ارسال مبعوث مناسب ، او قائد اسطول البصرة القومندان بيربك الى المنطقة المذكورة ، وارسل بالفعل رسالة اخرى الى حاكم عمان تضمنت تبريكه وتنهئته بمناسبة عودته الى مسقط ، كما تضمنت عبارات التلطيف والمجاملة دون التطرق الى اي شيء آخر .(٣١)

وفي الباب العالي تقرر اجابة متصرف البصرة بتخويله اتخاذ التدابير المؤدية الى جلب حاكم مسقط واستمالته الى الصف العثماني ، واعطائه التأمينات والتأكيدات اللازمة لتحقيق هذا الهدف ، لحين تشكيل القوة البحرية المطلوبة في خليج البصرة .(٣٢) .

وكان متصرف البصرة معشوق باشا قد اعد دراسة مفصلة الى الصدارة تضمنت جملة من المقترحات لأحياء اسطول البصرة ، وتنشيط الحركة التجارية مع الهند ووضع اسس جديدة لدور عثماني مؤثر في الخليج العربي (٣٣) وتتمثل هذه المقترحات بالامور التالية :

١ ـ بناء خمس سفن احداها بحرية مسلحة لمقاومة القراصنة ، والاربع الاخرى نهرية من نوع (قروت ، وبريق ، واوسقونة) ، واقترح ثلاثة طرق لتأمين الحصول على هذه السفن وهي المبادرة ببناء هذه السفن في ترسانة البصرة ، ويتطلب ذلك جلب الأخشاب والمواد الاخرى اللازمة لبناء السفن من الهند مباشرة او عن طريق الكويت وكذلك جلب عدد من العمال والمهندسين من الهند او اسطنبول . والطريق الثاني هو استيرادها من احواض بناء السفن في بومباي وكلكتا ! او عن طريق بنائها في ترسانة اسطنبول واضاف ان طريق الشراء الجاهز أو التوصية على بنائها بالمواصفات المطلوبة من الهند يوفر وقتا اقل وكلفة تقل بنسبة ٣٠٪ مما لو تقرر بناء هذه السفن في البصرة او اسطنبول او انجلترا كما ان الاخشاب الهندية المستخدمة في صناعة السفن اكثر مقاومة من الانواع الاخرى وقد استقى معشوق باشا هذه المعلومات من قبطان السفينة الانجليزية العاملة في نقل البريد البريطاني بين الهند وبغداد وكذلك من التجار المترددين عن الموانىء الهندية .

٢ ـ تعيين قنصل «شهبندر» عثماني في ميناء بومباي لرعاية المصالح العثمانية في الهند ، كالقيام بمعاملات بناء وشراء السفن من الموانىء الهندية ، وحماية مصالح التجار من التبعية العثمانية المترددين على الموانىء المذكورة وانقاذهم من الاضطرار الى قبول الحماية البريطانية تحت مغريات الامتيازات والضمانات والتسهيلات التي يحصلون عليها من جراء ذلك سواء في الموانىء الهندية او في عرض البحار . في حين يلاقي التجار واصحاب السفن العثمانيين الرافضين قبول الحماية الأجنبية صنوف الأذى والمعاملة الجافة في الموانىء الهندية ، بقصد ارغامهم على قبول الحماية البريطانية وطلب من الباب العالي ان تقوم وزارة الخارجية العثمانية بلفت نظر سفارة انجلترا في اسطنبول وتنبيهها الى العواقب الوخيمة المترتبة على استمرار هذه السياسة التعسفية .

٣ ـ وضع النجمة العثمانية على مقدمة السفن التي يمتلكها رعايا الدولة العثمانية كافة وتزويدهم مجانا بالاعلام العثمانية لرفعها فوق ساريات سفنهم واوامر تحريرية باللغتين العربية والتركية تتضمن منح حامليها الحرمة والرعاية عند دخولهم المياه العثمانية في شط العرب وسائر الجهات الاخرى . وقد اتخذ معشوق باشا هذا الاجراء كرد وقائي على قيام قائد الاسطول البريطاني المتجول في الخليج العربي وساحل عمان بمحاولة فرض الحماية البريطانية على اهالي الكويت والبحرين اذ ان القائد المذكور كلف اهالي الكويت والبحرين قبول الحماية البريطانية مقابل تأمين سلامة سير سفنهم بحرية في مياه الخليج العربي والمحيط الهندي وطلب منهم اجابته خلال ستة اشهر . ولكن اهالي الكويت والبحرين رفضوا العرض البريطاني بطريقة دبلوماسية .

٤ ـ تأسيس اسطول حربي عثماني يتألف من عدة سفن مسلحة للتجوال في مياه شط العرب والخليج العربي لتأمين الحماية للسفن التجارية العثمانية ولمدينة البصرة بالذات ، وكذلك تزويد البصرة بقوة عسكرية برية اضافية لما لذلك من اهمية في امتداد النفوذ العثماني الى الكويت والحسا والقطيف والوقوف بوجه التوسع الايراني .

ومن الجدير بالاشارة ان الدولة العثمانية لم تكن تمتلك اية سفينة بحرية في مياه الخليج العربي ، حربية كانت ام تجارية وكان التجار والحجاج من رعايا الدولة العثمانية يركبون السفن البريطانية الى ميناء جدة بقصد الحج او الى بومباي بهدف المتاجرة وقد خصص الانجليز سفينة بحرية للقيام برحلة سنوية واحدة بين البصرة وجدة في موسم الحج ، مرورا بمينائي بوشهر ومسقط ، وكانت هذه الرحلة تستغرق اثني عشر يوما للذهاب فقط وحققت في عام ١٢٦٦ هـ / ١٨٥٠ م ايرادا مقداره ٣٥٠٠٠ ربيه ، من نقطة انطلاقها في ميناء البصرة ، يضاف الى ذلك ما حققته من ايرادات مضاعفة اثناء مرورها بمينائي بوشهر ومسقط .

لذا طالب معشوق باشا حكومته المركزية بشراء سفينة بحرية من انجلترا او ارسال احدى السفن البحرية الموجودة في ترسانة اسطنبول لاستخدامها في الملاحة مع ميناء جدة في موسم الحج ، بمعدل رحلة او رحلتين ومع بومباي بمعدل اربع رحلات سنويا واكد على ما سوف

تحققه هذه العملية من فوائد مادية ومعنوية ، حيث ستمخر عباب البحر امام السواحل العربية والهندية سفينة يرفرف على ساريتها العلم العثماني . ومن الناحية العسكرية والادارية فان هذه العملية لو تمت فإنها سوف تحقق اتصالات ومخابرات سريعة بين اليمن والبصرة او الحجاز ، ومنها الى اسطنبول [٣٤]

◇◆◇

الهوامش

(١) يمثل الخليج العربي احد الطرق العالمية القديمة الثلاثة (الجنوبي والاوسط والشمالي) التي تربط الشرق بالغرب . فالطريق الاوسط للتجارة الشرقيه يمر عبر الخليج العربي وسهول العراق وبلاد الشام الى موانىء الساحل الشرقي للبحر المتوسط وقد قام هذا الطريق بدور هام في النقل التجاري والبشري والحضاري منذ اقدم العصور حتى افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ . ففقد كثيرا من اهميته واستطاع العرب . اعتمادا على سواحلهم الطويلة التي تسيطر على بعض مداخل ومخارج التجارة الشرقية في البحر العربي والمحيط الهندي . خلال حقبة طويلة من التاريخ الانساني ان يكونوا اسيادا للتجارة والملاحة المارة عبر الطرق البحرية والبرية الموصلة بين العالمين القديم والجديد وانتشرت مسكوكاتهم ومعارفهم على هذه المسالك بين الصين وشبه جزيرة اسكنديناوة مما يدل على عمق نفوذهم الاقتصادي وتاثيرهم الحضاري انظر د ابراهيم شريف الشرق الاوسط «دراسة لاتجاهات سياسة الاستعمار حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق» . (بغداد . ١٩٦٥) . ص ١٧ . ١٩ . ٢٣ ـ ٢٤

(٢) كارستين نيبور مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة سنة ١٧٦٥ . ترجمة سعاد هادي العمري . (بغداد . ١٩٥٥) ص ١٢٠ ستيفن همسلي لونكريك اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ترجمة جعفر الخياط . (بغداد . ١٩٨٥) ط ٦ . ص ٣٦٢

د عبدالامير محمد امين القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر . (بغداد ١٩٦٦) . ص ٩ ـ ١٢ . ٦٥ . ٧٤ ـ ٧٥

(٣) د عبدالامير محمد امين المصدر السابق . ص ٦٥ . ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٨٣

(٤) الكارة احد انواع المكاييل المستخدمة وقتذاك . وتعادل الف اوقية اسطنبولية

(٥) ارشيف الباب العالي في اسطنبول/تركيا/ ارادة مجلس والا . رقم الوثيقة ٥٥٠٠

(٦) ارشيف الباب العالي الوثيقة السابقة

(٧) ارشيف الباب العالي ارادة/ خارجية . رقم الوثيقة ٢١٢٦ . لف ٦ . (من

المامور المخصوص لتحديد حدود ايران محمد امين درويش باشا الى الصدارة . ٢١ ربيع الآخر ١٢٦٦ هـ /٦ مارس ١٨٥٠م)

(٨) ارشيف الباب العالى اراده/ خارجية . رقم الوثيقة ٣٢٧٩ . لف ١ (مذكرة درويش باشا الى متصرف البصرة معشوق باشا . غرة شعبان ١٢٦٦ هـ / ١٢ حزيران ١٨٥٠ م)

(٩) ارشيف الباب العالي ارادة/ داخلية . رقم الوثيقة ١٤٦٤٦ . بحرية لف ١ (من متصرف ايالة البصرة اسماعيل معشوق باشا الى الصدارة . ١٥ شوال ١٢٦٧ هـ /١٥ حزيران ١٨٥١

(١٠) ينظر رود ولف سعيد روث سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان ١٧٩١ ـ ١٨٥٦ . ترجمة عبدالمجيد حسيب القيسي . (مطبعة جامعة البصرة ١٩٨٢) . ص ٤١ ـ ٤٧ د جمال زكريا قاسم دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقيا ١٧٤١ ـ ١٨٦١ . (القاهرة ١٩٦٢) . ص ٤٠ ـ ٤٦ عايشة السيار دولة اليعاربة في عمان وشرق افريقيا في الفترة من ١٦٢٤ ـ ١٧٤١ . (بيروت ١٩٧٥) . ١٨٢ وما بعدها

(١١) ارشيف الباب العالي ارادة/ داخلية . رقم الوثيقة ١٤٦٤٦ (بحرية لف ٣)

(١٢) ارشيف الباب العالي/ ارادة/ داخلية رقم الوثيقة ١٤٦٤٦ (بحرية لف ٤)

(١٣) ارشيف الباب العالي ارادة/ داخلية . رقم الوثيقة ١٤٦٤٦ . بحرية لف ١

(١٤) رود ولف سعيد روث . المصدر نفسه . ص ١٢٤ ـ ١٢٥ السيدة سالمة بنت السيد سعيد مذكرات اميرة عربية . ترجمة عبدالمجيد القيسي (مطبعة جامعة البصرة . ١٩٨٠) . ص ١٨٤ ـ ١٨٨

(١٥) ارشيف الباب العالي . الوثيقة نفسها .

(١٦) J. R. Wellstead, Travels in Arabia (London 1838) p. 387

وكان ويلستيد . وهو ملازم في البحرية الهندية . قد وصل الى مسقط في ٢١ تشرين الثاني ١٨٣٥ رود ولف سعيد المصدر نفسه . ص ١٥٩

(١٧) رود لف سعيد المصدر السابق . ص ١٥٩ ـ ١٦٤ .

(١٨) رود لف سعيد المصدر نفسه . ص ٦٤ ـ ٦٥ ـ ٦٧ ـ ٧٦ ـ ١٥٦

(١٩) د . ابراهيم شريف . الشرق الاوسط . ص ٢٥

(٢٠) رود لف سعيد المصدر السابق . ص ٧٨

(٢١) كانت القوة العسكرية البريطانية بقيادة السير دبليو كرانت كير . وتضم السفينة ليفربول المجهزة بخمسين مدفعا . والسفينة ايدن المجهزة بستة وعشرين مدفعا والسفينة كورلا المجهزة بثمانية عشر مدفعا . وست سفن اخرى وكان على ظهرها ١٦٠٠ جندي من الاوربيين و ١٤٠٠ من الهنود . زيادة على ثلاث سفن عمانية و ٤٠٠٠ جندي عماني ينظر رود ولف المصدر السابق . ص ٨٢ .

(٢٢) المصدر نفسه . ص ٨٢ ـ ٨٣

(٢٣) من المعروف ان الاسطول العماني تدخل كذلك في ايلول ١٧٧٥ لفك الحصار الذي فرضه الحاكم الايراني صادق خان على البصرة . واخذت القطعات البحرية العمانية موقعها في مدخل شط العرب وسيطرت على الشط لفترة من الزمن . وقامت بتامين وصول المؤن والذخيرة الى المدافعين عن البصرة فعززت صمودهم بوجه الغزاة الفرس ولكن الاسطول العماني انسحب فجاة وعاد الى بلاده ويبدو ان ابتعاد الاسطول عن قواعده وخوف سلطان عمان من احتمال قيام الايرانيين بالتعرض الى عمان نفسها وربما مداخلة الانجليز ومشورتهم دفعت العمانيين الى الانسحاب وكان الاسطول العماني المرابط بمدخل شط العرب مؤلفا من عشر سفن كبيرة وعدد اكثر من الغلافات والترانكي والسفن الصغيرة الاخرى وقد ادت هذه المشاركة العمانية الى حدوث خلاف عنيف بين سلطان عمان ووالي بغداد وذلك لادعاء الاول ان له ديونا في ذمة الوالي الذي اضطر الى تسوية خلافه مع حاكم عمان تجنبا لمجابهة بحرية لا قبل له بها ينظر رود ولف سعيد المصدر نفسه . ص ٨٦ . د عبدالامير محمد امين المصدر نفسه . ص ٧٣ ـ ٧٨

(٢٤) رود ولف سعيد المصدر نفسه . ص ١١٠ . ١٢٢

(٢٥) المصدر السابق . ص ١٢٢ ـ ١٢٣

(٢٦) ارشيف الباب العالي ارادة/ مجلس والا . وثيقة رقم ٥٥٠٠

(٢٧) ارشيف الباب العالي ارادة/ داخلية . رقم الوثيقة ١١٠٠٧ (تلطيفات لف ١) . مذكرة قبودان سليمان باشا الى الصدارة . ٥ جمادى الثانية ١٢٦٥ هـ / ٢٨ نيسان ١٨٤٩ م

(٢٨) الكيس وحدة حسابية عثمانية تساوي ٦٠٠٠٠ اقجة . او ٥٠٠ قرش او ٢٠٠٠٠ بارة . والكيس الرومي يساوي ٥٠٠٠٠ اقجة ينظر د مهدي جواد حبيب البستاني ازمة النقود في ولاية بغداد ومحاولات معالجتها ١٨٢٠ ـ ١٨٥٦ . المجلة التاريخية . تونس. العدد الاول

(٢٩) ارشيف الباب العالي ارادة/ داخلية . وثيقة رقم ١٣٨٣٠ (بحرية لف ٢)

(٣٠) ارشيف الباب العالي ارادة/ داخلية . وثيقة رقم ١٣٨٣٠ (بحرية لف ١) من ناظر المالية الى الصدارة . ١٤ جمادى الثانية ١٢٦٨ هـ

(٣١) ارشيف الباب العالي ارادة/ داخلية . وثيقة رقم ١٤٦٤٦ . بحرية لف ٣

(٣٢) ارشيف الباب العالي ارادة/ داخلية . وثيقة رقم ١٤٦٤٦ . (بحرية لف ٤) مذكرة الصدارة الى السلطان ومصادقة السلطان عليها . ١٩ ذي الحجة ١٢٦٧ هـ .

(٣٣) ارشيف الباب العالي ارادة/ مجلس والا . وثيقة رقم ٥٥٠٠ .

(٣٤) ارشيف الباب العالي الوثيقة السابقة

مكانة الساحل العربي للخ

من القرن السابع عشر

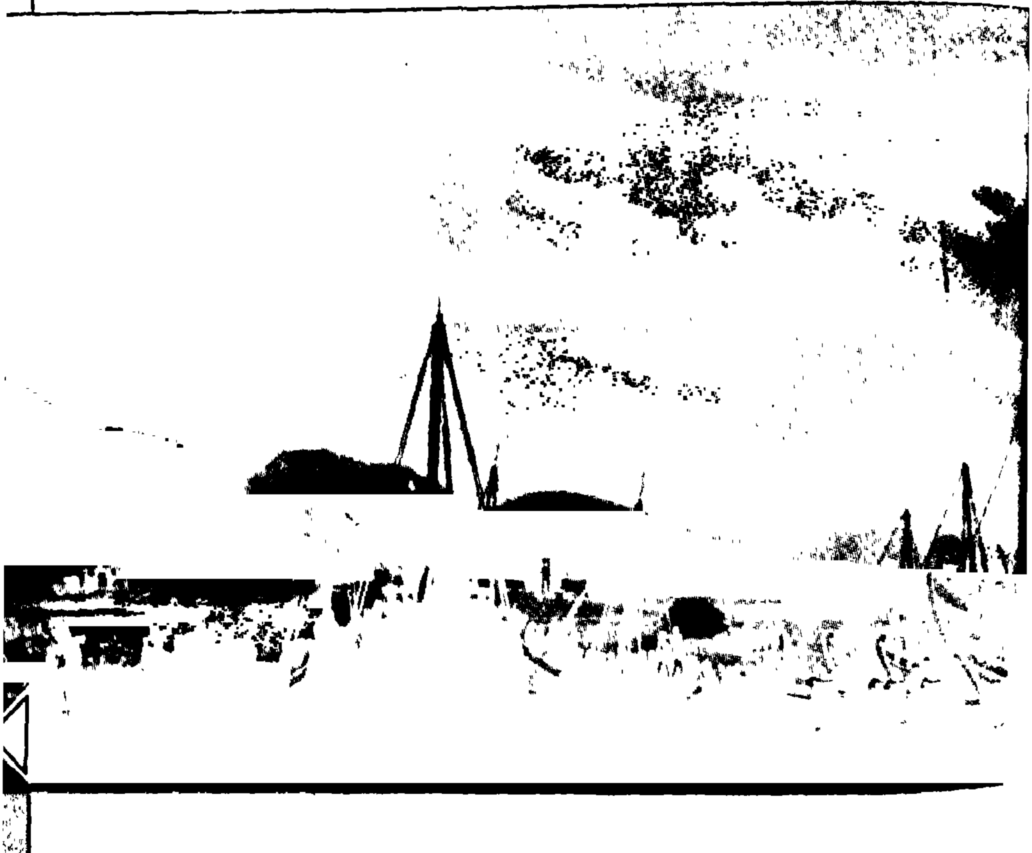
إعداد :
الدكتور
حسام
الخادم

إن هذا البحث هو محاولة لحصر الخرائط الأوربية الموجودة بالمكتبة الملكية ببروكسل والتي يظهر فيها الخليج وبالتحديد الساحل العربي للخليج ، والغرض من هذا البحث هو دراسة وتحليل المحاولات الأوربية لرسم خرائط الخليج العربي ومدى نجاحها ، أو فشلها ، في تصوير الساحل العربي تصويرا علميا سليما ، وخصوصا ما يتعلق بالجانب الطوبونومي أي محاولة نقل أسماء المدن والبلدان والجزر . تشمل هذه الدراسة المدة من القرن السابع عشر الى القرن التاسع عشر . وسبب اختيار هذه الفترة هو أن العصر الذهبي للخرائط في أوربا بدأ في القرن السابع عشر بعد عصر النهضة وعصر الاكتشافات الجغرافية الهامة . وبدء عصر النشاط التجاري والعلمي الذى تبع عصر الاكتشافات الجغرافية . فتقدمت تبعا لذلك صناعة الخرائط ورسمها تقدما كبيرا في ذلك العصر واستفادت من التقدم الذى أحرزته مختلف فروع العلوم في القرن السابع عشر ، كعلم الفلك والعلوم الرياضية والفلسفية الطبيعية والآلات العلمية .

تنتهي الفترة التى نقوم بدراستها في القرن التاسع عشر . وذلك لأنه مع نهاية القرن التاسع عشر تنتهي الفترة التاريخية لذلك العلم لتبدأ المرحلة الحديثة والمعاصرة من تطوره . سنحاول أن نقوم في هذا البحث بدراسة الجانب التاريخي من علم الخرائط وليس ما يدخل منه في نطاق البحث المعاصر ولذلك يجب علينا أن نأخذ نهاية القرن التاسع عشر كنقطة نهاية لهذه الدراسة

... فى الخرائط الأوروبّية

... إلى التاسع عشر الميلادى



إن أول ما يلاحظه الباحث بصدد هذه الدراسة أنه ليس هناك خريطة خاصة بالخليج العربي وحده ، وانما يظهر الخليج في مجموعة من الخرائط تشمل كل منها وحدة جغرافية او سياسية او طبيعية كبيرة ، والخليج يمثل في هذه الحالة جزءا من هذا الكل الأكبر ، مثال ذلك مجموعة الخرائط التى تمثل الدولة العثمانية . أو شبه جزيرة العرب أو خريطة قارة آسيا أو الدولة الفارسية .كل من هذه الخرائط يشمل الخليج العربي ولكن ليس هناك اي خريطة تختص بالخليج وحده .

اننا نستطيع أن نقسم الخرائط التى يظهر فيها الخليج العربي الى خمسة انواع :

اولا الخرائط التى تمثل الدولة العثمانية وملحقاتها .

ثانيا . الخرائط التى تمثل الدولة الفارسية .

ثالثا . الخرائط التى تختص بشبه جزيرة العرب .

رابعا الخرائط التى تمثل القارة الافريقية ، وخصوصا ساحلها الشرقي .

خامسا الخرائط التى تمثل القارة الآسيوية في مجموعها .

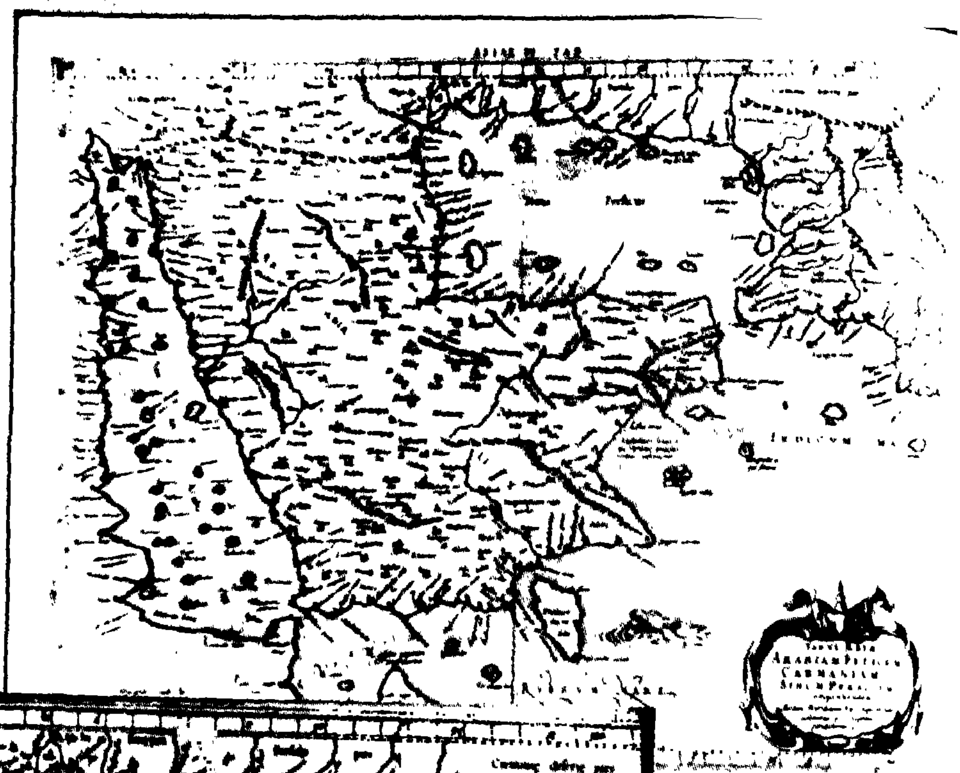
ان المنطقة التي نقوم بدراستها محدودة بمدار السرطان جنوبا وبخط العرض ٣١ شمالا ، وبخطي الطول ٤٧ غربا و٦٠ شرقا والمدينتان اللتان تمثلان أبعد نقطتين في هذا المستطيل هما مسقط في الجنوب الشرقي والبصرة في الشمال الغربي .

في هذا البحث سنتتبع التدرج التاريخي لتطور الخرائط خلال فترة تبلغ ما يقرب من مائتي عام وبالتحديد من عام ١٦٥٥ الى عام ١٨٥٩ وذلك بدراسة اثنتي عشرة خريطة تعطي في مجموعها صورة صادقة عما تحتويه المكتبة الملكية ببروكسل من خرائط تتعلق بالخليج العربي . هذه الاثنتا عشرة كلها من وضع علماء الخرائط الآتية أسماؤهم :

بطلميوس ، جون بلاو ، يوهان ينسونيوس ، فردريك دي ويت ، بيير دو ڤال ، جان باتست هومان ، جيوم دي ليل ، فرانز لودفج جوسيفيلد ، فيليب ڤاندر مالين وكارل فرديناند ڤايلاند .

وقد وجدنا ضمن هذا المجموع خريطة لا تحمل اسم واضعها .

إن أقدم خريطة تصور الخليج العربي في هذه المجموعة من الخرائط التى ندرسها هنا منشورة في كتاب «الجغرافيا» لبطلميوس (٨٧ ـ ١٥٠ بعد الميلاد) وهذا الكتاب مع كتابه «المجسطي» يعتبران أهم كتابين في العصور القديمة والوسطى في علمي الخرائط الفلكية والخرائط الأرضية . أن أول طبعة لكتاب «الجغرافيا» هذا ترجع الى سنة ١٤٧٥ وهي كانت بدون خرائط



بطلميوس

كتاب الجغرافيا .



بطلميوس ، كتاب الجغرافيا ، تفصيل للخليج .

أما أول طبعة للكتاب مزودة بالخرائط فترجع الى سنة ١٤٧٧ وهي طبعة ايطالية مثل الطبعة الأولى .

هذه الخريطة قد طبعت بامستردام في كتاب «الجغرافيا» وهي طبعة قد غفلت عن ذكر التاريخ ، ولكن مؤرخ علم الخرائط رونالد تولي يرجح أن طبعها قد تم سنة ١٦٩٥ . وعنوانها هو «خريطة آسيا وجزيرة العرب السعيدة والخليج» مساحة الخريطة ٤٩ سم عرضا و٣١.٣ سم طولا . والمنطقة التى تمثلها محصورة بين خطي العرض ١٠ جنوبا و٣٠ شمالا وبين خطي الطول ٦٥ غربا و١٠٥ شرقا .

خط الطول صفر يقع على جزيرة «خييرو» بجزر الكنارى .

ليس هناك أي اسم من أسماء المدن والأماكن المذكورة على هذه الخريطة ـ برغم عددها الكبير ـ يمكن التعرف عليه . فرغم أن الشكل العام للخليج يقترب الى حد ما من الشكل الصحيح ، إلا ان أسماء المدن ـ على الرغم من كثرتها ـ لا تقترب اطلاقا من تسميتها الصحيحة أو المتعارف عليها

***

(III 8898, XIV - Turquie d'Europe)

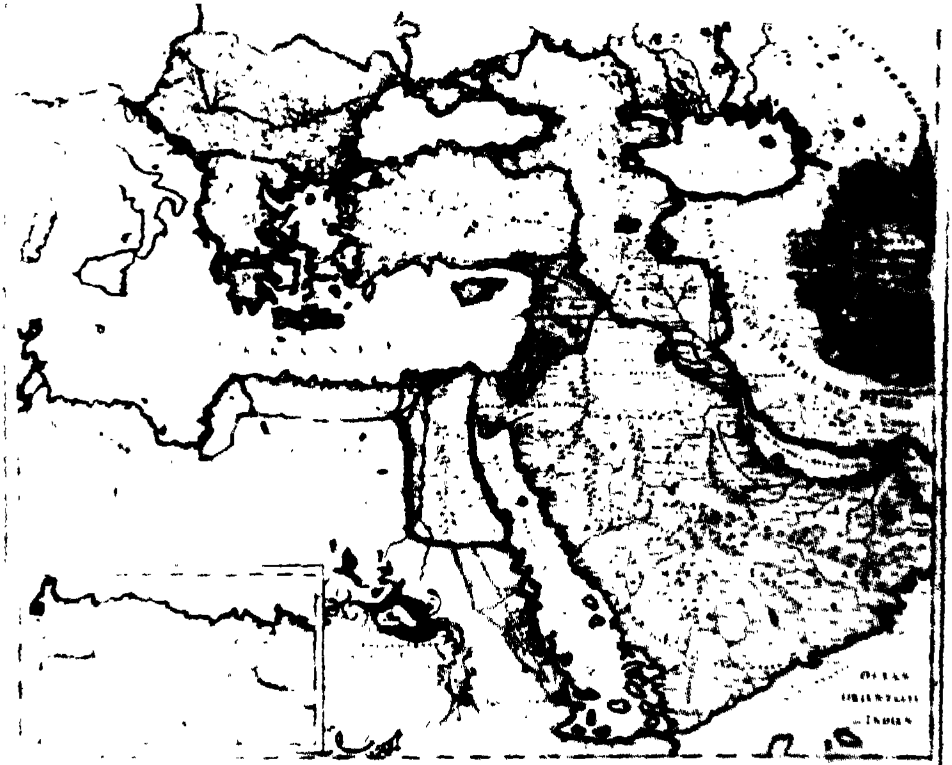
ثاني اقدم خريطة هنا يرجع تاريخها الى سنة ١٦٥٥ وهي تمثل الدول التى تحت السيادة العثمانية في أوربا وآسيا وافريقيا وقد قسمت هنا حسب اختلاف النظام السياسي لكل منها .

واضع الخريطة هو عالم الخرائط الفرنسي نقولا سانسون (١٦٠٠ ـ ١٦٦٧) جغرافي ورسام الخرائط الخاص بالملك لويس الرابع عشر.

ان تاريخ نشر هذه الخريطة ليس مدونا عليها ، كما هي العادة ، ولكن نذهب الى أن تكون قد نشرت بين عامي ١٦٥٠ و١٦٥٥ ـ وإن كان فهرس خرائط المتحف البريطاني يعطي التاريخ الأخير ، كما نجده يعطي أيضا عنوان ٤ نسخ مختلفة لهذه الخريطة ـ على أي الحالات في رأيي أنه يجب أن نأخذ في الاعتبار أن تاريخ رسم هذه الخريطة قد كان بين عام ١٦٣٠ وعام ١٦٦٥ حيث انه قد ذكر على الخريطة نفسها أن سانسون يشغل منصب «جغرافي الملك» ، ونحن نعلم أنه شغل هذا المنصب من عام ١٦٣٠ الى عام ١٦٦٥ .

أن الرقعة التى تمثلها هذه الخريطة تقع بين خطي عرض ١٥ جنوبا و٥ شمالا وبين خطي طول ٣٠ غربا و١٠٠ شرقا .

أما بخصوص مقياس الرسم الذى طبقه سانسون فهو المعروف باسم «المقياس العام الفرنسي» وحتى يتيح الفرصة لمشاهد الخريطة أن يقارن بين



نقولا سانسون ، الامبراطورية التركية في أوربا و آسيا وافريقيا وشبه جزيرة العرب .



نقولا سانسون ، تفصيل للخليج

هذا المقياس والمقاييس الأخرى ، فإنه قد ذكر المقياس الألماني والمقياس البولندي والمقياس الفارسي والمقياس المجري . ولما كان كل مقياس منها يختلف عن الآخر فإن سانسون قد حرص على اعطاء القيمة القياسية لكل منها .

ان وحدة القياس الفرنسي تعادل اليوم ٤،٤٤٤ كم ، ووحدة القياس الألماني تعادل ٧،٤٠٧٤٠٧ كم ، بينما الفرسخ الفارسي يعادل ٦ كم تقريبا . هكذا أتاح سانسون للقارىء غير الفرنسي أن يتوصل الى تصور المساحة الحقيقية التى قام بوضعها على الخريطة وذلك بتحويل مقياس الرسم الفرنسي الى مقياس بلد الشخص المشاهد للخريطة .

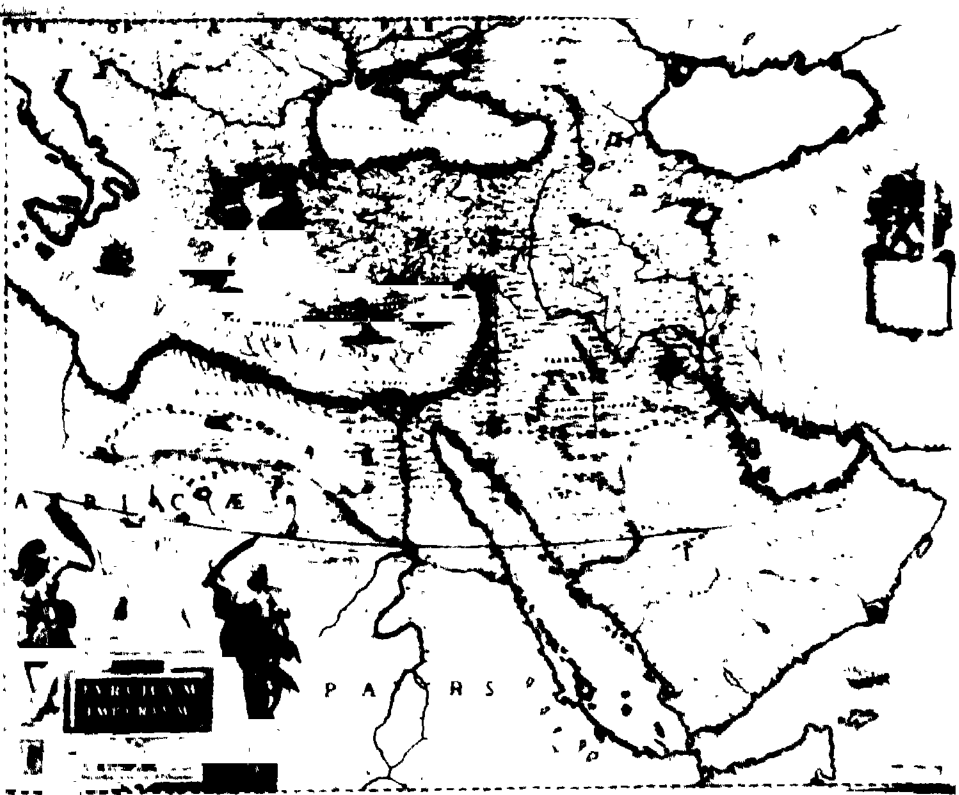
ان الكثير من الخرائط الأوربية يحمل مقاييس رسم مختلفة وذلك قبل توحيد المقاييس الأوربية وتطبيق النظام المتري على جميع الخرائط وفي مختلف البلدان مما يسترعي النظر في هذه الخريطة وجود مستطيل به خريطة مكبرة لمنطقة شمال افريقيا وهذه الخريطة الجانبية تحدد المساحة التى تمثلها بين خطي عرض ٣٠ جنوبا و٣٥ شمالا وبين خطي طول ٣٥ شرقا و١٥ غربا . وهذه الخريطة المكبرة تحتوي على التفاصيل الجغرافية لما كان معروفا عندئذ «بمملكة الجزائر» و «مملكة فزْ» . إن هذا الاهتمام الخاص بشمال افريقيا ـ لدرجة ان سانسون يقوم بعزل المنطقة عن مجمل الخريطة وتكبيرها داخل اطار خاص ـ لدليل على اهتمام الفرنسيين بهذه المنطقة اهتماما خاصا . وهكذا يكشف سانسون ـ بدون قصد منه ـ عن أهمية منطقة شمال افريقيا لفرنسا وذلك حوالي مائة عام قبل الاحتلال الفرنسي لدول المنطقة .

ان الخليج العربي في هذه الخريطة يسمى «خليج البصرة» وهذا دليل على ان مدينة البصرة في القرن السابع عشر كانت أهم مرفأ على الخليج أطلق اسمها على الخليج بأكمله . من بين الأسماء العديدة للمدن والجزر المذكورة على هذه الخريطة يمكن التعرف على عدد قليل منها مثل دبا (Doba) ، القطيف (el Catif) ، البحرين (Bahr al Bahrain) ، البصرة (Bosra al Bassora) .

***

(BLAEU, J. Geographie Blauiane, contenant l'Asie, Amsterdam, Blaeu, 1667) VB 7590 D L.P.

هذه الخريطة من رسم جون بلاو John Blaeu نشرها بمدينة امستردام



جون بلاو ، الامبراطورية التركية .

في هذا المجلد الذى يشتمل على خريطة قارة آسيا وذلك عام ١٦٦٧ (ص٥) . هذه الخريطة نفسها قد نشرت بعد ذلك تحت عنوان آخر هو خريطة «الامبراطورية التركية» ولكن اذا دققنا النظر وقارنا بين هاتين الخريطتين وجدنا اختلافا ظاهرا بينهما .

أولا تظليل الاطار الخاص بالخريطة وكذلك تظليل البحار والأنهار يختلف في الخريطتين .

ثانيا : في الركن الأيمن السفلي من خريطة «الامبراطورية التركية» نستطيع أن نقرأ العبارة «[طبعت] على نفقة يوهانس يانسونيوس وهي أكثر دقة مما سبقها [من الخرائط]» وهي عبارة لا وجود لها على الخريطة التى ننشرها هنا .

ثالثا : على الخريطة التى تعنينا هنا وفي الجانب الأيمن منها نجد شعار نسب داڤيد دي ولهلم وتحته عبارة اهداء الخريطة اليه ، وهما لا يوجدان على خريطة «الامبراطورية التركية» المشار اليها .

هناك خريطة أخرى من وضع عالم الخرائط الهولندي جون بلاو قام بنشرها في نفس المجلد ص١٢٧ ومساحة الخريطة هي ٤٨ سم عرضا و٣٦ سم طولا . والرقعة المرسومة هنا يحدها خطا العرض ٢٠ جنوبا و٤٥ شمالا وخطا الطول ٦٥ غربا و١٢ شرقا .

من الواضح حسب المذكور في اطار عنوان الخريطة أن موضوعها الأساسي هو «فارس أو الدولة الصفوية» ولكن رغم ذلك فإن الساحل العربي للخليج مرسوم بتفصيل ملحوظ مما يدل عل أهميته في نظر الأروبيين .

أما فيما يتعلق بمقياس رسم الخريطة فإن بلاو يوضح ذلك في نص باللغة اللاتينية «مقياس الرسم هو الفرسخ وهو يساوي ٣٠٠٠ قدم بواسطته يقيس الفرس اليوم المسافات وكذلك العرب (Mauzes) الذين يحتلون جزءا كبيرا من آسيا ، وإن وحدة القياس هذه وكذلك المصطلح «فرسخ» هما مرادفان للمصطلح القديم «بارسانج» ، أما باقي الآسيويين فيحسبون المسافات بعدد الأيام التى يقطعونها من مكان لآخر» .

ان جون بلاو يعطي هنا كلا من مقياس الرسم بالفرسخ ومقياس الرسم بالقياس الألماني ويضع الواحد تحت الآخر حتى يتسنى للمطلع على الخريطة أن يقارن بين المقياسين . هذا دليل على الدقة والعناية التى تميزت بها الخرائط الأوربية في القرنين السابع عشر والثامن عشر وبوجه الخصوص الخرائط الهولندية والبلجيكية .

ان عددا محدودا جدا من المدن المذكورة على هذه الخريطة ـ فيما يتعلق بالخليج ـ يمكننا التعرف عليه : مسقط (Moscella) ، صحار (Soar) ، دبا (Doba) ، كلبا (Calba) ، الكويت (Quezimi) ، البصرة (Bacora al Balsera) .

هناك أربع ملاحظات حول هذه الخريطة

أولا ان المدن والقرى يرمز الى كل منها بعلامة خاصة تدل المطلع على الخريطة على مدى كبر كل منها واهميتها .

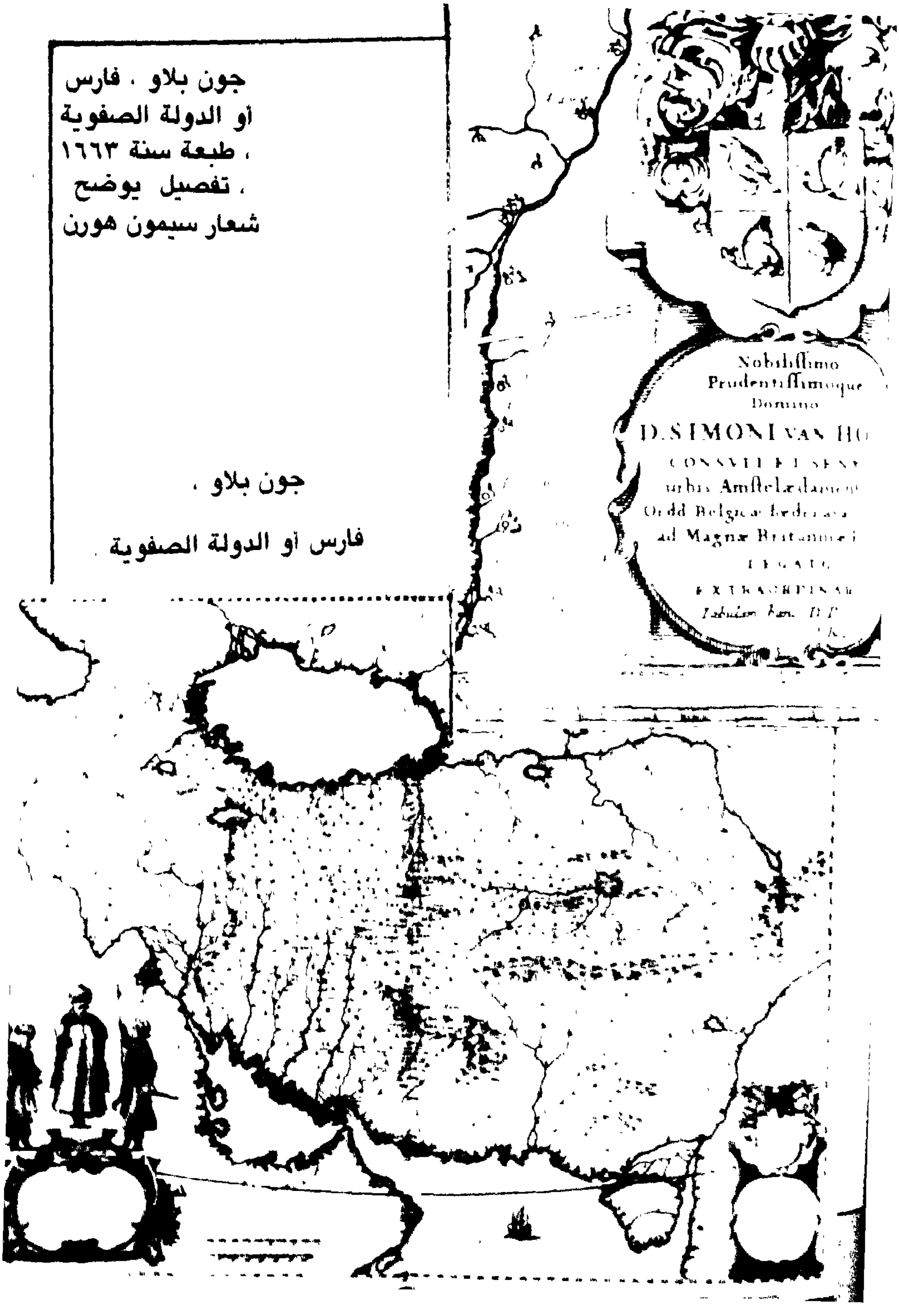
ثانيا ان اسم الكويت ـ مُحرف هنا الى (Quezimi) ـ وقد كُتب على جزيرة بوبيان وليس على الشاطىء المواجه لها والذى هو موقع الكويت الحقيقي .

ثالثا : بجانب البحرين يحرص جون بلاو على كتابة الآتي : «البحرين ، حيث يوجد الكثير من اللؤلؤ» .

جون بلاو ، فارس
أو الدولة الصفوية
، طبعة سنة ١٦٦٣
، تفصيل يوضح
شعار سيمون هورن

جون بلاو ،

فارس أو الدولة الصفوية



رابعا : في الجانب الأيمن الأسفل يوجد شعار نسب لم يتم الانتهاء من رسمه . هذا الشعار هو شعار سيمون ڤان هورن ، قنصل وسناتور مدينة امستردام وذلك كما يظهر في طبعة سنة ١٦٦٣ من نفس الخريطة

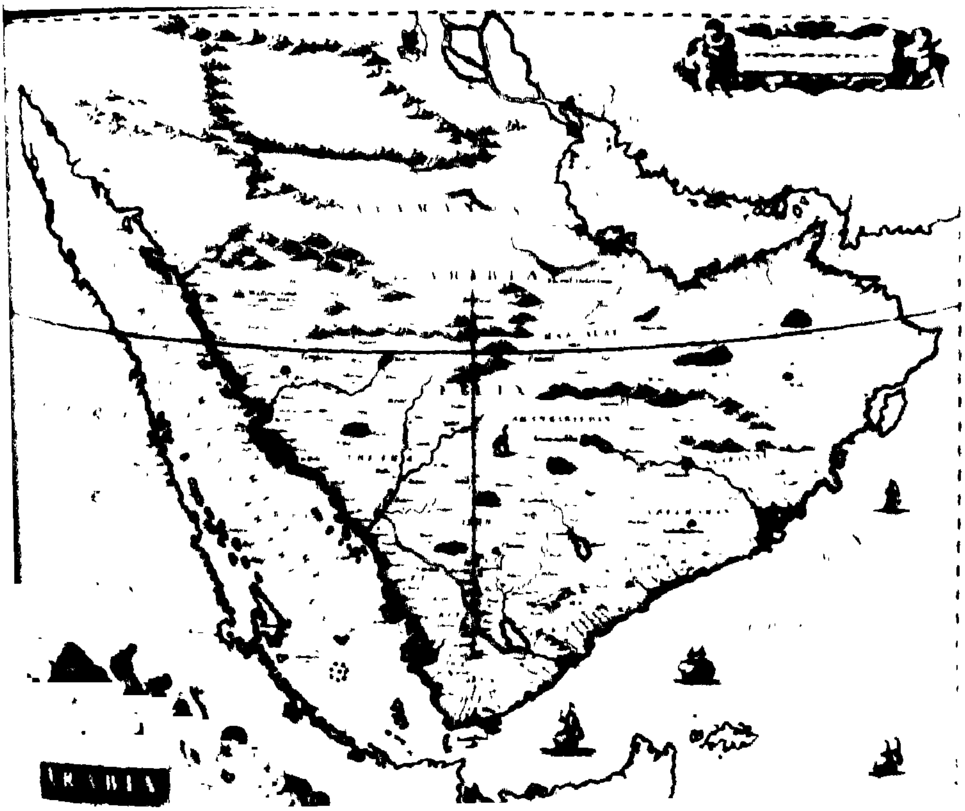
***

هذه خريطة اخرى لجون بلاو بنفس المجلد (ص١١١) تمثل منطقة الخليج وعنوانها «شبه الجزيرة العربية» (Arabia) . ونرى حول الاطار الخاص بعنوان الخريطة تمثيلا رمزيا لسكان شبه الجزيرة .

والرقعة التى تمثلها الخريطة محددة بين خطي العرض ١٠ جنوبا و٣٠ شمالا وبين خطي الطول ٦٠ غربا و٩٠ شرقا ، أما مقياس الرسم رسم الخريطة فهو الميل الألماني .

يصاحب هذه الخريطة نص يقدم فيه جون بلاو ـ الذى كان الجغرافي الرسمي لشركة الهند الشرقية من عام ١٦٣٨ الى عام ١٦٧٣ ـ للمطلع على الخريطة المعلومات الأساسية عن شبه جزيرة العرب ولدينا بعض الملاحظات على هذا النص

جون بلاو ، شبه جزيرة العرب .



أولا : هذا النص دليل على اهتمام الجغرافيين وعلماء الخرائط الأوربيين بمنطقة الخليج . فحتى وان كانت المعلومات التى ينشرها هنا جون بلاو مبتورة ومجزأة إلا أنها في حد ذاتها ذات أهمية كبيرة للأوربي الذى يريد زيارة المنطقة لغرض تجاري أو دبلوماسي مثلا .

ثانيا : ان بعض المعلومات التى يقدمها بلاو على جانب قليل من الدقة مما يجعلنا نتساءل من أين تاتى له الحصول على هذه المعلومات ؟ فهو مثلا يواظب على ذكر أسماء المدن والقرى بشكل منتظم بدون أن يراعي في ذلك مدى صحة الأسماء ومطابقتها للواقع .

ثالثا : رغم هذا العيب فإن هناك بعض المدن التى يمكننا التعرف بسهولة على أسمائها ، بينما البعض الآخر من المستحيل التعرف عليه . سبب ذلك هو : إما أن نقل المعلومات عن طريق المسافرين والبحارة الى الجغرافيين وعلماء الخرائط كان يتم بطريقة عشوائية أدت الى تشويه أسماء المدن والقرى ، وإما أن هذه الأسماء قد تغيرت في الخليج منذ القرنين السادس عشر والسابع عشر حتى الآن . مثال ذلك «جلفار» التى اصبحت فيما بعد «رأس الخيمة» .

إذا كان الأمر كذلك فإنه يجب في كلتا الحالتين دراسة أسماء مدن المنطقة وقراها وجزرها دراسة تاريخية طوبونيمية (Toponymy) وتتبع التغيرات التى طرأت على هذه الأسماء وأسبابها وذلك بالرجوع الى أقدم المصادر المكتوبة والشفهية .

إن أسماء المدن التى يمكن التعرف عليها بالساحل العربي للخليج في هذه الخريطة هي :

مسقط (Mascate) ، صحار (Soar) ، جلفار (Julfar) ، دبا (Doba) ، القطيف (Katife) ، البصرة (Basora) .

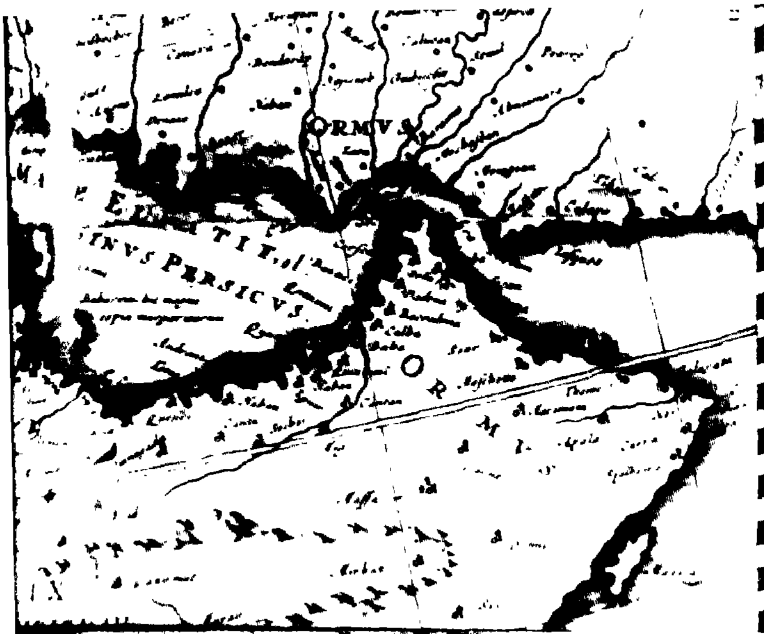
وهناك ملاحظتان في هذا الصدد :

أولا : يحرص جون بلاو على تسمية المدخل الشرقي للخليج العربي باسم «مضيق البصرة» (Basora Fretum) وليس «بمضيق هرمز» (Strait of Hormuz) كما هو الحال الآن .

ثانيا : يبين بلاو موقع جلفار داخل البلاد وليس على ساحل الخليج كما هو الواقع .

***

يوهان ينسونيوس ، الامبراطورية التركية ، تفصيل للخليج





يوهان ينسونيوس ، الامبراطورية التركية .

(Turquie II)

هذه الخريطة «للامبراطورية العثمانية» ـ كما يدل عنوانها ـ من وضع عالم الخرائط الهولندي يوهان ينسونيوس . مقياسها كالآتي ٥٠.٣ سم عرضا و٣٨.٨ سم طولا . والرقعة التي تمثلها الخريطة تقع بين خطي عرض ١٠ جنوبا و٤٥ شمالا وبين خطي طول ٣٠ غربا و١٠٠ شرقا اما مقياس رسم الخريطة فهو الميل الالماني

في الركن الأيمن السفلي للخريطة مذكور باللغة اللاتينية ما مؤداه ان هذه الخريطة قد طبعت على نفقة يوهانس ينسونيوس وانها اكثر دقة مما سبقها من خرائط هذه المنطقة

يوهان ينسونيوس ولد ومات بهولندا بين عامي ١٥٨٨ و١٦٨٨ . نشر مجموعة من الأطالس بالاشتراك مع عالم الخرائط هنري هونديوس تم نشر بمفرده بعد ذلك خرائط لفرنسا وايطاليا سنة ١٦١٦ بعد ذلك قام بنشر أطلسه الكبير في احد عشر جزءا

إن الأسماء الوحيدة التي يمكننا التعرف عليها من بين الأسماء العديدة لمدن الخليج التي يذكرها ينسونيوس هي دبا (Doba) والبحرين (Baharen) أما باقي الأسماء فهي محرفة لدرجة لا تسمح لنا بمعرفة اصلها العربي . هناك ملاحظات يمكننا ذكرها بهذا الصدد :

أولا : بجانب اسم البحرين يذكر ينسونيوس العبارة الآتية «هنا كمية كبيرة من «اللؤلؤ» ، وتلك اشارة منه الى ثراء البحرين باللؤلؤ واشتهارها بتجارته في أوربا إبان القرنين السادس عشر والسابع عشر .

ثانيا : ان الخليج العربي مذكور في هذه الخريطة تحت اسم «بحر القطيف» ، وهذا دليل أخر على شهرة المنطقة الموجودة حول البحرين وقوة نفوذها في القرن السابع عشر ، لدرجة ان الجغرافيين الأوربيين يطلقون اسم احد موانى هذه المنطقة على الخليج بأكمله

ثالثا : ان اسم «البحرين» الذى كان يطلق اصلا على الجزء الغربي من ساحل الخليج المقابل لجزيرة البحرين وايضا على الجزر المجاورة ، نجده قد أطلق هنا على جزيرة البحرين فقط ، ولم يطلق ـ كما هي العادة في خرائط هذه الفترة عموما ـ على الساحل وعلى الجزر المقابلة له ايضا .

رابعا : ان ينسونيوس قد حرص على بيان مدى انتشار التجارة بين أوربا ومنطقة الشرق الأوسط وذلك برسم سفينتين أوربيتين في بحر العرب وسفينة عربية بالقرب من الشاطىء الغربي لجزيرة قبرص

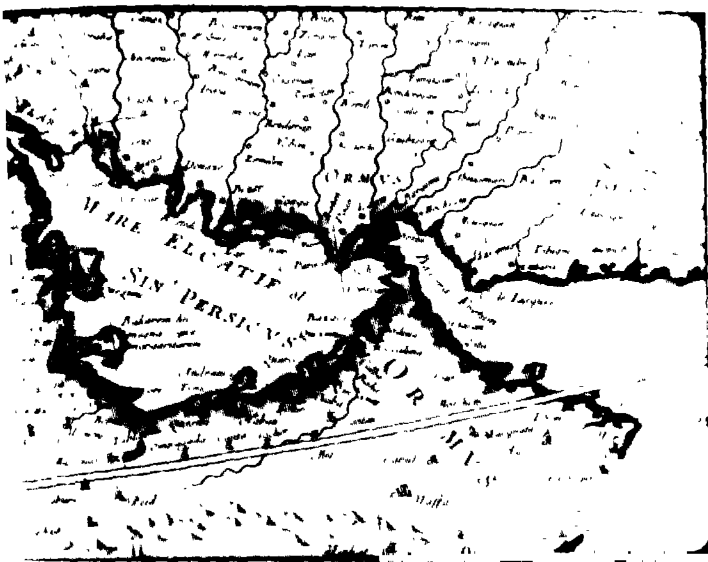
***

(Turcium Imperium, 41 ter)

الخريطة للامبراطورية التركية من رسم عالم الخرائط الهولندي فردريك دي ويت ، ولد عام ١٦١٠ ومات عام ١٦٩٨ .

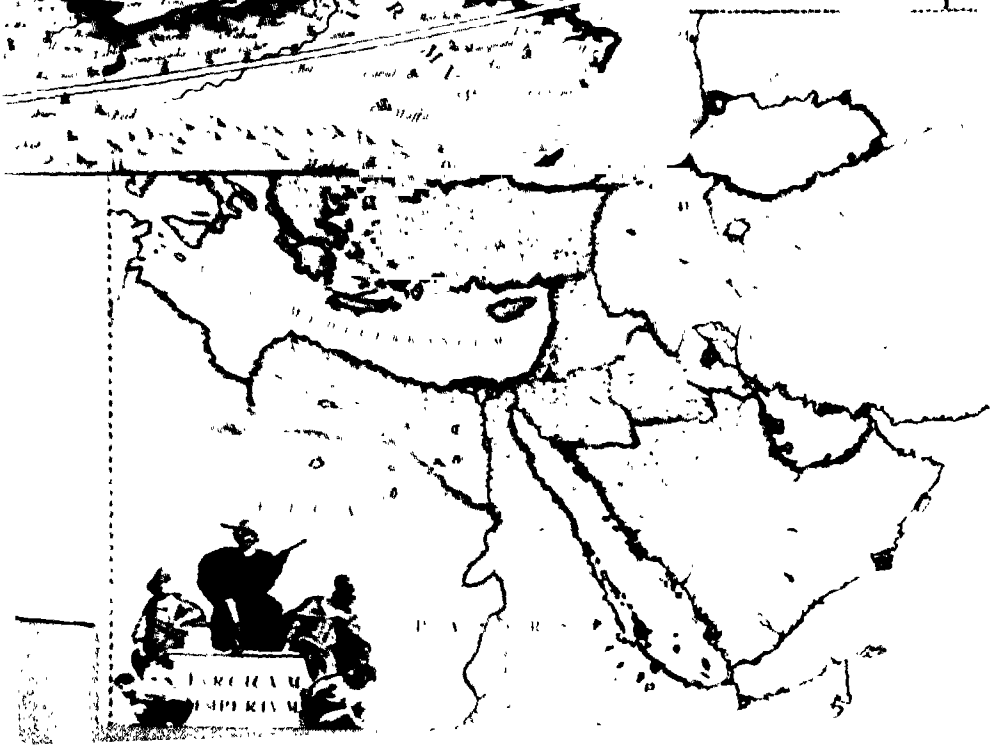
ان الخريطة التى امامنا تغطي المساحة بين خطي العرض ١٠ جنوبا و٤٨ شمالا وخطي الطول ٢١ غربا و١٠٥ شرقا .

قد حرص فردريك دي ويت على تلوين الحدود السياسية التى تفصل بين



دي ويت ،
تفصيل للخليج .

دي ويت ،
الامبراطورية التركية .

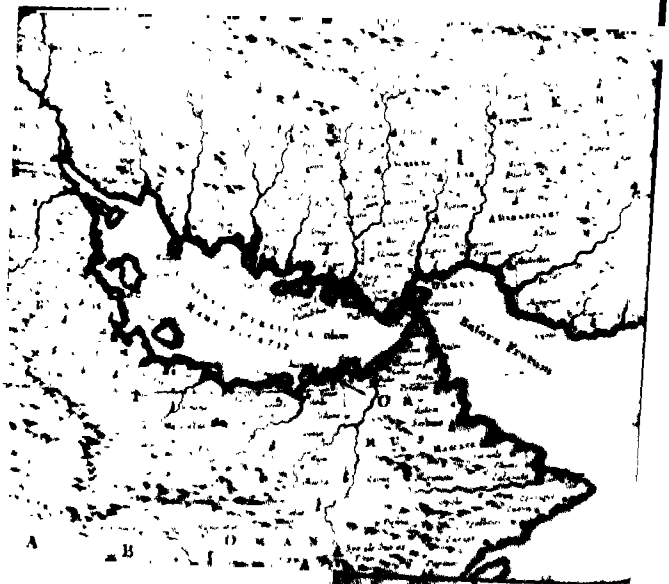


الدول المختلفة . كما قام بتلوين مختلف الجزر .

في الجانب الأيمن السفلي مكتوب ان هذه الخريطة «من نقش يوهانس لويليه بأمستردام» مقياس رسم الخريطة هو الميل الألماني وكل ١٥ ميلا ، اي ما يقرب من ١١١ كيلو مترا ، مساحة الخريطة هي ٥٥ سم عرضا و٤٧ سم طولا .

من بين أسماء المدن التي يمكننا التعرف عليها في هذه الخريطة المدن الآتية :

مسقط (Moschetto) ، صحار (Soar) ، خورفكان (Orfacan) ، رأس الخيمة (Roccalima) ، دبا (Doba) ، البصرة (Bassora) ، البحرين (Baharen) .



دي ويت ، فارس وأرمنيا واناطوليا وجزيرة العرب ، مثال آخر .



دي ويت
تفصيل للخليج



دو قال ، امبراطورية الترك في أوربا وآسيا وافريقيا .



دو قال ، تفصيل الخليج

(XVI Turqui d'Asie, 1686, Du Val, III 9643).

هذه خريطة الجزء الآسيوي من الامبراطورية التركية في القرن السابع عشر من رسم عالم الخرائط الفرنسي بيير دوڤال عرضها ٥٢,٤ سم وطولها ٣٦,٨ سم . هذه المساحة من الدولة العثمانة تقع بين خطي عرض ٢٠ جنوبا و٥٠ شمالا وبين خطي طول ٣٥ غربا و١٠٠ شرقا .

عنوان الخريطة كما هو موضح في المربع الخاص بذلك هو الآتي

«امبراطورية الترك في أوربا وآسيا وافريقيا موضح عليها بعض الطرق الرئيسية للقوافل من رسم پ . دو ڤال جغرافي الملك ، [تابع] في باريس عند المؤلف على رصيف الساعة بجانب قصر [الملك] . صاحب الامتياز هو جلالة [الملك] ١٦٨٦» .

ولد بيير دو ڤال عام ١٦١٨ بمدينة أبي ڤيل وتوفي عام ١٦٨٣ بمدينة باريس .

في هذه الخريطة جزء من الساحل العربي للخليج ليس ظاهرا بالمرة ، لذلك ستقتصر دراستنا للخريطة على الجزء المرسوم من الخليج فقط .

أهم ما نلاحظه هنا هو ذكر اسم الخليج بهذه الكيفية :

«خليج البصرة آخر بحر القطيف فيما سلف خليج فارس» .

قد يطلق رسامو الخرائط اسم خليج البصرة أو خليج القطيف على الخليج عامة . والأمر الذى يسترعى النظر هو أن بيير دوڤال يذكر أن الاسم السالف للخليج هو «خليج فارس» . وهذا قطعا دليل على مدى أهمية الساحل العربي وبلدانه في نظر الأوربيين لدرجة ان عالم خرائط كدو ڤال يطلق اسم مدينتين عربيتين على الخليج كله . الا أن هذه التسمية للخليج ربما تدل على أن أهمية فارس في نظر الأوربيين في القرن السابع عشر قد تدهورت لدرجة أن بيير دوڤال يشير الى أن اسم «خليج فارس» هو الاسم «السالف» للخليج وان كان حاليا يحمل اسم احدى المدن العربية .

دليل اخر يمكن استنتاجه من هذه الخريطة هو الأهمية الخاصة التى بدأت البلاد العربية تحتلها في نظر الأوربيين ابتداء من القرن السابع عشر من ذلك أن بيير دو ڤال أطلق على الجزء المواجه للساحل المصري من البحر الأبيض المتوسط اسم «بحر مصر» .

هاتان الملاحظتان يجب أن تدعما بدراسة تفصيلية للعلاقات الدبلوماسية والسياسية والتجارية بين الشرق العربي والدولة الفرنسية في النصف الثاني من القرن السابع عشر حتى تتاح لنا معرفة الدوافع التى جعلت عالم خرائط فرنسي مثل دو ڤال يطلق هذين الإسمين على ممرين مائيين هما الخليج وجزء من البحر الأبيض المتوسط .

دليل أخر على اهتمام الدول الأوربية ومنها فرنسا بمنطقة الدول العربية ـ كما نستطيع أن نستنتج من هذه الخريطة ـ هو عزل دو ڤال منطقة شمال افريقيا في اطار خاص أسفل الخريطة من جهة الشمال مع تكبير للمنطقة . وهذا طبعا دليل على الاهتمام الخاص الذى تعلقه فرنسا بشمال افريقيا ، وبالتحديد بتونس والجزائر والمغرب . كما يطلق دو ڤال ، في هذه الخريطة ، على الجزء المواجه للجزائر من البحر الأبيض المتوسط اسم «بحر الجزائر» .

تكتسب هذه الخريطة أهمية خاصة إذ أنها تعطي لنا طرق القوافل ، اي الطرق التى اتخذتها للتجارة والحج والسياحة في الشرق الأوسط عموما وكذلك عبورا من الشرق الأوسط الى مختلف بلاد أوربا والبعض من بلدان الشرق الأقصى.

عين بيير دو ڤال طرق القوافل على هذه الخريطة بواسطة خطوط تصل المدن والقرى ومحطات القوافل بعضها ببعض ممثلا كلا منها بدائرة صغيرة . وشبكة القوافل هذه تصل افريقيا وآسيا وأوربا معا . في حين ان طرق القوافل المتجهة الى الشرق الأقصى للأسف غير كاملة . سبب ذلك ان الخريطة محدودة من جهة الشرق بخط الطول ٩٠ .

هذه الخريطة لبيير دو ڤال كانت جزءا من مجموعة خرائط «المؤسسة الجغرافية» لعالم الخرائط البلجيكي فيليب فاندر مالين قبل أن تصبح اليوم جزءا من مجموعة خرائط المكتبة الملكية ببروكسل .

***

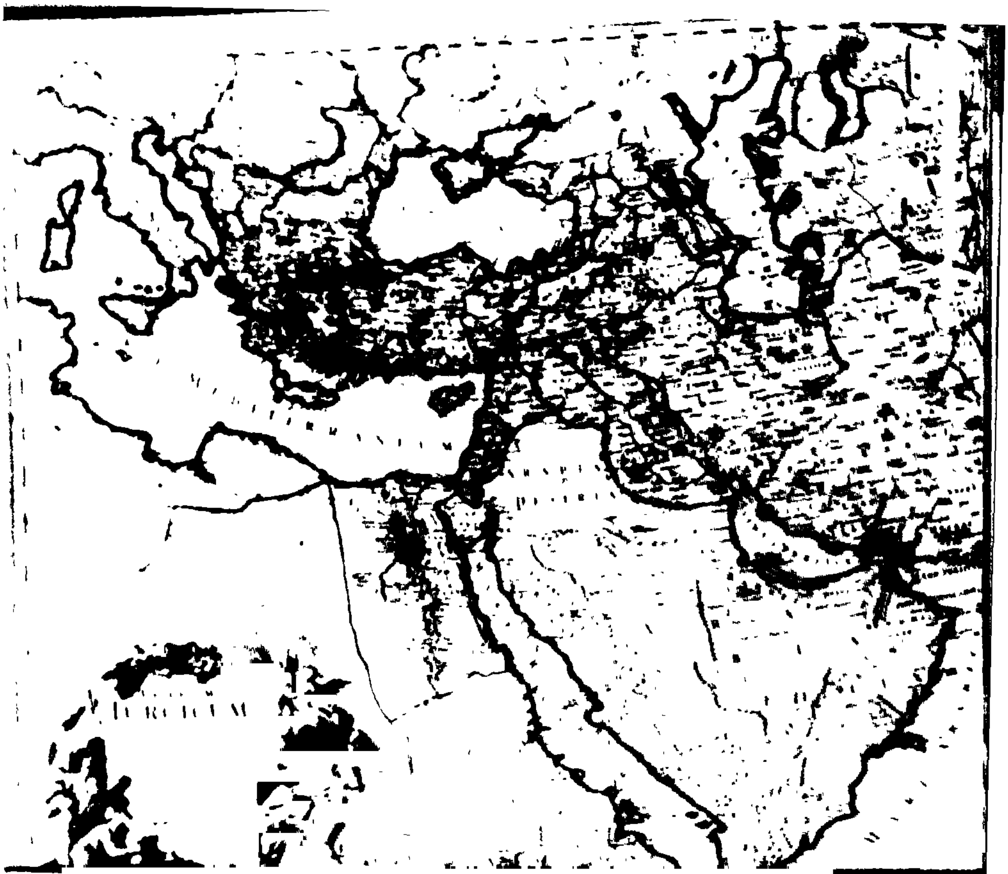
(No. 165, Turquie No. 41)

هذه الخريطة من وضع عالم الخرائط الألماني جان باتست هومان رسمها بناء على تقارير جغرافية لعالم الخرائط الفرنسي دي ليل ومؤدي عنوان هذه الخريطة هو الآتي . «خريطة الامبراطورية التركية في أوربا وآسيا وافريقيا التى تظهر فيها الأقاليم التى ترجع الى الامبراطورية التركية ذاتها وكذلك الأقاليم التى تدفع الجزية للامبراطورية والأقاليم الموالية لها وجميع الأقاليم التى ترجع ادارتها الى الامبراطورية التركية» .

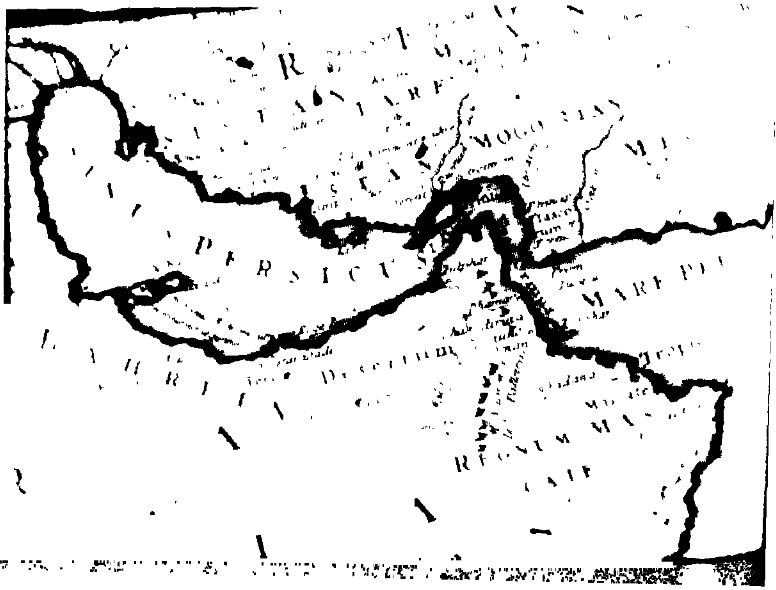
مساحة هذه الخريطة هي . ٥٧,٧ سم عرضا و٤٨,٥ سم طولا وهي تشمل المنطقة بين خطي العرض ١٥ جنوبا و٤٥ شمالا وبين خطي الطول ٢٥ غربا و٨٥ شرقا .

ان نقطة البداية لخطوط الطول هنا ـ أي خط الطول صفر ـ هي خط طول مدينة باريس .

في هذه الخريطة يوضح هومان مقياس الرسم الذى اختاره بمقارنته بمقاييس رسم أخرى فهو لذلك يذكر أنه بمقارنة وحدة القياس اختارها بالميل



هومان ، الامبراطورية التركية و آسيا وافريقيا التى تظهر فيها الأقاليم الموالية لها .



هومان ، تفصيل للخليج .

الألماني (٧,٤٠٧٤٠٧ كم) يتضح أن كل ١٥ ميلا تعادل درجة واحدة ، أما بالنسبة للميل التركي فإن كل ٤٠ ميلا تعادل درجة واحدة ، وأما الميل الايطالي ـ وهو يساوي الميل البحري التركي ـ فإن كل ٦٠ ميلا تعادل درجة واحدة .

وفيما يتعلق بالجزء الخاص بالخليج العربي في هذه الخريطة فإنه يمكن ان نشير الى الملاحظات الآتية :

أولا : بخصوص الساحل العربي من الخليج فإن عدد المدن التى يذكر هومان أسماءها محدود . ومن بين المدن السبع المذكورة هنا يمكننا التعرف على الأربع التالية :

جلفار (Julphar) ، الشارقة (Cataragda) ، القطيف (Elcatif) ، البحرين (I. Bahrien) .

هذا دليل على أن هذه الخريطة التى ترجع الى القرنالثامن عشر على درجة معقولة من الدقة بالمقارنة مع خرائط القرن السابع عشر التي تناولناها حتى الآن بالرغم من أن عدد المدن المذكورة محدود جدا .

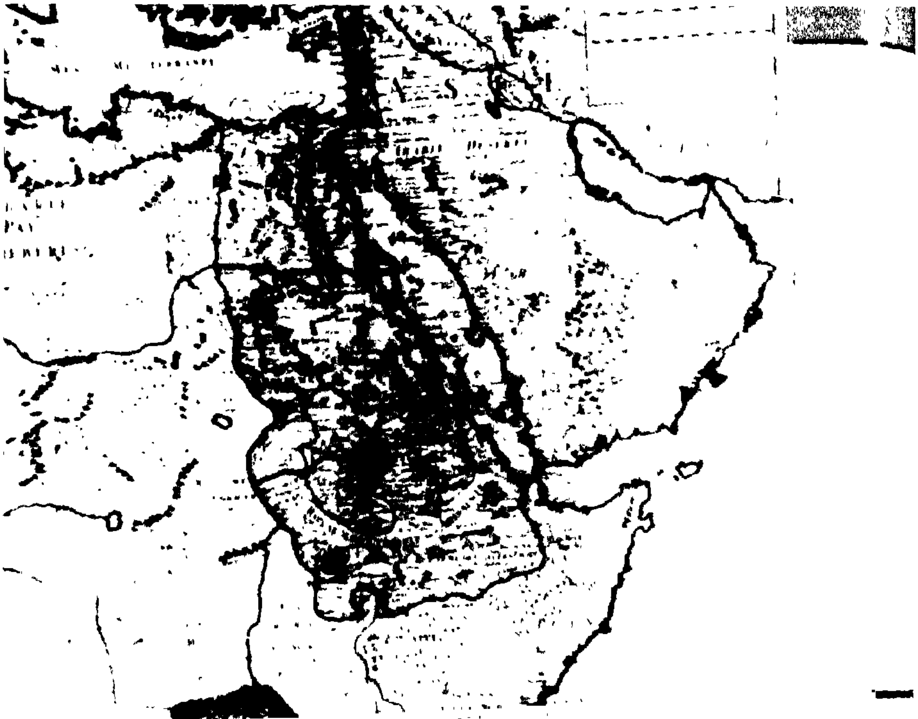
ثانيا : من الجدير بالذكر ان المكتبة الملكية ببروكسل تملك نسخة أخرى من هذه الخـــــــــريطة (P. E. Turquie 46) وهي ملونة تلوينا مختلفا عن النسخة الثانية التى ننشرها هنا وهي مع ذلك أكثر وضوحا من هذه النسخة فهذا دليل على أن النسخة أحدث من نسختنا هذه ، وذلك لأن نقش الخريطة على اللوحة النحاسية ـ استعدادا لطبعها ـ كان قد تسبب في بهوت لونها قليلا وذلك من كثرة الاستعمال نتيجة طبع نسخ متتالية منها .

***

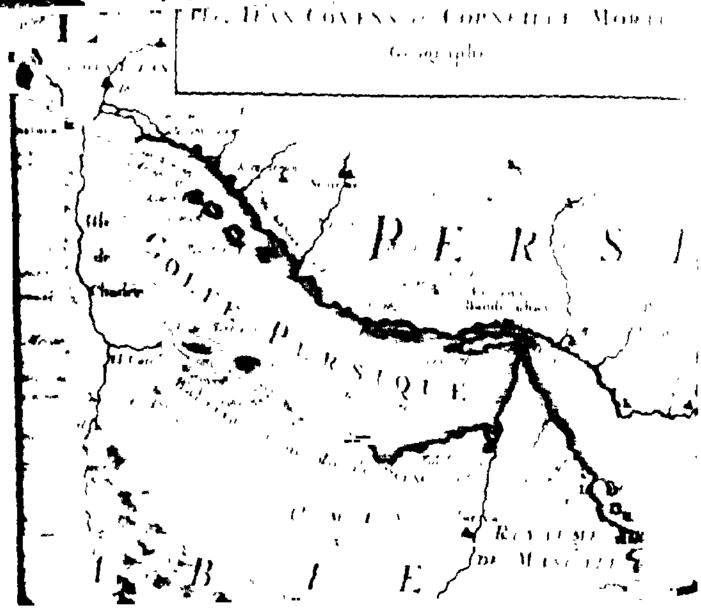
(II 47595 D. Carte & Plans)

هذه الخريطة من وضع عالم الخرائط الفرنسي جيوم دي ليل قام بنشرها سنة ١٧٣٣ في أطلسه الذى ظهر في امستردام والذى يحمل العنوان الآتي : أطلس جديد ، يحتوى على جميع أجزاء العالم يذكر بدقة الامبراطوريات والممالك والدول والجمهوريات» .

عنوان الخريطة التى نحن بصدد دراستها هو الآتي : «خريطة مصر والنوبة والحبشة من عمل جيوم دي ليل عضو الاكاديمية الملكية للعلوم بباريس» . مقياس الخريطة هو ٥٨ سم عرضا و٥٤ سم طولا . والمساحة التى تغطيها تقع بين خطي عرض ٥ جنوبا و٣٥ شمالا وبين خطي طول ٣٠ غربا و٧٠ شرقا .



دي ليل ،
مصر
والنوبة
والحبشة .



دي ليل ، تفصيل للخليج .

اما فيما يتعلق بمقياس رسم الخريطة فإن جيوم دي ليل يعطي المقاييس الآتية

١ ـ لكل ٢٠ ميلا بحريا (٥,٥٥٥ كم) ما يقابل درجة واحدة

٢ ـ لكل ٢٥ ميلا فرنسيا عاديا (٤,٤٤٤ كم) ما يقابل درجة واحدة .

مدن الساحل العربي للخليج والتى يذكرها جيوم دي ليل في هذه الخريطة هي الآتية

مسقط (Mascate) ، عُمان (Oman) صحار (Isle de Sohar) ، اطلال صحار (Ruines de Sohar) ، جلفار (Julphar au Gidffar) ، تاروت (Tarout) ، القطيف (El- Catif) ، البحرين (I. de Bahrein) ، شط العرب (Le Schatel Arab R.) ، البصرة .

هناك ثلاث ملاحظات حول هذه الخريطة .

أولا قد كتب جيوم دي ليل على سطح الخليج في مواجهة الساحل العربي العبارة التالية «صيد اللؤلؤ» وهذا لشهرة المنطقة ونشاطها كمصدر أساسي من مصادر الحصول على اللؤلؤ .

ثانيا كتب كذلك على الساحل الفارسي للخليج العبارة الآتية «ساحل مسكون بالعرب» .

ثالثا ان خريطة جيوم دي ليل هذه لتعتبر من أكثر الخرائط التى تعرضنا لتحليلها حتى الآن دقة ورغم قلة عدد المدن التى يذكرها في الساحل العربي للخليج نجد أن كل الأسماء تقريبا صحيحة ومطابقة للواقع

***

(Turquie, Empire, Turquie en general 33)

واضع هذه الخريطة غير معروف فهي لا تحمل أي اسم لعالم خرائط ، وهي لا تحمل كذلك تاريخ وضعها . لذلك فمن المهم دراستها لعلنا نستطيع أن نحدد ـ ولو بالتقريب ـ تاريخ وضعها ، وهذا ما سنحاول أن نقوم به هنا .

مساحة الخريطة ٤٦,٣ سم عرضا و٢٤,٥ سم طولا وهي محصورة بين خطي العرض ١٠ جنوبا و٥٠ شمالا وبين خطي الطول ٤٠ غربا و١٠٠ شرقا

فيما يتعلق بمقياس الرسم فإن واضعها يعطينا المعلومات الآتية

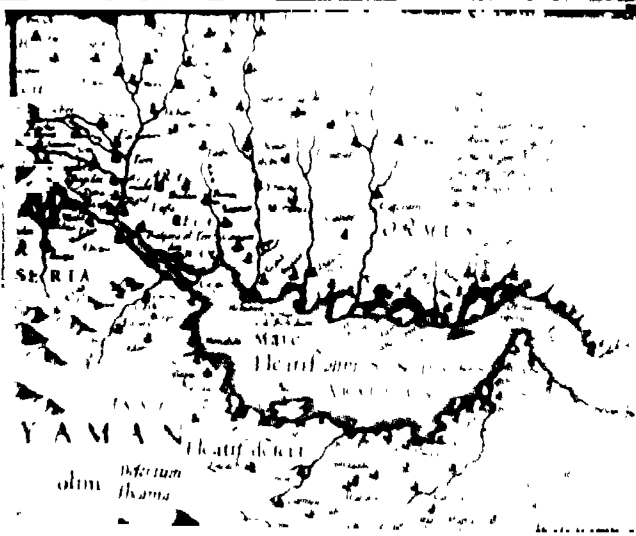
كل ٩٠ ميلاً ألمانياً (٧,٤٠٧٤٠٧ كم) ممثلة على الخريطة بدرجة واحدة .

وكل ٣٦٠ ميلاً ايطالياً ممثلة كذلك بدرجة واحدة .

فوق مقياس الرسم نجد صورة للسلطان العثماني محمود ، والنص



مجهول ،
الامبراطورية التركية .



مجهول ، الامبراطورية التركية تفصيل للخليج .

المصاحب للصورة لا يمكننا من معرفة السلطان المعنى بالأمر لأن اسم «محمود» حمله سلطانان عثمانيان ، فهل هو السلطان محمود الأول (١٦٩٦ ـ ١٧٥٤) أم السلطان محمود الثاني (١٧٨٤ ـ ١٨٣٩) ؟ الا أن هناك دليلا في هذه الخريطة يسمح لنا بأن نحدد أيا من السلطانين كان في الحكم وقتئذ .

وذلك أن الجزء الخاص باليونان يعطي الانطباع أنه في وقت وضع هذه الخريطة كانت اليونان قد حصلت على استقلالها من الدولة العثمانية .

فإذا علمنا أن استقلال اليونان عن الامبراطورية العثمانية تم عام ١٨٢٩ استنتجنا أن السلطان محمود الذى نرى صورته هنا هو السلطان محمود الثاني ، اي أن تاريخ هذه الخريطة يرجع الى ما بين عام ١٨٢٩ وعام ١٨٣٩ ، أي الى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

مثل هذا التطبيق للمنهج العلمي المستعمل في علم الخرائط يعد محاولة لتحديد تاريخ الخرائط التى أغفل واضعوها ذكر تاريخ نشرها .

يشير عنوان هذه الخريطة الى انها تتعلق بجزء من مملكة فارس ويشير كذلك الى دور ملك هرمز في الخليج كممثل لملك البرتغال .

هناك بعض الملاحظات التى يمكن الاشارة اليها .

اولا : إن طول الخليج من الجهة الغربية مبالغ فيه ، فهو طبقا لهذه الخريطة يتوغل في الأراضي العراقية أكثر مما هو عليه في الواقع بكثير .

ثانيا : كتب اسم البحرين في هذه الخريطة على جزيرة البحرين فقط وليس على كل من الجزيرة والساحل المقابل لها ـ كما هو الحال في معظم الخرائط التى درسناها هنا .

ثالثا : اسم الخليج على هذه الخريطة هو الآتي «بحر القطيف أو الخليج العربي» .

رابعا : من الواضح أن هذه الخريطة هي نسخة لخريطة أخرى أقدم منها ربما ترجع الى القرن السابع عشر أو حتى أقدم من ذلك . سبب ذلك أن الخريطة التى أمامنا لها نفس الهيئة العامة للخرائط التى ظهرت قبل القرن التاسع عشر وخصوصا خرائط القرن السابع عشر وما سبقه .

سبب آخر يدفعنا الى هذا الفرض وهو أن مدن الخليج المذكورة على هذه الخريطة تطابق من حيث العدد والاسم معظم خرائط القرن السابع عشر وما قبله ، فهي في ذلك مختلفة في عدد وأسماء مدن الخليج التى ظهرت في خرائط القرن التاسع عشر والتى تتميز عند مقارنتها بما سبقتها بالدقة والمطابقة للواقع .

***

(Orient, A.F., 1802, Turquie Europe).

هذه الخريطة من وضع عالم الخرائط الألماني فرانز لودفج جوسيفيلد . مساحتها ٥٤ سم عرضا و٤٤,٤ سم طولا وهي محصورة بين خطي العرض ١٥ جنوبا و٤٥ شمالا وبين خطي الطول ٢٥ غربا و٨٥ شرقا .

عنوان الخريطة هو : «خريطة الامبراطورية العثمانية في أوربا وآسيا وافريقيا» .

أما بخصوص مقياس الرسم في هذه الخريطة فإن جوسيفيلد يذكر الآتي :

إن كل ٨٠،١٥ ميلاً ألمانياً تمثل بدرجة واحدة على الخريطة ، كذلك كل ٢٠٠،٦٦ ميلاً تركياً بدرجة واحدة وكذلك الحال لكل ١٠٠ ميل ارمني وكل ٢٥ فرسخا وكل ٢٠٠،٥٦ ميل عربي . وقد مثل كذلك بدرجة واحدة ما يعادل مسافة عشرة أيام ، كما تقطعها قوافل الجمال ، وهي ما يعادل ٤/١٠ ميل .

إن أول خطوط الطول التى استعملها جوسيفيلد في هذه الخريطة يقع على بُعد ٢٠ درجة شرق مدينة باريس .

أما فيما يتعلق بمدن الساحل العربي للخليج ، فنجد ان العدد الذى يذكره جوسيفيلد في هذه الخريطة محدود إذا قارناه بالخرائط السابقة لها والتى عرضناها في غضون هذا البحث ، وهذه المدن هي :

مسقط (Maskat) ، سيب (Sib) ، بركة (Barka) ، السويق (Suweik) ، سحم (Saham) ، صحار (Sohar) ، ليوه (Luwa) ، شناص (Schinas) ، المحرق (Maharac) ، خورفكان (Kharfakan) ، دبا (Dibbah) ، موسندم (Mussendam) ، دبي (Debai) ، رأس مشعاب (Ras Matscherib) ، خور العديد (Khor Alladeid) ، رأس المطبخ (Ras Mutbutsch) ، البحرين (I. Bahrein) ، القطيف (El Katif) ، رأس تنوره (Ras Tanurah) ، الكويت (El Koweit) ، بوبيان (I. Babia) ، الدوحة (Dorah) ، البصرة (Basra)

هناك بعض الملاحظات يمكننا ذكرها في هذا الصدد :

أولا قد كتب على جزء من الشاطىء العربي للخليج «ساحل غير معروف» .

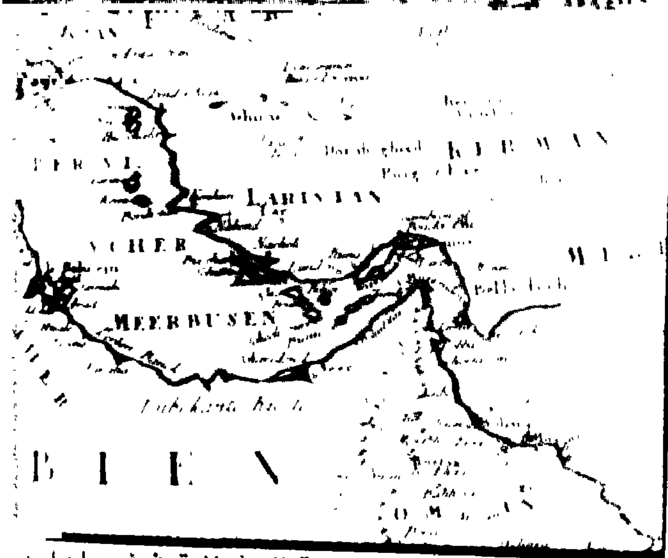
ثانيا . كُتب على جزء آخر من الساحل «شاطىء اللؤلؤ» .

يتضح مما ذكرناه بخصوص خريطة جوسيفيلد المعروضة هنا أن هذه الخريطة على درجة كبيرة من الدقة والعناية وان الساحل العربي للخليج ليس مليئا بأسماء مدن وأماكن ليس لها مقابل في الواقع ، وإن كان عدد المدن والقرى والجزر محدوداً للغاية إلا أن كلا منها يحمل إسما واقعيا حقيقيا ، وذلك بالعكس من معظم الخرائط السابقة .

أما بخصوص المنطقة التى لم يعرف عنها جوسيفيلد الكافي من المعلومات فإن أمانته العلمية املت عليه أن يكتب على هذه المنطقة «ساحل غير معروف»



جوسيفيلد ، الامبراطورية العثمانية في أوربا وآسيا وافريقيا .



جوسيفيلد ، الامبراطورية العثمانية في أوربا وآسيا وافريقيا ، تفصيل للخليج .

بدلا من أن يكتفي بنقل أسماء تقريبية أو محرفة أو شبه صحيحة ـ كما هو الحال في معظم خرائط القرنين السابع عشر والثامن عشر .

(Vandermaelen, Ph. , Atlas Universel, vol. II, Bruexelles, 1827).

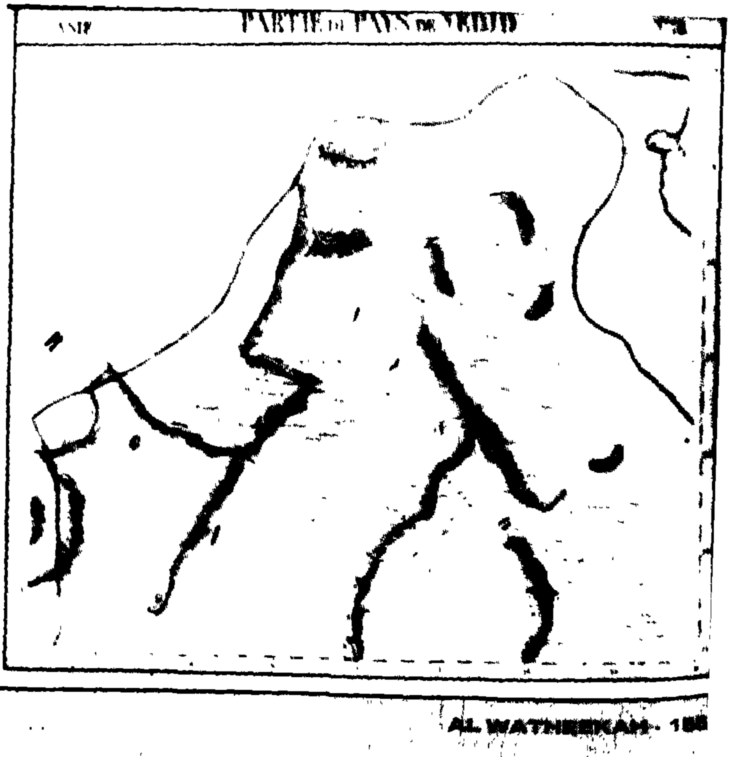
هذه الخريطة من وضع عالم الخرائط البلجيكي فيليب ڤاندر مالين نشرها في المجلد الثاني من «الأطلس الجامع» الذى نشره في ستة مجلدات وذلك من عام ١٨٢٥ الى عام ١٨٢٧ .

يحتل الساحل العربي للخليج ثلاث خرائط في هذا الأطلس هي الخريطة رقم ٧٨ والتى عنوانها (جزء من بلاد نجد) ، والخريطة رقم ٧٩ وعنوانها (الخليج الفارسي) ، ثم الخريطة رقم ٨٠ وعنوانها (بيلوشستان)

الخريطة رقم ٨٠ تحتوي على المدخل الشرقي للخليج وكذلك على جزء من خليج عُمان الى جانب بعض الجزر غير البعيدة من مدخل الخليج من ناحية الساحل العربي . كما نلاحظ عدم وجود أي اسم من أسماء المدن أو الجزر ، وقد لُونَّ كل من الساحل العربي وجزره باللون الأخضر

في الخريطة رقم ٧٩ يعطي فيليب ڤاندر مالين الجزء الأكبر من الخليج مع أسماء البعض من مدنه

دبا (Deba Baie) ، الرمس (Rumss) ، رأس الحيمة (Khyma) ، عجمان (Aymaun) الشارقة (Shurga) ، البحرين (I. Bahreyn) ، القطيف (El Qatif) ، تاروت (I Taraut) ، سيهات (Syahale)



ڤاندر مالين
الاطلس الجامع

، خريطة
رقم ٧٨ .



ڤاندر مالين

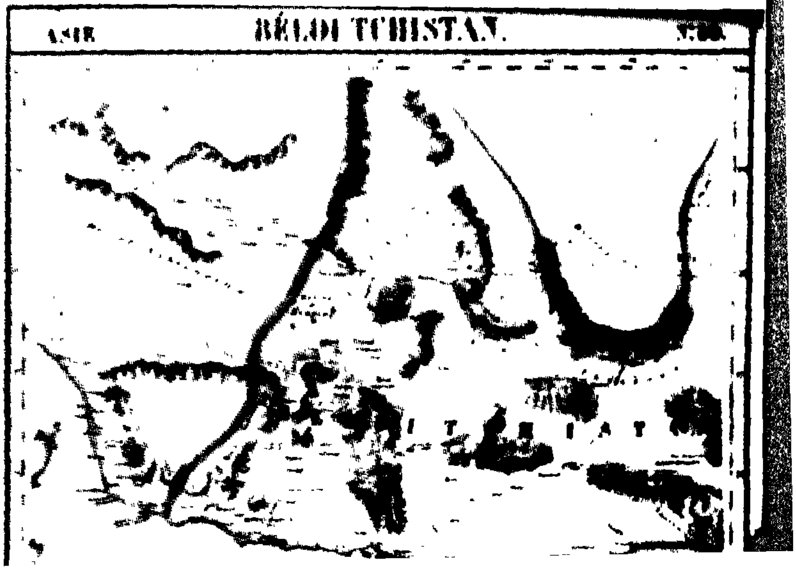
الأطلس الجامع

خريطة

رقم ٧٩ .

في الخريطة رقم ٧٨ يعطي ڤاندر مالين الطرف الغربي من الخليج ويذكر اسمين من مدنه : الفونيطيس (Felandj. I.) والكويت (El Koueyt) .

وقد أرفق فيليب ڤاندر مالين مع هذه الخرائط الثلاث للخليج نصا جغرافيا من وضع ديلاڤو يذكر فيه الصفات الجغرافية والنشاط التجاري وثروة اللؤلؤ بالخليج .



ڤاندر مالين

الأطلس الجامع

خريطة

رقم ٨٠

هذه الخرائط الثلاث تمتاز بالدقة المتناهية من جهتين :
اولا : من جهة رسم الساحل والجزر .
ثانيا : من جهة العناية في نقل أسماء المدن والأماكن عناية كبيرة .

***

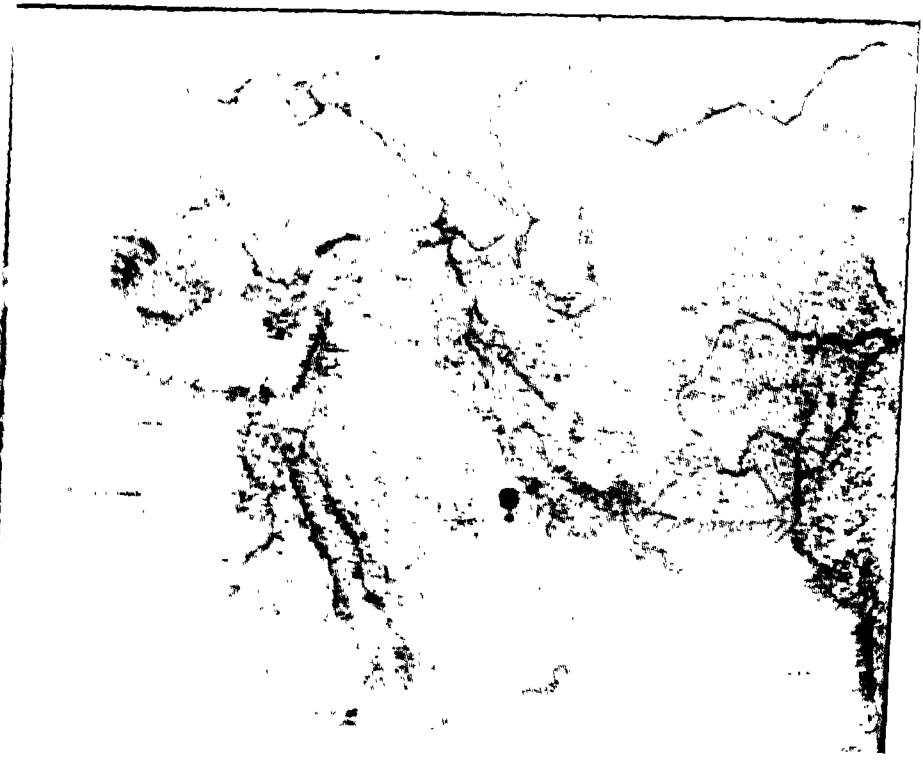
(Turquie 1859)

هذه الخريطة لعالم الخرائط والجغرافي الألماني كارل فرديناند ڤايلاند (١٧٨٢ - ١٨٤٧) مساحتها ٥٨,٢ سم عرضا و٤٦,٩ سم طولا وهي محدودة بخطي العرض ١٠ جنوبا ٥٠ شمالا وخطي الطول ١٥ غربا و٧٠ شرقا .

عنوان الخريطة كالآتي «الامبراطورية العثمانية : وكذلك ممتلكات باشا مصر ، في أوربا وآسيا وشبه جزيرة العرب ، تشتمل على جزء من النمسا وروسيا وما قبل الهند» .

قد نشرت هذه الخريطة في ڤيمار عام ١٨٣٩ وقد قام بنشرها المعهد الجغرافي هناك .

ڤايلاند ، الامبراطورية العثمانية وممتلكات باشا مصر .



أما فيما يتعلق بمقياس الرسم فإن ڤايلاند يذكر أن :

الميل الألماني يعادل درجة واحدة في كل $\frac{1}{11,200000}$ من درجات الطول ، ونفس المقياس فيما يتعلق بدرجات العرض .

بجانب ذلك يزودنا ڤايلاند بقائمة تتكون من اثنتى عشرة وحدة سياسية كل منها ممثل على الخريطة بلون خاص . وتبدأ هذه القائمة بممتلكات الدولة العثمانية في أوربا وآسيا ثم بمصر والممتلكات التابعة لباشا مصر وتنتهي القائمة بالمقاطعات النمساوية .

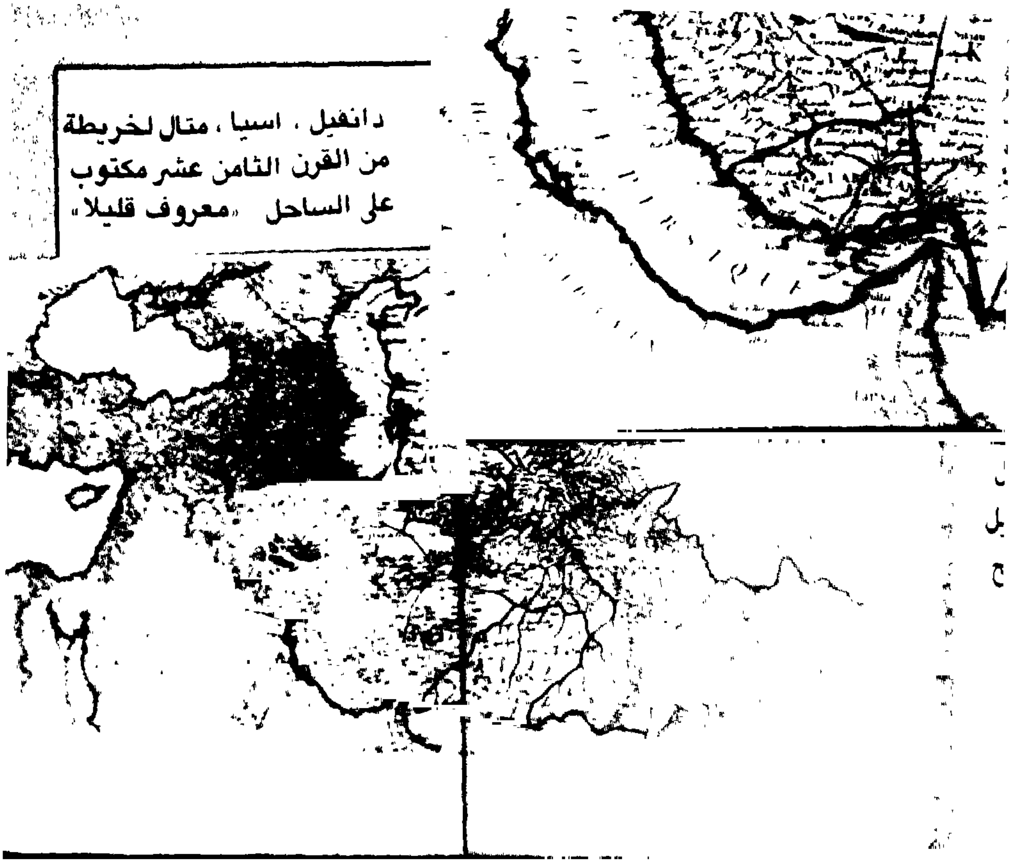
يذكر كارل فرديناند ڤايلاند ، من مدن الساحل العربي للخليج ، المدن الآتية :

مسقط (Maskat) ، سيب (Sib) ، بركة (Barka) ، السويق (Suweik) ، سحم (Saham) ، صحار (Sohar) ، لواء (Luwa) ، شناص (Schinas) ، المحرق (Maharac) ، خورفكان (Kharfakan) ، دبا (Dibbah) ، موسندم (Mussendam) ، دبي (Debai) ، رأس المشعاب (Ras Matscherib) ، خور العوديد (Khor Alladeid) ، رأس المطبخ (Ras Mutbutsch) ، البحرين (I. Bahrein) ، القطيف (El Katif) ، راس تنوره (Ras Tanurah) ، الكويت (El Koweit) ، بوبيان (I. Babia) ، الدوحة (Dorah) ، البصرة (Basra) .

من الواضح أن هذه الخريطة على درجة عالية من الدقة والدليل على ذلك أن أسماء المدن والجزر التي يذكرها ڤايلاند تطابق في الغالبية العظمى منها الأسماء الحقيقة لتلك الأماكن . كما انه من البين ان عالم الخرائط قد اعتمد على مصادر يمكن التعويل عليها فيما يتعلق بالمعلومات الخاصة بالخليج وهي مصادر تتفق تماما مع متطلبات المنهج العلمي الحديث .

***

ان نتيجة هذه الدراسة التى قمنا بها هنا والتى شملت مدة مائتي عام من تاريخ علم الخرائط في أوربا لتطلعنا على تطور واضح لا شك فيه ، ففي القرن السابع عشر كانت الخرائط في أغلبها غير دقيقة وكان الشاغل الأساسي لعالم الخرائط في ذلك العصر هو تقديم أكبر قدر ممكن من المعلومات بدون أن تتاح له الفرصة كي يمتحن مصادر هذه المعلومات ، تلك المصادر التى كانت في أغلب الأحيان غير دقيقة . فقد كان عالم الخرائط في ذلك العصر يذكر أكبر عدد ممكن من أسماء المدن والجزر والأماكن بدون تحر . والعدد القليل من المدن الشهيرة سلم من التصحيف مثل : مسقط ودبا والقطيف والبصرة . أما



دانفيل ، اسيا ، مثال لخريطة من القرن الثامن عشر مكتوب على الساحل «معروف قليلا»

الباقي منها فهي أسماء محرفة أو مخترعة .

ولم يظهر النقد العلمي للمصادر الا في القرن الثامن عشر عندما أصبح عالم الخرائط يترك أماكن خالية من الأسماء على الخرائط معترفا بذلك ان هناك مناطق ما زالت غير معروفة له أو مجهولة تماما بالنسبة له

هذا الموقف الايجابي من جانب عالم الخرائط في القرن الثامن عشر قد سمح ، بدون شك ، لعلم الخرائط أن يتقدم تقدما مطردا حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما بدأت تظهر على الخرائط معلومات صحيحة دقيقة وموثوق منها .

من الواضح ضرورة دراسة الخرائط الأوربية القديمة كوسيلة علمية دقيقة لمعرفة مكانة العالم العربي عامة والخليج خاصة في تاريخ العلوم في أوربا .

الأستاذ الدكتور حسام الخادم
أستاذ تاريخ العلوم بجامعة بروكسل

تاريخ ظهور الإسلام

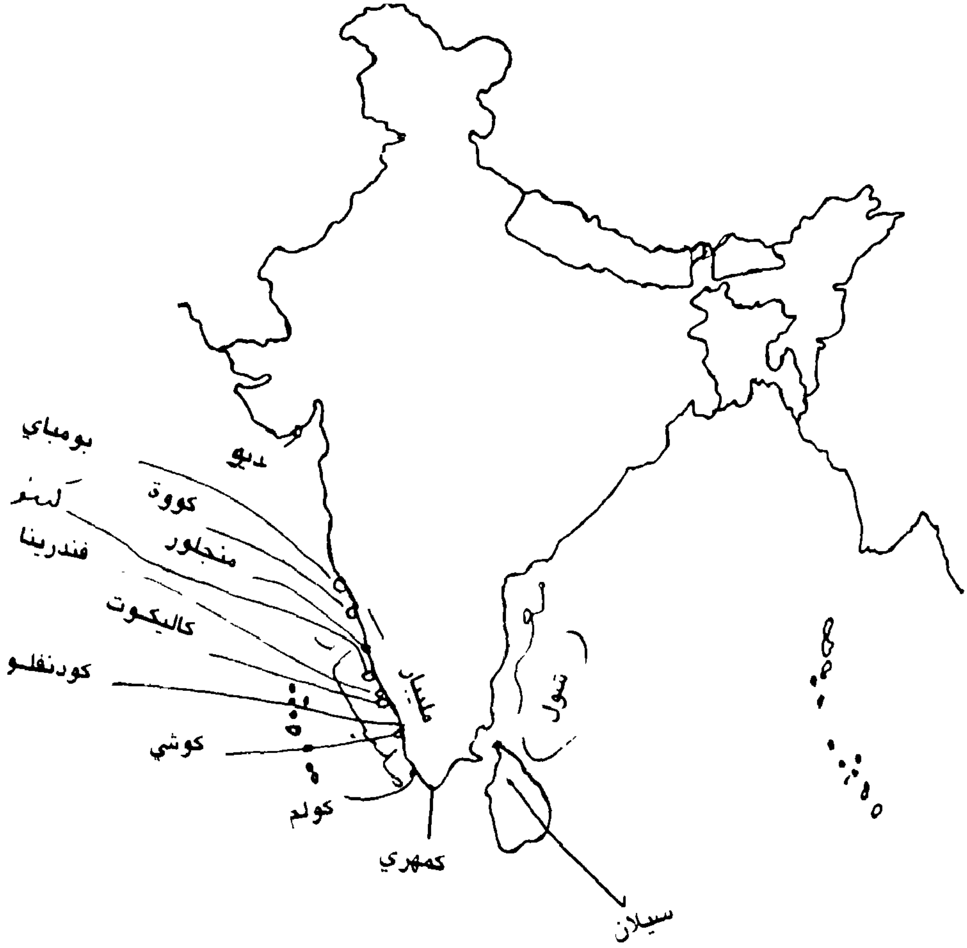
في ساحل مليبار

من خلال مخطوط

تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين

اعداد : البروفيسور : عبدالعزيز المنقادى

هذا الكتاب يعد مصدرا هاما ان لم يكن وحيداً لظهور الاسلام في ساحل مليبار ولطوري المد والجزر اللذين مر بهما الاسلام هناك عبر القرون وللوقائع التي جرت بين المسلمين والبرتغاليين مدة ٨٥ عاما بين سنة ٩٠٤هـ الموافق ١٤٩٨م و٩٩٢هـ ١٥٨٣م في مليبار الساحل الغربي الجنوبي للهند وهي واقعة الان في ولاية كيرالا احدى ولايات جمهورية الهند .



خريطة ساحل مليبار

ومليبار هذه معروفة للبحارة العرب ومؤرخيهم فقد زارها أو كتب عنها عدد غير قليل منهم مثل سليمان التاجر ٨٥١م والبيروني ١٠٥١م والادريسي ١١٥٣م والقزويني ١٢٧٥م وابو الفداء ١٣٧٥م ورشيد الدين ١٣٣٠م وعبدالرزاق ١٤٤٢م ، والرحالة المشهور المغربي ابن بطوطة قام برحلة واسعة لأرجاء كيرالا أثناء سفارته الى الصين من قبل السلطان محمد بن تغلت وسلط الضوء على حياة أبنائها الدينية والاجتماعية والاقتصادية ووصفها ، ببلاد الفلفل .

وقد جاء ذكر كاليكوت قصبة مليبار في قصيدة « الحاوية » لأحمد بن ماجد شيخ المعالمة وامير البحر في القرن التاسع الهجري .

وكانت مليبار تنتج أنواعا كثيرة من التوابل والبضائع النادرة مثل الفلفل

الأسود والزنجبيل والقرنفل والصندل والساج والأخشاب لصناعة السفن والتجار من الصين وجزيرة العرب وايران وفينيقيا ، كانوا يرتادون شواطىء مليبار لشراء هذه السلع .

واما العرب فقد لعبوا دورا رئيسيا منذ اقدم العصور في تبادل هذه البضائع الى الشرق والغرب .

والأدب العربي مرآة صادقة تتراءى فيها آثار هذه العلاقة التجارية المزدهرة فالفلفل الذي جاء في بيت من معلقة امرؤ القيس :

« ترى بحر الارآم في عرصاتها
وقيعانها كأنه حب فلفل »

ان لم يكن يدل على عالمية الأدب العربي فإنه يشير الى هذه العلاقة التجارية الكثيفة وما المهند والخطى اللتين يتغنى بهما القدامى من الشعراء الاسلاحين فتاكين هنديي الانتاج وخلف هذا ، التبادل التجاري آثارا ، خالدة في لغات الهند منها ، اللغة المليبارية أو مليالم واللغة العربية . وتسربت كثير من كلمات هذه اللغة الى اللغة العربية وعلى العكس أيضا ، فالفلفل والزنجبيل والصندل والقرنفل والكافور بعض الكلمات المليبارية الأصيلة المقتبسة الى اللغة العربية . واما الكلمات العربية الدخيلة الى لغة مليالم فقد احصي عددها عشرات مثل خط ، قرار ، دلال ، ضامن ، أفه ، مصيبة ، باقي .

وقد كان ظهور الاسلام نقطة تحول لهذه العلاقة التجارية القديمة ، فقد أثر الاسلام تأثيرا عميقا في مجتمع الساحل المليباري وغير مجرى تاريخه فقد كان هذا التغيير جذريا وثوريا .

والتجار العرب المسلمون من حضرموت وعمان والخليج العربي أسسوا مستعمرات عديدة في مختلف مرافىء مليبار مثل كولم وكودنفلور وكاليكوت وكننور وهيلى وهندرينا .

وقد لعبت هذه المستعمرات دورا خطيرا في امتداد الزحف الاسلامي لافي مليبار فقط بل في شرق آسيا كافة مثل ملايو وأندونيسيا وجريرة سيلان دخل الناس في دين الله أفواجا وتفاصيل هذه الأخبار نستعرضها حين يصل البحث الى ظهور الاسلام في مليبار .

ولم تزل نشاطات العرب والمسلمين الدينية والاجتماعية والاقتصادية في تقدم وازدهار حتى وصلتهم حملة البرتغاليين عام ١٤٩٨ في اليوم الثامن عشر من شهر مايو تحت قيادة فاسكو دي غاما وكانت مدينة كاليكوت عاصمة مليبار اذ ذاك أرسيت فيها ثلاث سماويات له ولسنا بصدد الفحص عن آراء المؤرخين حول من دل من المعالمة غاما على الطريق الى الهند أهو أحمد بن ماجد أم هو رجل

هندي من كجرات ؟ وبالجملة ابتلى المسلمون ابتلاء عظيما بأيدي البرتغاليين وكانوا في الحقيقة سياط عذاب للمسلمين فأذاقوهم أنواع العذاب من قتل وتدمير وتشريد كما عبر عنها محمد بن عبدالعزيز الكاليكوتي الذي عاش في القرن الحادي عشر الهجري في أرجوزته المشهورة .

فتح المبين للسامري الذي يحب المسلمين

كم مسلم في حبسهم مقيدون
وأي محنة بها يعذبون
كم ايتموا بقتلهم ولدانا
كم أرملوا الاماء والنسوانا
كم من مراكب بنار أحرقوا
كم من سفائن بحر أغرقوا
كم صيروا من مسلم نصارى
حتى من السادات كالأسارى
ومنعوا المسلمين الطرقا
برا وبحرا لم يزالو فرقا
وهتكوا لحرمة النسوان
بين محارم وزوج عاني
وبقتل المسلم بالمنشار
وبعضهم بكلب ونار

واشتدت قبضة البرتغاليين على بحر العرب فشددوا الخناق على المسلمين والعرب ، منعوا من تسفير سفنهم الى موانىء جزيرة العرب مثل هرمز وجلفار وظفار وشحر وعدن وجدة وتعرضوا لحجاج بيت الله فلم يسمحوا لهم بالسفر الى مكة - انظر تحفة المجاهدين للتفاصيل .

وقد انجبت مليبار صفوة من العلماء البارزين وضعوا كتبا في العلوم الدينية واللسانية والتصوف والطب ولم يكن حظ مليبار من الشعر العربي اقل من هذه العلوم فقد نبغ منهم عدد من الشعراء المجيدين لا يشق لهم غبار في التعبير عن أغراضهم في القريض .

ومليبار وولاية كيرالا اليوم زاهرة بهذا التراث الثمين كتب عربية تعد بالمئات من كبير وصغير الحجم .

وقد اثرت المكتبة العربية العالمية وكثير منها مطبوع في الهند ولكنها اليوم في حالة غير محسودة يوشك أن تكون على حافة الانقراض ، واني أوجه انتباه الباحثين الى هذه الكنوز النادرة عسى أن تجد لها وليا ونصيرا .

مؤلف تحفة المجاهدين في أخبار البرتغاليين :

وممن انجبت مليبار من العلماء البارزين الشيخ زين الدين بن أحمد بن زين الدين بن علي بن المعبري المليباري المتوفي سنة ٩٩١هـ سنة ١٥٨٣م وينتمي الشيخ إلى أسرة عريقة في العلم والمجد فقد كان جده زين الدين الأول عالما كبيرا وصاحب عدة مؤلفات في مختلف العلوم مع علو كعبه في الشعر أيضا ومن أبرز مؤلفاته

مرشد الطلاب وهداية الأذكياء . وكانت له مكاتبات مع سلاطين المسلمين خارج الهند وداخلها يوجه فيها نظرهم الى الخطر البرتغالي في البحر العربي .

وأما صاحبنا زين الدين الثاني فقد سافر الى مكة في طلب العلم وجاور بيت الله تقريبا عشر سنين وتتلمذ خلالها على كبار المشايخ في مكة المكرمة مثل ابن حجر الهيثمي وزكريا الأنصاري وغيرهما واشتغل بالتدريس والتأليف بعد رجوعه الى مليبار فألف فتح المعين في شرح قرة العيون . ويعد هذا الكتاب من أمهات الكتب في الفقه الشافعي وقد لقي من العلماء اعتناء عظيما فقد قام بشرحه والتعليق عليه غير واحد من الفقهاء في مصر فقد كتب له حاشية باسم اعانة الطالبين فقية مصري وهو مطبوع ببولاق وقد جاء في تقريظة لبعض العلماء .

« فتح المعين كتاب شأنه عجب
حوى من الفقه مالم يحوه كتب »

وكتابه الثاني تحفة المجاهدين في بعض اخبار البرتغاليين الذي نحن بصدده هو أجل مصنفاته الذي رفعه الى سماط المؤرخين البارزين لم يحظ مؤرخ هندي عاش في القرون الوسطى بما حظى به من الاهتمام من الباحثين المحدثين شرقا وغربا .

فنرى فيه مؤرخا نابغا ومحللا للوقائع التاريخية متحريا مقاييس النقد العلمي والحياد الكامل قلما يتحلى بهما الكتاب في تلك العصور وأما مقدرته اللغوية فيدل عليها أسلوبه السلس الخالي من السجع والمحسنات اللفظية التي كانت شائعة حينئذ .

ونسبته الى معبر فهي أن أسرته نزحت الى مليبار من شاطىء معبر وهو عند الجغرافيين Coromandal Coast نفس الساحل الذي يصفه احمد بن ماجد شيخ المعالمة بساحل شول في كتابه الحاوية بقوله :

« وكم رأيت في قطوط الشول
ونظمة والنثر والفصول »

(محاضرة الاستاذ ابراهيم خوري - الموسم الثقافي ١٩٨٨ - ١٩٨٩ بجامعة الامارات العربية المتحدة)

وأما رأي بعض الباحثين أن المعبر في اليمن فلا مسوغ له لاننا لانعرف بقعة بهذا الاسم في اليمن فنترك هذا الأمر الى اخواننا مؤرخي العرب لأن أهل مكة أعلم بشعابها .

ويسجل الشيخ زين الدين في هذا الكتاب سلسلة الاشتباكات والحروب التي جرت في القرن العاشر الهجري بين المسلمين والبرتغاليين في جدة وعدن وهرمز في بر العرب وكذلك سورت وكجرات ، وديور وكورفا في الساحل الغربي الشمالي للهند ومالاقا .

ولم يكتف الشيخ بدوره مؤرخا بل كان جنديا اذ باشر القتال ضد العدو في بعض هذه الوقائع مثل سنة العلماء في تلك الأيام وفي تلك الديار فقد شارك الشيخ عبدالعزيز بن علي المجرى وعدد من المشايخ مع ملك كاليكوت السامري . في فتح قلعة البرتغاليين في شاليات قرب كاليكوت كما يشير اليه محمد بن عبدالعزيز الكاليكوتي الذي عاش في القرن الحادي عشر الهجري في ارجوزته فتح المبين .

ومعهم المخدوم ذو الانفاق
عبدالعزيز المعبري الفناقي
وهكذا قاضي قضاة المسلمين
عبدالعزيز الكاليكوتي كالمعين

وأما الوقائع في بر العرب وجزر ملايو فلا ندري كيف وقف عليها المؤلف وما هي المصادر التي اعتمد عليها في تأريخها وتدوينها لأننا لانكاد نجد مصادر عربية ولاهندية موثوقة تشير الى هذه الحوادث فهذا يدل على أن الشيخ اخذ الاخبار عن هذه الوقائع من المجاهدين الملاحين والمعالمة الذين عاصرهم وشاهدهم أثناء رحلته في طلب العلم الى مكة وكذلك عند زيارتهم بنادر مليبار مثل كاليكوت وكنور اللتين يرتادونهما في المواسم وكذلك اتصاله الوثيق مع السامري الملك الهندوكي في كاليكوت وسلاطين كجرات وبيجابور الذين تقع اماراتهم في الساحل الغربي الهندي ربما ساعده للوقوف على الوثائق لهذه الحوادث . وقد أشاد المؤرخون في الغرب والهند بمصداقية الشيخ زين الدين المؤرخ وعمق نظره وقدرة تحليله للحوادث التاريخية وهم يعدونه المصدر الوحيد لكثير من الحوادث التاريخية التي جرت في البحر العربي في تلك الحقبة .

مكانة تحفة المجاهدين :

وقد اهتم المؤرخون كما قدمنا بهذا الكتاب اهتماما بالغا فقد ترجم الى كثير من اللغات الأوروبية مثل الانجليزية واللاتينية والفرنسية والاسبانية والبرتغالية والتشيكية فضلا عن اللغات الهندية العديدة مثل الهندية ومليالم واردو وكارناتاكا وتاميل ولم يلق مؤلف لمسلم هندي قديم من اهتمام الباحثين مثلما لاقى هذا الكتاب من نقد وشرح .

ولكن المؤرخين العرب شأنهم مع هذا الكتاب شأن غريب فهو مع كونه مكتوبا باللغة العربية لا نكاد نجد احدا منهم يعرفه (*) ولانجد مصدرا

(*) هذا المخطوط طبع بالعربية عدة طبعات وقد اشارت (الوثيقة) في اعدادها السابقة الى اقتباسات اقتبسها كتاب كتبوا ونشروا في (الوثيقة) عن نفس المخطوط (انظر الوثيقة العدد ١٢ من ٩٢ والعدد ١٤ من ٢٠٣)

الوثيقة

عربيا يشير اليه ولا الى مؤلفه اللهم الا بضع كلمات جاءت فى معجم المنجد فى قسم الاعلام عن الكتاب ومؤلفه فى عنوان مليبارى وهي لا تسمن ولا تغني من جوع . فى حين أن أكثر من خمس مائة مؤلف تاريخى أجنبى نقل من كتابنا هذا وكذلك لانجد مكتبة عربية ولا خزانة لوثائق غربية حوت هذا الكتاب رغم تكاثرها وتضخمها فى الاقطار العربية شرقا وغربا وانى ما اردت بمشاركتى بهذا البحث الا توجيه عناية الأفاضل المؤرخين العرب الى هذا الكتاب ، فهو مطبوع فى الهند فى ١٣٥٨ هـ ولكن ليس كتابا مستقلا بل متضمنا فى مجموعة من النصوص الادبية والتاريخية والدينية الاخرى وعنوان هذه المجموعة « جواهر الاشعار وغرائب الحكايات والاخبار » للمولوى عبد القادر الغضفرى مطبوعة ١٣٥٨ هـ وفرغ الشيخ زين الدين بن أحمد من اتمام الكتاب فى ٩٩٠ هـ نفس السنة التى انتقل فيها الى رحمته تعالى وجعلها تحفة لسلطان بيجابور على عادل شاه لأنه كان فى مقدمة حكام الهند الذين قاتلوا البرتغاليين .

خطة الكتاب :

لكتاب « تحفة المجاهدين فى بعض أخبار البرتغاليين » مقدمة وأربعة اقسام :

القسم الاول فى بعض أحكام الجهاد وثوابه والتحريض عليه .

القسم الثانى فى بدء ظهور الاسلام فى ديار مليبار .

القسم الثالث نبذة يسيرة عن عادات كفرة مليبار الغريبة .

القسم الرابع فى وصول الافرنج الى بلاد مليبار وبعض أفعالهم القبيحة .

وقد خصص المؤلف ثلثى الكتاب للقسم الرابع لأن غايته المنشودة بتأليفه سرد الفظائع للبرتغاليين وتحريض المسلمين للدفاع عن الدين والوطن ثم توجيه عناية سلاطين الممالك الاسلامية الى جرائم البرتغاليين والاستعانة بهم .

وهذا القسم موزع الى أربعة عشر فصلا :

١ ـ ابتداء وصولهم الى مليبار ثم حصول المخالفة بينهم وبين المسلمين والسامرى ومصالحتهم راعي كوشى وكنور وبناء قلعتهم فيها وفي كولم وأخذهم بندركووة .

٢ – في ذكر شيء من قبائح أفعالهم .

٣ – مصالحة السامري راعي كاليكوت اياهم وبناؤهم قلعتهم في كاليكوت .

٤ – في وقوع الخلاف بينهم وبين السامري وفتح قلعتهم .

٥ –في وقوع الصلح بينهم وبين السامري مرة ثانية وبناء قلعتهم في شاليات .

٦ – في صلح السامري مع الافرنج مرة ثالثة .

٧ - فيما فعل السلطان بهادر شاه بن مظفر الكجراتي مع اعطاء جملة من البنادرة الكبار لهم .

٨ - في وصول سليمان باشا وزير السلطان الأعظم سليمان شاه « العثماني » « الرومي » بن سليم شاه .

٩ - وقوع الصلح بين السامري والافرنج مرة رابعة .

١٠ - وقوع المخالفة بين السامري والافرنج .

١١ - مصالحة السامري والافرنج مرة خامسة .

١٢ - بسبب الاختلاف بين السامري والافرنج وخروج الاغربة لمحاربتهم .

١٣ - في فتح قلعة الشاليات .

١٤ - في بعض أحوالهم بعد فتحها وفي قصدهم الأعظم لتغيير دين الاسلام واذلال المسلمين .

ظهور الاسلام في مليبار :

الفتوحات الاسلامية في السند وشمال الهند بدأت في القرن الثاني الهجري بيد محمد بن القاسم الثقفي في ايام الوليد بن عبدالملك الأموي ، وكان السند ثغرا من ثغور الاسلام ثم تتابعت هذه الفتوحات وتوسعت المملكة عبر القرون وكان العرب والفرس والاتراك والافغان والمغول هم الذين حملوا لواء هذه الحملات الى الشمال وانتشر الدين الاسلامي هناك ونما بامتداد رقعات المملكة الاسلامية على يد الفاتحين .

اما في الساحل الميباري فقد دخله الاسلام سلما بفضل جهود العرب من سواحل عمان وحضرموت والخليج العربي ، وكان هؤلاء العرب تجارا يرتادون سواحل مليبار لشراء التوابل والأخشاب وغيرها من المنتجات كما بينا سبقا .

فقد دخل الاسلام المليبار سلما ثم بفضله وبفضل حامليه الذين كانوا مثالا حيا لآدابه السامية تصاعد هذا المد الاسلامي ونشأت عدة مراكز للعرب في سواحل مليبار واختلطوا بأبناء البلاد وتزوجوا من نسائهم ونشأ من هذه الزيجات جيل من المسلمين معروفين باسم « مابلا » واذا اصطبغ المسلمون في شمال الهند بالصبغة الفارسية فان مسلمي مليبار مصطبغون بالصبغة العربية في عاداتهم وازيائهم وفنونهم ولغتهم . ومن الجدير بالذكر أن حكام مليبار كانوا متسامحين نحو المسلمين وكانوا يحبونهم ويجلونهم ويقطعون لهم البساتين والعقارات .

وقد اختلف الباحثون حول العصر الذي دخل الاسلام فيه مليبار فمنهم من يقول أنه في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم من يقول أنه القرنين الهجريين الاولين .

والمؤلف يتجه المنحى الثاني

ولايجد المذهب الأول مقبولا أما في مليبار او كيرالا فلكل من المذهبين انصار بين المؤرخين ولكل حجج يجادلون بها .

ويليق بنا الاشارة اننا لانرى أي مصدر عربي أقدم من هذا الكتاب يلقي الضوء على دخول الاسلام الى مليبار ولكن كتابان قديمان في لغة مليالم باسم « كيرلول بات » « نشوء كيرالا » و « كيرالا بازاما » (قدم كيرالا) يحدثان عن اعتناق أكبر ملك لهم باسم شجرمان فيرمال – سامري – الاسلام في قديم الزمان .

الرعيل الأول من الدعاة الاسلاميين :

ويحدثنا المؤلف عن تاريخ ظهور الاسلام هكذا في مليبار :

القسم الثاني في بدء ظهور الاسلام في مليبار وذلك ان جمعا من اليهود والنصارى دخلوا بلدة من بلاد يقال لها كدنكلور وهي مسكن ملكها في مركب كبير بعيالهم وأطفالهم وطلبوا منهم الأراضي والبساتين والبيوت وتوطنوا فيها وبعد ذلك بسنتين وصل اليها جماعة من فقراء المسلمين معهم شيخ قاصدين زيارة قدم أبينا آدم عليه السلام بسيلان فلما سمع الملك بوصولهم طلبهم واضافهم وسألهم عن الأخبار فأخبره شيخهم بأمر نبينا محمد ﷺ وبدين الاسلام وبمعجزة انشقاق القمر فادخل الله سبحانه وتعالى حب الاسلام في قلبه ، صدق النبي ﷺ فآمن به ودخل في قلبه حب النبي ﷺ وأمر الشيخ أن يرجع هو وأصحابه اليه بعد زيارة قدم آدم عليه السلام ليخرج هو معهم ومنعه أن يحدث بهذا السر المليباريين ثم انهم سافروا الى سيلان ورجعوا اليه فامر الملك الشيخ بأن يهيىء مركب السفرة من غير أن يعلم به أحد وكان في البندر المذكور مراكب كثيرة للتجار الغرباء فقال الشيخ لصاحب مركب «أنا وجماعة من الفقراء يتوقعون أن يركبوا في مركبك» فرضي بذلك صاحب المركب ولما قرب وقت السفر نهى الملك أهل بيته ووزراءه أن يدخل أحد منهم عليه مدة سبعة أيام وعين في كل بلدة من بلدانه شخصا وكتب لكل كتابا مفصلا بتعيين الحدود حتى لا يتجاوز أحد عن حده الذي عينه والحكاية في ذلك مشهورة عند كفرة مليبار أيضا وكان ملكا متواليا في جميع مليبار وحده من الجنوب كمهري ومن الشمال كانجركوت ثم أن الملك ركب مع الشيخ والفقراء في المركب ليلا وسار المركب حتى وصل الى فندرينة فنزل فيها ولبث يوما وليلة ومنها سار المركب الى درمفتن ونزل فيها ولبث ثلاثة أيام ومنها سار المركب حتى وصل الى شجر ونزل فيها هو ومن معه وبعد مدة طويلة رافقه جماعة في

السفر الى مليبار لعمارة المساجد واظهار دين الاسلام فيها ثم ان الملك مرض واشتد مرضه فوصى اصحابه الذين رافقوه وهم شرف بن مالك واخوه من الأم مالك بن دينار وابن أخيه مالك بن حبيب بن مالك وغيرهم بأن لا يبطلوا سفر الهند بعد موته فقالوا لا نعرف موضعك ولا حد ولايتك وانما اردنا السفر صحبتك فتفكر الملك ساعة وكتب لهم ورقة بخط مليبار عين فيها مكانه وأقرباءه وأسماء ملوكها وأمرهم أن ينزلوا في كبد نكلور ودرمفتن أو فندرينه او كولم وقال لهم لا تخبروا شدة مرضي ولا بموتي ان مت احدا من المليباريين ثم انه توفي رحمه الله رحمة واسعة وبعد ذلك بسنين سافر شرف بن مالك ومالك بن دينار ومالك بن حبيب وزوجته قمرية وغيرهم مع الاولاد والاتباع الى مليبار في مركب فوصل الى كدنكلور ونزلوا فيها واعطوا ورقة الملك المتوفي الى الملك الذي فيها واخفوا خبر موته فلما قرأها وعلم مضمونها أعطاهم الأراضي والبساتين على مقتضى ما كتبه فاقاموا فيها وعمروا فيها مسجدا توطن فيها مالك بن دينار وأقام ابن اخيه مالك بن حبيب مقامه لبنائه المساجد في مليبار فخرج مالك بن حبيب الى كولم بما له وزوجته وبعض أولاده وعمر بها مسجدا ثم خرج منها بعدما خلى زوجته فيها الى «هيلي ماراوي» وعمر بها مسجدا ثم الى «پاكنور» وعمر بها مسجدا ثم رجع منها الى «منجلور» وعمر بها مسجدا وخرج الى كانجركوت وعمر بها مسجدا وخرج منها الى «هيلي ماراوي» وأقام بها ثلاثة اشهر ومنها الى جرفتن وعمر بها مسجدا ومنها الى «شاليات» وعمر بها مسجدا وقام بها مدة خمسة اشهر ومنها الى كدنكلور عند عمه مالك بن دينار ثم سافر منها الى المساجد المذكورة وصلى في كل مسجد منها ورجع الى كدنكلور شاكراً الله وحامداً له بظهور دين الاسلام في ارض ممتلئة كفرا ثم خرج مالك بن دينار وبعض اصحابه فانهم سافروا الى شحر وزاروا قبر الملك المتوفى فيها ثم سافر مالك الى خراسان وتوفي فيها هو وزوجته هذا خبر أول ظهور الاسلام في ديار مليبار واما تاريخه فلم يتحقق عندنا وغالب الظن انه كان بعد المائتين من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والتحية واما ما اشتهر عند مسلمي مليبار ان اسلام المذكور كان في زمن النبي ﷺ وتشرف بلقائه ورجع الى شحر قاصدا المليبار مع الجماعة المذكورين وتوفي فيها فلا يكاد يصح شيء منها والمشهور الآن بين الناس انه مدفون في ظفار لافي شحر وقبره مشهور هناك يتبرك به أهل الناحية يسمونه السامري وخبر غيبة الملك المذكور مشهور عند جميع أهل

مليبار المسلمين والكفرة إلا أن الكفرة يقولون عرج به الى فوق ويتوقعون نزوله ولذلك كانوا يهيئون في موضع كدنكلور قبقابا وماء ويسرجون فيه في ليلة معروفة عندهم ومشهور عندهم ايضا انه قسم ولايته قرب سفره على أصحابه الا السامري الذي كان أول رعاة بندر كاليكوت فانه كان غائبا عند القسمة فلما حضر اعطاه سيفا وقال له اضرب بهذا وتملك فعمل بمقتضى قوله فتملك كاليكوت بعد زمان وسكن فيها المسلمون ووصل اليها التجار واصحاب الصنائع من أطراف شتى وكثرت التجارة فيها حتى كبرت وصارت مدينة عظيمة اجتمع فيها صنوف الناس من المسلمين والكفار وظهرت قوة السامري فيما بين رعاة مليبار ورعاتها كلها كفرة «انتهى» .

هذه هي قصة ظهور الاسلام في مليبار وهناك آراء واتجاهات للباحثين حول هوية ملك مليبار الذي اعتنق الاسلام وسافر الى مكة وعصره الذي عاش فيه فمنهم من ذهب مذهب الشيخ زين الدين الذي يحدده في القرن الثاني ومنهم من يدعى ان الملك المذكور عايش زمن النبوة وسافر الى الحجاز وتشرف بالصحبة ويرى ثالث أن دخول الملك سامري الى الاسلام وقع في القرن السادس الهجري وهناك من المتعصبين من ينكرون قصة دخول ملك مليباري من كان هو ومتى كان الى الاسلام البتة ولا حاجة الى الالتفات الى هذا القول لان منشأه المكابرة والاتجاهات السلبية . ومهما كانت هذه الاختلافات حول زمن دخول السامري الاسلام فليس فيه ما ينكر دخول الاسلام مليبار في وقت مبكر . اما في عصر النبوة أو عصر يليه نظرا الى شيوع الاسلام في سواحل جزيرة العرب في حياة نبينا محمد ﷺ واستمرار رحلات العرب الى شاطىء مليبار .

فلا يبعد ان يتلقى بعض الاهالي من هؤلاء العرب المسلمين الجدد مبادىء الدين الحنيف وانما الخلاف مداره حول اعتناق الملك الاسلام وزمنه .

وتجدر بي الاشارة الى ان في كيرالا مراجع أصيلة في اللغة المحلية مثل كيرالا اوليات (نشأة كيرالا) تخبر ان الملك السامري رأى انشقاق القمر وعلم من بعض المنجمين ظهور نبي في بر العرب وتحقق الخبر من بعض تجار العرب ثم سافر الى مكة واليه يشير قاضي محمد بن عبدالعزيز الكاليكوتي في فتح المبين الذي يحب السامري الذي اشرنا اليه غير مرة وكان معاصرا للمؤلف ومتأخرا لدى الوفاة . يقول القاضي :

وانما وقف هذا السامري
للحرب معه بين كل كافر

سرد دعـوة النبي المطهـر
لخاله يـوم انشقاق القمـر
لما رأى انشقاقها من بلدته
سـافر خفيـة الى زيـارتـه
حتى أتى الى النبي وآمنا
بـالله والنبي فصـار مؤمنا

والسامري المذكور في القصيدة لقب ملك كاليكوت في العهد القديم وكان مع تثبته بدينه أحب الاسلام والمسلمين وتعاون معهم لطرد الافرنج من مليبار والهند قاطبة ويبين القاضي محمد الكاليكوتي والشيخ زين الدين احمد في مؤلفيهما مع الاسهاب مواقفه الباسلة ضد اعداء الاسلام ومحاسنه العديدة للمسلمين والدوافع السياسية والاقتصادية والامنية التي حملت السامري لاتخاذ هذه السياسة نحو المسلمين .

البروفيسور
عبدالعزيز المفادي
استاذ زائر سابقا للدراسات الاسلاميه
جامعة كاليكوت - الهند

علاقات الخليج العربي بشبه القارة الهندية في فترة صدر الاسلام

الدكتورة نجدة خماش

إن المعلومات التي لدينا حول علاقات منطقة الخليج العربي بشبه القارة الهندية في فترة صدر الاسلام هي معلومات قليلة متناثرة ، ولكنها تسمح لنا بالوصول الى استنتاجات هامة حول الدور الكبير الذي لعبته القبائل العربية التي كانت قاطنة في شبه الجزيرة العربية وخاصة منطقة الخليج العربي في الفتوح التي وصلت وامتدت في خلافة الوليد بن عبدالملك (٨٦ ـ ٩٦هـ) الى شبه القارة الهندية ، كما ان هذه المعلومات تساعدنا في الوصول الى استنتاجات لها أهميتها في مجال العلاقات التجارية .

كان العامل الأساسي في هذا الانجاز الضخم الذي حققته القبائل العربية المقيمة في منطقة الخليج ، هو الاسلام الذي كان يهدف في كل مراحل الدعوة وفي كل تعليماته الى تحقيق وحدة القبائل العربية ، وبدت



مظاهر التوحيد في حياة الدعوة في المؤاخاة بين المهاجرين والانصار وفي اهدار الدماء التي كانت في الجاهلية ، وفي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تنفي العصبية وتنكر الدعوة لها . واذا كانت العرب قد ارتدت إما عامة أو خاصة اثر وفاة الرسول الكريم (ﷺ) فإن نجاح ابي بكر خلال عام واحد تقريبا في القضاء على حركة المرتدين كان تثبيتا للاسلام ومداً له الى الأطراف التي بدا وكأنها قد لُقِّنتَ الدين كما لقنته المراكز القريبة من مكة والمدينة . كما ان حروب الردة مع ما رافقها من خطر على كيان الدولة الناشئة ، حققت نوعا من الاختلاط بين العرب انفسهم ، فقد مضت جيوش الخلافة الى اليمن والبحرين والى عمان ونجد ، وانتهى الأمر بها الى الظفر ، ولكن هذه الجيوش لم تحقق ظفرا ماديا فحسب وانما حققت ما كان مقدرا لها في طريق الوحدة ، فإذا الجنود لا يعودون جميعهم الى بلادهم او مجتمعاتهم أو قبائلهم ، وانما يظلون في هذا المجتمع الجديد الذي انشأوه ، يمتزجون به ويختلطون معه ويشاركونه الحياة ،

ولا تحول القبلية بينهم وبين هذه المشاركة ، إذ لم تعد القبلية هي الرباط الأوحد بين هؤلاء الناس وانما اضحت اخوة العقيدة وصلة الدين هي الرباط الاقوى ، هذا ما نفهمه من حديث الطبري ، ان العلاء الحضرمي قائد الجيوش التي خرجت تحارب المرتدين في البحرين اقفل الناس بعد انتصاره إلا من أحب المقام[١] .

ورغم ان خروج العرب من جزيرتهم اثناء الفتوح لم يكن قبلي الصورة بشكل دقيق ، لأن الخليفة كان يبعث الى المدن والقبائل يستنصرها ويرغبها في الجهاد ، فكانت تتوافد عليه الجموع من هنا وهناك ، فيصرفها في الوجهة التي يرى[٢] ، فإن الباحث يلاحظ ان القبائل كانت تفصح في بعض الأحيان عن ايثارها منطقة دون أخرى ، وقتال قوم من المشركين دون آخرين ، ووراء هذا الاختيار تكمن نزعات قبلية وعوامل اخرى تتصل بالبيئة والجوار والعادات المألوفة وغير ذلك ، فعندما سأل عمر بن الخطاب سروات بجيلة ووفده : «أي الوجوه أحب اليكم ، قالوا الشام ، فإن اسلافنا بها»[٣] . وحين اراد عمر بن الخطاب ندب الناس مع سعد بن أبي وقاص ، اراد أهل اليمن من النخع التوجه الى الشام وكرهوا المسير الى العراق لأن وجه فارس كان من اكره الوجوه الى العرب واثقلها عليهم ، لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأمم[٤] ، فاضطر عمر ازاء اصرارهم الى توجيه نصفهم الى العراق والنصف الآخر الى الشام[٥] ولوحظ بصورة عامة ان أهل اليمن كانوا ينزعون الى الشام ومضر تنزع الى العراق[٦] ، ونظرا لنزول القبائل العربية منذ العصر الجاهلي على حدود فارس ، ولما كان لها من تجارب سابقة في قتال الفرس ، لم يكن اجرأ على فارس من ربيعة[٧] ومن ثم كانت طلائع جيوش العرب في قتال اهل فارس كلها من هذه القبائل[٨] .

وعندما توجه سعد بن ابي وقاص الى العراق لحرب فارس ، كان المثنى بن حارثة الشيباني في ثمانية آلاف من ربيعة ، وستة آلاف من بكر بن وائل والفين من سائر ربيعة[٩] . وفي سنة ١٤ هـ اختط عتبة بن غزوان البصرة بالقرب من الابلّة[١٠] التي كانت مرفأ السفن من الصين وما دونها ، وكان فرج الهند أي الابلة كما يذكر المغيرة بن عتيبة قاضي الكوفة اعظم فروج فارس شأنا وأشدها شوكة ، وكان صاحبه يحارب العرب في البر والهند في البحر[١١] . وقد بدأت البصرة بداية متواضعة ، حيث لم يزد عدد سكانها على ٨٠٠ مقاتل ، ولكنها لم تلبث ان ازدادت اهميتها حين صارت قاعدة للفتوح في بلاد فارس نفسها ، وترتب على ذلك تدفق القبائل العربية

اليها ، فأمر عمر بن الخطاب ، ابا موسى الأشعري(١٧هـ ـ ٢٥هـ) بالخروج اليها وتوزيع الخطط عليهم[١٢] وتمكنت الجيوش الاسلامية المعسكرة في البصرة في امارة ابي موسى الأشعري من توطيد سلطانها على كور دجلة وفتح اصفهان وقم وقاشان[١٣] ، كما اشتركت مع أهل البحرين وعمان في بعض فتوح فارس ، إذ انه عندما ولى عمر بن الخطاب ، عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعمان ، وجه أخاه الحكم بن أبي العاص في البحر إلى فارس في جيش عظيم من عبدالقيس والازد وتميم وبني ناجية وغيرهم ففتح جزيرة أبركاوان ، ثم صار الى توج ، وفي رواية ابي مخنف ان عثمان بن أبي العاص نفسه قطع البحر الى فارس فنزل توج ففتحها وبنى المساجد فيها وجعلها دارا للمسلمين وأسكنها عبدالقيس وغيرهم[١٤] ، وفي امارة عبدالله بن عامر على البصرة (٢٥ ـ ٣٦هـ) اتسعت جبهة القتال التي كان يقوم بها البصريون وأصبحت قواتهم مسؤولة عن الفتوح في كافة المقاطعات الواقعة شرقي الخليج العربي . فإذا أردنا التعرف على القبائل التي أقامت في البصرة ، وكان لها هذا الدور في الفتوح ، فإننا نجد عند الطبري في معرض حديثه عن استنجاد اشراف أهل الكوفة بمصعب بن الزبير والي البصرة سنة ٦٧هـ ، ذكرا للأخماس التي قسمت اليها البصرة في عهد زياد بن ابيه (٤٥ ـ ٥٣هـ) إذ ولى مصعب ، مالك بن مسمع على خمس بكر بن وائل ، ومالك بن المنذر على خمس عبدالقيس ، والأحنف بن قيس على خمس تميم ، وزياد بن عمرو الأزدي على خمس الازد ، وقيس بن الهيثم على خمس اهل العالية[١٥] . وهذه القبائل كلها ما عدا أهل العالية كانت تقطن في المناطق المحيطة بخليج العرب ، فقد كانت منازل بكر بن وائل تمتد من اليمامة الى البحرين الى سيف كاظمة الى البحر فأطراف سواد العراق فالابلة فهيت[١٦] ، اما قبيلة تميم المضرية فكانت ديارها بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة حتى يتصلوا بالبحرين[١٧] ، ووجد في أرض البحرين خلق كثير من العرب من عبدالقيس وبكر بن وائل وتميم[١٨] ، وكانت مواطن عبدالقيس في تهامة ثم خرجوا الى البحرين فزاحموا بكر بن وائل وتميم وقاسموهم في المواطن[١٩] . اما أزد البصرة فهم من ازد عمان ، وقد كان الأزد هم اغلبية سكان عمان ومما يثبت ذلك ان عبدالله بن الزبير عندما كتب الى المهلب بن ابي صفرة أن يستخلف على خراسان ويتوجه الى البصرة لمقاتلة الخوارج الأزارقة ، أمر

بديوان الجند فأحضر وانتخب من ابطال البصرة عشرين الف رجل فيهم من الأزد ثمانية آلاف رجل ، وبقيتهم من العرب[٢٠] . وعندما هرب يزيد بن المهلب من سجن عمر بن عبدالعزيز سنة ١٠١هـ ، توجه الى البصرة موطن اسرته من المهالبة ومستقر قبيلته ازد عمان[٢١] . وبما اننا نعلم انه بتخطيط البصرة والكوفة انقسم العراق الى ولايتين ، كل واحدة مستقلة عن الأخرى في تشكيلاتها ومصادر فيئها وساحات حربها ، فإننا نستنتج ان هذه القبائل التي قطنت البصرة كان لها دورها في فتوح فارس وخراسان ، وسجستان واصبهان والأهواز[٢٢] . وفي خلافة معاوية بن ابي سفيان ، أصبحت منطقة البحرين وعمان تابعة اداريا الى والي العراق ، وبقيت تابعة طيلة خلافة الأمويين ما عدا خلافة عمر بن عبدالعزيز[٢٣] ، مما أدى الى ازدياد في الهجرة من هاتين المنطقتين الى البصرة ومن ثم الى خراسان ، إذ تذكر المصادر ان عدد مقاتلة البصرة في خراسان سنة ٩٦هـ مع قتيبة بن مسلم الباهلي كانوا اربعين الفا ، من العالية تسعة آلاف ، وبكر سبعة آلاف ، تميم عشرة آلاف وعبدالقيس اربعة آلاف ، والأزد عشرة آلاف[٢٤] . وكان هؤلاء المقاتلة مقيمين نتيجة للاجراء الذي اتخذه زياد بن ابيه سنة ٥١هـ عندما ولى الربيع بن زياد الحارثي خراسان ، وحول معه من أهل المصرين زهاء خمسين الفا مع عيالاتهم[٢٥] وبما ان مقاتلة الكوفة كانوا سبعة آلاف فقط في خراسان سنة ٩٦هـ فإنه يمكننا أن نستنتج ان زياد بن ابيه نقل ما يزيد على اربعين الفا من مقاتلة البصرة الى خراسان ، ومع ذلك نجد ان عدد مقاتلة البصرة في ولاية عبيدالله بن زياد (٥٥ ـ ٦٤هـ) اصبح ثمانين الفا بعد ان كان اربعين الفا ، إذ يقول : «لقد وليتكم وما أحصى في ديوان مقاتلتكم الا أربعين الفا ولا في ديوان عيالاتكم الا سبعين الفا ولقد أحصى اليوم في ديوان مقاتلتكم ثمانون الفا وفي ديوان عيالاتكم مائة وعشرون الفا[٢٦] وهذا يعني استمرار الهجرة من مناطق الخليج العربي الى البصرة ، وان الفتوح في الشرق قامت الى حد كبير بجهود مقاتلة هذه القبائل بما في ذلك الفتوح في منطقة السند والهند ، سواء تلك التي انطلقت من مكران ثغر السند الذي تم فتحه في ولاية زياد بن ابيه[٢٧] أو تلك التي كانت تنطلق من سجستان التي كانت كذلك ثغرا تنطلق منه جيوش المسلمين نحو الهند وبلاد الترك[٢٨] . وكان ولاة سجستان يعينون من قبل الخليفة احيانا أو من قبل ولاة العراق احيانا اخرى[٢٩] وقد تجمع ولاية سجستان

وخراسان لوال واحد ، فقد استعمل عبدالملك بن مروان ، أمية بن عبدالله بن خالد بن اسيد على خراسان وسجستان وجمعهما الحجاج بن يوسف الثقفي لقتيبة بن مسلم الباهلي[٣٠] .

بدأت صلات العرب مع مشارف الهند في عهد الخلفاء الراشدين ، لأنه عندما استولى العرب في ولاية عبدالله بن عامر على منطقة هراة ، استولوا على ذلك الربع من خراسان المعروف اليوم بأفغانستان[٣١] . كما وصل الأحنف بن قيس الذي اصبح سيد تميم في البصرة الى بلخ ، مدينة طخارستان والتي كانت تدعى أم المدن ، وهي اليوم من مدن افغانستان الهامة المشهورة بمزارها المعروف بالمزار الشريف[٣٢] . والمعروف ان منطقة افغانستان هي منطقة عبور من الصين الى ايران ، أو من ايران الى الهند ، ولذلك فإن غزوات المسلمين نحو الهند كانت تتم عبر جبهتين ، جبهة خراسان وسجستان ، وجبهة مكران ، إلا ان فتوح السند تمت عن طريق مكران بقيادة محمد بن القاسم الثقفي الذى استطاع فتح الديبل (كراتشي) بقواته البرية والبحرية التى أمده بها الحجاج بن يوسف الثقفي والتي ساهم فيها مقاتلة البصرة ، كما ساهم فيها ٦٠٠٠ من مقاتلة الشام ، وقد اختط محمد بن القاسم اثر استيلائه على الديبل مسجدا للمسلمين ، وانزلها اربعة آلاف من المقاتلة . وبعد مقتل الملك داهر غلب محمد بن القاسم على بلاد السند ، وأصبحت الحملات توجه منها الى الهند[٣٣] .

وباستيلاء العرب على الديبل سيطر العرب على جميع الموانىء الهامة في طريق الملاحة بين الهند والغرب ، وأصبح الخليج العربي لأول مرة تحت سيطرة عربية اسلامية كاملة بعد ان كانت البحرين[٣٤] والساحل الشرقي والشمالي تحت سيطرة الفرس الذين كثيرا ما أساءوا معاملة العرب وكان من نتيجة وقوع بلاد فارس والعراق والشام ومصر تحت سلطان العرب المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين ، ثم امتداد هذه الدولة من السند حتى الاندلس في خلافة بني أمية ، ان انعكس ذلك على النشاط الاقتصادي بين الشرق والغرب ، فمن المعروف ان التجارة بين الشرق والغرب كانت تتبع منذ القديم طريقين رئيسيين ، طريق البحر الأحمر ومصر ، وطريق الخليج العربي والشام[٣٥] وعندما تسيطر دولة واحدة على ايران والعراق والشام ومصر كان الطريق البحري المار من خليج العرب يزدهر عادة على حساب البحر الأحمر ومصر ، لأن الخليج

العربي يكمله الفرات ودجلة وهما ممران طبيعيان للملاحة بين حوض البحر المتوسط وشرقي أسيا ، كما انه طريق أقصر وآمن من البحر الأحمر ، لأن النصف الشمالي من البحر الأحمر الذي يمتد حوالي ١٢٠٠ ميل ينطوي على عقبات كأداء أهمها الشعاب المرجانية التي تحف بكلا الساحلين وتمتد هذه الشعاب في بعض المواضع بعيدا في البحر فتعرقل الملاحة وتعين على القرصنة ، كما ان البحر يكاد يكون خلوا من الموانىء الصالحة التي يمكن أن يلجأ اليها البحارة حين هبوب العواصف أو تعرضهم للقرصنة ، وكانت الملاحة شمالا صعبة على الملاحين الاوائل لأن الرياح الشمالية تهب جنوبا على هذا الجانب من البحر طوال العام[٣٦] . ولذلك أقام العرب طرقا للقوافل على طول الساحل الغربي من جزيرتهم ، أما وقد توحدت هذه المناطق تحت سلطة العرب بما في ذلك جزيرة العرب فقد ازدهر الطريق البحري المار من الخليج العربي ونشطت العلاقات التجارية بين الخليج والهند والشرق الأقصى ، بعد ان تناقصت الى حد ما في العهود الساسانية نظرا لتشجيع الرومان ثم البيزنطيين الذين سيطروا على الشام ومصر ، التجارة عن طريق البحر الأحمر ، والذي كان رغم بعده ورغم العقبات أسلم وأبعد عن سيطرة الساسانيين ، ولذلك اصبحت التجارة المارة بالخليج مقتصرة بالدرجة الأولى على ما تستهلكه الامبراطورية الساسانية ، ويرى بعض الباحثين أن هذه التجارة قاست كثيرا لسقوط الامبراطورية الساسانية حيث تحطمت على إثر ذلك ارستقراطيتها التي كانت أهم مستهلك لسلعها وللكماليات التي تستورد من الهند ، ولأن العرب الذين حلوا محلهم كانوا يفضلون المنتجات المحلية الرخيصة[٣٧] . واذا كان هذا الرأي ينطبق على السنوات الأولى من الفتوح واضطراب الوضع في العراق قبل توطيد سلطان العرب على العراق والشام ومصر والذي لم يتجاوز السنوات العشر ، فإنه لا ينطبق على الواقع ككل ذلك ان العرب تركوا للتجار والصناع والفلاحين حرية مزاولتهم لأعمالهم وأوجدوا الشروط التي تساعدهم على مزاولتها ، وحينما سيطر العرب على المناطق التي كانت تحت النفوذ الساساني والبيزنطي ولم يعد للمراكز الجمركية القديمة التي كانت موجودة بين الدولتين من أهمية ، ساعد ذلك التاجر على التحرك والتجول في الأراضي الاسلامية كلها واذا كان العرب قد قضوا على الساسانيين وعلى ارستقراطيتهم فإنهم لم ينجحوا في القضاء على الامبراطورية البيزنطية التي خسرت

الشـــام ومصر اولا ثم الشمـــال الافـريقي ، ولم يكن باستطـاعـة الامبراطورية البيزنطية الاستغناء عن بضائع الشرق ، ولذلك نجد انه رغم الحمـلات وغـزوات الصـوائـف والشواتي التي كان يوجهها الخلفاء ضد البيزنطيين ، فإن حالة الحرب لم تكن تستدعي بالضرورة توقف جميع العلاقات ، لأننا لا نستطيع ان نسبغ على حياة القرون الوسطى ظواهر هي من طبيعـة العلاقـات السياسيـة الحديثة ، فابن جبير مثلا في رحلته يتحدث عن اتصال تجاري مزدهر كان يقوم بين المدن الاسلامية في الشام وميناء الصليبيين في عكـا خلال الحروب الصليبية[٣٨] وهو اتصال لم يكن يتأثر اطلاقا بالأعمال العسكرية الناشبة حينئذ بين الأمراء المتنازعين وجيوشهم ، وكذلك الأمر بين العرب والبيزنطيين ، فإن فتح الشام ومصر لم يؤد الى تغييرات اقتصادية حاسمة ولم تتوقف العلاقات التجارية بينهما ، ولعل رواية ابي عبيد في كتابه الأموال تشير الى هذا الاستمرار في التبادل التجاري ، فهو حـين يتطرق الى موضوع الضريبة المفروضة على تجار الثغور أو أهل الحرب ، يذكر «انه كان من مذهب عمر بن الخطاب فيما وضع من ذلك ، انه كان يأخذ من التجار المسلمين من كل مائتين خمسة دراهم ومن أهل الذمة نصف العشر (أي خمسة دراهم عن كل مائة درهم) ويأخذ العشر على تجارة اهل الحرب ، وانه انما فرض عليهم العشر لأنهم كانوا يأخذون من تجار المسلمين مثله اذا قدموا بلادهم» . وبعد هذا ببضعة سطور يحدد من هم اهل الحرب على نحو لا يقبل اللبس فيقول «الروم كانوا يقدمون الى الشام[٣٩] كما يـذكر البـلاذري وابن قتيبة ان الفراطيس كانت تدخل بلاد الروم من ارض العـرب وتـأتي من قبلهم الدنانير[٤٠] وتشير الأدلة المختلفة ان حكام القسطنطينية في هذه الفترة لم يمنعوا التجارة مع الشام ومصر إلا فيما يتعلق بالخشب المستخدم في بناء السفن لأن المنع يعني الاعتراف بخسرانهم لهاتين الولايتين نهائيا . ويبدو ان الحكام البيزنطيين حتى سنة ٦٩٢م/٧٣هـ كـانـوا يـرفضـون الاعتراف بأن الشام ومصر ولايات خارجة عن نطاق الامبراطورية ، ذلك ان العرب تركوا ممارسة التجارة البحرية في الشام ومصر لمن كانوا يمـارسونهـا سـابقـا من سكـان الاسكندرية أو سكان مدن السواحل الشامية ، وبقيت اللغة اليونانية لغة دواوين الخراج ، واحتفظت اوراق البردى التي كان يصنعها الأقباط في مصر بالشارات والتعابير المسيحية التي كانت مستخدمـة في العهد البيزنطي ، واستمرت دور الضرب

البيزنطية في سك العملة الذهبية التي بقيت حتى عام ٧٣هـ النقد الأساسي المتداول في مصر والشام[٤١] وبقى النقد الذهبي البيزنطي النقد العالمي المستخدم في المعاملات التجارية في عالم البحر المتوسط[٤٢] و في التجارة مع الهند[٤٣] . ولذلك لم يطبق حكام القسطنطينية قوانين الملاحة الصارمة التي كانت مطبقة سابقا في عهد جستنيان الأول واصبح التجار احرارا لا رقابة من الدولة عليهم [٤٤] وظهر قانون الملاحة الروماني الذي اصبح بموجبه ربابنة السفن احرارا في ان يتوجهوا الى المكان الذي يريدونه من أجل أخذ حمولتهم[٤٥] ، ومن ثم فإنه يمكن اعتبار القرن الأول الهجري ، السابع الميلادي عهد التجارة الحرة غير المقيدة في البحر المتوسط ، كما ان كلا من الشام ومصر ازدهرتا اقتصاديا ، فعلاقات مصر التجارية مع الجنوب والشرق قد ازدادت ، لأن الساسانيين الذين هددوا في نهاية القرن السادس توسع التجارة المصرية في البحر الأحمر والمحيط الهندي ، تحطمت قوتهم على أيدي العرب ، فعادت لهذا الطريق كذلك اهميته ، كما ان ازالة الحواجز التجارية القديمة بين الشام والعراق ساعدت على ازدهار التجارة مع الشرق ، ولدينا ادلة على استمرار التجارة الاوربية مع الشرق ، فقد كانت فرنسا المركز التجاري الأساسي للتجار السوريين ، وحتى سنة ٧١٦م/٩٨هـ كان جنوب فرنسا يستورد التوابل الشرقية ، واوراق البردى ، ومنتجات اخرى ، ونجد دليلا على ذلك كما يقول بيرين Pirenne في الامتياز الذي منحه الملك الميروفنجي في تلك السنة لدير كوربي Corbie باستيراد البضائع الشرقية دون دفع ضريبة في ميناء فوس[٤٦] وهذا الامتياز يؤكد ما كان قد منح من امتيازات في القرن السابع الميلادي . ولكن لما لم يعد الخليج والبحر الأحمر طريقين متنافسين في بادىء الأمر ، فإن الوضع اختلف نتيجة لاختلاف طبيعة النزاع بين الأمويين والبيزنطيين ما بين ٧٣ ـ ١٣٥هـ/٦٩٢ ـ ٧٥٢م . إذ ان الاسلوب الذي اتبعه العرب في محاولاتهم الاستيلاء على القسطنطينية كان عسكريا بحتا في البدء ، أما في محاولتهم الثالثة للقضاء عليها فإننا نرى تداخل العامل الاقتصادي ، فبالاضافة الى العداء العسكري البري والبحري اضيفت الحرب الاقتصادية . بدأت هذه الحرب الاقتصادية عندما ضرب عبدالملك الدنانير الذهبية المعربة[٤٧] ، وحينما امر ان تزال الشارات والعبارات المسيحية من اوراق البردى ، وان تعرب دواوين

الخراج[٤٨] ، مما يشير الى ان الأمور التي حاكى فيها الخلفاء الأمويون الادارة البيزنطية ، او نقلوها بعد التعديل انما هي محاولة عامدة منهم غايتها دراسة الحيثيات واعداد انفسهم للسيطرة على مقدرات دولتهم ، وان عبدالملك اراد ان يحرر الدولة الاسلامية من السيطرة البيزنطية اقتصاديا ، وان يقيم وحدة اقتصادية مستقلة وربما اراد بعمله هذا أن يحقق نوعا من الضغط الاقتصادي ، لاسيما وان رواية المدائني تشير الى ان خالد بن يزيد اشار على عبدالملك بتحريم دنانير الروم ، ومنع التعامل بها ومنع دخول شيء من القراطيس الى بلاد الروم[٤٩] وكان من نتيجة هذه الاجراءات التى اتخذها عبدالملك أن نقض جستنيان الثانى الصلح [٥٠] واتخذ اجراءات اقتصادية طبقها هو وخلفاؤه من بعده ، وإذا كان من الصعب اعطاء صورة متكاملة للنظام الذي طبق ، فإنه يمكن رسم الخطوط العريضة له ، في العودة الى النظام التجاري المقيد الذي كان متبعا في عهد جستنيان الأول ، وخلفائه ضد الامبراطورية الساسانية ، حيث كانت طرق التجارة والبضائع المستوردة كلها موجهة بدقة لمصلحة الامبراطورية والدفاع عن مصالحها ، كما ان بيزنطة استخدمت اسطولها لدعم ذلك النظام ، وهنالك من الاسباب ما يدفع الى الاعتقاد بأن بيزنطة طبقت في حوالي سنة ٧١٥ و٧١٦/٩٧ و٩٨هـ الحرب الاقتصادية المدعومة بالقوى البحرية ضد الشام ومصر ، والافتراض كما يقول هايد Heyd بأن هذا النظام قد طبق ، يقوى حينما نعلم ان اخر حمولة ضخمة من البضائع الشرقية تسجل في ميناء فوس Fos كانت سنة ٩٨ هـ/٧١٦ م ، كما ان مملكة لمبارديا اوقفت استخدامها لأوراق البردى[٥١] . اي أن البيزنطيين أغلقوا البحر المتوسط في وجه الملاحة المنطلقة من الأراضي العربية إلا اذا اتبعت هذه السفن الطرق والتنظيمات المفروضة من قبل بيزنطة ، وقد يفسر هذا توجه اسطول اسلامي ضخم في اواخر سنة ٩٩هـ نحو القسطنطينية[٥٢] إد أن الحصار البيزنطي كان يعني تهديدا للحياة الاقتصادية والتجارة الخارجية في الشام ومصر ، إلا انه لم يكن باستطاعة بيزنطة أن تتخلى عن منتجات العالم العربي الاسلامي ، كما ان التوابل وبضائع الشرق التي كان يتاجر بها التجار المسلمون كانت مواد أساسية في حياة بيزنطة الاقتصادية ، ولذلك سمح حكام بيزنطة لمرفأ او مرفأين مراقبين باستقبال التجار المسلمين ، منهما

مرفأ طرابزون Trebizond الذي كان يسمح بادخال كل التجارة العربية مع بيزنطة[٥٣] ويعلق لوبيز Lopez انه على الرغم من اننا لا نملك دليلا واقعيا ، إلا انه ليس ثمة ما يمنعنا من الافتراض ان هذا الاجراء قد يعود الى ٧١٦م/٩٨هـ او قبل ذلك ، لأن اختيار طرابزون كمركز للتجارة العربية البيزنطية كان يحقق عدة أهداف لبيزنطة ، فطرابزون مرفأ أمين على البحر الأسود غير مهدد ، وباتخاذهم طرابزون كمحطة نهائية للتجارة العربية ، سحبوا تجارة الحرير والتوابل التي كانوا بحاجة ماسة اليها من مصر والشام المنافسين البحريين لها الى بلاد العراق ، وربما كانت القسطنطينية المرفأ التجاري الثاني الذي كان يسمح للتجار بدخوله والخروج منه ، لأننا اذا نظرنا الى التعليمات الواردة في كتاب صادر في القرن التاسع الميلادي والمتعلقة بتجارة العاصمة ، نجد ان هذه التعليمات تشير بصراحة الى ان التجار العرب كانوا يشجعون على المجيء الى المدينة من القرن الذهبي حيث كانوا يعطون امتيازات تجارية خاصة[٥٤] وربما كان هذا الوضع مطبقا منذ العام ٧١٨/١٠٠هـ فالجامع الذي يقال ان ليون الايسوري قد بناه في القسطنطينية قد يؤيد هذا الافتراض[٥٥] .

نستنتج مما تقدم ان طريق الخليج العربي وطريق البحر الأحمر استمر استخدامهما حتى حوالي سنة ١٠٠هـ حينما أدت الظروف الدولية الى ان يزداد الاعتماد على الطريق البحري المار بالخليج العربي ، مما ادى الى ازدهار الموانىء المحيطة بهذا الخليج وبالساحل المؤدي الى الهند ، ابتداء من الديبل التي اصبحت مجمع التجار[٥٦] ، الى هرمز فرضة كرمان التي ترفأ اليها المراكب ، ومنها تنقل امتعة الهند الى كرمان وسجستان[٥٧] ، اما سيراف فقد كانت فرضة فارس العظيمة ، ويذكر ابن حوقل ان آهل سيراف والسواحل ربما غاب احدهم عامة عمره في البحر ، وقد بلغه ان رجلا من سيراف الف البحر حتى ذكر انه لم يخرج من السفينة نحو اربعين سنة ، وكان إذا قارب البر اخرج صاحبه فقضى حوائجه في كل مدينة ويتحول من سفينة الى أخرى اذا انكسرت أو احتيج الى اصلاحها ، وقد التقى ابن حوقل بأحد تجار سيراف في البصرة وهو ابو بكر عمر السيرافي الذي كانت له مراكب تتجه نحو الهند والصين والزنج[٥٨] ويعلق ابن حوقل «انه لا يعلم في جميع بلاد فارس وغيرها سفنا تجرى في بحر فارس (وهو يقصد بذلك بحر الهند) فتخرج عن حد مملكتها وترجع بجلالتها وصيانتها إلا لفارس[٥٩] .

لا شك في ان في قول ابن حوقل الكثير من المغالاة ، لأننا نجد المسعودي يشير الى ارباب المراكب من السيرافيين والعمانيين ومن أهل البصرة(٦٠) ، كما انه حين يتكلم عن العمانيين الذين يركبون بحر الهند ، يقول : (وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب من الأزد)(٦١) . وقد كانت صحار قصبة عمان أعمر مدينة فيها واكثرها مالا ، يذكر الاصطخري انه «لا تكاد تعرف على شاطىء بحر فارس بجميع بلاد الاسلام مدينة أكثر عمارة ومالا من صحار(٦٢) ، وكانت صحار على حد تعبير ياقوت الحموي ، دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن(٦٣) .

أما البصرة . فإنه نظرا لموقعها عند الطرف الشمالي من خليج العرب وعلى اطراف الصحراء فقد كانت تصلها تجارات الولايات الشرقية . وتجارات الهند . ثم تقوم بتوزيعها الى سائر الامصار ، وظلت كذلك حتى في العصر العباسي حين انقطع عن أهلها توزيع العطاء وصارت جبايات الولايات ترسل الى بغداد ، ونظرا للنشاط الاقتصادي الكبير فيها فإن الدولة كانت تهتم بتطهير الخليج العربي من القراصنة واتخذت في عبادان قاعدة للقضاء على نشاطهم وكان اول من رابط بعبادان عباد بن الحصين (ت نحو ٨٥هـ/٧٠٥م) ويذكر ابن الكلبي (ت نحو ٢٠٤هـ) ان الربيع بن صبح الفقيه مولى بني سعد جمع مالا من أهل البصرة فحصن به عبادان ورابط فيها(٦٤) . وقد استمرت المرابطة فيها الى عصر الاصطخري الذي يقول «ولها على دوام الأيام مرابطون»(٦٥)

كان اهم ما يجلب من الهند إذا تركنا جانبا الكماليات كالدر والياقوت والكافور والعنبر والافاوية وجوز الطيب والسنبل والفلفل(٦٦) ، مادة الحديد الذي كانت تصنع منه السيوف في اليمن ، ويزود بها العرب بعدئذ(٦٧) وربما كانت تصنع من الحديد ادوات اخرى لم تشر اليها المصادر ، كما ان السيوف الهندية أو الهندوانية كانت معروفة عند العرب بلينها وحدتها وكذلك الرماح ، وينقل القزويني عن ابي الضلع السندي قوله فيما يجلب من الهند بالاضافة الى ما ذكر سابقا

سيوف ما لها مثل
قد استغنت عن الصيقل
وأرماح إذا ما
هزت اهتز بها الجحفل(٦٨)

والراجح ان السيوف الهندية كانت تصنع في الهند وسيلان ثم تصدر الى البصرة(٦٩)

أما الرماح والاسنة . فكان العرب يستوردونها من الخط ، وهي المنطقة التي تضم القطيف والعقير وقطر .

وهي مواضع كانت تجلب اليها الرماح والقنا من الهند فتقوم او تثقف فيها وتباع للعرب[٧]

بالاضافة الى الحديد والسيوف والرماح كانت منطقة الخليج تستورد خشب الساج من الهند ويعتبر خشب الساج من انفس انواع الخشب ، فهو شديد الاحتمال متى تم اعداده لم ينشق ولم يتشقق أو يتقلص أو يتغير شكله ، وهو عظيم النماء في تلال جنوب الهند وفي بورما وسيام واندونيسيا[٧١] وكان خشب الساج يستورد الى الخليج العربي من الهند منذ اقدم الازمان وقد عثر عليه بين آثار البابليين والاخمينيين والساسانيين ، ومن الجلي ان ثيوفراستس Theophrastus (حوالي ٣٠٠ قبل الميلاد) يشير اليه حين يقول «يقولون ان في جزيرة تايلوس Tylus (البحرين) تجاه الساحل العربي ، نوعا من الخشب يبنون به سفنهم ، وانه يكاد يمتنع على البلى اذا كان في ماء البحر ، فهو يبقى أكثر من ٢٠٠ سنة إذا ظل في الماء ، فإذا خرج منه كان اسرع الى التلف وان لم يتطرق اليه الا بعد حين» . وبما انه لم يكن في منطقة الخليج مثل هذا الخشب الطويل البقاء فمن المؤكد تقريبا انه ساج مستورد من الهند[٧٢]

لم يكن خشب الساج هو الخشب الوحيد المستورد من الهند وانما كانوا يستوردون ايضا خشب النارجيل (جوز الهند) وكان العرب والفرس يستوردونه من الهند وجزرها منذ القديم أو يذهبون الى مواطنها نفسها ويبنون سفنهم فيها[٧٣] .

اذا كانت التجارة البحرية الواردة الى الخليج العربي والصادرة عنه مزدهرة في العصر الأموي ، فإن تولي العباسيين الخلافة دفع بها الى الامام ، لانتقال العاصمة من دمشق الى بغداد وتشجيع الخلفاء العباسيين امتزاج رعاياهم العرب والفرس في وحدة اسلامية لسانها العربية وزاد المتكلمون بالعربية زيادة كبيرة باعتناق الايرانيين الاسلام واصطناعهم اللغة العربية في اغراض الدين والأدب والأعمال الرسمية والتجارة

د. نجدة خماش
جامعة دمشق

الهوامش

(١) الطبري . (ابو جعفر محمد بن جرير) (ت٣١٠هـ/٩١٠م) تاريخ الرسل والملوك ١٠ اجزاء تحقيق ابو الفضل ابراهيم . ج ٣ ص ٣١٢
(٢) الطبري . ج ٤ ص ١٨٦
(٣) المصدر السابق . ج ٣ ص ٤٦٢
(٤) المصدر السابق . ج ٣ ص ٤٤٤
(٥) المصدر السابق . ج ٣ ص ٤٨٤
(٦) المصدر السابق . ج ٣ ص ٤٨٧
(٧) المصدر السابق . ج ٣ ص ٤٨٧
(٨) البلاذري . (أحمد بن يحيى بن جابر) (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) فتوح البلدان ، تحقيق محمد رضوان ص ٢٤٢
(٩) الطبري . ج ٣ ص ٤٨٦
(١٠) شيدت الابلة في العهد السلوقي في ملتقى دجلة العوراء بخليج البصرة باسم (ابولو) المعبود اليوناني . وحرف العرب لفظ ابولو الى الابلة . وكانت زمن الفتح العربي قد ابتعدت عن البحر قليلا بسبب رواسب الطمي مجلة المجمع العلمي العراقي . ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م ج ١ ص ٧٥
(١١) الطبري . ٣٤٨ . و٥٩٤ ابن الفقيه (ابوبكر احمد بن محمد الهمذاني) كتاب البلدان ليدن . ١٣٠٢هـ/ص ١٨٨ ابن سعد . (محمد) (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) كتاب الطبقات الكبير . ليدن . ١٣٢٢هـ . ج ٤ قسم ١ ص ٣
(١٢) الدينوري (أحمد بن داود) (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م) الاخبار الطوال . تحقيق عبدالمنعم عامر . القاهرة . ١٩٦٠م ص ١١٨
(١٣) البلاذري . فتوح . ص ٣٠٨ . ٣٠٩
(١٤) المصدر السابق . ٣٧٨ . ٣٧٩
(١٥) الطبري . ج ٦ ص ٩٥
(١٦) الهمداني . (ابو محمد الحسن بن أحمد) (٣٣٤هـ/٩٤٥م) ط ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ تحقيق محمد الاكوع . صنعاء . ٨٤ .
(١٧) عمر رضا كحالة . معجم قبائل العرب . مؤسسة الرسالة . ط ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ . ج ١ ص١٢٦

(١٨) البلاذري . فتوح . ص ٨٩ . الطبري . ج ٣ ص ٣٠١ ابن اعثم الكوفي (ابو محمد احمد) (ت٣١٤هـ/٩٢٦م) الفتوح . دار الكتب العلمية . بيروت . ج ١ - ٢ ص ١٤٠
(١٩) كحالة . معجم . ج ٢ ص ٧٢٦ .
(٢٠) البلاذري فتوح . ص ٠٨٧ الدينوري . ص ٢٧٢ كحالة . معجم . ج ١ ص ١٦
(٢١) الطبري . ج ٦ . ص ٥٦٧ . ٥٨٦
(٢٢) البلاذري . فتوح . ص ٣٧٨ . ٣٨٤ . ٣٠٨ . ٣٠٩
(٢٣) الطبري . ج ٥ ص ٢١٧ ابن عبد ربه. العقد الفريد . ج ٣ ص ٢٣٠ خليفة بن خياط تاريخ . ج ١ . ص ٣٩١ . ٤١٥ . ٤٣٠ . ج ٢ ص ٥٣٨
(٢٤) الطبري . ج ٦ ص ٥١٢ البلاذري . فتوح . ص ٤١٢ . ٤١٣
(٢٥) البلاذري . ص . ٤٠٠ الطبري . ج ٥ ص ٢٢٦
(٢٦) البلاذري انساب . الجزء الأول من القسم الرابع . مؤسسة الدراسات الافريقية الاسلامية . القدس . ١٩٧١م ص ١٩٠ الجزء الثاني من القسم الرابع . مكتبة المثنى . بغداد ص ١١٦ فتوح . ص ٤٢٢
(٢٧) البلاذري . فتوح . ص ٣٤٤ و٣٤٥
(٢٨) ابن الاثير (ابو الحسن علي بن ابي الكرم) (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م . الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٧٢ البلخي (ابو زيد احمد بن سهل) كتاب البدء والتاريخ . باريز . ١٩١٩م . ج ٦ ص ٣٤٣
(٢٩) ابن الاثير . ج ٤ ص ٧١
(٣٠) البلاذري . فتوح . ص ٣٨٩ . ٣٩١ . خليفة . تاريخ . ج ١ ص ٣٨٧ . ٣٨٨
(٣١) Le Strange, The Lands of the Eastern Caliphate, Cambridge I 930, P : 407 .

كان العرب قد قسموا خراسان ارباعا تبعا لمدنها المشهورة .نيسابور . مرو . هراة . وبلخ
(٣٢) Ibid. p. 420
(٣٣) البلاذري . فتوح . ٤٢٣ - ٤٢٧
(٣٤) المصدر السابق . فتوح . ص ٨٩ ابن اعثم . ج ١ - ٢ . ص ١٤٥
(٣٥) Gazetteer of the Persian Gulf, Oman, and Central Arabia, Chap. I, P : 10 .
(٣٦) Encyclopeadia Britannica, Art. Red Sea .
(٣٧) صالح احمد العلي . التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري . دار الطليعة . بيروت . ص ٢٥٧
(٣٨) ابن جبير . رحلة ابن جبير . دار صادر . بيروت . ١٩٥٩م . ص ٢٦٠ . ٢٧٦
(٣٩) ابو عبيد (القاسم بن سلام) (ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) كتاب الأموال . تحقيق محمد خليل هراس . ط ١٤٠١هـ/١٩٨١م الفقرة ١٦٥١ . ١٦٥٥ .

(٤٠) البلاذري . فتوح . ص ٢٤١ ابن قتيبة (محمد بن عبدالله بن مسلم) (ت٢٧٦ / ٨٨٩) عيون الأخبار . القاهرة . ١٩٢٥ . ج ١ ص ١٦٨

(٤١) البلاذري . فتوح .

Grohman, Allgemeine Einfhrung in der Arabischen Papyri Vien, 1924, pp. 77, 92. *The Kurrah Papyri from Aphrodite, The Oriental Institute, Chicago, 1936, pp. 70 - 72.* Archibald Lewis, Naval Power in the Mediterranean. *500.1100*, P. 79.

(٤٢) Ibid. p. 81.

(٤٣) صالح العلي . تنظيمات . ص ٢٤٢

Cosmas Indicopleustes. Christian Topography, p. 81.

(٤٤) Charanis P. The Social Structure of the later Roman Empire, Byzantium, 1944-1945, XVII pp. 50-51.

(٤٥) Archibald Lewis. OP. CIT. p. 83.

(٤٦) Ibid

(٤٧) Ibid. p. 89. Lopez, Mohammed and Charlemagn. A Revision in Speculum, 1943., XVIII, p. 21.

(٤٨) البلاذري . فتوح . ص ٢٤١ . ٢٤٢

(٤٩) البلاذري . ص ٢٤٢

(٥٠) Ostrogorsky G. History of the Byzantine State, Tr. by Joan Hussey Oxford, 1956, p. 118. George Hill, The History of Cyprus, vol. I. p. 287.

(٥١) Heyd, Histoir du Commerce ou Levant, Leipsig, 1885, pp. 89 - 92.

(٥٢) Archibald Lewis, OP. CIT. p. 95.

(٥٣) Lopez, Silk Industry in the Byzantine Empire, Speculum, 1945, XX pp. 26 - 27.

(٥٤) Ibid. p. 27.

(٥٥) Archibald Lewis, p. 94.

(٥٦) الاصطخري (الحسن بن احمد) (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) مسالك الممالك . ط ١٩٢١م ص ١٧٥

ابن حوقل (محمد) ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) صورة الأرض . منشورات مكتبة الحياة . بيروت . ص ٢٧٩

(٥٧) ياقوت الحموي . معجم البلدان . مادة هرمز

(٥٨) ابن حوقل . ص ٢٥٤ . ٢٥٥

(٥٩) المصدر السابق . ٢٤٤

(٦٠) المسعودي . (ابو الحسن علي بن الحسين) (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) مروج الذهب ومعادن الجوهر - ٤ اجزاء . دار الاندلس . ج ١ ص ١٣٢ . ١٧٦

(٦١) المصدر السابق . ج ١ ص ١٢٣

(٦٢) الاصطخري . ص ٢٥

(٦٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مادة صحار .
(٦٤) ياقوت الحموي ، مادة عبادان
وعباد بن الحصين بن يزيد بن عمرو الحبطي التميمي ، ابو جهضم كان فارس تميم في عصره و ولي شرطة البصرة ايام ابن الزبير وكان مع مصعب ايام قتل المختار وشهد فتح كابل مع عبدالله بن عامر و ادرك فتنة ابن الاشعث
(٦٥) الاصطخرى ، ص ٣٤
(٦٦) القزويني ، (زكريا بن محمد بن محمود) (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م) اثار البلاد واخبار العباد ، ص ١٢٨
(٦٧) الكندي (يعقوب بن اسحاق) من اوائل القرن التالث الهجري ، رسالة السيوف ، ص ٣ ب
(٦٨) القزويني ، ص ١٢٨
(٦٩) الكندي ، ص ١٢
(٧٠) القزويني ، ص ٩١ ياقوت الحموي ، مادة الخط
(٧١) Enc. Br. Art. Teak.
(٧٢) جورج فضلو حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندي. ترجمة د يعقوب بدر ، ص ٢٤٥
Theophrastus, History of Plants, Tr. by A. Hort, London 1916, Book V, Ch. IV.
(٧٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٦
Enc. Br. Art. Coconut.





رسالة الدولة العثمانية في الخليج العربي في القرن التاسع عشر

بقلم الدكتور
محمد مقصود اوغلو (تركيا)



ان رسالة الدولة العثمانية في الخليج العربي لا تختلف عن رسالتها في البلاد الاخرى التي كانت تخضع لسيطرتها . وهي « اعلاء كلمة الله » وتوحيد كلمة المسلمين وجمع المسلمين في العالم تحت راية السنة النبوية[1] وكانت الدولة العثمانية تمثل تمثيلا رسميا وفعليا الخلافة السنية منذ ان انتقلت الخلافة الى العثمانيين عام ١٥١٦ بعد



معركة مرج دابق .

وكانت انكلترا تسيطر على السواحل الشرقية (السواحل الايرانية) المطلة على الخليج في القرن التاسع عشر كما كانت الهند تحت الاحتلال البريطاني اذ ذاك والسواحل الغربية من الخليج كانت ضمن الاراضي العثمانية بما فيها سواحل نجد[٢] .

ومن جهة اخرى كانت فرنسا ايضا تحاول هي الاخرى ان تضع قدمها على السواحل الغربية من الخليج ، كل منهما في نطاق سياستها التوسعية في المنطقة ، ان مساعد قائمقام القطر التابعة آنذاك لولاية البصرة العثمانية اقترح على الحكومة العثمانية « ارسال سفينة حربية عثمانية للتجول على تلك الشواطيء لمواجهة نوايا دولة فرنسا في المنطقة[٣] .

وكانت بريطانيا تؤيد فرنسا في هذه الامور . فقد احتلت فرنسا اراضي الشيخ سعيد في اليمن مثلا بتشجيع من بريطانيا في ١٣٢١هـ/١٩٠٣م .

وكانت الدولة العثمانية تراقب انشطة انكلترا في المنطقة عن كثب . كانت الدولة العثمانية على علم حينما يدخل القنصل الانجليزي في البحرين سنة ١٣١١هـ/١٨٩٤م انه اخذ خريطة البحرين[٤] . كما كانت الدولة العثمانية حساسة كل الحساسية تجاه نيات انكلترا في المنطقة وكانت تتخذ التدابير اللازمة لعدم اعطاء اية فرصة لها في التدخل في شؤون المنطقة .

نشاهد هذه الحساسية مثلا في موقفها من صيد اللؤلؤ والصدف في السواحل العثمانية الواقعة في الخليج اذ ذاك . تجتنب الدولة العثمانية ان تضع هذا الصيد تحت الحصر او اعطاء اية رخصة لاى شخص او مؤسسة تجنبا لاي اثارة ضوضاء في المنطقة في عام ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م[٥] . لأن انجلترا كانت تجول بسفائنها الحربية على سواحل نجد وعمان ومسقط اذ ذاك وكانت تجري مباحثات مع المشايخ في المنطقة[٦] فكانت لا شك تحرضهم ضد الدولة العثمانية حتى تثار المشاكل وتكون لها فرصة للتدخل في شؤون المنطقة ونشاهد هذه الحساسية في اعطاء الدولة العثمانية رخصة لدفن اموات الانجليز البروتستانت في مقبرة خاصة بهم في البصرة على الصعيد الانساني ولكنها تضع الشروط على هذا الامر :

١ ـ لن تتجاوز الحدود المعينة للمقبرة الخطوط المرسومة لها باي حال

من الاحوال .
٢ - لن يبنى اي بناء في المقبرة بالقرب منها من أى نوع كان .
٣ - ستوضع وتركز علامات على حدود المقبرة المعينة منعا في المستقبل من اتساع الساحة وتجاوز الحدود جمادى الاولى ١٣١١هـ/١٨٩٣م(٧) .

وكانت الدولة العثمانية تحاول ان تجمع شمل المسلمين في المنطقة ، وكانت تحاول جذب الشيخ مبارك الصباح ومنعه من الاستجابة للاغراءات الاجنبية ومنع تهريب الاسلحة والمؤن من الكويت الى نجد والعراق في ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م كما كانت تتخذ التدابير اللازمة بحق جميع الموظفين الموجودين الذين تصدر منهم اعمال سيئة في ولاية البصرة(٨) .

وكانت الدولة العثمانية تكافىء الخدمات الحسنة الصادرة من اتباع الشيخ مبارك الصباح مثل عبدالعزيز سالم البدر باعطائه رتبة استابل عامرة في ١٣٢٩هـ/١٩١١(٩) وكان الشيخ مبارك الصباح يعلن بمناسبة الحرب سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م « انه تابع مع جميع اتباعه للدولة العثمانية(١٠) . لأن الدولة العثمانية كانت تمثل الاسلام تجاه العالم اجمع . وكان رئيس الدولة العثمانية السلطان هو خليفة اهل السنة . ونشاهد هذا الامر بوضوح في الوثيقة المحررة من قبل مشايخ سوق الشيوخ والتي حررت في ٢٠ رجب ١٣٢٤هـ/٢٩ ايلول ١٩٠٦م بعد حالة العصيان والتمرد الذي دام مدة سنتين في سوق الشيوخ . انهم يصفون موقفهم من الخليفة وعصيانهم للدولة العثمانية « كفرا » ويخاطبون السلطان العثماني « امير المؤمنين حضرت مولانا وملاذنا السلطان المعظم كان الصراع في المنطقة بين الدولة العثمانية الممثلة للاسلام وبين الدول الكبرى وعلى رأسها انكلترا ، ولا شك ان الدولة العثمانية لم تكن دولة عنصرية قط . كانت تستخدم الاشخاص ذوى الكفاءة في المناصب المهمة بصرف النظر عن ديانتهم وقوميتهم . نذكر هنا على سبيل المثال ، سفير الدولة العثمانية في لندن كان روميا اسمه قوستاكي اندروبولو باشا ، وخصصت الدولة العثمانية لزوجته راتبا كافيا بناء على خدمات المتوفى سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م(١١) .

ومن جهة اخرى كان اهتمام الدولة العثمانية بالشرفاء والسادات والصالحين بالغا جدا . نذكر هنا كمثال على هذا ان الدولة عينت الشريف حسين امير مكة المكرمة عضوا في « شوراي دولت » (المجلس الاستشاري للدولة) سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م وخصصت له راتبا وقدره ٥٠٠٠ قرش(١٢)

واستأجرت له بيتا على ساحل البوسفور في اميركان باستانبول[١٣] كما قامت الدولة العثمانية بانشاء بيت جديد لعبدالواحد افندي من وجهاء مكة المكرمة حينما احترق بيته سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م[١٤].

وتستثنى الدولة العثمانية المشايخ في زاوية الشيخ عبدالقادر الجيلاني بطنا بعد بطن، من الخدمة العسكرية[١٥]. وتخصص الدولة راتبا لمحمد سعيد افندي الخضراوي من ادباء مكة المكرمة وشعرائها حينما زار الاديب استانبول سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م[١٦]. ولا ينحصر اهتمام الدولة العثمانية بالادباء والشعراء المسلمين بل يمتد الى مواطنيها النصارى ايضا. فتكافىء الدولة العثمانية بطرس البستاني افندي على تأليفه قاموسا باعطائه نيشانا مجيديا من الرتبة الثالثة ومنحه «عطية سنية» في عام ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م[١٧]. ومن المعلوم ان بطرس البستاني لم يؤلف قاموسا يخدم به الثقافة التركية بل الف قاموسا يخدم الثقافة العربية وهو مسيحي. تكافىء الدولة العثمانية هذا المؤلف اذ انه يخدم اللغة القرآنية والدولة تدرس في مدارسها اللغة العربية لا التركية. والثقافة لها أهمية كبرى، الثقافة تعدل كل شيء تقريبا في تكوين الفرد والمجتمع، كما يظهر في ايامنا ونحن نعاني جميعا من الغزو الفكري، واللغة ظرف الثقافة والثقافة امتن الطرق واخطرها واكثرها تأثيرا في الاستعمار.

تشجع الدولة العثمانية نشر اللغة العربية الفصحى اذ انها لغة القرآن الكريم وتفكر في اتخاذ التدابير اللازمة لصيانة الاطفال المسلمين في البلاد العربية من الغزو الفكري. نشاهد هذا الامر بوضوح في ان الدولة تحاول منع الاطفال المسلمين في سوريا وبيروت من مزاولة الدراسة في المدارس الامريكية والفرنسية هناك وتحاول تدشين مدارس اسلامية لمنافسة تلك المدارس سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م[١٨]. ومن ناحية اخرى تهتم الدولة العثمانية اشد الاهتمام بتربية وتدريس الاطفال المسلمين البارزين. كانت الدولة العثمانية تدرس اطفال الوجهاء على عهد السلطان عبدالحميد الثاني في مدرسة خاصة بهم واسمها «عشيرة مكتبي» (المدرسة الخاصة باطفال وجهاء العشائر) باستانبول[١٩]. وانتهت رسالة الدولة العثمانية في الخليج وفي العالم بانقراض هذه الدولة.

◇◆◇

الهوامش

١ ـ كان العثمانيون يسمون انفسهم « دولة علية عثمانية » (الدولة العثمانية العلية) ولم يستعملوا بحق دولتهم صفة الامبراطورية ومن الواضح ان تسمية اي مجتمع سياسي بغير اسمه يتضمن العداوة تجاهه . اما تسمية بعض الاتراك المعاصرين العثمانيين بـ « الامبراطورية » فهي غفله وعمل ببغائي . بأخف التعبير .

٢ ـ تخبر السفارة البريطانية الحكومة العثمانية بان تجولات السفائن الحربية البريطانية على سواحل نجد كانت لحفظ الزوارق المستعملة لصيد اللؤلؤ هناك من تعرضات القراصنة (١١ رمضان ١٣٢٣) وثيقة رقم 203017

٣ ـ Basbakanlik Arsivi,Basra Gelen defteri, 263 13/211

٤ ـ Basbakanlik Arsivi, Yildiz, Sadaret Remsi Maruzat, 124/79

٥ ـ Basb.Ars.Basra Gelen Defteri, 263, 5/6

٦ ـ Basra Gelen Defteri,263 12/209

٧ ـ Basra Gelen Defteri, 263 16/209

٨ ـ Basra Gelen Defteri, 263 17/250

٩ ـ Basb. Ars. BED, 199723

١٠ ـ Basb. Ars. Taltifat, 1325, 144

١١ ـ Basb. Ars. BED Defter 232, 2152/4207

١٢ ـ Basb. Ars. Trade–Dahiliyye 1324,7

١٣ ـ Yildiz, Sadaret Resmi Maruzat, 186 12 120/30

١٤ ـ Trade–Dahiliyye 1310, 1310,44

١٥ ـ Trade–Dahiliyye 1310, 40

١٦ ـ Trade – Husu si 1310, 40

١٧ ـ BED 233, 40

١٨ ـ Trade–Hususi 1310 75

١٩ ـ BED 229 s.3

Detroit, Ill., 1970.
Lewis, B., The Arabs in History, London, reprint 5th edn., 1984.
Le Strange, The Lands of the Eastern Caliphate, Cambridge, 1985.
Mingana, A., Sources syriaque, Leipzig, 1907–8.
Moreland, W.H., "The Ships of the Arabian Sea about A.D. 1500", Journal of the Royal Asiatic Society, part 1, 1939, 65–74; part 2, 1939, 173–90.
Ozbaran, S., "The Ottoman Turks and the Portuguese in the Persian Gulf, 1534–1581", Journal of Asian History, vol. 6, 1972, 45–87.
Richards, D.S., ed., Islam and the Trade of Asia, Oxford, 1970.
Rostovtzeff, M., Caravan Cities: Petra and Jerash, Palmyra and Dura, Oxford, 1932.
Shboul, M.A., Al-Mas'udi & His World: A Muslim Humanist and his Interest in Non-Muslims, London, 1979.
Stern S.M., "Ramisht of Siraf, a Merchant Millionaire of the twelfth Century", Journal of the Royal Asiatic Society, 1967, 10–14.
Villiers, A., Sons of Sinbad,, London, 1969.
Watson, A.M., Agricultural Innovation in the Early Islamic World: The Diffusion of Crops and Farming Techniques, 700–1100, Cambridge, 1983.
Whitehead D., "Excavations at Siraf, Sixth Interim Report", Iran, 1974.
Wilson, A., The Persian Gulf, London, 1928.
Yajima, H., The Arab Dhow Trade in the Indian Ocean, Tokyo, 1976.

SELECTED MODERN WORKS

Ashtor, E., Studies on the Levantine Trade in the Middle Ages, London, 1978.
Bowen, R.L., Arab Dhows of Eastern Arabia, Rehoboth, Mass., 1949.
Boxer, C.R., The Portuguese Seaborne Empire 1415–1852, London, 1969.
Brice, W.C., ed., An Historical Atlas of Islam, Leiden, 1981.
Brock, S.P., "'Syriac Sources for Seventh-Century History", Byzantine and Modern Greek Studies, vol. 2, 1976, 165–214.
Bulliet, R.W., The Camel and the Wheel, Cambridge, Mass., 1973.
Biddulph, The Pirates of Malabar, London, 1907.
Chaudhuri, K.N., Trade and Civilisation in the Indian Ocean: An Economic History from the Rise of Islam to 1750, Cambridge. 1985.
Chittick, N., Kilwa: An Islamic Trading City on the East African Coast, 2 vols., Nairobi, 1974.
Cook, M.A., Studies on the Economic History of the Middle East, London, 1970.
Das Gupta, Indian Merchants and the Decline of Surat, Wiesbaden, 1979.
Ferrand, G. Introduction a l(astronomie nautique arabe, Paris, 1928.
Fishel, W., "The Spice Trade in Mamluk Egypt", Journal of the Economic and Social History of the Orient, vol. 1, 1958, 157–74.
Goitein, S.D., A Mediterranean Society, Vol 1, Barkeley, Los Angeles, and London, 1967.
Studies in Islamic History and Institutions, Leiden, 1966.
Groom, N., Frankincense and Myrrh: A Study of the Arab Incense Trade, London, 1981.
Gungwu,. Wang, "The Nanhai Trade: A Study of the Early History of Chinese Trade in South China Sea", Journal of the Malayan Branch of the Royal Asiatic Society, vol. 31, 1958, 1–133.
Hodges, R. and Whitehouse, D., Mohammed, Charlemagne & the Origins of Europe, Archaeology and the Pirenne Thesis, London, 1983.
Hourani, G.F., Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Medieval Times, Princeton, N.J., 1951.
Kister, M.J., Studies in Jahiliyya and Early Islam, London, 1980.
Lach, D.F., Asia in the Making of Europe, vol. 1, Chicago, Ill., 1965.
Lasner, J., The Topography of Baghdad in the Early Middle Ages,

Ibn Khurdadhbih (c.850–911), Kitab al-Masalik w'al-Mamalik ("Book of Road and Provinces"), Arabic text in Goeje, Vol. V.
Lopez, R.S., ed., Medieval Trade in the Mediterranean World: Illustrative Documents Translated with Introductions and Notes, London, 1955.
Ibn Majid, Ahmad, Kitab al-Fawa'id fi usual al-bahr wa'l-qawa'id (c. 1490), Arabic text from MS 2292. Bibliotheque Nationale, Paris, in G. Ferrand, Pilote des mers de l'Inde et de la Chine et de Indonesie, 2 vols., Paris, 1921–3; English trans. G.T. Tibbets, Arab Navigation in the Indian Ocean before the Coming of the Portuguese, London, 1971.
Muhammad ibn al-Hasan, Kitab al-Tabikh, Aya Sofya Mosque, Manuscript, ed. and printed by Daoud Chelebi, Mosul, 1927, English trans. A.J. Arberry, "A Baghdad Cookery-Book", Islamic Culture, vol. 13, 1939, 21–47, 189–214.
Al-Mus'udi (died 956), Muruj al-Dhahab wa-Ma'adin al-jauhar, Arabic text and French translation in C. Barbier de Meynard and Pavet de Courteille, Les Prairies d'or, 9 vols. Paris, 1861–77. Al Muqaddasi (died 1000), Ahsan al-Taqasim fi ma'rifat al-aqalim, Arabic text in Goeje, cited above, vol. III, English trans. G.S.A. Ranking and R.F.Azoo, Calcutta, 1901; French trans. A. Miquel, Damascus, 1963.
Niebuhr, Carsten, Travels through Arabia and Other Countries in the East, trans. R. Heron, 2 vols., Edinburgh, 1792.
Periplus Maris Erythraei, original text in Hjalmar Frisk, Le Periple de la mer erythree, Goteborg, 1927; English trans. from this version by G.W.B. Huntingford, The Periplus of the Erythraean Sea, London, 1980.
Pires, Tome, The Suma Oriental of Tome Pires: An Account of the East, from the Red Sea to Japan, Written in Malacca and India in 1512–1515 ed, and trans. Armando Cortesao, London, 1944.
Pliny, The Natural History ed. J. Bostock and H.T. Riley, 6 vols., London, 1855–7.
Polo, Marco, The Description of the World, ed. and trans. A.C. Moule and P. Pelliot, London, 1938.
Roque, Jean de la, A Voyage to Arabia Felix, 1716, English trans. London, 1742.
Serjeant, R.B., ed., The Portuguese off the South Arabian Coast, Hadrami Chronicles, with Yemeni and European Accounts of Dutch Piracies off Mocha in the Seventeenth Century Oxford, 1963.
Al-Tabari (died 923), Ta'rikh al-Tabari, Arabic text ed. Th. von Noldeke, Leiden, 1879.

READING LIST

PRINTED SOURCES

'Akhbar as-Sin wa'l-Hind, Relation de la Chine et de l'Inder redigee en 851 (anonymous), texte etabli, traduit et commente par Jean Sauvaget, Paris, 1948.
Ibn Battuta (died 1377), Rihla, ed., with French trans. C. Defremery and B.R. Sanguinetti, 4 vols., Paris, 1853–1914; ed. English trans. H.A.R. Gibb, The Travels of Ibn Battuta A.D. 1325–1354, London, 1929; full edn, 3 vols., Cambridge, 1958–71.
Buzurg Ibn Shahriyar (c. 900–53), Kitab 'Aja'ib al-Hindi; French trans. L.M. Devic, Les Merveilles de l'Inde, Paris, 1878, from a copy of MS 3306, Aya Sofia mosque, Istanbul; English trans. G.S.P. Freeman-Grenville, The Book of the Wonders of India, Mainland, Sea, and Islands, London and The Hague, 1981.
Correa, Gaspar, Lendas da India, ed. Ridrigo Jose de Lima Felner, 4 vols., Lisbon, 1858.
Goeje M.J. de, ed. Bibiotheca Geographorum Arabicorum, Leiden, 1870–1906.
Hadrami Chronicles, see under Serjeant.
Hamilton, Alexander, A New Account of the East Indies, first published Edinburgh, 1727; modern version ed. W. Foster, 2 vols., London, 1930.
Hudud al–'Alam (anonymous), English trans. V. Minorsky, Hudud al–'Alam, the Reqions of the World: A Persian Geography 372 A.H.–982 A.D., London, 1937; 2nd edn ed. C.E. Bosworth, London, 1970.
Ibn Ishaq (died 767), in English trans. A. Guillaume, The Life of Muhammad: A Translation of Ishaq's Sirat Rasul Allah, London, 1955.
Ibn Jubayar, The Travels of Ibn Jubayr, ed. and trans. R.J.C. Broadhurst, London, 1952.

6. On Daybul see, al-Idrisi, Nuzhat al-Mustak, in H.M. Elliot and J. Dowson, the History of India as told by its own Historians, London, 1867–77, vol. 1,77.
7. Hourani, Arab Seafaring, 68, 76–7; Wang Gungwu "The Nanhai trade: a study of the early history of Chinese trade in South China Sea", journal of the Malayan Branch of the Royal Asiatic Society, vol. 31, 1958, 1–133.
8. R. Hodges and D. Whitehouse, Mohammed, Chrlemagne & the Origins of Europe: Archaeology and the Pirenne Thesis, London, 1983, 143.
9. Wang Gungwu, "The Nanhai trade: a study of the early history of Chinese trade in South China Sea".
10. Al-Mas'udi, Muruj al-Dhahab wa-Ma'adin al-Jauhar, Arabic text and French translation in C. Barbier de Meynard and Pavet de Courteille, Les Prairies d'or, 9 vols., Paris, 1861–77, II, 85–6.
11. Ibn Battuta, Rihla, ed., with French translation by C. Defremery and B.R. Sanguinetti, 4 vols., Paris, 1853–1914; English translation by H.A.R. Gibb, The Travels of Ibn Battuta, Cambridge, 3 vols., 1958–71.
12. Tome Pires, The Suma Oriental of Tome Pires: An Account of the East from Red Sea to Japan, written in Malacca and India in 1512–1515, edited by A. Cortesao, Lisbon, 1944, vol. 1, 269.
13. Al-Muqaddasi, Ahsan al-Taqasim, 127.
14. Ibn Jubayr, The Travels of Ibn Jubary, English translation by R.J.C. Broadhurst, London. 1952, 64.
15. Al-Muqaddasi, Ahsan al-Taqasim, 153; Buzurg Ibn Shahriyar, The Book of Wonders of India, 78; Ibn Majid, Kitab al-Tawa'id, 213,
16. Muhammad Ibn al-Hasan, Kitab al-Tabikh, English translation by A.J. Arberry, A. Baghdad Cookery Book, Bomay, 1939.
17. Ibn Jubayr, The Travels, 61
18. Buzurg, The Book of the Wonders of India 53.
19. Buzurg, The Book of the Wonders of India, 76.
20. Marco Polo, The Description of the World, 410.

REFERENCE NOTES

1. For the early history of Islamic trade see, G.F. Hourani, Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Medieval Times, Princeton, 1951; P. Crone, Meccan Trade and the Rise of Islam, Oxford, 1987; Ibn Ishaq, in English translation by A. Guillaume, The Life of Muhammad: A Translation of Ishaq's Sirat Rasul Allah, London, 1955; al-Tabari, Ta'rikh al-Tabari, Leiden, 1879.
2. For a discussion of the issue see, A.M. Watson, Agricultural Innovation in the early Islamic World, Cambridge, 1983; H. Lammens, la cite arabe de Taif a la veille de l'heqire, Beirut, 1922; Ibn Khaldun, The Muqaddimah, English translation by F. Rosenthal, Princeton, 3 vols., 1967.
3. Donner, F.M., "Tribal settlement in Basra during the first century A.H.", in Khalidi T., ed., Land Tenure and Social Transformation in the Middle East, Beirut, 1984; The Early Islamic Conquests, Princeton, 1981; Naji, A.J. and Ali, Y.N., "The suqs of Basrah: commercial organization and activity in a medieval Islamic city", Journal of the Economic and Social History of the Orient, vol. 24, 1981, 298–309.
4. Al-Muqaddasi, Arabic text in M.J. Goeje, ed., Bibliotheca Geographorum Arabicorum, Leiden, 1870-1906, vol. III; English translation by G.S.A. Rankin and R.F. Azoo, Calcutta, 1901; French translation by A. Miquel, Damascus, 1963.
5. For a survey of early trade see, A.H.M. Jones, "Asian trade in antiquity", in D.S. Richards, ed., Islam and the Trade of Asia, Oxford, 1970; L. Casson, Ancient Trade and Society, Detroit, 1984; D. Whitehouse and A. Williamson, "Sasanian maritime trade", Iran, vol. 11, 1973, 29–49; J.C. Wilkinson, "Arab-Persia relationships in late Sasanid Oman", Proceedings of the sixth seminar for Arabian Studies, London, 1973,40–51.

other hand could be fought and resisted, though their destructive powers were never under-estimated by Arab or Indian merchants. In 929 shipmaster Ismailawayh was returning from the strait of Malacca when his vessel was attacked by Malay pirates. He fought them for three days and burned many of their ships, and finally shook them off. The return voyage of Shihr in the incense-land of Arab was made by the ship in the record period of 41 days. The Sultan of Oman treated as captain and the crew generously. The cargo of the vessel was valued at 600,000 dinars, a huge sum of money.[19] The oraganised pirates of Western India and the Gulf remained active throughout our period and Marco Polo found in the thirteenth century that the annual merchant-fleet sailing to and from the Middle East carried armed in order to protect themselves from pirate attacks.[20] The history of maritime trade in the Indian Ocean from the rise of Islam to the Portuguese period remained one of busy and prosperous economic exchange between different social communities and there was little sign of systematic religious or political tension between different groups of merchants who organised the trade. The urban splendours of the great Islamic towns and cities rested on the financial profits of a transit trade and these places were the main power-house of commercial movements. Arab participation in the transcontinental trade of Euro-Asia for more than a millennium was as expressive of Islam's expansionary urge as its ability to create a unifying cultural world.

Shahriyar relates the story of a merchants from the western coast of India, who fitted out a ship for a voyage to Oman. The area was famous for its teak plantations and teak wood was used not only in the local shipyards but also exported to the Persian Gulf for building boats and houses. The merchant loaded a huge piece of teak with his name carved on it for sale in Oman. Two months later, a messenger arrived in his house and reported that a long piece of timber had washed up on the sea shore and it bore his name. It was the same piece of wood which had been shipped earlier. The timber had been securely loaded under the bridge and there was no way that it could have gone overboard in a gale. Everyone was certain including the owner that the ship had foundered. However, in due course the vessel safely came back from Oman to the general astonishment of the town people. At first, the captian was reluctant to admit that anything was missing from the outward cargo, but confessed later that when the piece of teak was unloaded on the beach, a giant freak wave had carried it out to sea. The prevailing wind and current took it back to India. There were other ships' stories in Buzurg's work with a less happy ending. In 918 a large ship belonging to Abdulla b. Junayd sailed from Siraf for Saymur (Chaul) in India in company with two other ships. After eleven days all three ships ran into a tropical storm. When there was little hope of saving them, the captains gave orders for evacuation. Thirty-three people were lowered into the lifeboat and reached land after spending five days at sea without water or food. The masters and crew who had remained with the vessels were never seen again. These shipwrecks must have inflicted crippling financial losses on the merchants of Siraf and Saymur.

Storms at sea were clearly acts of God and beyond human control. Pirates on the

gate their ships through the open sea. Stellar observations, combined with an accurate knowledge of the profile of the coastlines, made this possible. The skill of Arab and Indian navigators (mualLims) in the fifteenth century is recorded not only in Ibn Majid's well known treatise on navigation but also in the account of Vasco da Gama's first voyage to India. At Malindi in East Africa, he engaged an Indian pilot who took him across the Indian Ocean and made an accurate landfall in Calicut. The history of Arab navigation goes much further back in history. Famous shipmasters often competed with one another in predicting the exact place where a ship, out in the open sea, would sight land. In the early tenth century, nakhoda Muhammad b. Babishad and his ship was sailing back to Oman from Fansur in Sumatra. As the ship entered Bay of Bangal, the muallim asked him to name the western port where they would make landfall. The nakhoda replied that the place would be Raysut, the port between Shihr and the cape of Ras al-Hadd. The navigator thought otherwise and named another port fifty parasang (Persian league of 0.75 mile) below Raysut and they made a bet of twenty dinars on this. The stake was to be distributed to the poor as alms. After fifteen days, the captain thought they were nearing the Arabian mountains and next day, after the afternoon prayers, he declared that he could see the coastline appearing. No one else could see anything, but when the lookout was sent up to the top of the mast, the cry of*takbir* was heard and taken up by the rest of the crew. Land was sighted. Next morning the ship dropped anchor before a port: it was none other than Raysut.[18]

In spite of the known skill of the Muslim navigators and sailors, the Indian Ocean remained a dangerous sea. Shipping losses whether caused by storms or by pirate attacks continued to haunt all Asian merchants. Buzurg Ibn

tures, high quality silk piece goods were monopolised by China. The foreign demand for Chinese silk was so great that the imperial court from time to time prohibited its export. But there was no restriction on the export of porcelain. The famous green celadonware, enamelled dishes, and the blue-and-white porcelain of the Ming period were traded at every major Middle Eastern port. The collection now housed in the Topkapi Museum of Istanbul was originally brought from Cairo when the Ottomans conquered Egypt in 1517. These pieces still convey some impression of the imortance of porcelain in the maritime trade of China and the Middle East. Some of the ingredients of the gastronomic creations served in Chinese porcelain dishes would have been imported from the Eastern Archipelago. The finer spices of the Moluccas and cinnamon from Ceylon flavoured both rice and meat. A thirteenth-century cookbook from Baghdad gives detailed recipes with spices which a cuisinier of the Arab world and of India would have no difficulty in recognising today.(16) The tradition of high cuisine has not changed in six centuries. Spices from Indonesia and the Malabar coast of India of course formed bulk of the trade passing through Oman an Basra in the Gulf and Suez and Alexandria in the Red Sea. In 1183 Ibn Jubayr saw loads of pepper and cinnamon being transported by camel caravans in the desert between Aydhab and the Nile. If a camel became sick and the camel-master had to unload the pack of spices, it was left in the desert until the owners could retrieve it. Despite the number of men who passed the load and its high value, the consignment remained untouched.(17)

Contemporary descriptions of the volume and direction of maritime trade in the Indian Ocean prove beyond any doubt that from the middle of the eighth century Muslim nakhodas were able to navi-

of Uwal and the island of Kharak in Hajar. The divers were exposed to considerable danger from sting rays and sharks. Al-Muqaddasi along with other contemporary writers spoke of the legendary "orphan pearl", so called because it had no peer in the world. Buzurg Ibn Shahriyar relates the story of its find in detail. A pearl dealer called Muslim b. Bishr of Oman fell on bad times and lost all his commercial capital. He persuaded his wife to sell jewellery and with the money he equipped a last diving expedition. According to the local custom, it was agreed with his divers that they should dive for no longer than two months. After spending an entire season in futile dives, on the sixtieth day Muslim's divers found two pearls one of which was the "orphan". It was sold to caliph Harun al-Rashid for 70,000 dirhams, while the smaller one fetched 30,000 dirhams. In the middle of the fifteenth century, according to the Arab navigator Ibn Majid, about a thousand vessels annually took part in pearl diving from Bahrayn.[15]

The composition and the volume of the Middle Eastern exports to the rest of the Indian Ocean countries in our period of study were a function of the region's imports as well as the pattern of economic specialisation in India and further east. Indian cotton weavers supplied a large proportion of the demand for luxury and everyday clothing. Each town and city in Gujarat, the Punjab, and the Coromandel, which traded with the Gulf had its favoured types of cloth: fine transparent muslins, painted bedspreads and table cloths, chintz starched and glazed as smooth as paper; ordinary checks and stripes particular to the members of a tribe or a city in the Gulf. Each year the silk weavers of Ahmedabad were commissioned to manufacture a very special brocade covering for the Ka'ba in the sacred mosque of Mecca. While India specialised in cotton or cotton-and-silk mix-

ern branch of the transcontinental trade of the Indian Ocean. The suburbs and the trading quarters of the City of Peace might fall into ruin; the Turkish and Mongol invasions periodically brought destruction and economic devastation to the irrigated lands of Iraq. But these two cities succeeded in recovering their commercial fourtunes from the advantage of their splendid locations.

The rich and varied commodities exchanged between the Gulf and the trading emporia of India, South East Asia, and China feature prominently in all the historical sources. Luxury and high-valued items such as frankincense, myrrh, the attar of roses, pearls, thoroughbred horses, gold brocades, raw silk, and carpets appeared on the merchants' bills of lading along with dates, fresh and dried fruits, leather, and coffee. These famous products of the Middle East were paid for by a variety of imports; gold and silver, fine woollen textiles, and wrought metalware from Europe; gold, ivory, timber, and foodstuffs from east Africa; cotton textiles, precious stones, and grains from India, spices, sandalwood, and tortoise-shells from the Eastern Archipelago; porcelain, silks, tea, and camphor from China. If the thoroughbred Arabian horse exported from the Gulf was a symbol of personal wealth and military strength, the pearl fisheries of Bahrayn, Kuwait, and Aydhab in the Red Sea were no less famous. According to Ibn Jubayr, the Muslim pilgrim from Andalusia (1183–4 A.D.) the season for pearl diving in the islands off Aydhab began in June and continued to July. The divers went out in small boats called zawariqs and dived for double oysters within which were found the pearls. The depth of the oyster-beds was not great and Ibn Jubayr marvelled that such barren places as Aydhab could provide a living to the people from just its marine life. [14] Two centuries earlier al-Muqaddasi had also referred to the pearl fisheries

of the voyages and it offered to the merchants a wide choice of merchandise and commercial services. Trading cities such Siraf, Bahrayn, Suhar, Cambay, or Malacca were also politically neutral places where merchants of different nationality and religion could come and go without danger. It was this element of political and cultural tolerance which made the Indian Ocean trade an area of peaceful activity. The tradition was only broken by the Portuguese in the sixteenth century, though organised communities of pirates in the earlier period often made maritime trade unsafe.

In the fifteenth century, the economic life of two major trading capitals of the Indian Ocean, Malacca and Cambay, firmly rested on Aden and Hormuz. But there were many other towns and cities in the area that were just as active, flourishing, and prosperous from at least the tenth century. Al-Muqaddasi reminded his readers that "Al-Yaman is an extensive country, in which I passed one whole year in visiting the towns I have already described.[13] Zabid, known as the Baghdad of al–Yaman, was a well-built town with many merchants, umara, and learned men. Mocha had a flourishing trade and produced a large quantity of sesame oil. Sana, the capital, was famous for its fruit orchards. In Hadramawt, As-Shir was a town of the sea, from which were exported gigantic fish caught on the coast. In Uman, Suhar the premier port for the China voyage, contained excellent markets, beautifully laid out along the shore of the sea. Its lofty and splendid houses were built solidly with burnt bricks and teakwood. Within the Gulf, Al-Ahsa, the capital of Hajar which was also known as Bahrayn, possessed a large trade. Its date-palm plantations were as famous as were the pearl fisheries. Finally, at the other end of the Gulf, Basra and Medinat as-Salam (Baghdad) still remained the key to the north-

and bulk goods of both the east and west passed through these intermediate port-cities from the trading house of one merchant to another, and were consumed in the homes of the rich and the poor alike. It seems reasonable to conclude that the economic system based on emporia trading and the emergence of international ports of trade with a large and multinational community of merchants stemmed from the constraints of the seasonal monsoon winds and the problems of navigation in the Indian Ocean. This historical view owes its origin to the famous description of the Portuguese historian Tome Pires in his work *Suma Oriental* (c.1520): "Because those from Cairo and Mecca and Aden cannot reach Malacca in a single monsoon, as well as Persians and those from Hormuz, and Rumes, Turks, and similar peoples such as Armenians, at their own time they go to the kingdom of Gujarat brining large quantities of valuable merchandise ... Those from Cairo take their merchandise to Tor, and from Tor to Jedda, and from Jedda to Aden, and from Aden to Cambay, where they will in the land things which are valued there, and the others they bring to Malacca.[12] Pires was reflecting the contemporary awareness of the fact that the success of voyage between the Middle Eastern ports and India depended on the precise timing of the monsoon winds which had given rise to the location of cities such as Cambay, Calicut, and Malacca. But there was also another side to the story. A port-city which fulfils the role of a commercial entrepot is a universal phenomenon in history. The temporal schedule of the monsoon might explain why a particular port should be located in the strait of Malacca but it does not explain the existence of emporia trading by itself. The real explanation must be sought in economic and political arguments. Emporia trading economised on transaction costs by shortening the length

severe economic decline. The ascendancy of port-cities such as Aden, Fustat, and Alexandria on the other hand was to continue at the expense of the Gulf trade and the trend remained unchanged upto the period of Venetian trade with Egypt and the arrival of the Portuguese in Calicut (1498).

However, the main centres of maritime voyages in the Persian Gulf continued to serve the huge area of caravan trade which stretched as far inland as Central Asia. Increasing specialisation in shipping and navigation on the part of different ports in the Gulf was one of the signs of a sophisticated commercial network that included India, Hadramawt, Hijaz, and east Africa. As ports of trade, Basra or Jedda had several disadvantages. Navigation in the Persian Gulf was not easy and there were difficult waters around the Shatt al-Arab and the marshland of lower Iraq. The Red Sea was even more dangerous to shipping and commercial navigation. Both the seas had local wind systems different from those in the wider expanse of the Indian Ocean and these variations discouraged ships which had come from the other sides of Arabian Sea from sailing too far into the Persian Gulf and the Red Sea. It was much easier for large ships to discharge their cargo at a port which was not too far from the strait of Hormuz and which offered deep-water harbour. The success of Siraf and later that of other ports, Qish, Hormuz, Suhar, and Bahrayn can be explained by this historical rationale.

The pattern of emporia trading gradually resolved itslef into a three-fold division. The first section included the Gulf or the Red Sea linked to Gujarat and the Malabar in India. The second segment stretched between India and the straits of Malacca or Sunda in the Indonesian archipelago. In the final section, lay the commercial voyages between China, Japan, Korea, and the port of South East Asia. The luxury

emporia trading. In the later tenth century, the rich merchants of Fustat, Jedda, Aden, Suhar, Bahrayan, Siraf, and Basra were still to be found in Canton and Hangchow, but increasingly they stopped at Quilon and Calicut in India and actively traded at ports in the Malacca strait and at Hanoi in Indochina, preferring to obtain their cargo of Chinese goods at the intermediate trading cities. The transcontinental trade of the Indian Ocean between this period and the fifteenth century passed mainly through a number of great commercial emporia. The ports of trade in the Persian Gulf and the Red Sea were destined to play a leading role in the later reorientation.

It will not be right to conclude from the above generalisation that the commercial history of individual towns and cities within the larger historical developments in the Islamic world remained without changes. The Persian Gulf and the Red Sea seemed to change their relative importance as the main arterial route of maritime trade between the foundation of Baghdad and the emergence of Fatimid rule in Egypt (969 A.D.). The revolt of the Zang or the African slaves who worked the agricultural plantations around the Shatt al-Arab must have severely disrupted the commercial traffic of Basra between 868 and 883. From the mid-tenth century, the Abbasid caliphate in Iraq was faced with a severe crisis of social identity which expressed itself in the growth of religious dissension. Bahrayn and the Yemen, both maritime centres of Islam, *provided* safe-houses to the revolutionary Islamic missionaries, the Carmathians and the Ismailis. The appearance and settlement of a large number of Turkish warrior bands throughout the Middle East had serious implication for the independence of the Abbasid caliphate. In al-Muqaddasi's account Baghdad and other major cities of Iraq are depicted as places in

jami.[11]

Buzurg Ibn Shahriyar (c. 900–50 A.D.) who was well acquainted with maritime world of Siraf, Oman, and Jedda, has recorded many exploits of the nakhodas who sailed from the Persian Gulf to south China. His narratives of the trading voyages, often presented as fantastic sea stories, illuminate a striking aspect of the early Arab trade. Muslim ships which traded with China from Siraf and Jedda took upto three years to complete the round voyage. This fact had considerable implication for the financial organisation of the trade. A single voyage over the entire length of the Indian Ocean meant extended stopovers in safe anchorages while the monsoon shifted in March and September respectively. It also imposed economic constraints on the mixture of cargo and the margins of profits. The capital of the trading voyage remained locked up over a period of three years and the profits needed to be high on the total turn-over. This in turn pointed towards a cargo that included proportionately high-valued items of trade, which were better able to absorb the overhead costs. But pre-modern merchants were severely restricted in their choice of cargo-mix by the technology of shipping. A ship laden exclusively with high-valued cargo would have been exposed to undue financial risk in the case of shipwreck. A wooden-hulled ship needed ballast in the hold to stabilise it and most merchants preferred to use economic ballast to non-economic one. As a result, the long-haul Indian Ocean vessels invariably needed heavy bulk goods to complement their valuable cargo. As a level of consumption and the sophistication of commercial methods gathered increasing pace in the Middle East, helped by the growth of urban centres and urban population, the system of single round voyages to China from the Gulf ports were gradually abandoned and replaced by a network of

Ch'ao raided Canton (878 A.D.), he was reputed to have killed 120,000 Muslims, Christians, Jews, and Zoroastrians during the sack of the city.[9] The Muslim commercial voyages to China were highly profitable and fully tested the ability of Arab and Persian shipmasters to navigate their vessels out of sight of land. On the other hand, the political uncertainties in the late T'ang empire may have also encouraged the growth of trade at the great cross-road of cultural contacts which was located at this time in the Malayan archipelago.

During the course of his travels in the Indian Ocean (c. 914 A.D.) the Arab encyclopedist al-Masudi found that ships coming from Siraf and Oman in the west met those from the China Sea at Kalah Bar in Malayan peninsula. A remarkable account of the Muslim settlement on the western coast of India also comes from his pen. "At that time there were ten thousand Muslims settled there (Saymur)", he wrote, "Bayasiras as Sirafis, Omanis, Basrans and Baghdadis and those from other cities, who had married and settled in those parts, including some outstanding merchants.[10] As the political and social stability in the Abbasid caliphate declined in the ninth and tenth centuries, Muslim migrations towards India and East Africa continued and probably increased. By the time Ibn Battuta, the Moroccan jurist, visited the Indian Ocean, two trading cities of East Africa, Mogadishu and Kilwa, together with the Malabar coast of India had become highly Islamised. Ibn Battuta records the pious and charitable gifts of Kilwa's sultan Abu'l Muzaffar Hasan and the fine buildings in the city. On the other side of the Indian Ocean, the port of Quilon on the Malabar coast was an important meeting place between Muslim ships and Chinese junks. The leading Muslim merchant in the city, Khwaja Muhazzab, had donated the funds to construct a beautiful masjid-i-

What then were the main features of the trading world of the Gulf, the Red Sea, and the Indian Ocean from the eighth to the fifteenth century? There is no question that the cultural and commercial relations between the western end of the Arabian Sea and India were established long before the rise of Islam. The exact nature of these contacts in the late Sasanian times however is difficult to reconstruct on the basis of historical and archaeological evidence available.(5) The picture becomes clearer from the middle of the eighth century when Muslim merchants and their ships began to trade regularly not only with Daybul, the great port situated near the mouth of the river Indus but also with the Malabar coast in India.(6) Furthermore, there are references in Chinese sources from as early as 758 A.D. to the presence of Arab and Persian seafaring people in Canton.(7) In the context of his archaeological excavation at Siraf, David Whitehouse raises the question of dating precisely the early Muslim voyages to China and east Africa which were separated by almost six thousand miles. Apart from the historical sources, a vital clue to the question is provided by the presence of Chinese ceramic sherds found at Siraf. This was a port which became prominent during the last seventh century; Chinese porcelain becomes particularly abundant on the site of the Masjid-i-jami which was built approximately at about 815-25 A.D.(8) The foundation of great capital cities in Iraq such as Baghdad and Samarra obviously stimulated both caravan and maritime trade in the Gulf and a substantial demand for exotic products and luxury goods of India and China seems to underline the growth of trade. By the third quarter of the ninth century, the number of Middle Eastern merchants living in and trading with China had grown substantially. When a formidable rebel warlord, Huan

was not until the ninth or the tenth centuries that their writings were fully consolidated. One of the most perceptive and reliable of these early Arab authors was al-Muqaddasi, a Syrian by birth. His great work *Ahsan al-Taqasim fi ma'rifat al-aqalim* (c. 980 A.D.) is not only a geographical treatise on Balad al-Islam but is also a systematic investigation of the economic resources of every major province from Syria to Khurasan.[4] Al-Muqaddasi was specially interested in the role of urbanisation in long-distance trade. The present-day theorist in search of definitions and the typology of towns would find himself anticipated by a thousand years in a surprisingly comprehensive discussion on the subject written by al-Muqaddasi as a preface to his long list of commercial towns and cities in the Islamic empire. Al-Muqaddasi arranged geographical rank according to the analogy of political administration. Capitals are treated in his description as kings, provincial capitals as chamberlains, ordinary towns as cavalrymen, and villages as foot-soldiers. The description 'metropolis' was used to designate a city where the supreme ruler of a country resided, where the state departments had their quarters, in which the provincial governors received their investiture, and to which the towns of the province were referred. Damascus, Qayrawan, and Shiraz were such places. Some of the metropolises and district capitals had dependencies so large as to contain a number of towns. For example, there was Tukharistan in Balkh, the Bata'ih of Wasit in Iraq, and the Zab of Ifriqiyyq. It is clear that al-Muqaddasi's theoretical treatment of the Islamic capital cities and their economic functions was derived from his first-hand experience of travelling through vast and diverse geographical regions united by a shared theory of government, political administration, and economic linkages.

revitalise long-distance trade both by land and sea.[1] The spiritual and social roots of Islam even in this early period of the Umayyad caliphate lay primarily in towns and cities. It is axiomatic that a civilisation that is strongly based on urban centres is also critically dependent on trade to supply its members with the daily necessities and luxury commodities associated with a refined way of life. The foundation of new towns in Iraq, Egypt, and the Maghreb together with the development of existing Sasanian and Byzantine cities by the Arab conquerors was to produce very tangible economic effects on the volume and organisation of trade in the Persian Gulf and the Red Sea.[2]

The foundation of Basra and the redevelopment of Ubulla as the two major ports of Iraq could be ascribed to the economic and political need to establish a secure communication link between the Persian Gulf and Damascus which became the capital of the Islamic empire after 661 A.D.[3] The rich canal-irrigated agricultural lands of As-Sawad and the legendary capacity of the Nile Valley to produce a food surplus placed at the disposal of the Arab rulers an economic resource which needed maritime and caravan transport for full exploitation. The Coptic sailors and shipbuilders of Egypt and those of the Persian Gulf had long been known in antiquity for their naval skills. Whereas the bedouin camel-masters provided the necessary expertise for the development of the caravan trade, it was these seafaring people facing the Indian Ocean and the Mediterranean respectively who were responsible for the rapid rise of a Muslim fleet engaged in both trade and warfare.

Arab geographers and historians were fully aware of the commercial and territorial significance of the unity which Islam had created between the 'Sea of China' (Indian Ocean) and the 'Sea of Rum' (Mediterranean), thought it

THE ARABIAN GULF AND THE TRADING WORLD OF THE INDIAN OCEAN

FROM THE RISE OF ISLAM TO THE EARLY PORTUGUESE TIMES

BY:
PROF: K.N. CHAUDHURY
Professor of the Economic History of Asia
University of London

Within a century of the foundation of *umma* (622 A.D.) by Prophet Mohammad, the ancient Near Eastern civilisations were faced by an astonishing historical phenomenon. From Sind in western India to the strait of Gibraltar in the Mediterranean, there was a unified political, religious, social, and economic world-system which drew its theoretical and practical precepts from Islam. One of the immediate effects of the Muslim unification of the Indian Ocean and the eastern Mediterranean was to

12. John Carswell, BAHRAIN, THE GULF, AND TRADING CONTACTS WITH SOUTH INDIA AND THE FAR EAST, Paper presented at the 'Bahrain Through The Ages Conference' held in Bahrain in 1983.

13. Suleiman Ibrahim Al-Askari, Al Tijara wal Milaha fil Khalij il Arabi fil Àsr il Abbasi, Cairo p. 9

14. ibid., p. 101

15. ibid pp. 150, 151

16. Suleiman Ibrahim Al Askari, Op Cit., p. 157

17. ibid., p. 162

18. Dr. Zaki Mohammed Hasan, Al Rahhala al Muslimoon fil 'Usoor il Wusta Beirut, 1981

19. Mahmood Bahjat Sinan, "AL BAHRAIN DURRAT AL KHALEEJ AL ARABI (in Arabic), Baghdad, 1963, p. 88

FOOTNOTES

1. Shaikh Abdullah Bin Khalid Al Khalifa & Abdul Malik Yousuf Al Hamer, BAHRAIN THROUGH THE AGES, Vol I, Bahrain, 1983 p. 27
2. ibid., p. 30
3. Maurizio Tosi, EARLY MARITIME CULTURES OF THE ARABIAN GULF AND THE INDIAN OCEAN, paper presented to the International Conference "Bahrain Through The Ages," 4-9 Dec 1983, pp 2,3,10,12.
4. ibid., p. 18
5. Jagat Pati Joshi; INDIA & BAHRAIN – A SURVEY OF CULTURAL INTERACTION DURING THE THIRD & SECOND MILLENNIA, Paper presented to the Bahrain Through The Ages Conference of 1983.
6. Jagat Pati Joshi; Op Cit., p. 6
7. ibid
8. S.R. Rao: TRADE AND CULTURAL CONTACTS BETWEEN BAHRAIN & INDIA IN THE 3rd & 2nd MILLENNIUM B.C., Paper presented at the Bahrain Through the Ages Conference held in Bahrain in 1983.
9. Prof. Ahmed Hasan Dani, BAHRAIN AND THE INDUS CIVILISATION, paper presented at the 'Bahrain Through The Ages Conference' held in Bahrain in 1983. p.6.
10. William Brice, TRADITIONAL TECHNIQUES OF NAVIGATION IN THE SEAS OF BAHRAIN, Al Watheeka, No. 9, p. 199
11. ibid; p. 195.

detailed report about the spice trade for submission to the King. The report made a convincing case for eliminating the Arab monopoly of spice trade. In the year 1505 A.D. Francisco Almeida was the admiral and the governor of Portuguese possessions in India during the reign of King Emmanuel I. His successor Alfonso du Albuquerque was a highly ambitious man who wanted to establish Portuguese domination all over the East leading to the establishment of a chain of forts which promoted their grand design in addition to protecting their trade centres.(19)

37. The Portuguese fleet moved eastward in 1506 A.D. under the leadership of Kunha and Albuquerque and it was not long before the Portuguese occupied many Gulf towns including Bahrain. They captured Goa in 1510 A.D. and moved north towards Hormuz. In 1521 A.D. Bahrain fell to the Portuguese when they built their fort in it. Thereafter a long conflict raged between the Portuguese and Turkey for the control of the Arab Gulf. In 1602 A.D. Bahrain was able to finally shake off her shackles which bound her to Hormuz and the Portuguese.

38. The discovery of the Cape Route established a kind of liaison between Portugal, Goa and Calcutta. This route devalued the traditional spice-trade route through the Red Sea/Arab Gulf. The Portuguese used their foothold in India in monopolising eastern trade on the one hand and in using it as a launching pad against the Gulf. There is nothing worthy of comment in the field of Indo-Bahrain relations during the Portuguese era as such. The power struggle that followed and the consequences it had on Indo-Bahrain relations is a topic which is outside the scope of this paper.

be relied upon. One such writer is Suleyman the merchant whose descriptions date back to 851 A.D. His accounts include a description of the trade routes, some of the prevailing social and economic practices, the main products of India, Ceylon, Java and China as well as certain legends. He is the first writer to have referred to tea as a beverage.

34. In his descriptions of the Indian Ocean islands he has alluded to their owning gold and their strange marriage customs. Since there was much rivalry among these inhabitants they had to contend with a great many enemies. Anyone who wanted to take a bride had to bring the skull of an enemy. He could have as many wives as the number of skulls. There are other Arab geographers such as Abu Zaid Hasan, Istakhri, Al Masoodi, Al Yaqubi (9th Century), Ibn Jubair, Al Bairuni (1048 A.D.) and Nasir Khusro (1003 A.D.) who have given interesting accounts of India but since they do not directly concern Indo-Bahrain relations I would restrict myself to mentioning their names merely to show the larger context of Indo-Gulf relations in the Middle Ages.[18]

35. If we concede Bahrain's role as an intermediate point in the intimate relations between the Abbasid caliphate and India we may make a passing reference to the contribution made by the Indian astronomer Kanaka to Baghadad when he went there in 767 A.D. There he rendered the classical treatise on astronomy Siddhant into Arabic in five volumes. The effort took several years. That was the first time when the Arabs learnt of Indian astronomy.

THE PORTUGUESE ERA (1522-1602 A.D.)

36. The Portuguese kings sent a mission in 1487 A.D. to carry out a survey of the spice trade and its sources. The mission visited among other places Cairo, Hormuz, India and Aden and prepared a

way of their providing the various amenities to the Arab Gulf ships and the Arabs, on their part, avoided involvement in local rivalries.

29. Continuing their eastward journey the Arab Gulf ships visited Colam Malai (perhaps Cochin) where they bought teak-wood and spices while some of them made for Sarandip (Ceylon) and then Malacca. The Bay of Bengal was known to them as Harkund. The Gulf merchant sailors thus formed an effective commercial link between the Gulf, India and Indo-China.[16]

30. Among the extraordinary things sold by India was the horn of the Rhinoceros which was highly priced. The most popular Indian export to the Gulf was of course incense of different qualities and kinds. The best quality was expected to be hard and solid, moist-looking, greasy, long-burning, and persisting in the clothes for a considerable time. It was also expected to protect clothes in its anti-bacterial action. Eighteen kinds of incense were identified. Other items included cardamum, cinnamon, cloves and sweetsmelling shrubs.[17]

31. Footwear made in Cambay were considered a precious item of gift from lovers to their beloveds as well as muslin and other fine textiles.

32. The Indian ships were small in size and capacity whereas their Gulf counterparts were big and sturdy with huge capacity. Hence the Indian ships confined their maritime activity to transporting merchandise between the Indian ports mostly. Throughout the Abbasid period the Arab shipping held a commanding position until the Portuguese dealt a crushing blow to this monopoly.

Explorers' Accounts

33. A few Gulf sailor-explorer merchants have left some interesting travelogues describing the practices of Indians inhabiting the Indian Ocean islands. These are first-hand accounts and perhaps could

line extended to Makran the first trade-centre on Indian soil. *The entire area from Basra to Oman was called* Bahrain, Hajar or Khatt. The multiplicity of names is attributable to the commercial prosperity of the area all along the Arab Gulf coast. Ibn Hooqal went so far as to include under the term 'Bahrain' Hajar, Al Hasa, Qatif, Ogair, Bisha, Kharaj and Awal. The commercial fortunes of these towns witnessed an ebb and tide every now and then.

27. The two sources of prosperity of Dilmun were the peal-trade and the Indian merchandise. The Indo-Gulf trade in the Abbassid period reached such dimensions that the west-Indian coasts and the Arab Gulf coasts came to be regarded as one unit both geographically and commercially.[14] What spurred this relationship was the Abbasid interest and involvement in the affairs of Sind. Caliph Abu Jafar Al Mansur had clear ideas about the economic integration of Sind within the Abbasid framework. The port of Diebel (the present-day Karachi) had become a big *depot and Arab ships from* Basra, *Siraf* and Bahrain used to pass through Qais, Hormus, Makran and finally enter Diebel. The river Sind was then known as Mahran and the present-day Hyderabad was known as Mansura in the Sind province. Multan came to be known as the 'Golden City'. The Sindhi language and culture was deeply influenced by Arabic and Sindhi came to be written in Arabic script.[15]

28. Much more Indian merchandise was available beyond Sind in the ports of Gujrat and further down south. In this connection the ports of Tanta and Broach near Bombay assumed importance. There was perfect rapport between the local Indian rulers and the Arab merchants. The coast of Malabar and the southern ports became the favourite halting and refuelling places for Arab ships. Local rivalries among the local Indian rulers were not allowed to come in the

23. India, Ceylon and the south-western islands of the Indian Ocean formed a link between the East and the West, a fact established both by textual study as well as archaeological evidence. During the inter-monsoon period the Gulf ships made a halt in Maldive, South India or Ceylon. By the 13th century Kayal near Cape Comorin in southern India had become a leading port. According to Marco Polo who visited Kayal in the early 14th century many Arab horses which had been imported had died due to improper diet.

24. With the Portuguese advent in the Indian Ocean they usurped the porcelain trade and the Chinese blue and white porcelain of the 16th and 17th century, usually associated with Portuguese settlements has been found both in Bahrain and Goa in India as well as in Chaul south of Bombay. Both the Indian ports and Bahrain ports fluctuated in importance according to dynastical changes in the hinterland and the economic environment in general.[12]

TRADE AND NAVIGATION DURING THE ABBASID PERIOD

25. It was during the Abbasis Period (750-1258 A.D.) that Indo-Arab trade and Indian Ocean navigation acquired a new meaning and content. The Arab Gulf and the Red Sea became the two extensions of the Indian Ocean. Ever since the days of Alexander the Arab Gulf was called by different names and one of them was the 'Bahrain Gulf'.[13] It was also called occasionally 'the Gulf of Oman' or 'the Gulf of Basra' or even 'the Near Eastern Sea'. The name 'Persian Gulf' was apparently used by Nearchus, a commander under Alexander, who sailed back after the Indian expedition via the Persian coast thus ignoring the vast Arab coastlines on the other flank.

26. According to the Arab geographer Ibn Rusta (c. 943 A.D.) the eastern Arab coast-

the extensive ruins of Al-Thaj in the Eastern Province of Saudi Arabia." [10]

19. According to Professor Brice, Bahrain, which was known as Tylos in the third century B.C., built ships perhaps out of teak imported from India since the teak lasted a good 200 years.

Early Trade in the Indian Ocean

20. Professor Brice has quoted how the Arabs had established trade relations with China by about 750 A.D. When subsequently Basra was destroyed and Siraf declined in importance Bahrain picked up in importance. By about 940 A.D. while the Arab ships transferred their cargo at Malaya and did not sail beyond that, the trade with Indian ports was quite brisk until the coming of the Portuguese. Even after 1500 A.D., ships from Bahrain, Aden and Muscat sailed to the ports of South India and the Andamans making use of the monsoon winds. The ships carried linen, cotton-goods, woollen rugs, metal work and bullion to the East and brought back silk fabrics, camphor, musk and porcelain from China and gems, spices, and wood from India. [11]

21. Brice has referred to the Oriental Manuscript No. 2920 of about 1844 A.D. containing the latitudes and longitudes of many coastal places along East Africa, Arabia, Persia and India. This navigational aid gives an indication of the ports visited by Arab merchant ships over a century and a half ago.

22. While discussing trade contacts between Bahrain, South India and the Far East, John Carswell has referred to two Arabic texts. These are Merchant Sulayman's Akhbar Al Sin Wal Hind and Ahmed Ibn Majid's Kitab al-fawa'ed fi usul al-bahr wal Qawa'id. These books not only deal with commodities traded and the Arab navigational techniques but also about their leading role in long-distance trade to the Far East, a situation which changed radically with the arrival of the Portuguese.

16. Professor Ahmad Hasan Dani has referred to the possibility of there being an inter-relation between the Indus civilisation and the Gulf trade and the possibility of the Gulf countries acting as 'Middle-Men' thus contributing to each other's prosperity. He has rightly called for further coordinated research to link archaeological discoveries with the literary evidence about Dilmun, Makan and Meluha.[(9)]

17. In the pre-Islamic literature of Bahrain there is a mention of Indian swords and spears indicating their import into Bahrain from India. Hind or India appears to have been quite popular as a beauty spot and no wonder that Hind was a popular girl's name well before Islam and subsequently. The Gulf merchants sailed to China via India and Serendip (Ceylon). While the Gulf exported pearls to India, the latter exported a wide range of merchandise such as spices, wood, perfume, silk and weapons to the Gulf.

PRE-ISLAMIC TIMES

18. William Brice has the following to say about navigation in the seas of Bahrain:

"In pre-Islamic and early Islamic times, Bahrain depended for its prosperity on its harbour. This was the base of the pearling fleet; and also, because of the excellent shelter and the abundance of fresh water and food on the island of Awal, a convenient staging post for ships bound for India from Iraq. Bahrain was also itself a natural terminus for seatrade from the Far East, because the nearby mainland province of Hajar which was also called Al-Bahrain, was well-irrigated and accessible to trade-routes from Nejd, Hejaz and the Mediterranean. Two of the great seasonal fairs of pre-Islamic times were held here, at Hajar and Al Mashkar; and earlier, in classical times, there stood here the great trading city of Gerrha, not yet certainly identified, but thought by some to have been located at

Bahrain thus establishing Indo-Bahrain contacts. The fire altars discovered at the Barbar temple bear comparison with those discovered at Lothal, a square brick-lined pit. Other discoveries in Bahrain include raw ivory again of Indian origin.

13. Significantly other artefacts found in the port town of Lothal in Harappa such as Bahrain type round seals, the terracotta Sumerian type of head and a terracotta model of an Egyptian mummy established definite links between India and Bahrain. Joshi has also referred to Prof Tosi's discovery in 1982 of a potsherd with Harappan characters on the Gulf coast. It shows that the Indus earthen pots were transported to such distant places.[6]

14. As many as 42 items of trade have been identified which include copper, silver, carnelian, ivory, tin, tortoise shell, pearls, precious stones and cloth.[7]

Significance of Dilmun Trade-Items:

14. Dr. S.R. Rao has suggested that some of the Bahrain seals which are in the Louvre Museum contain both the Indus animal motif as well as the script indicating that the Indian merchants who had settled in Bahrain, Oman and other Gulf countries were permitted to use their own motifs and writings on the Bahrain type of seals for consigning merchandise to Bahrain or through Bahrain to other Sumerian ports. While Bahrain retained the use of its round seals it permitted the Indus traders to use their own motifs.

15. Dr. Rao mentions that the stone weights used in Bahrain conformed to the Indus standards. Among the merchandise he has mentioned pure copper as having originated from Lothal since the Oman copper is not free from arsenic and thus impure. To lend credence to this view he has cited the discovery of a smelting furnace in Lothal where copper would have been purified. He has also traced the carnelian beads found in Bahrain to the produce of Lothal and Mohenjo-daro. [8]

dia. In a paper published in 1963, Mr. S.R. Rao described an Arab Gulf type of seal in Lothal.

8. Several excavations were conducted in Bahrain in the 60s and 70s in the area of Qilat al Bahrain by Monik Kervran and in other sites by Dr. Rafiq Mughal related to the 4th and 3rd Millennium B.C. where evidence was found of Indo-Bahrain trade.

9. Mr. J.P. Joshi of the Archaeological Survey of India in a paper has the following revealing observations to make while briefly summarising the various archaelogical investigations conducted since 1963.[5]

"We in India have special interest in the achaeology of Bahrain for one very special reason: India had a large network of trade with Mesopotamia but much of it appears to have passed through Bahrain, which is generally identified with Dilmun, the Holy Land where the Sun Rises, of the ancient Mesopotamian texts."

"The 3rd and 2nd Millenniun B.C. witnessed the growtl and flowering of some grea Bronze Age cultures fron Mesopotamia to the Indo Pakistan subcontinent, parti cularly from the Euphrate via Makran, Sind and Gujrat up to the Saraswati Valley.'

10. The author goes on to sa how the extent of the Indu culture starts from Makran i the west to Meerut and Sahar anpur in the east. The exca vated sites besides Mohen jodaro are Harappa, Balako and Allahdino in Pakista and Kalibangan, Manda, Sur kotada, Lothal and Daima bad in India.

11. The author has referred t the Sumerian texts mention ing Dilmun, Magan (Makran and Malluha (Sind). The cen tral location of Bahrain witl its water resources, agricultu ral potential and harbour faci lities made it eminently suit able as a trade entrepot parti cularly between India an Mesopotamia.

12. Dr. Rafiq Mughal disco vered Harappan seals i

mention the countries beyond the lower sea a network as we have already seen of trade capable of conveying exotic products along the corridors of the Red Sea and the Arab Gulf already active for at least 2000 years." [3]

5. The same author has referred to a text by Sargon, the founder of the Akkad dynasty in lower Mesopotamia expressing pride for his new capital enjoying trade in exotic material with overseas countries. The text dates back to 2300 B.C. both in the Sumerian and Akkadian languages the purport of which is : 'the Melukha ships, the Magan ships, the Dilmun ships tie up along the quay of Agade.' Melukha, Magan and Dilmun are coastal regions charted out as a single route for the Sumerians in the lower sea.

6. Prof. Tosi, has identified the list of products embarked at Melukkha as rich and varied such as gold, precious metals, precious stones ebony and cane. These products indicate that they were from a rich and affluent society common at that time in northeastern India, an obvious reference to the Indus civilisation. He says: "All of Baluchistan coast was occupied by people with a culture identical to that of the alluvian plains of Sindh with a chain of settlements endowed with fortification systems, each situated several kilometres from the coast on the banks of the rivers which penetrate most deeply to the interior of Makran. A similar occupation is again encountered on the eastern extremity of the Harappan culture in the crown of settlements which surrounds the Kathiawar peninsula.[4]

CULTURAL INTERACTION DURING THE THIRD & SECOND MILLENNIA

7. Until 1932 some seals were found near Ur which were interpreted by C.J. Gadd to be of the ancient Indian style. Subsequent excavations and interpretations revealed the fact that some Arab Gulf seals were discovered in In-

land in a spiral of growing accumulation spread through this vast territory. The soldering of the coastal economies accelerated the development of both societies: the fishermen were able to acquire the technology of metal and pottery; the farmers gained access to trade with distant countries ... Of the four areas in which prehistoric seacraft developed the Erythrean Sea which a ring of water around the Arabian peninsula connects the great centres of Eastern civilisation between Egypt, Mesopotamia, southern Iran and the Indus Valley, is naturally the first to be seen in history, documented already in the Cuniform texts of the third millennium B.C. The particular conditions prevailing in the area retarded every process of political and economic integration with inland centres based on agri-pastoral production. Between the Red Sea and the Gulf, the coasts of the Indian Ocean are in fact a single desert. The mouths of a few large rivers become dispersed into intricate deltas covered with mangroves or sandbars which divide the sea from land."

He goes on to say: "The short distances which separated the fishing settlements could be covered easily with reed canoes. In this way, since every centre was in regular contact with his neighbours a true continuous bridge was formed which along the Arab coasts put Africa and Asia in communication like a chain of small rings ... the rings of the chain uniting the two continents (Africa & Asia) could have become increasingly wider until already at the end of the 3rd millennium B.C. the seacraft of the Indian Ocean might have been able to join through a single voyage, the extremes of the trade system. ... The prehistoric Ichthyofagoi planted the premises for the transformation of prehistoric agriculture in the Middle East and the Indian subcontinent derived from the integration of domesticated species in different centres from their point of origion ... In reality when, around halfway through the 3rd millennium B.C. the Mesopotamian texts

troduction of the Bahrain pearls to the luxury markets of Europe.

1782 A.D.

Establishment of the Al-Khalifa rule.

(Compiled by the Ministry of Information, Bahrain, 1979 as published in the Map of the Visitors).

With the above-mentioned historical perspective in a capsule form it would be profitable to clothe this outline framework with flesh and blood.

ARCHAEOLOGY AND MARITIME CULTURE

3. Shaikh Abdullah Bin Khalid and Abdul Malik Yusuf Al-Hamer in their book BAHRAIN THROUGH THE AGES, have the following to say about the antiquity of Bahrain:

"A small kingdom of this name (Dilmun), was founded in the beginning of the 3rd millennium B.C. which continued to exist for over 300 years. Its people were of Semitic origin probably from the middle of the Arabian Island and it consisted not only the island of Dilmun (Bahrain) but also of the area which forms today the eastern region of the Kingdom of Saudi Arabia (Khatt and Hasa)." (1)

The same book has the following caption describing a seal: "A seal dating back to the Barbar period around 2400 B.C. made of steatite showing trade relations between the Dilmunian and Indian civilisations. The Indian motif is shown as curls on the neck of a cow which is an Indian characteristic." (2)

4. Going further back Prof Maurizio Tosi has spoken of the marine bio-mass and the agricultural modes of life after 5000 B.C. when the formative period in the agrarian economy in the arid regions between the Nile, the Indus and Central Asia came of age. He says:

"A close-knit network of rural villages, started off safely in the sedentary occupation of

B.C. 8000-7000
Flint implements, evidence of Middle Palleolithic hunters.

B.C. 3000-2000
Known as Dilmun it dominated sea-trade in the Arab Gulf. It exported pearls and dates; imported copper, diorite, gold and ivory from Oman and India and exchanged these for woollen goods from Mesopotamia. The Barbar temples, Diraz and the ancient city of Qalat-al-Bahrain were built in this period. The people of Dilmun were buried in the grave-mounds of Bahrain located in its north and northwest numbering a total of 100,000.

B.C. 2000-1000
Dilmun's importance declined with the collapse of trade with the East due to the fall of the Indus civilisation but the city of Qalat al Bahrain was partly rebuilt.

B.C. 750
Conquered by the Assyrians but its trading activity continued unabated. The City at Qalat al Bahrain was partly rebuilt.

B.C. 600
Incorporated into the new Babylonian Empire with the appointment of a Babylonian Governor.

B.C. 323
Ruled by an independent king. Prosperity returned to Bahrain. Evidence of trade with Greece.

B.C. 300
Burials in grave-mounds along the Budaiya Road.

300-400 A.D.
Under Arab Rule from the mainland.

7th Century A.D.
Muslim conquest. Entered the folds of Islam.

7th to 10th C. A.D.
Under the sway of the Caliphates of Damascus and Baghdad.

From the 10th C. A.D.
Independent under the local dynasties.

1522-1602 A.D.
Portuguese occupation. In-

INDO-BAHRAIN RELATIONS FROM THE ANCIENT TIMES TO THE PORTUGUESE ERA

By: B.K. Narayan

INTRODUCTION

1. Bahrain in spite of its current-day shrunken size has had a very long and chequered history merging somewhat into a mythical past. Its geography has also seen many changes in keeping with its history. So has been the case with its name from age to age. In spite of all this metamorphosis Bahrain has retained its distinctive individuality. It is, therefore, necessary to project ourselves into Bahrain of the past ages to appreciate the cross-currents of its history as well as its geography.

2. For a bird's eyeview of what is intended to be projected hereafter is a rapid historical chart of the march of events as far as can be ascertained from reliable records:

Ahmed Bin Majid and another about the Ottomans and the Gulf. These are seminars which have been prepared for well in advance meticulously and have yielded rich dividends. The Centre for Studies & Documents of Ras Al Khaima under the auspices of the Royal Diwan spared no effort in making these a success and not a little credit goes to its director Mr. Ahmed Tadmori who went all-out to make it a memorable event. It only goes to show the deep commitment this comparatively new centre has towards a serious study of history and the valuable new strides it has made in offering a rich fare to the audience.

These are a few observations and impressions emanating from the group of studies presented lately at the Ras Al Khaima Seminar to which we have referred. This like many other similar seminars needs to be disseminated more widely and this is what we expect from our students and scholars. May God grant success to such endeavours.

Abdullah Bin Khalid Al Khalifa

tion reached a staggering 250 million as against 16 million Christians. This was despite the tremendous effort made by the missionaries to spread their faith backed up for many centuries by their vicious naval fleets and colonialist rampaging armies reinforced by their interested and dubious food and medical aid. If it proved anything it is that the Indian genius had a sympathetic chord for the great call of Islam intuitively. Its view of the universe, life and its ideals found an identity close to its heart requiring a wider opportunity for their fruition if the interests of these several peoples were to be served whose multitudes lived in these vast lands. It proved the ageold saying, 'east is east and west is west'.

Thirdly, the papers and studies presented have unambiguously and clearly brought out the fact that there are plentiful historical and documentary sources available in the Indian archives which have not been tapped by the historians in the past adequately. They have tended to rely on purely western sources and western authors. As pointed out by us on several occasions these are not free from blemish as they have an axe to grind. The Al Watheeka presents a bunch of papers and studies presented in the seminar in this issue and God-willing the remaining papers will be presented in subsequent issues. While doing so we are conscious of the fact that their value is enhanced because they are based on new source-material and are well-documented and are thus of benefit to the students of Indo-Gulf relations. On the other hand, they also emphasise the need to benefit from the various Indian archival sources which are plentiful. This is essential to go to the roots of a study so that there is scope for correcting and rectifying several concepts which have been floated by Western historians as also their source-material, which is in many cases faulty having many loopholes and which is not always impartial.

Fourthly, the seminar of Ras Al Khaima comes in a series of seminars and the ones which preceded it were one about

an antiquity much older than some may imagine. One may delve as far back as the third millennium B.C. and thereafter these relations were resuscitated in history whereby India established itself as a profitable market for Gulf pearls and dates even as it was an important exporter to the Gulf of a wide variety of goods and merchandise. This commercial exchange was blessed with a continuous development involving much give and take. It promoted mutual amelioration, development and welfare of the two regions assisted by a number of factors such as geo-proximity, routes of communication, the nature of merchandise and the market-needs of the region. This amelioration flourished steadily to mutual advantage until the emergence of the age of European depredations which started with the Portuguese followed by the Dutch and the British. These assaults assumed various forms over the centuries as represented in naval warfare, military colonisation and economic imperialism. The result was that various barriers emerged on the horizon blocking a free intercourse between the two regions. Then came the foreign control of the markets and ultimately the conversion of the Gulf countries as well as the Indian subcontinent into captive markets for western products and merchandise.

Secondly, although the relations between the Gulf and the Indian subcontinent were very ancient as we have stated, nevertheless, these relations assumed a new complexion with the advent of Islam as is borne out by the several studies presented at the Ras Al Khaima seminar. The call of the new faith opened many channels before the Indian subcontinent with strong bridges spanning them. The Muslim merchants, while they brought their merchandise, breathed a new spirit which was a new experience for the Indians altogether. The result was that the advent of Islam brought its radiance to the various parts of this farflung region and many Islamic states sprang up in the process. A look at the number of Muslims inhabiting this region today fills one with wonder with about 100 million in India, 70 million in Pakistan and 80 million in Bangladesh. In pre-partition India their combined popula-

IN THE NAME OF GOD THE BENEFICENT, THE MERCIFUL

A WORD ABOUT THIS ISSUE

By H.E. SHAIKH ABDULLAH BIN KHALID AL KHALIFAH

On 17 March last Ras Al Khaima witnessed a historical conference on the hoary relations between the Arab Gulf and the Indian subcontinent organised by the Centre of Studies & Documents in which a considerable number of Arab and Indian scholars participated. They presented a number of papers and studies covering the various dimensions of this relationship spanning a wide spectrum of time since the dawn of history. I am inclined to consider this seminar as an important event witnessed by the region wherein those concerned with Indo-Gulf and South-East Asian-Gulf relations were exposed to a set of facts which require an enlightened understanding, a critical analysis, an objective assessment and a serious insight which may possibly determine the broad features of a new relationship beckoning a future pregnant with possibilities of myriad changes, hopes and expectations.

The foremost fact which stands out is that the relations between the Gulf and the Indian-Subcontinent date back to

CONTENTS

Subject **Page**

Arabic Section

AL WATHEEKAH

Devoted to The Heritage, Thought and History of
Bahrain And The Gulf

Bahrain P.B. 28882

Telephone — Historical Documents Centre — 664854

All Correspondence to be Addressed to The Editor-in-Chief

AL WATHEEKAH

A Half-Yearly Journal Published by

The Historical Documents Centre

The State of Bahrain

Issue No: 17 – 9th Year
Dhul Hijjah 1410 A.H. – July 1990 A.D.